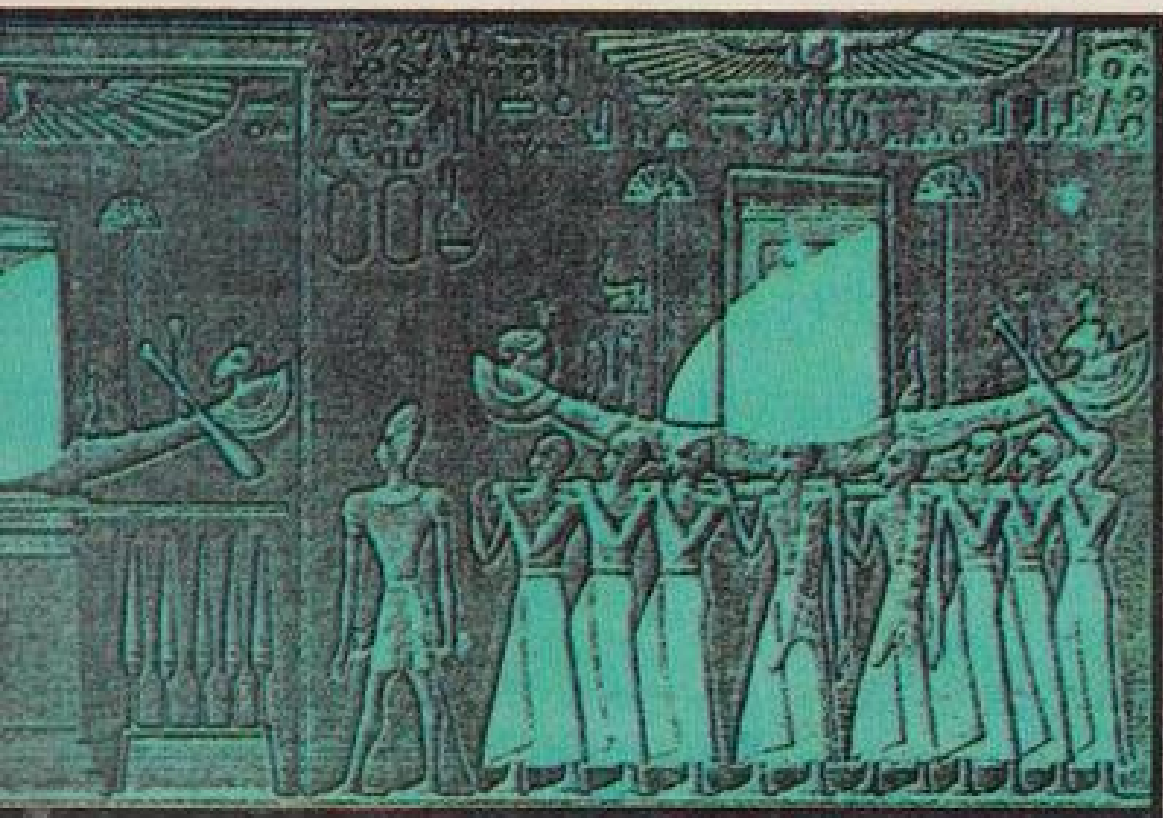
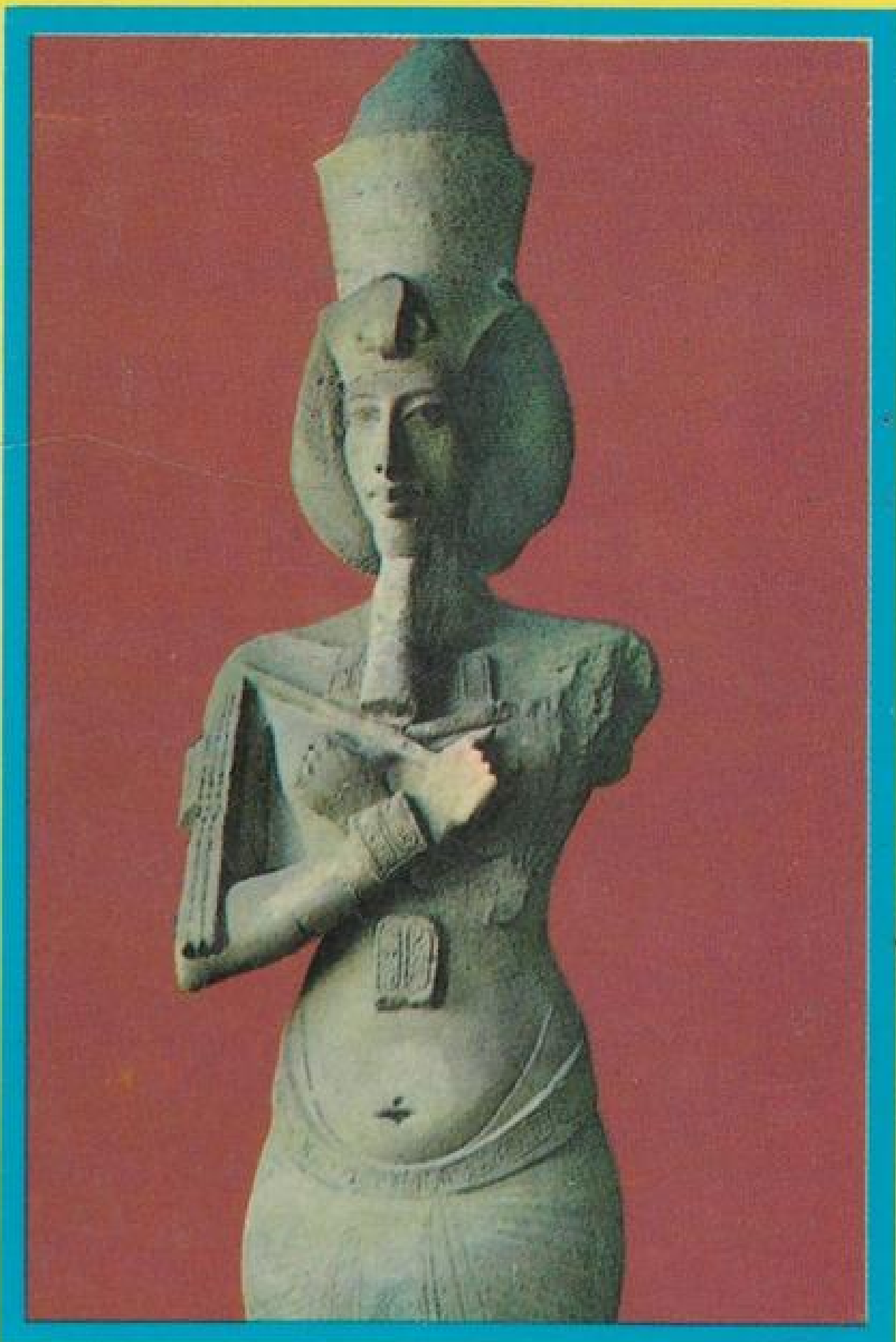
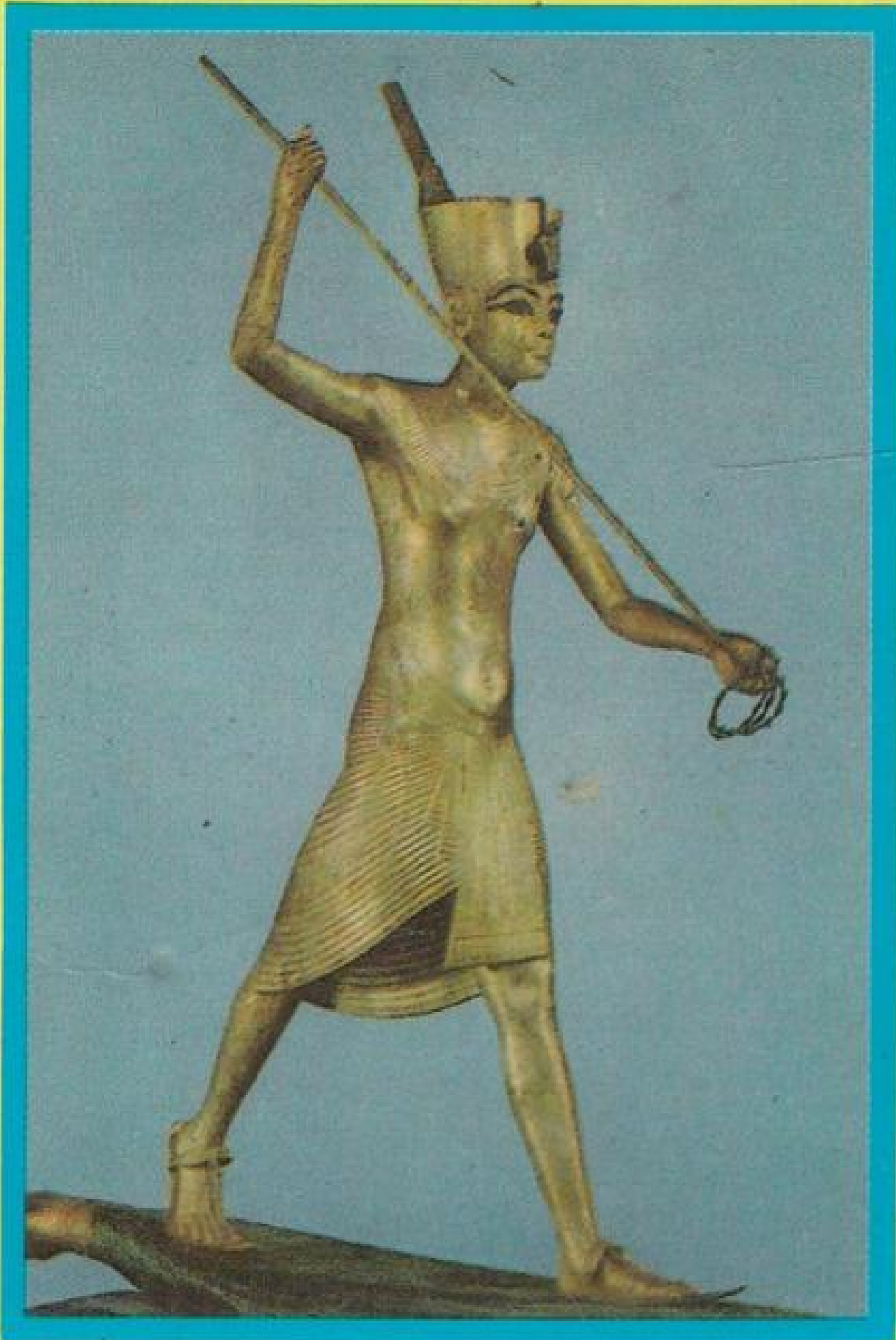


صَفَحَاتٍ مِنْ
تَارِيخِ
مِصْرَ
الْفِرْعَوْنِيَّةِ

تاريخ الفن المصري القديم

تأليف
محرم كمال



الناسر
مكتبة مديبولي
القاهرة



تاريخ الفن المصري القديم

تأليف
محرم كمال
الأمين المساعد بالمتحف المصري

مكتبة مدبولي
القاهرة

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة مدُبُولِي

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

الناشر

مكتبة مدبولي

ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ج م ع

تليفون ٧٥٦٤٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الاول

طبيعة الفن المصرى*

يخضع فن كل أمة - كما تخضع أخلاقها - لمؤثرات عدة تختص بطبيعة الأقليم الذى نشأت فيه . فالمناخ والمناظر وسائر ما تتميز به أمة عن أخرى ، كل ذلك يكيف الروح الفنية كما يكيف القوم أنفسهم . وانك لو اجد الفلاح المصرى فى جلبابه الواسع الفضفاض وحزامه المشدود الى وسطه ، وكذا الانكليزى السكسونى فى كسوته (السموكنج) الضيقة وأداة تدخينه (الببية) المرتكزة فى فمه، مضحكين اذا لبس أحدهما ملابس الآخر . وليس يفيدنا هنا أن نبحت فى أى ملابس العالم خير من غيرها ، وليس لنا أن نلقى مثل هذا السؤال ، لان كلا منها هو الأوفق والأجود فى حالته الراهنة ، وكلا منها غير ملائم ولا مناسب فى حالة أخرى. وهكذا الحال فى الفن ، فهو التعبير عن الاحساس والشعور والعواطف وفقاً للأحوال المحيطة بها . وعلى ذلك فلا ينتج العمل الآلى (الميكانيكى) غير فن منحط ، لان الرغبة فى التعبير قد قلت أو انعدمت أو تحولت الى مجرد نقل ومحاكاة واذا أراد فن أن ينسج على منوال فن آخر كان هذا خلطاً بين الافكار . تصور معبدا كورنثيا أو كنيسة نورماندية أو هيكلًا صينيًا تجد كلا منها بطبيعة الحال مناسباً وملائماً لأحواله الخاصة التى أقيم فيها

ولكن اذا بنى المعبد الكورنثى فى انجلترا والكنيسة النورماندية فى الصين والهيكل الصينى فى مصر ، كان وضع كل منها خطأ كبيراً . ومن أجل ذلك اذا أردنا أن نفهم فناً ما ، وجب علينا أن نبدأ بتعرف عوامل هذا الفن ، وأحواله وخصائصه ، والجو الذى نشأ فيه وهذه العوامل فيما يختص بمصر ليست إلا ذلك النور القوى الذى ينبعث من شمس سافرة لائحة ، ثم ذلك الاختلاف الواضح بين جذب الصحراء الشاسعة وخضرة الوادى

* اعتماداً فى تحرير هذا الفصل اعتماداً تاماً على الاستاذ فلدرز بترى

الضيق ، ثم هذه الخطوط التي لا حد لها من المناطق المزروعة ومن الهضبة الصحراوية ومن الطبقات الجيرية وما يتخللها من شقوق عمودية على الجانبين . وهذه الاحوال كلها من شأنها أن تظهر فن العمارة في البلاد الاخرى ضعيفاً فائراً إلى جانب فن العمارة في مصر ، وتجعل النمط المصري في العمارة متميزاً بخصائص واضحة برغم اختلاف أنواعه وأساليبه فالضوء اللامع الذي يغمر وادي النيل قد أدى الى اغفال النوافذ في جدران المباني ، لان الضوء المنعكس من منافذ الأبواب يكفي لاطهار جل ما في الداخل ، أما الغرف التي تبعد عن الباب الخارجى فكانت تزود بفجوة مربعة في السقف ، أو كوة عالية تسمح بدخول الضوء الكافي . وكان من نتيجة هذا ان أصبحت الجدران قطعة واحدة خالية من المنافذ فأمكن ملؤها بكثير من المناظر والمشاهد التي كانت تنقش عليها

أى أن المصريين القدماء لم يعتبروا سطح الحائط جزءاً من البناء ، وإنما اعتبروه مكاناً معداً للنقش والتصوير ، مثله في ذلك مثل أوراق البردى والالواح الحجرية . ولقد أدى اعتقاد المصريين في قيمة الرسوم السحرية الى تصوير طقوس العبادة المختلفة على جدران المعابد أو المقابر رغبة في أن تتجدد دائماً لخدم الالهية بواسطة الرسم . وبهذا فان ما نراه ليس بناء بالمعنى المعروف ، بل هو كتاب مصور يتضمن رسوم العبادات وطقوسها . وثمرته نتيجة أخرى غير مباشرة لهذا النور القوي أثرت في فن النقش . فقد كانت النقوش الجميلة في أكثر الاحيان لا تظهر واضحة في النور المنعكس من الابواب ، ومن هنا وضعوا لها ألواناً زاهية جداً لتظهر واضحة لامعة ، فصار للتأوين بذلك قيمة عظيمة وكذلك هذا التباين العظيم بين الصحراء والوادي قد كيف الذوق الفني تكييفاً واضحاً . فهناك على كلا الجانبين تقع تلك الصحراء العظيمة العارية من كل خضرة وحياة ، تلك الفيافي المخيفة التي تنتابها الارواح الشريرة والحيوانات المفترسة ، والتي يتوطنها البدو الذين يهيمون من آن لآن بالاغارة على الحقول والماشية ، وبين هاتين الباديتين الفسيحتين يقع واد من أخصب الاراضى وأعظمها ثروة ، يموج بقوة الحياة ومظاهرها وينتج أعظم المحاصيل وأغزرها اذ تثبت الارض في بعض الجهات ثلاث مرات في السنة تحت أشجار النخيل المثقلة بالبلح ، وبذلك تغل الارض أربعة محاصيل تجرى بالارزاق الوفرة على الناس . هذا الخصب والثراء في وسط الجذب والقفل تنعكس صورة له في الجمع بين دقة التفصيل وضخامة البناء . فنجد أعظم أبنيتهم الضخمة مكتظة السطوح بالنقوش اللطيفة والألوان الدقيقة ، وهذا الذي يعد غير مناسب في فنون

شعوب أخرى يظهر متناسبا متسقا في فن الشعب المصرى
وان الخطوط الأفقية والعمودية الظاهرة في المناظر تكيف طراز الأبنية التى يمكن
أن توضع أمامها . فانا اذا اقتربنا من المعابد وجدنا خطا سائداً هو مستوى سهل
وادى النيل الأخضر ، وخطاً علوياً خلف البناء هو مستوى الهضبة الصحراوية الأعلى ،
وبين هذا وذاك صخور تتخللها المهاوى المظلمة . فكل الأبنية التى تقام أقل ضخامة مما
أقامه المصريون يضعف شأنها ويتضاءل قدرها أمام مثل هذه الكتلة الهائلة . ويظهر
هذا التوافق واضحاً في معبد الدير البحرى الواقع تحت الصخور التى تظله . دع بربك
أى نوع من أنواع الأبنية تقام هناك تجده شيئاً غير ملائم ولا مقبول ، بل تجده نافراً نائياً
عن الذوق السليم ، فان خطوط الشرفات والسقوف المستوية وظلال الاساطين العمودية
تظهر في هذا المعبد في توافق كامل مع مشاهد الطبيعة التى تحيط به

تلك القواعد التى كانت مفروضة على فن العمارة في مصر ، كانت مفروضة بنسبة
أكبر على فن الحفر ، فلقد كان أثر الطبيعة ظاهراً في تلك الجدران الهائلة والأعمدة
التي كان يقيم المصريون بينها تماثيلهم الضخمة . وفي أمثال هذه المباني والمعابد لا يتفق
مطلقاً وضع آلهة الانتصار واقفة على إحدى قدميها وآلهة الذود والحمى وهى ترقص ،
لان تلك خاصة بقمم اليونان التى تفصل بينها مجاري الماء وتغطيها الأحراش . وقل -
اذا شئت - ان تلك خاصة بعالم يموج بالجمال ، لا بعالم يؤمن بالأبدية والخلود . وفي الواقع
كان الفن المصرى مبني دائماً على أساس يتضمن الأحوال الطبيعية المحيطة به ، وفي
حدود هذه الأحوال كان هناك مجال لظهور الصور والنقوش الزاهية البراقة في انسجام
بديع تخلته القدرة الممتازة على التعبير الدقيق . ولكن المصرى كان دائماً على درجة
من العقل والكياسة مكنته من أن يتعرف أحواله فلم يخرج عليها ، وفي عدم خروجه
على تلك الأحوال سر عظمتة . ولعل أصدق من حلل الفن هو تولستوى إذ عرفه بأنه
الوسيلة لظهور العاطفة أو الشعور أو الاحساس ، وقد تكون العاطفة ناتجة عن الجمال
وقد تكون منبعثة عن الاشتزاز ، ومع هذا فكل منهما فن ولو أنه ليس كلاهما فناً محبوباً
أو مرغوباً فيه . والعاطفة يمكن أن يعبر عنها بالكلام أو بالصوت أو بالرسم أو بالصور ،
فكلها أدوات أو مطايا لأنواع عديدة من الفن ، ولكنه ليس من الفن في شيء مالا
يحدث أثراً في النفس . فكيف يظهر المصرى يا ترى تحت هذا التحليل ؟ وأى العواطف
كانت مقصودة بفنه ؟ وإلى أى حد نجح في اظهارها والتعبير عنها ؟

الفسيحة التي تحيط بهيكل قرص الشمس المقدس، وفي هذا الجزء توجد اطلال منازل عظيمة ذات أفنية واسعة . وهناك أيضا في الجانب الشرقى من الطريق العام بناء خاص بالملك كما يوجد بالجانب الغربى قصر الملك الرسمى الواقع على النيل ، وإلى خلف البناء الأول يقع مكتب المحفوظات (وهو الذى وجدت به رسائل تل العمارنة المشهورة) ، وعلى مقربة منه الجامعة التي كانت تدرس فيها العلوم ، وتسمى بالمصرية القديمة بيت الحياة ، يحيط بها من الخلف مركز البوليس وثكنات الجيوش . وكان الحى الجنوبى من المدينة يسكنه الفقراء وهو يحتوى على منازل صغيرة متقاربة لم يبق منها سوى الجدران الخارجية وأكوام قليلة من البقايا المتناثرة (شكل ١)

أما فيما يختص بالحصون والقلاع فهناك اثنتان منها فى العراصة المدفونة وحدها ، كما كشفت الحفائر الحديثة عن استحکامات الكاب والكوم الأحمر والحية (على مقربة من الفشن) وحصون طيبة

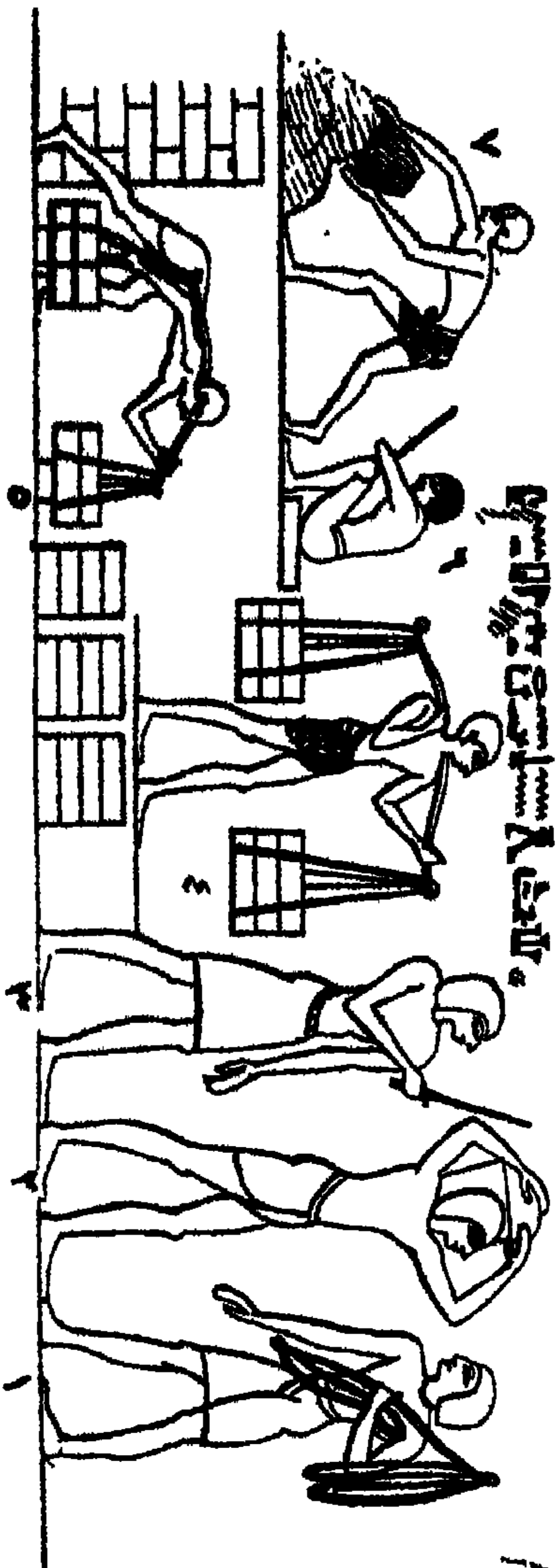
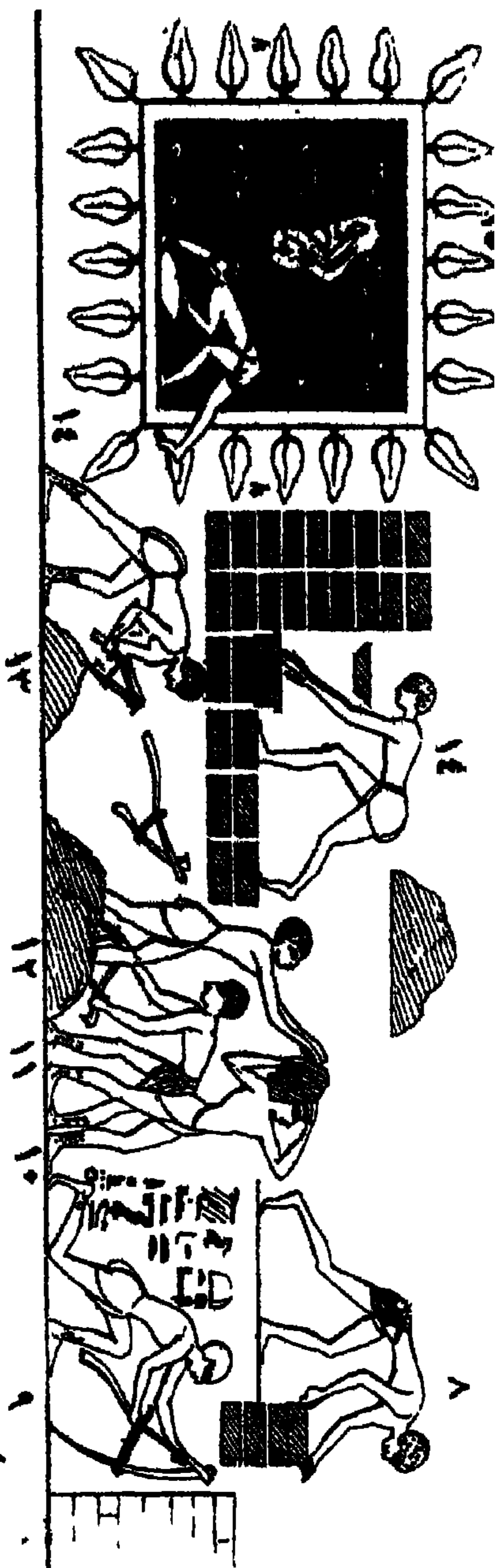
المساكن الخاصة

يفيض النيل كل سنة على أرض مصر ويغمرها بمياهه ، فيكسوها بطبقة من الطين الاسود المخصب . ولقد كان الزارعون منذ أقدم العصور يستعملون هذا الطين فى اقامة دورهم التي لم تكن سوى كتلة من الطين لاتدل على شيء من الأناقة والجمال كان يكفى لاقامة مثل هذه الدور قطعة من الارض مستطيلة الشكل يتراوح عرضها بين ثمانى أقدام وعشر أقدام وطولها بين ست عشرة وثمانى عشرة قدما يحيطونها بسور من سعف النخيل المتقاطعة ، طولاً وعرضاً تاركين أطراف السعف الى أعلى ، ومن هنا نشأ الطنف الحجرى المعروف بالكورنيش الذى نراه دائماً يزين حافة السقف على الابواب وغيرها ، لأن المصريين - وقد كانوا قوما محافظين - قلدوا هذه الزينة القديمة فى مبانيهم الحجرية ، ثم يطلون هذه الأغصان من الجهتين بطبقة من الطمى ، ويعيدون طلاءها اذا تشققت حتى يبلع سمك الجدار فى بعض الأحيان أربع بوصات وقد يزيد الى قدم . ويسقف المكان بسعف النخيل والبوص وتطلى بالطين . أما ارتفاع هذه الأكواخ فغير كبير ، ومعظمها كان سقفه على درجة من الانخفاض يتعذر معها أن يرفع المرء رأسه دون أن يصطدم بالسقف ، ويرتفع سقوف بعضها عن الارض ست أقدام أو سبعة ،



الشمس

(شكل ١) هذه الصورة ترىنا عاصمة الملك (اخاتن) الحديثة ، التي بناها على مقربة من تل الهمارنة ، كما كانت في اوج مجدها . ويرى في القسم الامامى من الصورة قصر الملك وقد رست احدى السفن امام رصيفه . وخلف القصر يقع ممر مستوف يصله بناء آخر خاص بالملك . والى يسار هذا البناء يوجد معبد المدينة الكبير بجنابيه المحمية وابراجه المزينة بالاعلام ، وهيكله المقدس الواقع في آخر البناء . ويقع الى حلف الساء الخاص بالملك بيت المحفوظات الذى وجدت به رسائل تل الهمارنة المشهورة ، والى يمينه ترى الحامة (وتسمى بالمصرية القديمة بيت الحياة) ، والى خلف الحامة مركز الوليس وشركات الجيوش . وفى الجانب الايمن من الصورة يرى معبد آخر للاله (اتن) به جملة صروح (أبراج) مربية بالأعلام ، وأمام الدخول موكب يتقدم الى العبد



(شكل ٧) طريقة صنع الطوب (اللبن) - ويرى السالك والم يجفرون الأرض (رقم ١ ، ١٢ ، ١٣) ويجفرون التراب
 ثم كرومونه ويحضرون الماء من مستنقع قريب (١٥) ويخلطونه بالتراب حتى يتحول الى عجينة (رقم ٧) ثم يصبونه في
 بر - تشبه قوالب الطوب المطاينة (رقم ٨) ثم يحملون الطوب ويكودونه ليخفف في الشمس (رقم ٤ ، ٥ ، ٥٠٠ الخ)

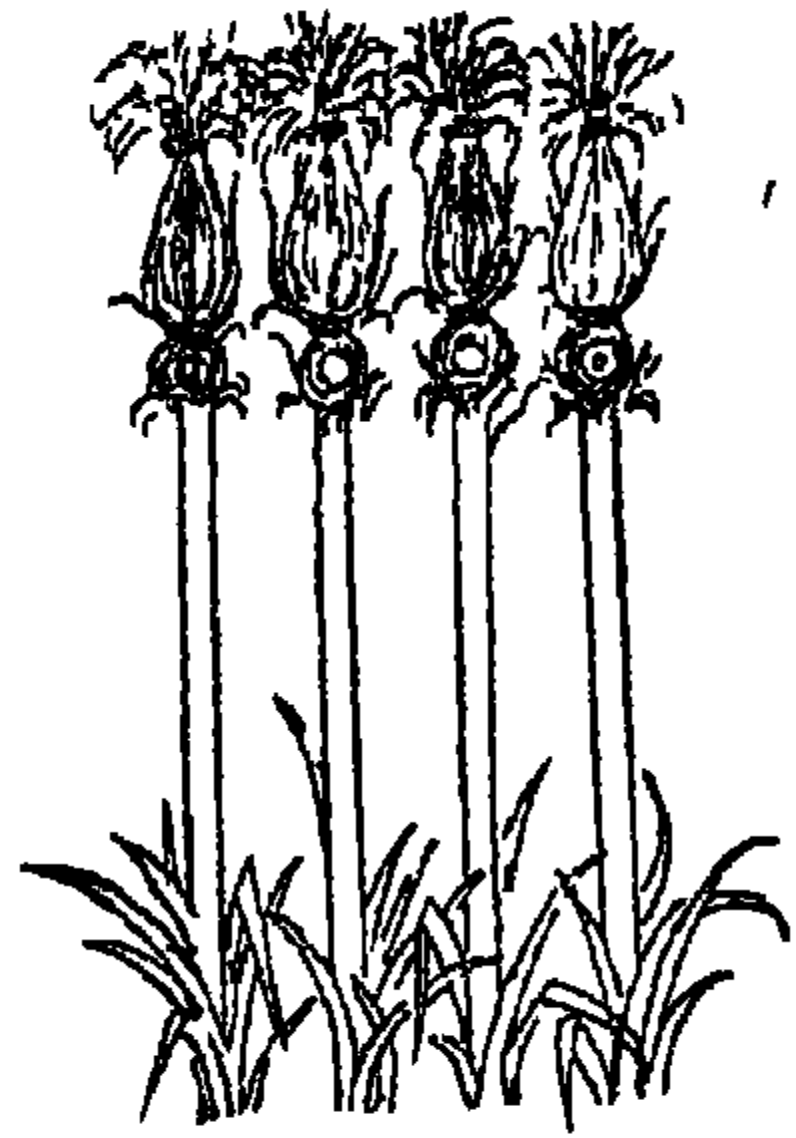
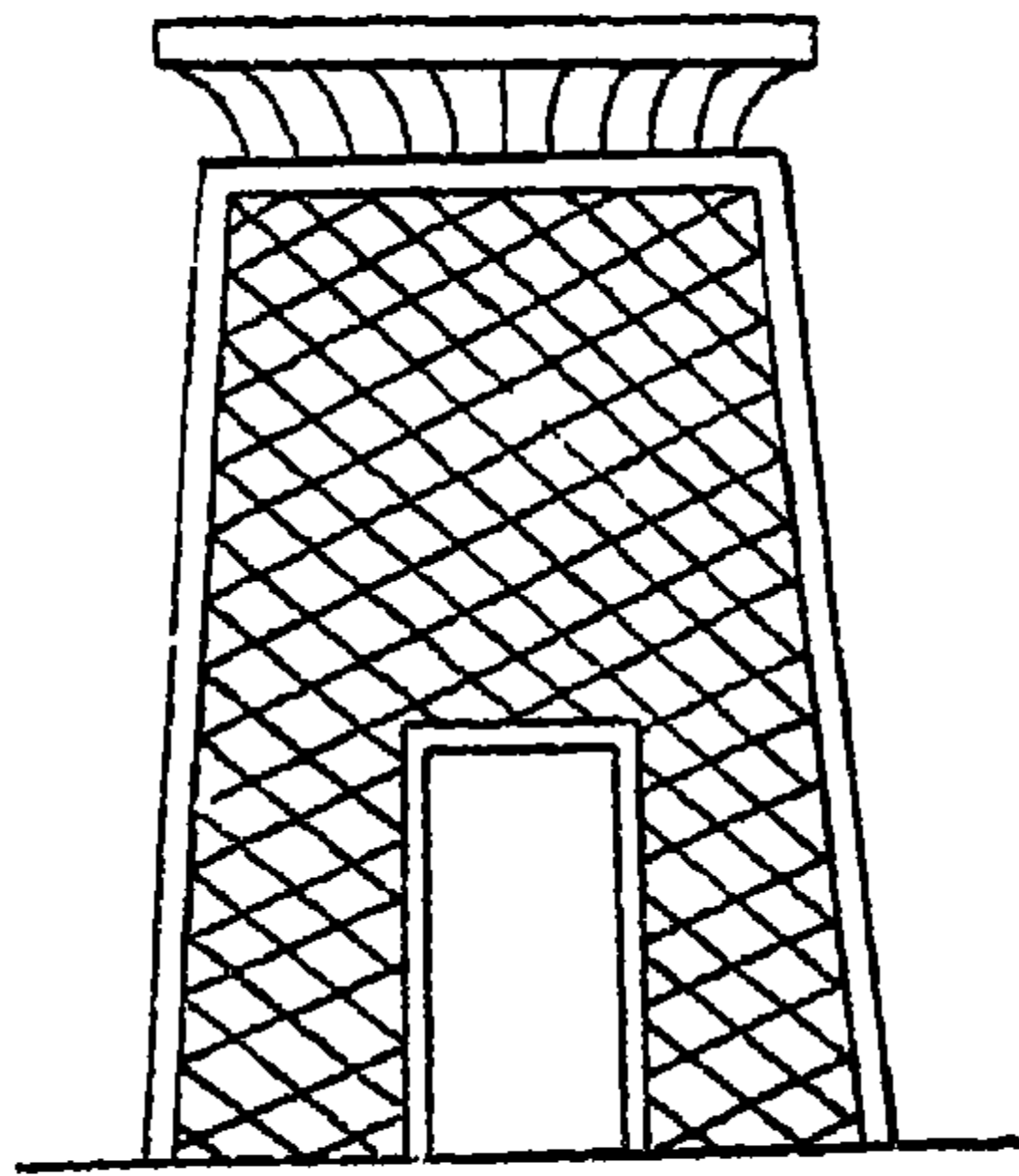
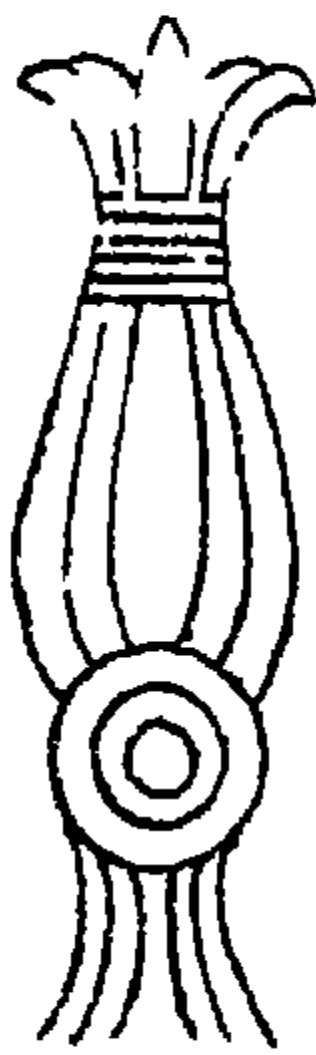
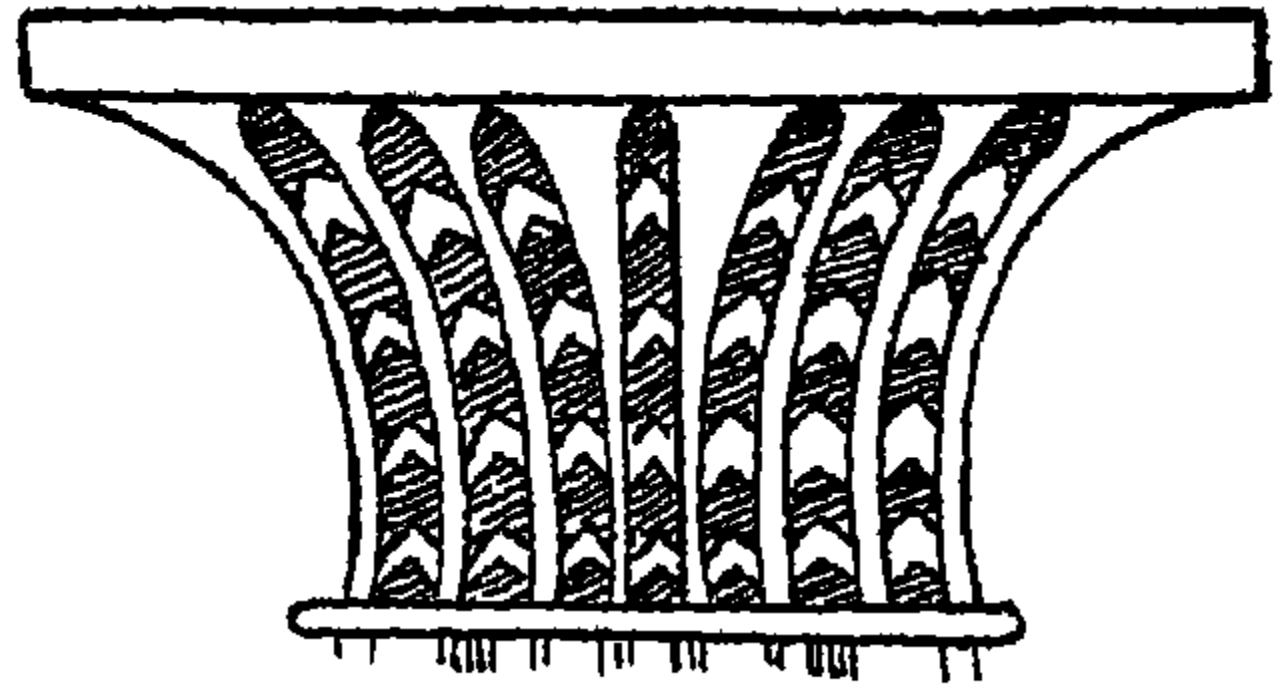
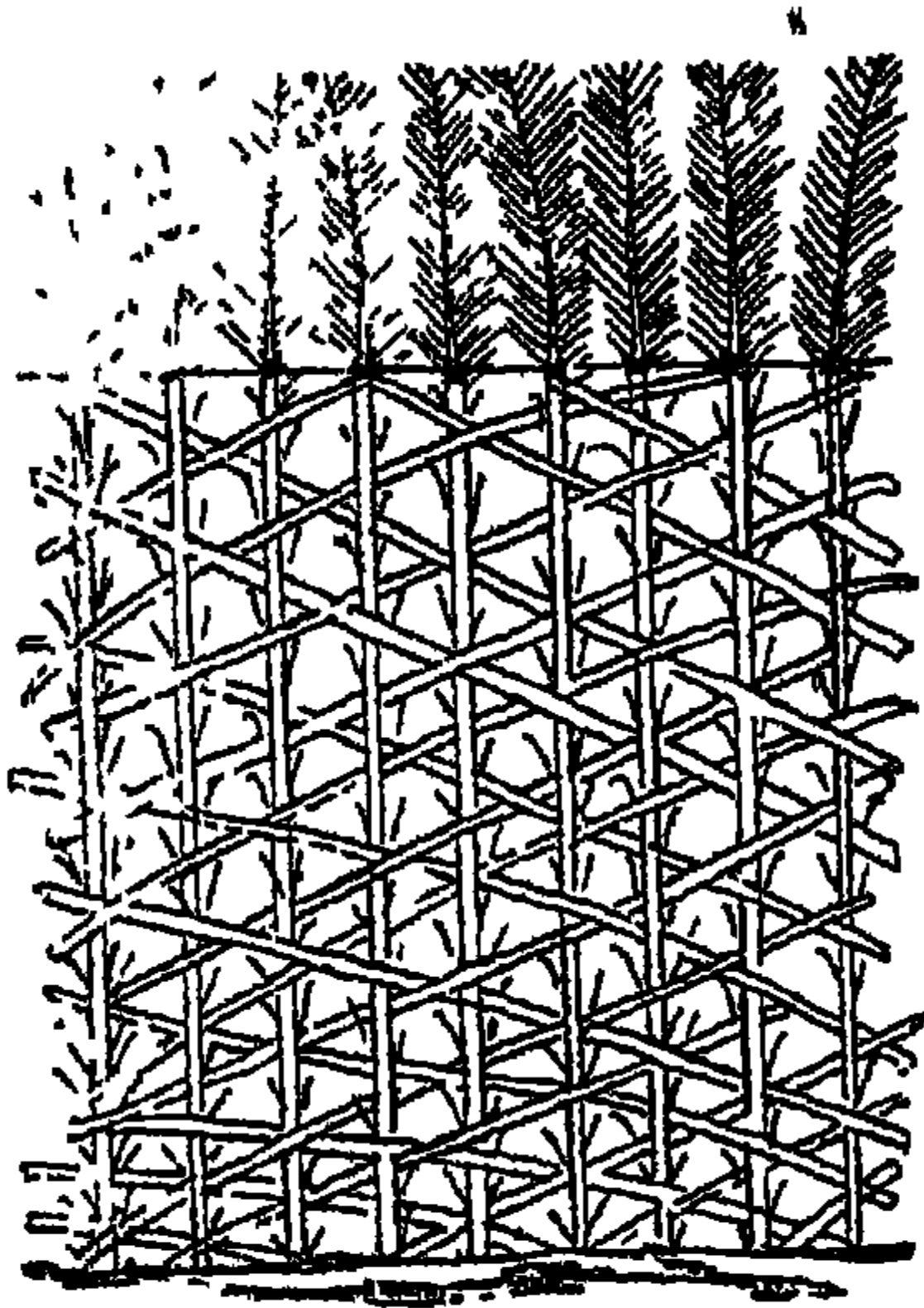
ولم يكن هناك بطبيعة الحال شيء من النوافذ اذا استثنينا ثقباً كان يترك في بعض الأحيان في وسط السقف لخروج الدخان

وتم نوع آخر من أنواع هذه الدور كان يصنع من جذوع البردى ، ولهذا النبات رأس ذو خيوط كثيرة يربط كل منها على حدة بشكل خاص ويثبت السقف تحت هذه الرؤوس التي تظل بارزة . ومن هنا قلدوا الصنف المتكون من مجموع هذه الرؤوس واتخذوا منها زينة لأعلى جدرانهم استمرت مستعملة الى آخر عصورهم يطلق عليها في عالم الآثار اسم « خكر » (انظر شكل ٢)

وليس من السهل دائماً أن يميز الانسان من النظرة الاولى بين هذه الأكواخ المصنوعة من الأغصان والطيني ، سواء أكانت أغصان النخيل أم البردى ، وتلك المبنية من اللبن الذي كان يتكون من قطع مستطيلة من الطين المخلوط بالتبن وقليل من الرمل المجفف في الشمس . وكانوا اذا أرادوا أن ينشأ بيتاً اشتغل العمال في حفر الأرض وجمع التراب ثم حمّاه وتكويّاه ثم خلطه بالماء وعجنه بأرجلهم حتى يحولوه الى عجينة متجانسة . وهذه العجينة يضعها العامل في قوالب مصنوعة من الخشب ويحمل الطوب مساعداً له ويصفه صفوفاً على مسافة قريبة ليجف في الشمس . ويتركه العامل الماهر هكذا نصف يوم أو يوماً كاملاً يرص بعدها بطريقة تجعل الهواء يتخلل صفوفه ، ويترك اسبوعاً أو اثنين قبل الاستعمال . ومع ذلك ففي أحوال كثيرة كانوا لا يتركون اللبن معرضاً لحرارة الشمس أكثر من ساعات قليلة يبدأون بعدها البناء به وهو رطب . واللبن صلب متين ولا يتغير شكله بسرعة ، واذا تأكل سطحه فإن الأجزاء الداخلة منه في الجدار تظل سليمة متماسكة

ويضرب العامل الماهر عندنا الآن ما يتراوح بين ١٢٠٠ و ١٥٠٠ قالب من الطوب ، وقد يوفق في بعض الأحيان الى ١٨٠٠ قالب في اليوم . ولقد كان العامل القديم الذي كانت أدواته لا تختلف ولا تقل عما نستعمله نحن في عصرنا الحالي ، يأتي بنفس هذه النتائج المرضية (شكل ٣)

وكان حجم هذا الطوب في المعتاد يتراوح بين ٧ر٨ في ٣ر٤ في ٥ر٥ بوصة للقالب المعتاد ، أو ١٥ في ٧ر١ في ٥ر٥ بوصة للأحجام الكبيرة ، وكان الطوب الذي يصنع في المصانع الملكية يختم أحياناً بطابع الملك ، في حين أن اللبن المصنوع في المعامل الخاصة كان يدمغ في جانبه بعلامة تجارية من المغرة الحمراء هي في الغالب طابع الصانع ، وفي كثير من الأحيان



(شكل ٢) تمثل هذه الصورة في القسم الأعلى منها الأصل في الطنف (السكورنيش) المصرى وهو عبارة عن سعف النخل الذى كان يترك الى أعلى الجدران المبنية من أغصان النخل المتقاطعة طولاً وعرضاً كما يرى في الصورة في القسم الأيسر منها ، وقد نقل المصريون هذه الريبة وصورها في مبانيهم الحجرية فوق الابواب كما يرى في الرسم الظاهر بالقسم الاعلى من أعلى الصورة مع محافظتهم على جميع تفاصيل أجزاء سعف النخل ، فصارت زينة للابواب بالشكل الظاهر في وسط الصورة . أما القسم الاسفل من الصورة فهو يرينا الاصل في زينة (خكر) المعروفة انى هي عبارة عن رؤوس جذوع البردى التى كانت تربط خيوطها من أعلى وأسفل ، ثم قلدت بعد ذلك في المباني الحجرية كشكل زخرفى

كان يترك بدون أى علامة مميزة . أما الطوب الأحمر فلم يعرف استعماله قبل العصر اليونانى الرومانى، ولو أن نوعاً منه قد عثر عليه فى مبان يرجع عهدها الى عصر الرمامسة ولم تكن طبيعة الأرض تسمح بحفر أسس عميقة . فكلها على وجه العموم لا تتعدى أربع أقدام عمقا وإن كانت عادة لا تزيد على قدمين . ولم يكونوا يحشمون أنفسهم مشقة حفر الأخاديد ، وإنما كانوا يمهدون الأرض التى يريدون البناء عليها ويرشونها ثم يضعون الطوب على السطح، وعندما يتم المنزل تتكون من بقايا الطوب المتناثرة ومن جميع متخلفات البناء طبقة يبلغ سمكها ثمانى بوصات أو قدما واحدة ، وبذلك يكون الجزء المدفون من الجدار وسط هذه المتخلفات أشبه بأساس

وعندما يقوم المنزل الجديد على أنقاض منزل قديم ، لا يكلف البناءون أنفسهم مشقة إزالتها ، بل يكتفون بتسوية سطح الأنقاض ثم يبنون فوقها . ولذا فقد كانت كل مدينة تقوم على عدة تلال صناعية يتراوح ارتفاعها بين ستين وثمانين قدما عما يحيط بها ، ولقد عزامورخو الاغريق هذه التلال الصناعية الى حكمة الملوك وخصوصا «سيزوستريس» الذى أراد ، كما يقولون ، أن يرفع المدن عن مستوى مياه النيل مدة الفيضان (راجع هيرودوت ٢ - ١٣٧ وديودور ١ - ٥٧) . ولقد وصف بعض الكتاب الحديثين هذه العملية كالآتى : كانت تبنى جدران من الطوب موازية بعضها للبعض الآخر ، ثم تبنى جدران أخرى تقاطعها فى زوايا قائمة كهيئة لوحة الشطرنج ، ثم يملأون المربعات المكونة بهذا الشكل بالتراب ويقام المنزل على هذه القاعدة الكبيرة (راجع ماريت : رسالة عن طريق البناء فى مصر صفحة ١٣٩ ، وبروه وشبيه - تاريخ الفن المصرى) . وليس فيما أجراه الباحثون فى حفرياتهم ما يؤيد هذا القول كثيراً ، وإنما يذهب العلامة «ماسبرو» الى ان هذه الجدران المتقاطعة التى يجدها الانسان تحت المنازل القديمة ليست سوى بقايا المساكن القديمة التى ترتكز بدورها على غيرها مما هو أقدم منها عهداً . ولم يكن وهن الأساس يمانع لهم من اقامة المباني العالية ، فلا زال فى بقايا منفيس جدران يتراوح ارتفاعها بين الثلاثين والأربعين قدما . وكل ما اتخذته البناءون من ضروب الحيلة لم يتجاوز تكبير قواعد الجدران وعمل الأقبية . وكان سمك الجدار العادى يناهز ست عشرة بوصة فى المنزل المنخفض أما فى المنازل التى تحتوى على أكثر من طبقة واحدة فقد يصل السمك الى ثلاث أقدام أو أربع أقدام

وكانت توضع عروق كبيرة من الخشب فى البناء لتربط جدرانها معا وتدعمها ، وكان

الجزء السفلى من الجدران يبنى غالباً بالأحجار بينما تبنى الأجزاء العليا من الطوب وكان يستعمل الحجر الجيري المقطوع من التلال المجاورة في مثل هذه الأغراض . على أن بقايا الأحجار الرملية وكذا الجرانيت والرخام التي وجدت مختلطة بهذه المنازل كانت قد انتزعت في الغالب من معبد مهدم أو آثار متروكة كما كان يفعل المصريون الحاليون الى عهد قريب أى الى أن أسست مصلحة الآثار المصرية

كانت الطبقات الفقيرة من المصريين تعيش كما هو مشاهد في جميع البلاد الحارة في الهواء الطلق . على أن منازل الأغنياء كانت تبنى بطريقة تجعلها رطبة في الصيف وتسمح بدخول تيارات من الهواء المنعش وذلك بوضع وترتيب الأفنية والطرقات ، ولقد كانت الأروقة ذات العمد تصل بين أجنحة المنزل المختلفة بعدد من الطرق والساحات الظليلة . وكانت المنازل حتى الصغيرة منها ذات فناء في الوسط تغرس فيه أشجار النخيل وغيرها ليكون أشبه بحديقة

ولقد كانت « الملاقف » شائعة الاستعمال عند المصريين القدماء . فكانت تثبت بأسطح الطبقات العليا لتواجه الريح الشمالية الغربية التي كانت تتسرب منها الى داخل المنزل ، وهي تشبه تماماً نظيراتها الموجودة في منازل الطراز العتيق في مصر الى الآن . وكان يوجد في بعض الأحيان « ملقفان » كل منهما تجاه الآخر

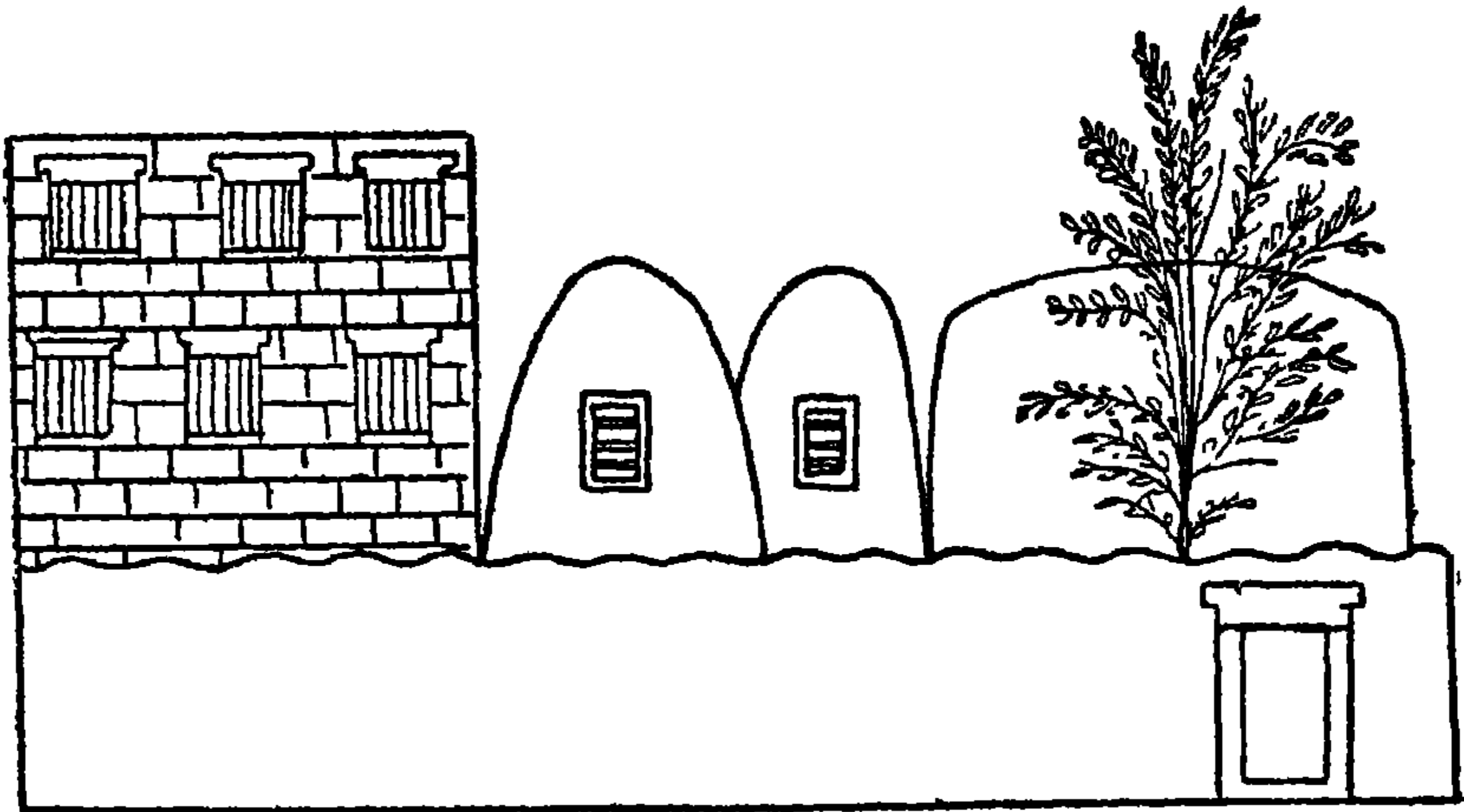
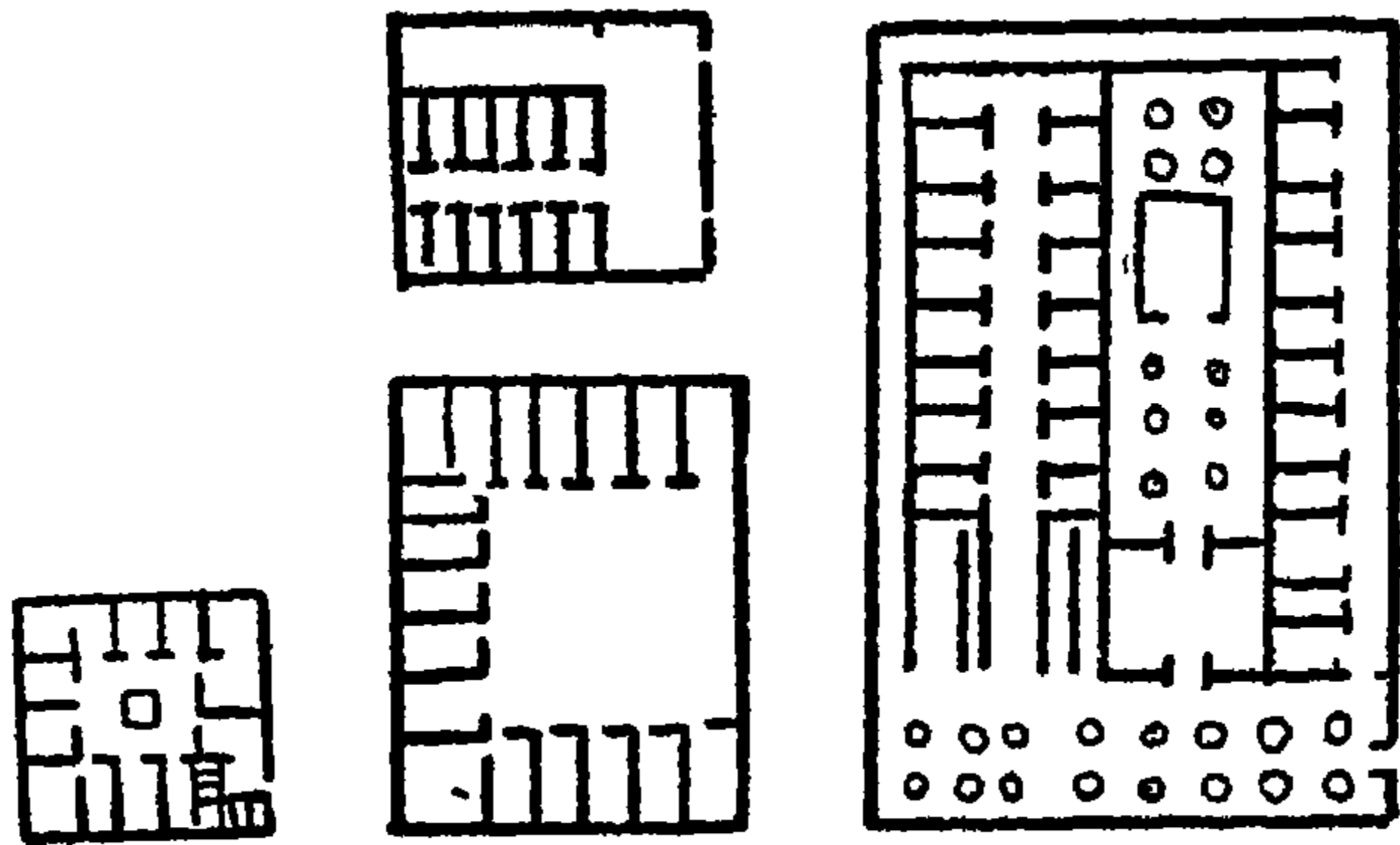
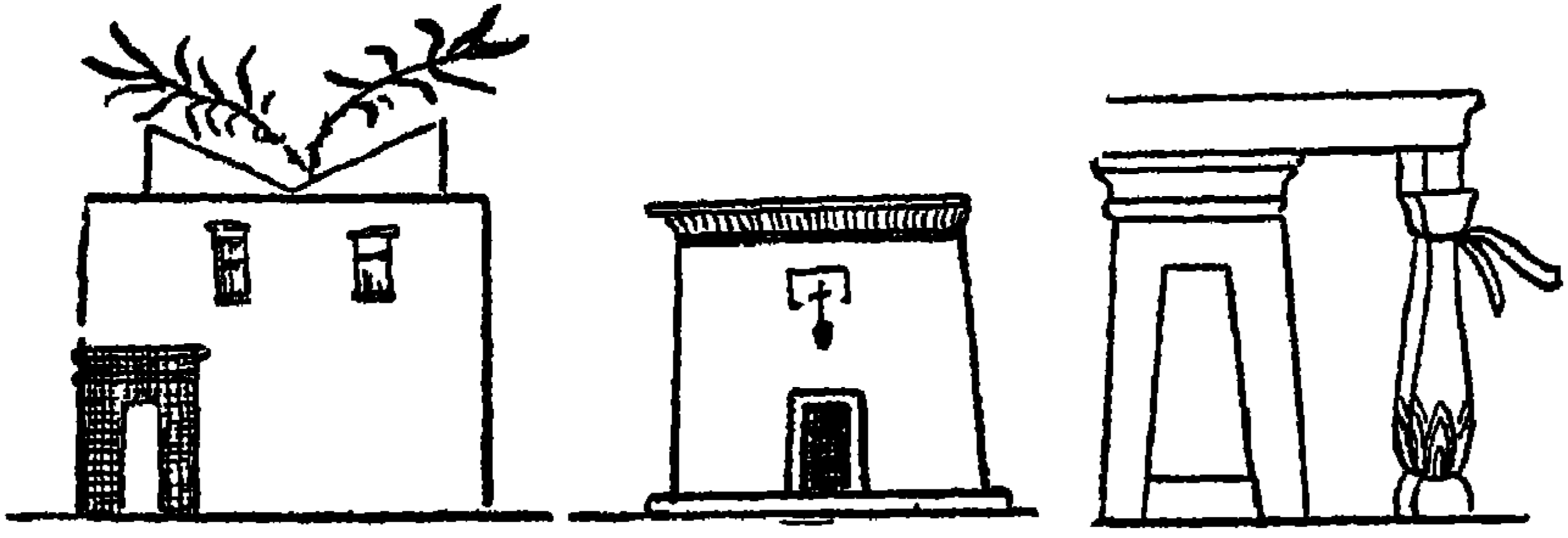
وكانت المنازل التي تبنى من اللبن وتطلى بالحص تلوّن بالألوان الزاهية التي كان يبتهج بها المصريون . أما المنازل الكبيرة فكانت تزخرف وتشمل أفنية عديدة وزخارف معمارية مختلفة . وكانت تكتب على الباب أحيانا جملة مثل « المنزل الجميل » أو اسم ملك ربما كان صاحب المنزل في عداد موظفيه ، وتوضع أيضا رموز كثيرة للقال الحسن كما هو مشاهد في مداخل منازل القرويين الحاليين ، وكانت زيارة معبد من المعابد تكسب المرء فخراً يعادل الحج الى مكة في هذه الأيام ، وهو فخر لم يترددوا في تسجيله على مداخل منازلهم أحيانا ، وكان الفقراء يكتفون بمنازل بسيطة ساذجة تتكون في العادة من أربعة جدران يعلوها سقف مستو من أغصان النخيل يسندها جذع وتغطيها حصر تطلى بطبقة سمكة من الطمي ، ولها باب واحد ونوافذ قليلة ضيقة . ولما كان المطر قليلا في مصر فإن هذا السقف من الطين لم يكن معرضا للتهدم الا نادراً . وكان هذا المنزل أقرب الى أن يكون ملجأً يحمي ساكنيه من الشمس ومستودعا يضعون فيه محاصيلهم منه الى الغرض العادى من المنزل في البلاد الأخرى . وكانوا ينامون على السطوح في معظم أيام السنة

ولما كان الجزء الأكبر من عملهم يباشرونه خارج منازلهم فقد حملهم هذا على الاعتقاد بأن المنزل أقل ضرورة من المقبرة . ولكن لم يكن اقتناع الأغنياء بهذه الفكرة الفلسفية البعيدة أمراً سهلاً ، فانه رغماً عن انتشار هذه الفكرة بين المصريين فانها لم تمنع الكهنة وغيرهم من العطاء من أن يعيشوا في منازل فخمة أو أن يتمتعوا بكل ما هو طيب من لذات هذا العالم ، لأنهم وجدوا أن مظاهر العز والرخاء تفيد في الدلالة على قوتهم وضمان طاعة القوم لهم . وعلى ذلك فقد كانت ممتلكات الكهنة الدنيوية كثيرة جداً ، وإذا كانوا قد فرضوا على أنفسهم بعض عادات الزهد والتقشف كاجتناب بعض أنواع الطعام اللذيذة وتأدية الطقوس الدينية العديدة فانهم استعاضوا عن ذلك بتحسين صحتهم وبنفوذ كبير اكتسبوه بهذا

وكان ترتيب منازل المدن يختلف عن منازل الأرياف تبعاً لدوق البانين . فتصميم منازل المدن كان يتكون أحياناً من عدد من الغرف تحيط من ثلاثة جوانب بفناء يغرس بالأشجار ، وأحياناً يتكون من صفين من الغرف على جانبي ممر طويل ، ولها مدخل من الطريق العام الى الفناء ، وأحياناً توجد فيه الغرف حول ساحة في الوسط ترصف بالحجر أو تغرس فيها الأشجار حول نافورة أو بحيرة في الوسط ، وأحياناً كانت تعلو هذه الغرف عدة درجات عن سطح الطريق

وكانت المنازل ذات الحجم الصغير متلاصقة على جوانب الطريق وفي كل منها فناء . وكان بعضها أقل من هذا شأنًا إذ يحتوي على غرف تطل على ممشى ضيق أو على الطريق العام مباشرة ، وتلك المنازل تتكون من طبقة واحدة أرضية ولو أن البعض منها كان يعلوه طبقتان ، وفي أغلب الأحيان كانت توجد طبقة واحدة علوية . ومع أن « ديودور » يتحدث عن المنازل الشاهقة في طيبة التي تتكون من أربع طبقات وخمس طبقات فان النقوش تبين لنا أن قليلاً منها كان ذا ثلاث طبقات ويندر أن يوجد منها ما يشتمل على أربع بما فيها الطبقة الأرضية التي كان يعدها « ديودور »

ومعظم المنزل كان مقصوراً على الطبقة الأولى مع اضافة طبقة ثانية في بعض أجزائه . وكانت السيدات يجلسن على سطح المنزل في أثناء النهار وينام فيه رب البيت ليلاً في أثناء الصيف . وكانت الغرف الأرضية تستعمل على الخصوص كمخازن أو كأمكنة لجلوس «البواب» وأخرى لاستقبال الزائرين أو لمن يأتون لأمر من الامور . بينما يشغل أفراد العائلة الدور العلوى . وكانت منازل الأغنياء في العادة تشغل متسعاً كبيراً ، وهي اما أن



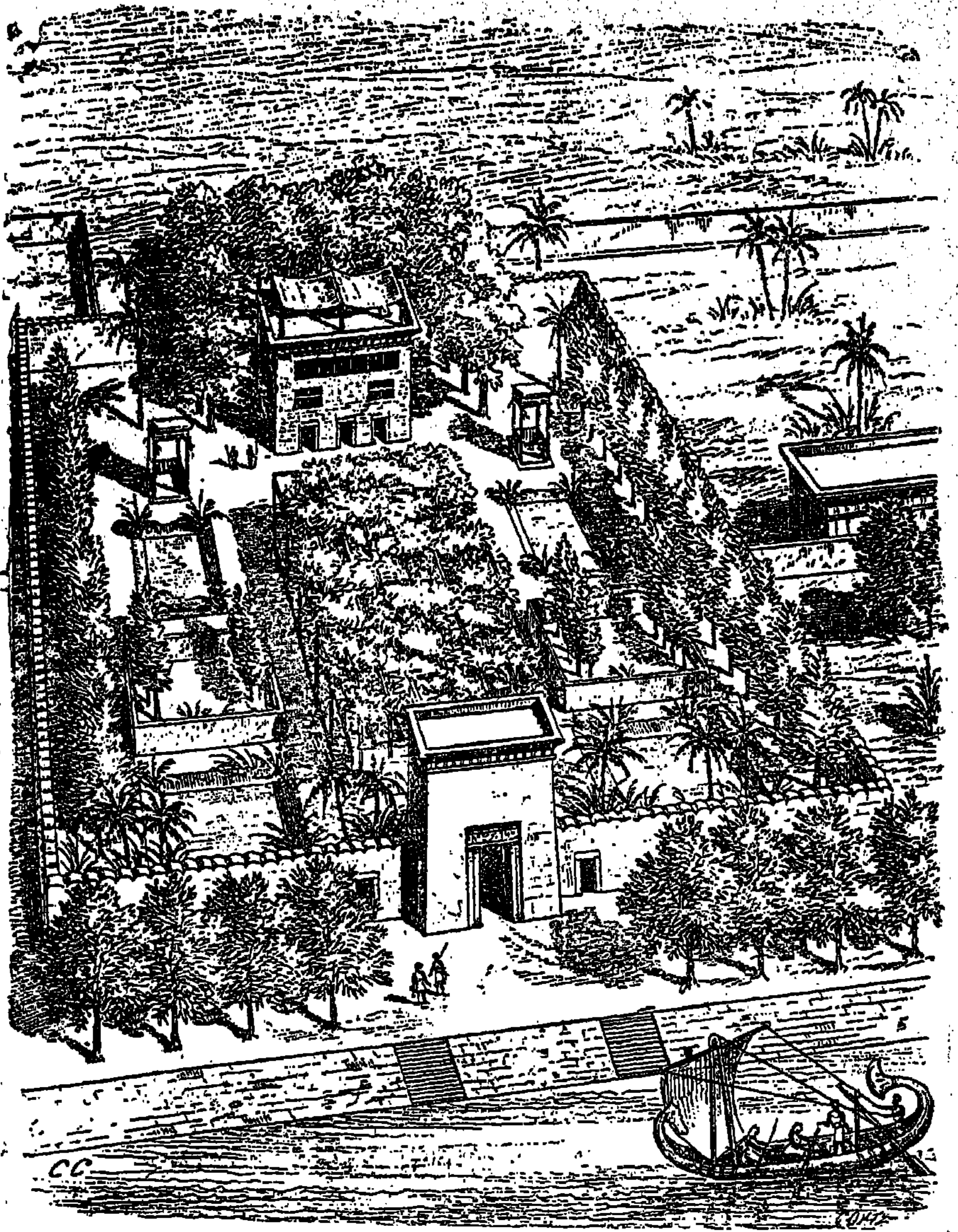
(شكل ٤) منازل مصرية قديمة كما وجدت رسومها على جدران المقابر . ويرى بينها منزل على سقفه ملقفان يشبهان الملاقف الموجودة في المنازل المصرية الحالية من الطراز القديم ، وكذلك رسم لواجهة بيت على بابه نقوش معناها « المنزل الجميل » ورسوم تصميمية تبين نظام المنازل من الداخل وشكل بين منزلا ذا طابقين به مخازن للغلال تشبه السوامع الحالية ، وشكل آخر يبين باب منزل تقع أمامه بواكي ذات أعمدة تتطير منها الاشرطة الملونة

تقع مباشرة على الطريق أو على مسافة قريبة منه . وبعض المنازل كان لها عدة مداخل على جهتين أو ثلاث . وكان أمام الباب ايوان يقوم على عمودين مزينين بالاعلام والأشرطة ، وقد يكون الايوان كبيراً فيسند صفان من الأعمدة كل صف يتكون من عمودين بينهما تماثيل . (أنظر شكل ٤ وجميع ما به من أشكال توضح ما ذكر هنا وفي الصفحات السابقة)

وكان لبعض المنازل عدة درجات تؤدي الى افرز عال عليه باب بين برجين كبرجى المعابد . وكان يغرس أمام المنزل صف من الاشجار يحيط بكل واحدة منها حائط صغير يحميه من الماشية ويتخلله ثقب تسمع بمرور الهواء . وكانت عادة زرع الاشجار حول منازل المدن سائدة ومعروفة أيضاً في رومة

وكان يبلغ ارتفاع الايوان (البواكى) في العادة اثنتى عشرة قدماً أو خمس عشرة قدماً وهو يعلو طنف (كورنيش) الباب قليلاً ، وإلى جانبي المدخل العام بابان صغيران على مسافة واحدة من الحائط الجانبي ، وهما للخدم أو لمن يأتي لأمر يختص بالعمل . وعند دخولك الايوان تمر في فناء متسع ذي حجرة لاستقبال الزائرين . وهذا البناء الذي تسند الأعمدة وتزينه الاعلام يحيط بالجزء الأسفل منه حاجز يقع بين هذه الأعمدة ، أما الجزء الأعلى فتوضع فيه مظلة للوقاية من حر الشمس . ويوجد تجاه الفناء باب آخر يأتي منه رب الدار الى حجرة الاستقبال عند ما يكون فيها ضيف من الضيوف ويتصل بهذا الفناء فناء آخر أكبر منه فيه صفوف من الاشجار توصل الى داخل الدار . ولهذا الفناء كغيره من الأفنية الكبيرة باب خلفي . وترتيب الجزء الداخلي كان واحداً في كل من جانبي الفناء ، وهو يتكون من ست غرف يقابلها مثلها في الجانب الآخر ، وهي تطل على ممشى مستند على أعمدة تقوم على يمين وشمال مساحة يظلها صفان من الاشجار ، وفي الطرف الأعلى من إحدى تلك المساحات توجد غرفة للجلوس مواجهة للباب الذي يقود الى الفناء الكبير ، ومن فوق هذه الغرفة وسائر الغرف الأخرى تقوم حجرات الطابق الأعلى . وهنا يوجد بابان أيضاً قبالة الطريق

وتم رسم آخر يشتمل على فناء فيه طريق محفوفة بالأشجار ، وفي أحد جانبيه عدة غرف تفتح على ممشى وطرقات ، من غير أن تكون هناك «سواييط» (بواكى) أمام الأبواب . وتشرف غرفة الاستقبال على الساحة ، ومنها يتصل صف من الأعمدة بغرفة جلوس خاصة ، تتخذ في فصل الصيف ، وهي تقع منعزلة في إحدى الطرقات بالقرب من باب يتصل بالغرف الجانبية



(شكل ٥) رسم بين ما كان عليه منزل مصرى قديم ،
وترى الحدائق الغناء تحيط به وأمامه رصيف ترسو عليه السفن

وكانت تتخذ طرق متعددة في توزيع الغرف على حسب ما تملكه الظروف ، وكانت المنازل الكبرى تحتوى بوجه عام ، على فناء وعدة محاش يتصل بها عدد من الغرف على مثال ما يبنى اليوم في البلاد الشرقية والاستوائية

وكانت أهراء الغلال تصف على خط منتظم ، وتختلف في رسومها تبعاً لاختلاف المنازل التي كانت تلحق بها في الغالب ، وكانت مخازن الغلال ، في بعض الأحوال ، تنفصل عن المنزل بطريق من الأشجار (شكل ٤)

ولا تحتوى بعض المنازل الصغيرة إلا على فناء وثلاث غرف أو أربع في الطابق الأرضى تخزن فيها المحاصيل ، من فوقها غرفة واحدة فقط يصعد إليها من درج في الفناء . وبما يقارب هذه المنازل شها ذلك المثال الوجود في المتحف المصرى ، الذى لا يحوى إلا فناء وثلاث غرف صغيرة للمحاصيل في الطابق الأرضى ، وسلماً يصعد منه الى غرفة المخازن ، التى بها نافذة أو كوة مقابلة للباب ، كان الغرض منها التهوية لا إدخال النور . وفي الفناء ترى امرأة تصنع خبزاً في الهواء الطلق ، على النحو الذى يجرى الآن في مصر ، أما غرف خزن المحاصيل فقد كانت ملاءى بالجبوب

وبعض المنازل الصغيرة في المدن كانت تشتمل على طابقين أو ثلاثة فوق الطابق الأرضى وليس لها أى فناء ، إذ كانت صغيرة المساحة ، متلاصقة متقاربة مرتفعة جداً بالنسبة لضيق قاعدتها ، ككثير من منازل الكرنك (شكل ٤)

ولم يكن في الطابق الأرضى إلا باب الدخول وبعض غرف للمحاصيل ، من فوقها طابق أو طابقان ، ولكل منها ثلاث نوافذ في المقدمة والجوانب ، ومن فوق هذه طبقة المنزل العليا ، وسلم يقود الى شرفة على السطح المنبسط وكان بلاط السقف يوضع فوق روافد بارزة أطرافها عن الحوائط قليلاً ، وكانت طبقات الطوب توضع على شكل خط متموج أو مقعر ، كما هو الحال في حوائط دير المدينة في طيبة

وكان للنوافذ نوع من القضبان يقسم كل نافذة قسمين ، وكان الجزء الأعلى من النافذة يزدان بكثير من « التكعيب » أو الحواجز الخشبية المتقاطعة على شكل صليب . على أن عامة المنازل المصرية كانت على جانب عظيم من عدم العناية بالرسم والتشيد ، ومن السهل أن يدرك المرء قلة عنايتهم بحسن التناسق ، حتى في منازل المدن وكانت الأبواب ، سواء أكانت للسدخل أو في داخل البيت ، تدهن في غالب الأحيان تقليداً للاخشاب النادرة الاجنبية ، وكان لها إما مصراع واحد أو مصراعان

وتتحرك على مسامير من المعدن وترتج من الداخل بقضيب أو مزلاج ، وقد اكتشفت بعض هذه المسامير المعدنية في مقابر طيبة . وإنا لنجد في العتبات الحجرية العليا لأبواب المقابر والمعابد ، وكذلك في العتبات الدنيا أحيانا ثقوبا تدور فيها تلك المسامير ، وأخرى للقضبان والمتاريس ، وكذلك خلوات لتسع المصاريع اذا ما فتحت

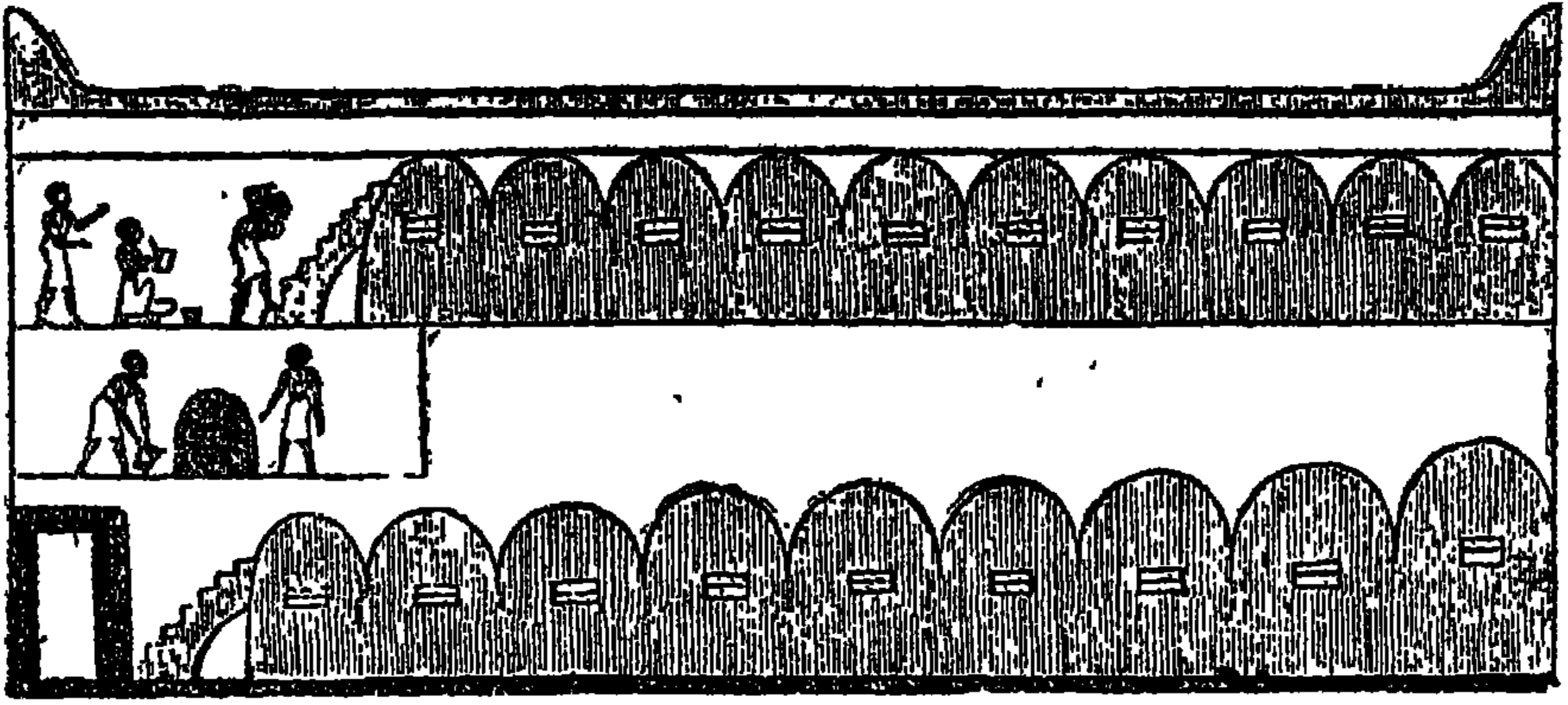
أما الابواب ذات المصراعين فكان لها متاريس في الوسط أو في أعاليها وأسافلها ، وكان يمد حاجز من حائط الى حائط ، وبين كل مسافة وأخرى توضع أقفال خشبية تمر بالوسط عند ملتقى كلا الطرفين . وكان يلصق بها كتل من الطمي طمعا في الاحكام والطمأنينة ، وقد رثي ذلك في بعض المقابر التي وجدت مقفلة في طيبة وروته النقوش وذكره هيرودوت

وتصنع المفاتيح من الحديد أو البرونز ، وتتكون من ساق طويلة مستقيمة ، يبلغ طولها خمس بوصات ، ولها ثلاث أسنان بارزة أو أكثر . وثم نوع آخر يشبه في أسنانه المفاتيح الحديثة وفي كونه ذا ساق تبلغ البوصة طولا . وهناك نوع غير هذا يشبه حلقة عادية لها أسنان خارجية ، ولعل هذه جميعها تنتمي الى العصر الروماني

وكانت الابواب الخارجية ، كما هو الحال في المعابد ، تزدان أعاليها بالطنف (الكورنيش) المصري وأبواب أخرى كانت ذات زينات متعددة ، وبعض أبواب المقابر كانت تعلوها عدة زخارف ذات نقوش زاهية ، ولو أن النوع الأخير وجد قليلا في طيبة ، إلا أنه أكثر شيوعا في جوار ممفيس والدلتا ، وفي المتحف البريطاني مثالان جميلان من هذا النوع جلبا من مقبرة بجوار الاهرام

وكان للابواب مصراع أو مصراعان حتى في العصور الاولى ، أي في عصر بناء الاهرام ، وكانت الابواب الخارجية وأبواب الغرف تفتح الى الداخل ، على عكس ما كان عند الاغريق الذين كانوا مضطرين الى قرع الباب الخارجي من الداخل قبل أن يفتحوه كي يأخذ المارة حذرهم ، وكان الرومان ممنوعين من أن يفتحوا أبوابهم الى الخارج من دون أن يستصدروا إذنا خاصا

وكانت الارضية من الحجر ، أو من مزيج يصنع من الجير وبعض المواد الأخرى ، بيد أنها كانت تصنع في المساكن الحقبية من أفلاق النخيل ترص متقاربة أو متباعدة ، ومن فوقها طبقات متعارضة من سعف النخيل ، ثم تغطي بالحصر بطبقة من الطين وكانت بعض الاسطح ذات قباب ، ومبنية باللبن كبقية المنزل ، وليست التقوسات وحدها هي التي وجدت في القرن السادس عشر قبل الميلاد ، بل ان مخازن الغلال ذات



(شكل ٦) مخازن الغلال التي على شكل الصوامع الحالية وكان لها درج يصعد عليه العمال ملثها من أعلى . ويرى في الرسم كتبة يتولون الاشراف على الدخل ويسجلون الكميات التي أحضروها . . الخ

القباب وجدت مرسومة قبل هذا الزمن بكثير . وليس من شك في أن الطوب (اللبن) قد أدى الى اختراع الاقواس والقباب ، فان قلة الخشب في مصر أظهرت الافتقار الى ما يقوم مقامه

وكان الخشب يستورد بكميات كبيرة من الخارج ، فخشب الارز استورد من سوريا ، والاشخاب النادرة كانت جزءاً من الخراج المضروب على البلاد الاجنبية التي فتحها الفراعنة ، وكانت هذه الاشخاب ذات قيمة كبيرة في أوجه التزيين ، حتى ان الطبقات الفقيرة التي لم يكن في استطاعتها شرائها ، كانت تستعوض عنها بأنواع رخيصة مموهة بالطلاء ، وكانت الابواب والنوافذ والصناديق وأنواع متعددة من المصنوعات الخشبية تصنع غالباً من خشب الجميز الرخيص بعد أن يدهن حتى يشابه الاشخاب الاجنبية الثمينة ، وتدل بقايا هذا النوع الموجودة في طيبة على أن هذه الاشخاب الرخيصة كانت خير بديل عن الحقيقي

وفي بعض الاحيان كانت تصنع التوابيت من الخشب الأجنبي ، وقد وجد كثير منها مصنوعاً من خشب أرز لبنان . وقد دفع غلاء الخشب الأجنبي بالمصريين الى التقدم في فن التطعيم ، وكان هذا الفن من الفنون التي بلغوا فيها شأواً بعيداً من المهارة والدقة وكانت السقوف تطلّى بالجص ، وتنمق بكثير من الالوان الزاهية ، ثم عن ذوق دقيق في شكلها وتناسبها . وفي داخل البيت وخارجه كانت تقسم الجدران ، في بعض الأحيان ، الى أقسام كبيرة مدهونة بالطلاء الأحمر والاصفر ، أو عاكية في لونها للخشب

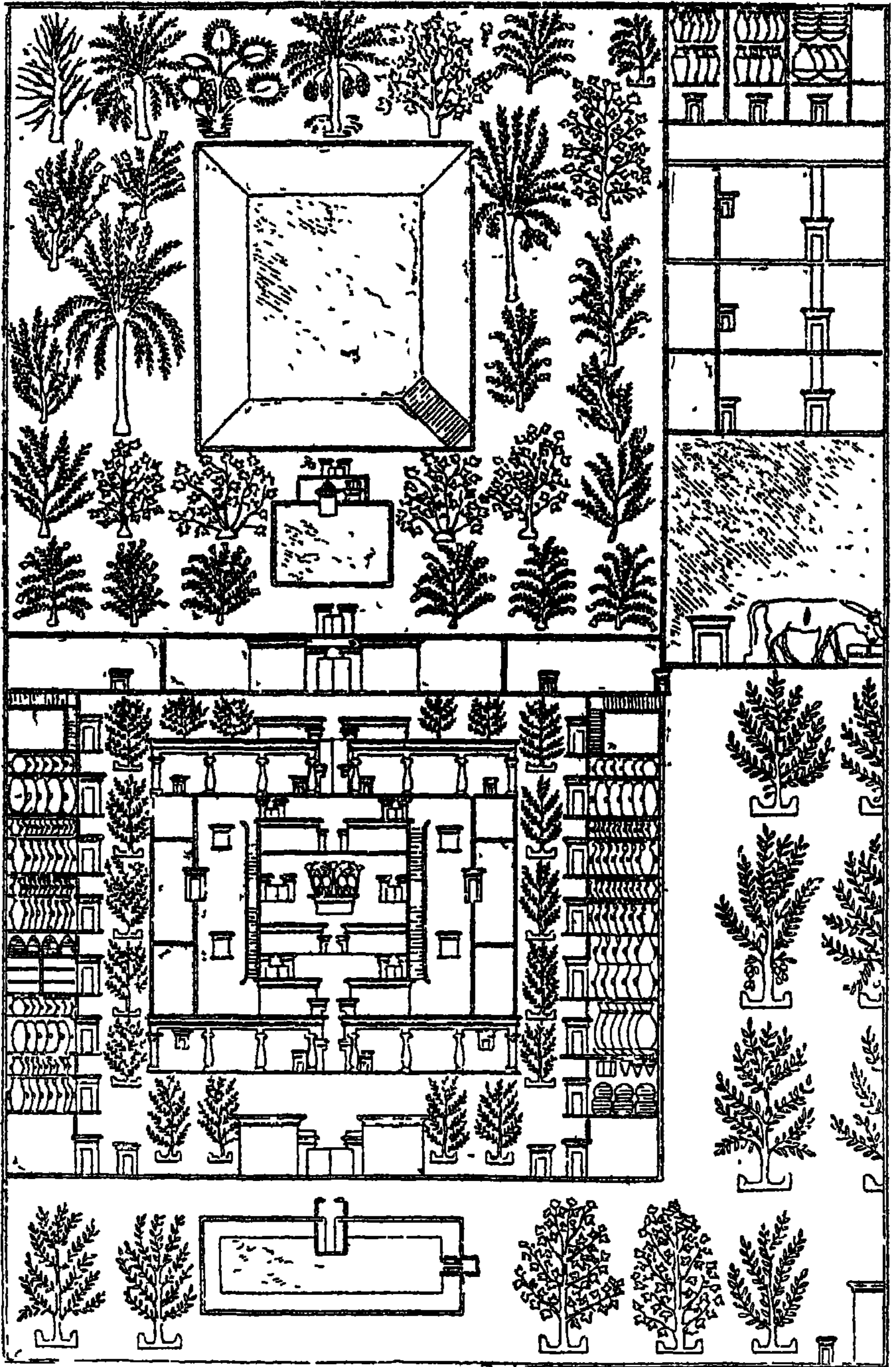
أو الاحجار . وتنقش بعض الصور على الجدران البيضاء للغرف المخصصة للجلوس ، أو ترسم بعض مناظر الحياة القومية محاطة ومزدانة بطائرات من فوقها أفاريز من الزهور المختلفة ، ذات الأصباغ الجميلة . وليس ثمة شعب كالمصريين القدماء أغرم باستعمال الزهور في كل مناسبة . فلقد كانت في فن عمارتهم زينة النقش الرئيسية . وما من ضيف إلا ويعطى باقة من الزهور الحقيقية دليلاً على الترحيب به . وكان الضيوف يعطون عادة زهرة من الزنبق وإكليلا يوضع حول الرأس وآخر حول العنق

وكانت الزهور كثيرة الانتشار في كل صقع ، وكانت تصنع منها باقات وقلائد تزين بها القواعد التي توضع فوقها الأواني في غرف المنادمة ، ويلبس الخدم تيجاناً من الزهر عند حمل الخمر إلى الجلساء ، بل كانت آنية الخمر تكلل أيضاً بالزهور

وكانت الأعمدة الطويلة الرفيعة تصنع على نمط يجعلها تلتئم مع ارتفاع المنزل ، وكانت الخطوط الأفقية تسود معابد المصريين ، كما هو الحال في بلاد اليونان ، إلا أنهم لم ينفروا من جعلها متقاطعة مع الخطوط العمودية ، كما هو ظاهر من الخطوط الطويلة في أبراجهم الهرمية الشاغخة ، وفي مسلاتهم العالية ، بل إن لهم أن يدعوا الأولوية في اتخاذ الأعمدة الطويلة الكثيرة الانتشار أمام واجهات دورهم

وكانت النوافذ مؤلفة من مصراعين خشبيين يدهنان كما يدهن البناء كله . وكانت الفتحات ضيقة لأنه كلما قل النور قلت الحرارة ، وهم في مصر في حاجة شديدة إلى قليل من الضوء وقليل من الحرارة . ولم يكن حجم النوافذ يزيد على ثقب مربع حتى لا تشوه منظر المنزل الخارجي بسعتها وضخامتها ، ولئلا تدخل الكثير من النور مما يضطرهم إلى إقفائه بالستائر كما نفعل الآن خضوعاً لرغبة صانعي الآثار

أما أسطح المنازل ، سواء كانت في القرى أو في المدن ، فقد كانت مستوية كما هو الحال عندنا في هذه الأيام ، وعليها تجلس النساء يتحدثن إلى جيرانهن في رابعة النهار وكانت منازل المصريين الريفية واسعة الأطراف تكنتفها حدائق فسيحة ترويهما أبنية تصلها بالنيل . وهي تشتمل كذلك على برك عظيمة في جوانب البستان لتكون بهجة للناظرين ، كما كانت تستعمل للرى عندما يكون النيل منخفضاً . وطالما كان يتنزّه فيها رب البيت ومن معه من الأصحاب والخدم في قارب صغير ، وكانوا يتفكهون أيضاً بصيد السمك في المستنقعات الواقعة في أراضيهم ويستصبحون عادة بعض أصحابهم أو أقاربهم . وكانت تبذل عناية خاصة فيما يختص بالبساتين . ويظهر غرامهم العظيم بالازهار من الكمية العظيمة التي كانوا يزرعونها منها دائماً ، ومما كان يقدمه النساء



(شكل ٧) جزء من اجزاء قصر وجد رسمه على جدران إحدى مقابر تل العمارنة

لأزواجهن والأتباع لأسيادهم والاصدقاء لاصدقائهم من باقات الزهر في أثناء زهرهم هذه (شكل ٥)

وربما زين المنزل نفسه بالمسلات كما تزين المعابد ، ومن المحتمل جداً أن جزءاً من البيت كان يخصص لاداء الفرائض الدينية . ومداخل هذه البيوت كانت عبارة عن أبواب تفتح وتقفل تقوم بين أبراج عالية ، وكان بسور الواجهة باب صغير في كل جانب وكان يحيط بالمنزل نفسه سور واحد كبير . على أن ساحات الدار والبساتين والمكاتب وجميع أجزاء البيت الأخرى كان يحاط كل منها بسور خاص . وكانت تبنى الجدران من اللبن فيما عدا الجهات الرطبة أو التي يصلها ماء الفيضان فقد كان يقوى الجزء السفلى من الجدران بقاعدة من الحجر . وكانت تطل الجدران في العادة بالجص وترسم عليها خطوط متعرجة ، أما أعلى هذه الجدران فقد كان يتوج بزينات خيالية على شكل السهام أو الشكل المسمى بالكورنيش

وكان نظام البيوت الخلوية (الفيلات) يختلف باختلاف أصحابها ومناطقها ، وما لدينا من نقوش ورسوم يوضح ترتيب هذه المنازل ونظامها العام توضيحاً كافياً . فقد كانت تحاط بجدران عالية يتوسطها المدخل الرئيسى الامامى الذى يتكون من باب كبير يحيط به بابان على الجانبين . ويؤدى هذا المدخل الى ممشى واسع تظله صفوف من وارف الأشجار . وثم توجد « برك » فسيحة تواجه أبواب جناحى المنزل الأيمن والأيسر اللذين يفصل بينهما طريق يبدأ من المدخل الرئيسى الى ما يمكن أن يطلق عليه اسم وسط المنزل أو « صحن الدار » . وبعد أن يمر المرء من باب الجناح الأيمن الخارجى يدخل الى فناء واسع قد غرست فيه الاشجار وأقيمت حوله عدة غرف تفتح أبوابها الخلفية على الحديقة . وعلى يمين هذا الفناء وشماله غرف تستعمل كمخازن وحجرة استقبال صغيرة فى كل من الجانبين ، وفى الجهة الاخرى يوجد الدرج الصاعد الى الطابق الأعلى . وأمام كل من واجهتى البناء الداخليتين توجد ايوانات تحملها أعمدة ذات أبراج وأبواب . ويتكون داخل هذا الجناح من اثنتى عشرة غرفة وفنائين خارجيين وفناء فى الوسط تصل الابواب بعضها ببعض ، وعلى جوانب هذا الفناء الأخير تفتح أبواب غرف الدور الارضى الرئيسية ويوجد الدرج الصاعد الى الطابق العلوى ، والى الخلف توجد ثلاث غرف مستطيلة وباب يفتح على الحديقة التى يقوم فيها كثير من الأشجار كما يوجد فيها منزل صيفى وبركة كبيرة مغمورة بالماء (قارن شكل ٥)

أما ترتيب الجناح الأيسر فيختلف عما سبق ذكره ، فان الباب الامامى يوصل الى

فناء متسع يمتد بامتداد واجهة البناء ومحدود من الخلف بمحائط الجزء الداخلى . ومن هناك توصل أبواب الى فناء آخر محاط من ثلاث جهات بعدد من الغرف يوجد خلفها ممشى تفتح عليه عدة غرف أخرى . ولم يكن لهذا الجناح مدخل من الخلف بل كان يقوم منفرداً ومن حوله الفناء الخارجى ، ويصل عدد من الابواب بين الفناء وبين أقسام متعددة فى وسط الدار « صحنها » حيث توجد الغرف التى سبق وصفها حول ممش وطرق شتى ، وكانت تستعمل اما للجلوس أو لحزن المحاصيل

أما الحيل ومركبات السير والعربات فكانت تحفظ فى صحن الدار أو الجزء الخلفى من البناء . أما الحظيرة التى يحفظون فيها ماشيتهم فكانت تبعد قليلا عن الدار . وكان لها سور خاص إلا أنها داخلة ضمن السور الكبير الذى يحيط بالاراضى الملحقه بالمنزل . وكانت تنقسم الى قسمين : الحظيرة التى تحفظ فيها الماشية ، والفناء الذى تقام فيه صفوف من الحلقات لتربط فيها الماشية عندما تأكل فى أثناء النهار ، وكان أربابها يتولون أمرها ويطعمونها فى الغالب باليد

وكانت مخازن الغلال تبعد أيضا عن المنزل ويحيط بها سور مستقل . ويظهر أن بعض هذه الغرف التى كانوا يخزنون فيها الغلال كانت ذات سقوف مقبية وهى تملأ من فتحة قرب الجزء الأعلى منها ويصعد اليها بدرجات ، وعند ما كانوا يحتاجون الى شئ منها كانوا يأخذونه من باب فى القاعدة . وكان يتولى أمر الاشراف على المنزل وأراضيه حفظة ينظمون زرع الارض وحرثها ويتسامون كل منتج من بيع محصولها ويراقبون دخل الماشية وتاجها ، ويؤدبون المذنب من العمال بما يستحق من العقاب (شكل ٦) فكان يوكل أحد هؤلاء فى شؤون المنزل ومثله فى ذلك مثل الحاكم أو الناظر (راجع سفر التكوين ٣٩ - ٥) وآخرين كمشرفين على مخازن الغلال والكروم (قارن متى ٢٠ - ٨) أو زراعة الارض وفلحها ، وعدد أولئك الحفظة ومدى واجباتهم متوقف على مساحة الأرض ورغبة مالكيها

قصر الملك

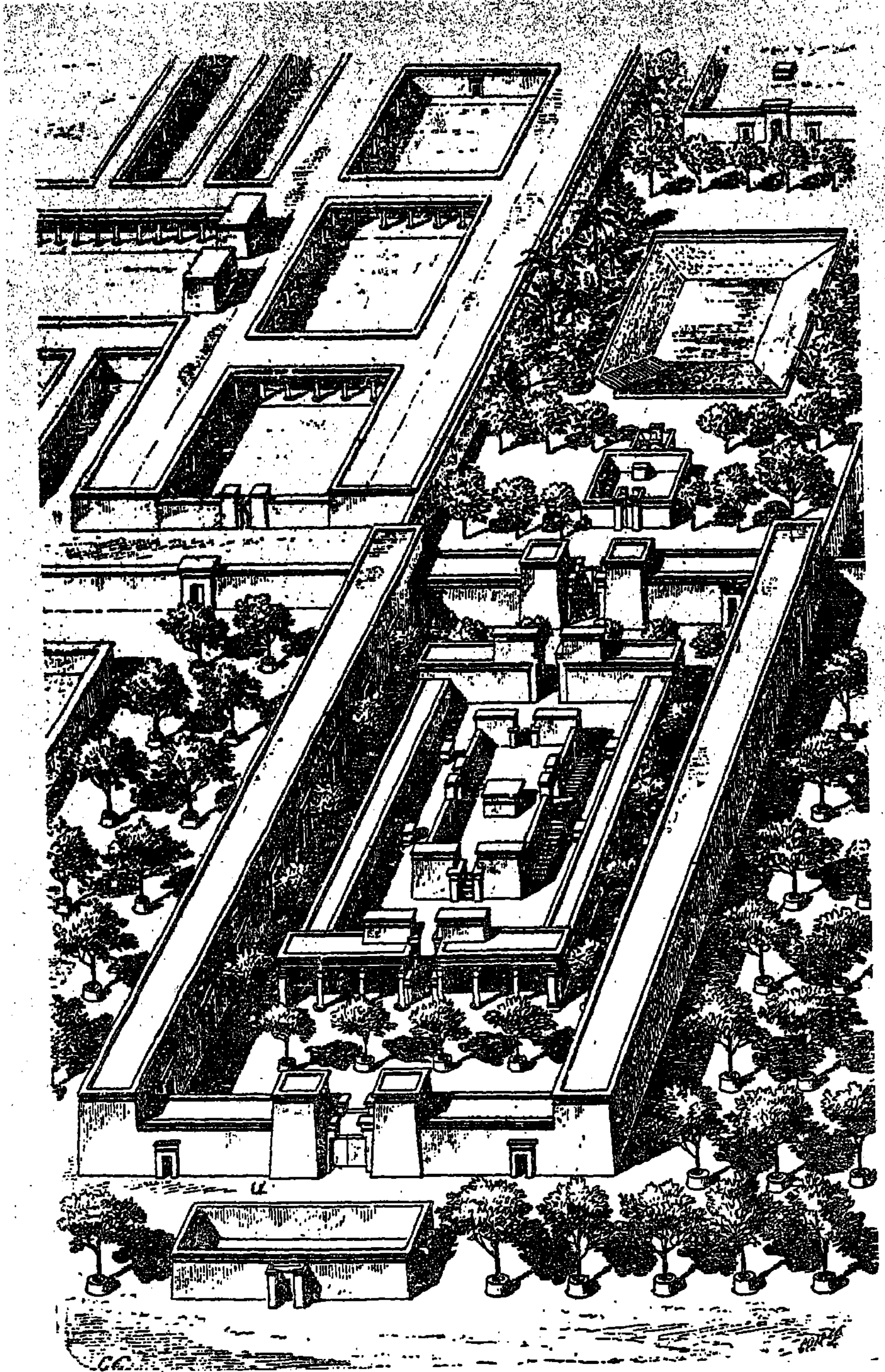
يخيل الينا حين نرى الاهرام الشاغرة والمعابد الباذخة أن ملوك المصريين القدماء كانوا يقيمون فى قصور عظيمة شاهقة . وهذا ما حدا بكثير ممن زاروا مصر فى العصر الحديث - نخص منهم جماعة العلماء الذين رافقوا حملة نابليون ووضعوا الكتاب المسمى بوصف مصر - الى أن يروا فى كل أثر قصر باذخا ، وفى كل طلل بيتا فخما ، ولم

يستثنوا من ذلك سوى الاهرام والمقابر المنحوتة في الصخور
فقد رأوا في الاقصر والكرك وكوم مدينة حابو والقرنة قصورا ملكية لا معابد دينية،
ومن هنا اسموا تلك المنطقة الاقصر أو القصور ، جمع قصر على الزعم القديم !
ولكن تالت البحوث الأثرية منذ عصر شامبليون ، فزادت معرفة العالم بأحوال
مصر القديمة ، وان لم يستطع كثير من العلماء والاثريين أن يمحوا من مخيلتهم تلك الفكرة
القديمة ، فظلوا الى عهد قريب يطلقون على تلك المعابد كلمة القصور ، مثل فرجسوت
(Fergusson-History of Architecture vol. I صفحة ١١٨ وما بعدها) ، وذهب بعض منهم
الى شيء آخر ، هو أن تلك الابنية ان لم تكن قصورا ملكية فقد كان يلحق بها على
الأقل قصر الملك . وما زالوا يبحثون في تلك الغرف العديدة عما يحقق فكرتهم -
ولكن أنى لهم ذلك وليس في النقوش المثبتة على جدرانها أو فيما كتبه مؤرخو الاغريق
ما يثبت كلامهم أو ما يشير اليه من قريب أو من بعيد

وثم مسألة أخرى يهديننا اليها الاستقراء والاستنتاج تنقض رأيهم هذا وتنفيه
لم يكن الملوك بأقل من أفراد رعيتهم حبا في الاستمتاع بملذات هذا العالم ومباهجه .
وقد كان المصري يحيا حياة سعيدة على قدر طاقته ويقضى «يوما سعيدا» على حد تعبيرهم
باللغة المصرية القديمة ، فكيف يعقل أن يرضى فرعون نفسه بأن يسكن تلك الأماكن
المنزوية المظلمة حيث لا يتمتع بالشمس الساطعة والنور القوي والمناظر الخلابة ؟ بل ينبغي
أن تصور فرعون هذا وقد سكن قصراً منيفاً تمتد أمامه مشاهد الطبيعة الآسرة وتحيط
بقصره الاشجار الوارفة وتتخلله البحيرات والنوافير تتلأأ مياهها تحت وهج الشمس
أو ضوء القمر ، مما يأسر القلب ويستهويه

أجل ! كان الملك يعيش في قصر يلائم ما لمصر من ثراء وورخاء وما لملكها من قوة
وسطوة . بل إن الملك كان يأنف أن يسكن قصر من سبقه ولو كان والده ، فكان
يعمد الى جهة يختارها في العاصمة أو على مقربة منها وتقع عادة على شاطئ النيل أو على
ترعة تتفرع منه ويأمر ببناء قصر له فيها بأقصى ما يمكن من السرعة . فيبدأ العمل بغرس
الاشجار حولها وتعهدا بالسقى والارواء من حين الى حين ثم يضرب الطوب
ويستغنى به عن الاحجار التي يقتضى قطعها ونحتها ونقلها وقتا طويلا لا يستطيع الملك
أن يبقى أثناءه في قصر سلفه

وكان بناء قصر الملك يستغرق زهاء سنة ، يقوم بعدها محاطا بالحدائق والبساتين
مزينا بالنقوش والرسوم



(شكل ٨) صورة للقصر السابق (انظر شكل ٧) مرسوما على طريقة المنظور الحديثة

هذا القصر الذى بنى من اللبن على عجل ، لم يكن يتعدى عمره عمر الملك . أما الاحجار الرملية والجيرية . وصخور البازلت والجرانيت فقد ادخروها لاقامة مبانيهم الأزلية ، ونعنى بها المقابر والهياكل . على أن هذه العجلة لم تكن بمثابة لهم من أن يزينوا قصورهم أجمل زينة ، ويضيفوا عليها ما شاءوا من الروعة والبهاء . وإذا قدرنا ما كان لفرعون من سلطة مدنية مطلقة وسلطة دينية ، يكنى للدلالة عليها أنها كانت تضى على صفة الألوهة ، لأدركنا مقدار ما يجب أن يحفل به قصر الملك من عبيد وسرايا . وكان فرعون - إلى هذا - حراً فى أن يتزوج من شاء ، فى أى وقت شاء ، وإلى أى حد شاء ، لهذا كان الفراعنة يرزقون المجموع من الابناء والبنات ، فقد كان لرمسيس الثانى مائة وسبعون مولوداً ، منهم ٥٩ من الذكور ، حتى كان لا يعرف أعمار بعضهم ولا أسماءهم إذا ذكرنا هذا كله أمكننا أن نتصور مقدار سعة هذا القصر الذى كان يقيم فيه مثل هذا الجمع الحاشد من أبناء الملك وبناته ومن سراياه وعبيده ، وحتى ليصح لنا أن نقول إن هذا القصر كان أشبه بالمدينة منه بالقصر . هذا الى أنه يختلف اختلافاً كبيراً عن قصور الملوك فى العصور الحديثة ، فلا وجه للمقارنة بينه وبين قصر التويلرى أو قصر فرساي فى فرنسا ، فهذا يتكون من كتلة واحدة وواجهة واحدة يحيط بها البصر مرة واحدة ، أما قصر فرعون فقد كان مؤلفاً من عدة أبنية بعضها الى جانب بعض ، أقيمت فى فترات متباعدة واشترك فى اقامتها أمراء عديدون

وكان القصر حافلاً بكل ما يتصوره العقل من أسباب الرفاهية والترف : فهناك الحدائق الغناء تتخللها الجداول والبحيرات ، وهناك الأحراش التى ينزل اليها الملك للصيد والفتنص ، وهناك الأفنية الواسعة يستعرض فيها الملك جيشه ، وعلى الجملة كل ما يحتاج اليه الملك المترف المنعم اذا أقام به شهوراً أو أعواماً

وتم شئ آخر لم نتكلم عنه . قلنا إنه كان يلحق بقصر الملك - بل يكاد يكون جزءاً منه - مساكن أبنائه وبناته وذوى القربى اليه ، ومساكن موظفيه وخدمه وعبيده ، إلا أننا لم نذكر تلك المخازن العظيمة التى يخزن فيها ما يجبى من محاصيل الزراعة

ولكى يكون الموضوع واضحاً نمهد له بكلمة عن النظام المالى عند المصريين القدماء ، أو بعبارة أخرى عن المالية المصرية القديمة . لم يكن نظامهم المالى كنظامنا الآن . لم تكن هناك وزارة مالية كما هو عندنا الآن ، أو بيت المال كما هو الحال فى الأمم الإسلامية ، أو الخزانة كما كان عند الرومان أو اليونان . ولم يكن عندهم نظام نقد فكانوا يحصلون ضرائبهم من نوع ما تنتج الارض فمن يزرع قمحاً أخذوا منه ضريبتهم

قمحا ومن يزرع عنباً أخذوا منه عنباً ، وهكذا ، فاستلزم الحال أن توجد للدولة مخازن فسيحة تتسع لهذه الكميات الوفيرة . ولما كانت العاصمة لا تتسع لجميع هذه المخازن ، فقد أقيم في عاصمة كل إقليم مخزن تجمع فيه هذه المحاصيل . وبعد جمعها ينظر فيها ، فيرسل أولاً إلى قصر فرعون ما يلزمه ، ثم يصرف مما يتبقى أجور العمال ، ويدخر ما تخلف بعد ذلك . وعلى هذا فقد كان الجزء الغالب مما يجي يرسل إلى العاصمة لتموين قصر فرعون ، وجيشه المرابط هناك ، وتخزن هذه الكميات في مخازن أقيمت إلى جوار القصر ، مما جعل هذا القصر مدينة قائمة بذاتها تشمل كل ما يحتاج إليه الملك وجنوده وأعدائه وموظفوه من مأكل ومشرب وملبس

ولنحدث القارئ عن أولئك الذين كانوا يقطنون في قصر الملك من الخدم والسرايا: كان يقوم بخدمة الملك وحده زهاء ثلاثين أو أربعين فرقة تختص كل واحدة منها بعمل معين . فهناك فرقة « أصحاب اليد » الذين يعنون بيد الملك وصياتها وتقليم أظفارها وما شاكل ذلك !

وهناك « فرقة العطارين » وهي النوبة بحفظ أعطار الملك وتطيبه بها . وفرقة « أصحاب التيجان » وهم الذين يقومون على حراستها وإعدادها للمناسبات . وفرقة « أصحاب الثياب » وهي تنقسم إلى فروع ، فرع يعنى بحفظ القماش الذى تخاط منه الملابس ، وفرع عمله خياطة الثياب ، وفرع مهمته غسل الثياب والمحافظة عليها . . . وهناك فرقة لا يخلو أمرها من غرابة ، هذه هي « فرقة السحرة » التى كانت تعين الملك فى أداء مهامه الدينية وبعض شئونه الدنيوية ، وكانت متصلة بطبيعة الحال من وجهة علم السحر بالكهنة ، كما كانت تعين الملك فى أعمال مدنية شتى . وكان إلى جانب هذه الفرقة الرسمية طوائف السحرة المنبثة فى جميع أنحاء القطر . وفى النصوص المكتوبة حكايات كثيرة عن هؤلاء السحرة نذكر منها حكاية الساحر الذى قطع رأس أوزة ثم فاه ببعض كلمات سحرية فصار الرأس والجسم يقتربان حتى تلاقيا والتصقا ثانية . هذا إلى فرقة الموسيقيين والموسقيات وفرقة الراقصات وفرقة الندماء وغيرهم ممن يعهد إليهم فى مهمة تسلية الملك وأمر لهوه

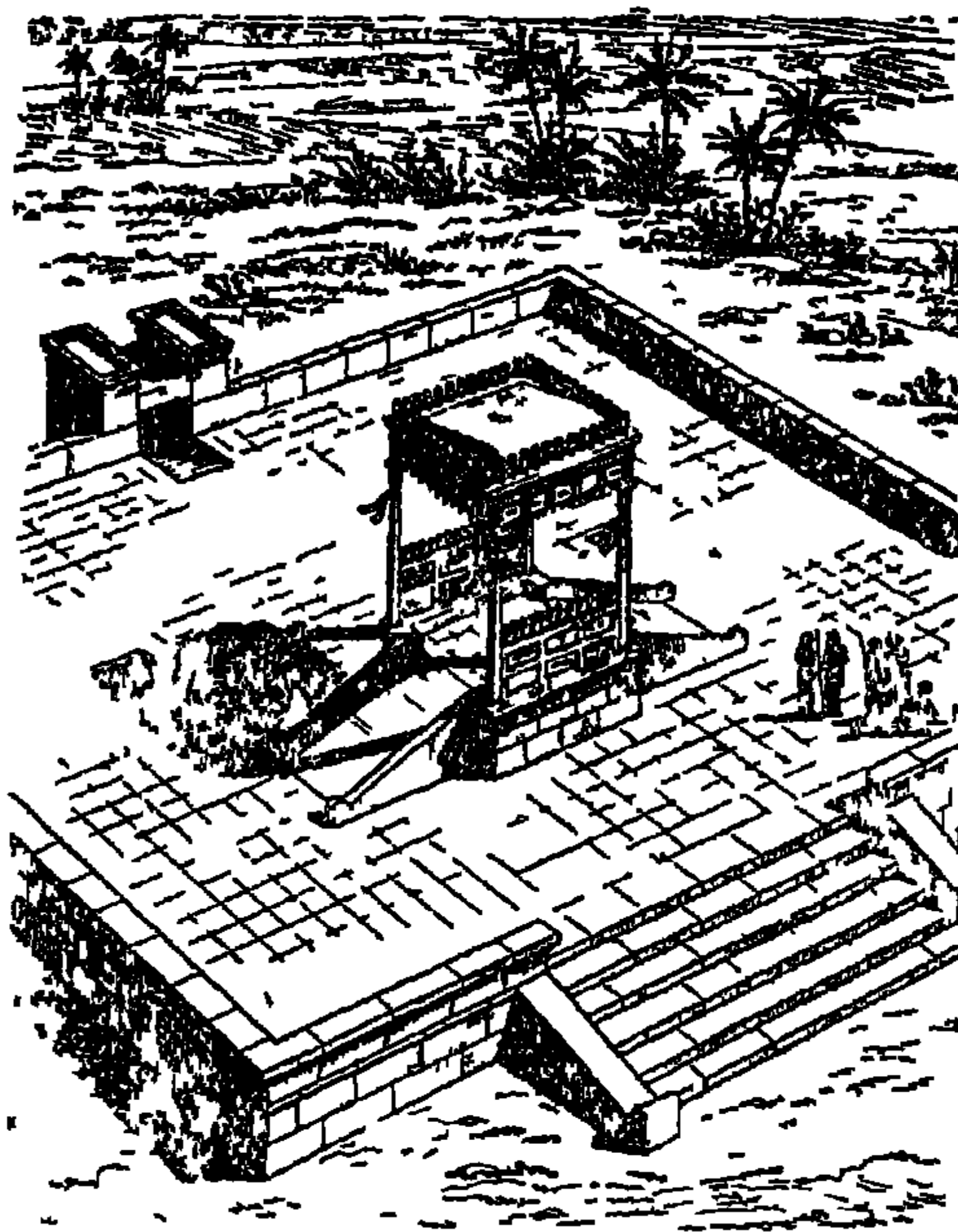
ولا يفوتنا هنا أن نصف قصراً ملكياً وجد رسمه منقوشاً على جدران تل العمارنة . وسنفصل وصف غرف الاستقبال فيه ثم نوجز فى وصف سائرته . فأمام الباب يقوم بناء لا ندرى حتى اليوم ما الغرض منه وإن كنا نرجح أنه كان مقراً للخدم . ويلى ذلك باب القصر وهو يقع بين برجين فى كل منهما باب صغير آخر على مقربة من زاويتي

البناء ، وتفتح الأبواب الثلاثة على فناء فسيح به غرف على الجانبين ممتدة في صفين طويلين كانت تستعمل كمخازن إذ يظهر الرسم ما فيها من أوان وجرار . أما الجهة الخلفية للفناء ، التي تقابل الباب فتقابل مواجهتها . فهي تتكون من باب بين برجين يحيط به بابان صغيران . وفي هذا الفناء الكبير يقوم بناء آخر واجهته ذات إيوانات (بواكي) مزينة بالأعمدة . وهو يضم فناء آخر به غرف على الجانبين كانت تستعمل للسكن . وبه رجة في الوسط يصعد إليها بعدة درجات . وتتوسطها مائدة عليها كانت لتقديم القرابين . وخارج السور الكبير الذي يحيط بالبناء كله توجد مكاتب العمال وحظائر البهائم . تليها الحدائق والبساتين . ولعل أبداع هذه البساتين والأحراش ما يقع منها الى خلف القسم الأول من البناء . وقد عنى الفنان بتوضيحها في رسمه الدقيق . (انظر شكل ٨ و ٧)

وكانت تغرس الأشجار في غالب الأحيان صفوفًا . وتحاط قاعدة الجذع بحافة مستديرة من الطمي . منخفضة في داخلها أي قرب الجذع ، ومرتفعة عند أطرافها ، فكانت تبعث

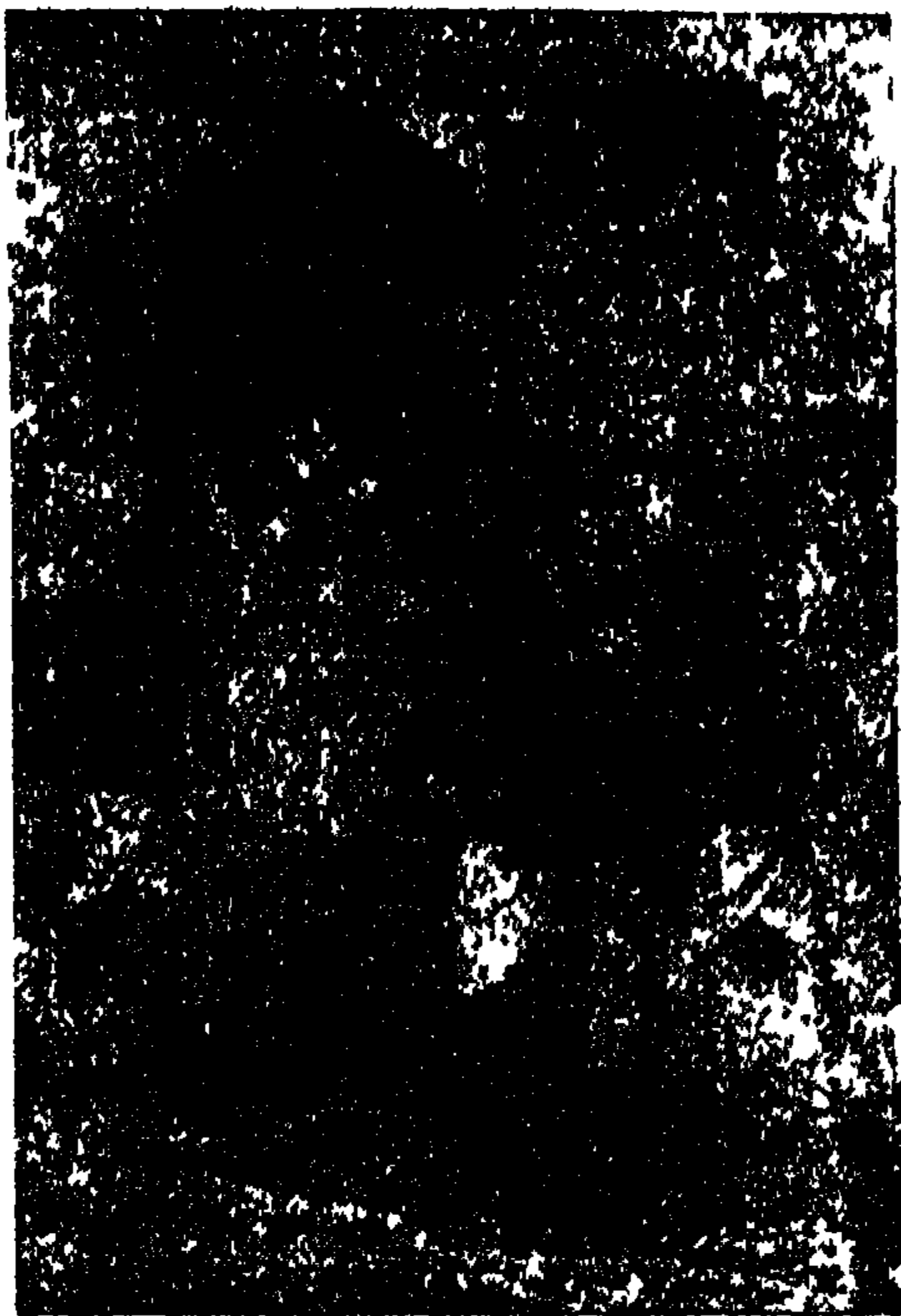
للماء سريعًا الى الجذور . ومن السهل أن نتبين من الرسم بعض الأشجار كالنخيل والرمان والدوم والجميز أما الأزهار فلا نتبين منها الا رهرة اللوتس . (انظر شكل ٨ و ٧)

وكانت الحدائق الكبرى المحيطة بالقصر تقسم الى عدة أقسام ، أكبرها خاص بشجر الجميز والنخيل والعنب . أما حدائق الزهور والحضراوات فكانت تشغل مساحة لا يستهان بها ، وكانت تزرع الشجيرات الصغيرة والأعشاب والزهور في أصص حمراء خزفية كذلك التي ستعملها الآن ، وكانت تصف صفوفًا طويلة في الماشي والطرقات



(شكل ٩) كشك صغير من الخشب كان يقام في الحدائق الملحقه بالقصور

وكان بعض أصحاب القصور لا يكتفون
 بالبساتين فينشئون الى جانبها مزارع
 تتخللها بحيرات تجري فيها الأسماك ،
 وساحات تحفل بالدجاج والأوز ،
 ومرابط بالماشية والجداء البرية والغزلان ،
 وحيوانات أخرى يؤتى بها من البادية ،
 ويعتبر لحمها من طرائف المائدة ولذائذها
 وكان يلحق بالقصر مزرعة العنب ،
 وكانت الكروم تتدلى من (تكعيبات)
 تقام على عوارض متقاطعة مستندة الى
 أعمدة ويحيط بها سور خاص . وتغرس
 خارج هذا السور صفوف من النخيل
 وأشجار الدوم وغيرها تمتد على طول
 السور الخارجى



(شكل ١١) ملكة مصرية قدعة خارجة
 من أحد قصور طيبة ، وهي نرى حالسة في
 محبتها التي يحملها عدد من الغلمان الأشداء

وكانت صهاريج الماء والبحيرات
 منبثة في أنحاء البساتين ، تحيط بها قطع
 من الأرض تنمو فيها الحشائش والزهور

وبجوار هذه البحيرات ترى أكشاك صغيرة أو منازل صيفية تظللها الأشجار وتشرف
 على أحواض الزهور (أنظر شكل ٩)

ذلك النعيم والرفه في قصور الملوك جعل بعضا منهم ينغمس في الاستمتاع به ، ويبدل
 في هذا جميع وقته وجميع جهده . مما أدى إلى أن عددا كبيرا من الأسرات المالكة
 انتهى أمرها بالضعف والاضمحلال ، وما فاء عهد الرمسيين إلا نتيجة لهذا الترف

والصورة التي تقدمها إلى القراء مع هذا الكلام (شكل ١٠) وان كانت
 خيالية ، إلا انها تصور في جلاء حابا من هو الملك وعيشه في بعض أوقات فراغه ، يرى
 فرعون جالسا على عرشه في وضع مملوء بالحياة والمرح ، ينظر في شوق ولهفة إلى
 راقصات قصره الجميلات وهن يرقصن على نغمات الآلات الموسيقية ، على حين وقف
 حامل المروحة خلف الملك يحلب له الهواء المنعش ، حتى يجتمع لسيد طيب المكان

وطيب الصوت وطيب المنظر . فهذه الصورة وان كان للخيال فيها نصيب إلا أن جميع الاشخاص الذين يظهرون فيها وردت رسومهم على افراد على جدران المقابر التي لاتزال باقية الى الآن ، وقلت هذه الرسوم بدقة ثم ضمت معا في هذه الصورة

ويمثل (الشكلان ١١ و ١٢) جابا من هذا الترف والنعيم

الحصون والقلاع

أحاط قدماء المصريين معظم مدنها وكثيراً من قراهم الكبيرة بأسوار متينة ، وقفا لما تستدعيه خصائص البلاد الجغرافية ونظامها السياسي . فقد كان من الضروري أن

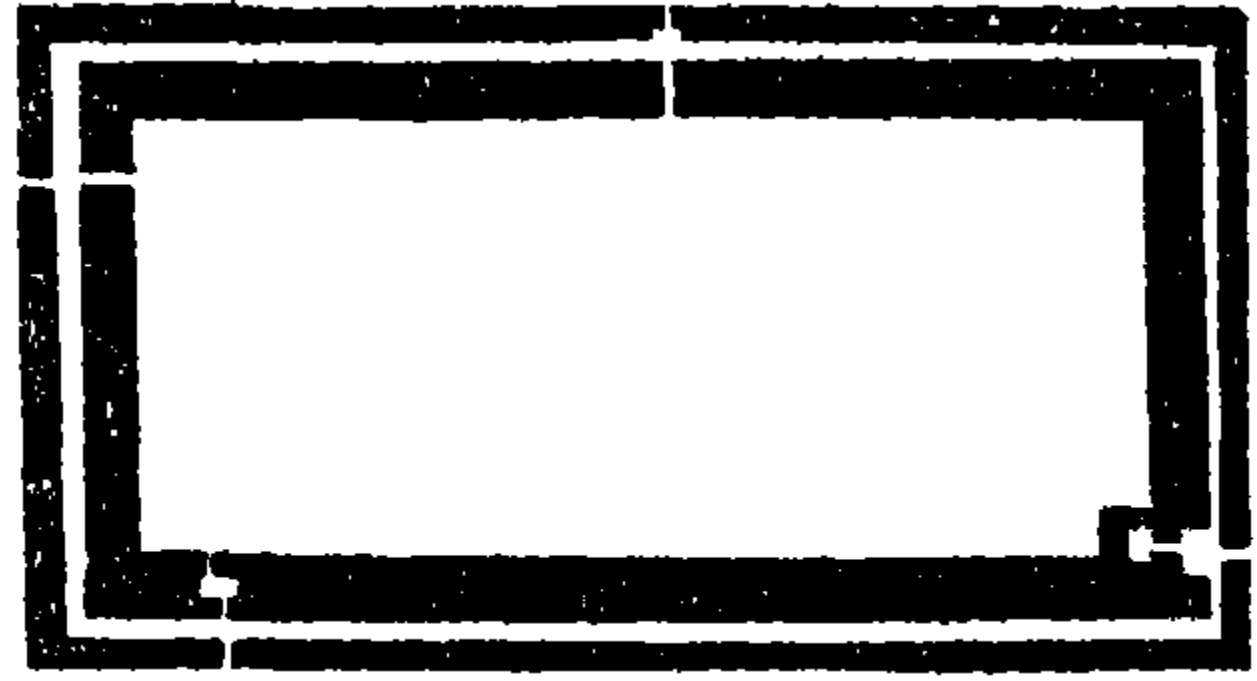
تغلق منافذ الطرق المؤدية إلى الصحراء في وجوه البدو ، وان يحصن أمراء الأقطاع مدنها وقراهم وممتلكاتهم الممتدة على حافة الصحراء ليأمنوا غارة جيرانهم عليهم

ولعل أقدم هذه الحصون ما وجد منها في أييدوس (العرابة المدفونة) والكاب وسمنة . كانت أييدوس تقع في مبدأ الطريق المؤدى الى الواحات ، كما كان يقوم فيها معبد للاله «ارريس» ، فجعلها موقعها سوقاً تجارية نافقة، وجعلها معبدها مقصداً لكثير من الحجاج والزائرين ، مما أدى إلى ثرائها ورخائها فصارت قبلة لعارات القبائل الليبية من حين الى حين ، فاضطرها هذا إلى إقامة القلاع والحصون لحمايتها . وقد أقيم فيها حصنان لا تزال بقاياها ظاهرة، أحدهما - وهو الأقدم - يعرف بكموم

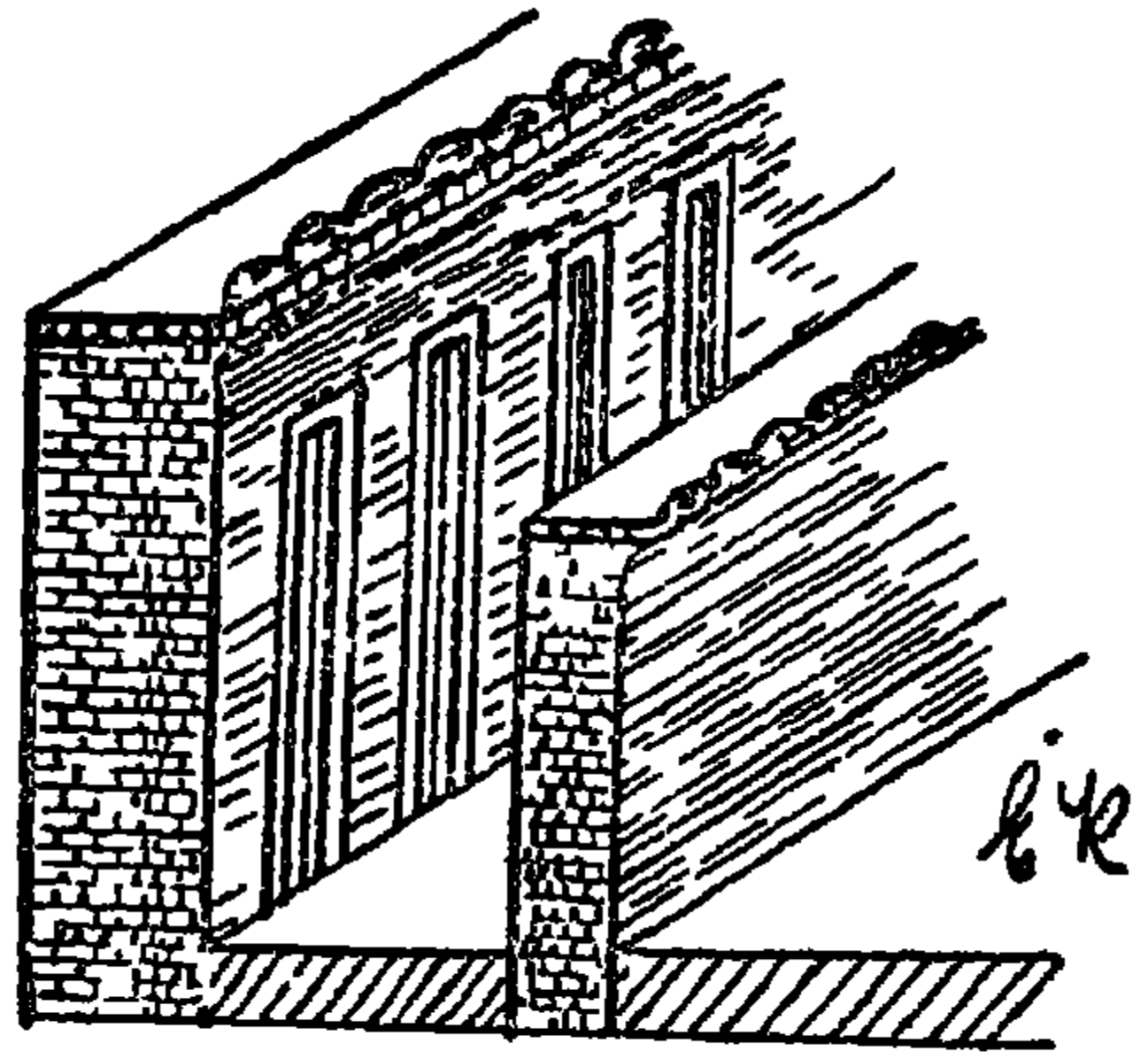


(شكل ١٢) ملكة مصرية من ملكات الدولة الحديثة ترى حالة في إحدى قاعات قصرها وحولها الوصيفات . وجميع أحرار هذه الصورة مستقاة من رسوم وجدت على جدران مقابر طيبة

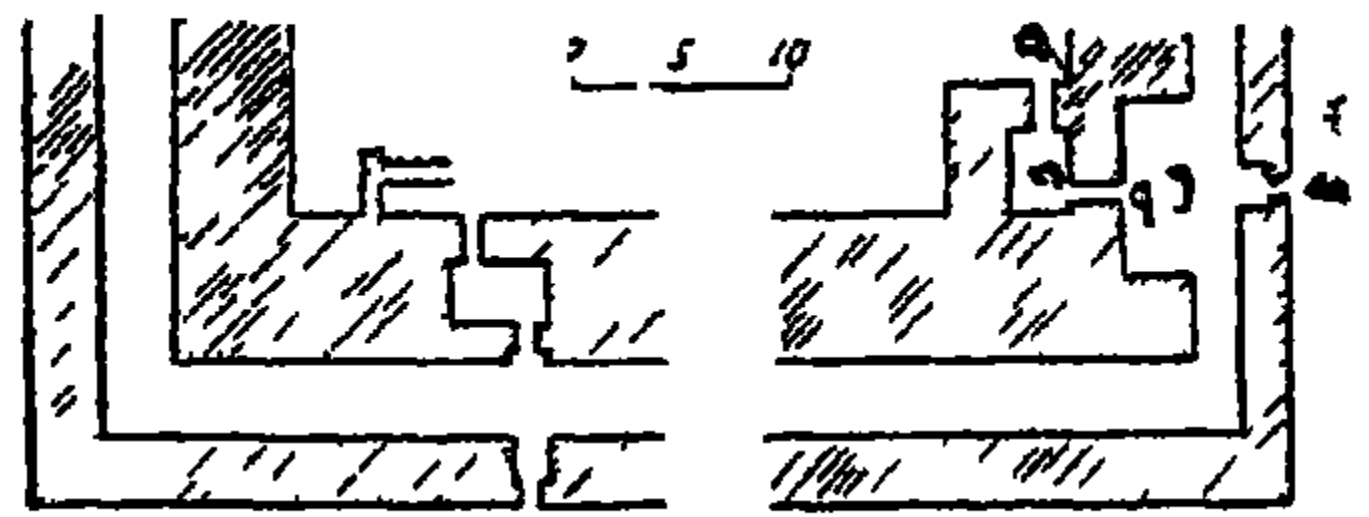
(شكل ١٣)



رسم محيطي للحصن الثاني بايدوس المعروف بشوة الربيع ويرجع عهده الى الأسرة الثانية عشرة



رسم يبين ما كانت عليه حدران شوة الربيع في الرمان السابق . ويلاحظ في الشكل وحوود حدار خارجي يحمي حدار الحصن الأصلي



وهو يربط الى المين رسم باب الدخول الرئيسي في الحصن الثاني بايدوس (شوة الربيع) وإلى اليسار رسم المدخل الجنوبي الشرقي للحصن نفسه

السلطان ، وهو وان كانت آثاره لا تزال ظاهرة إلا أن يد التدمير قد هدمت كثيراً من أجزائه

كان بناء «كوم السلطان» هذا كتلة من اللبن مستطيلة الشكل يبلغ طولها نحو مائة وسبعين متراً وعرضها نحو خمسة وسبعين متراً ، يمتد طولها من الشمال إلى الجنوب وعرضها من الشرق إلى الغرب . وكان لهذا البناء باب رئيسي يفتح في الحائط الغربي على مقربة من الركن الشمالي الغربي ، وبان صغيران أحدهما في الجهة الجنوبية والآخر في الجهة الشرقية . ويظهر أن ارتفاع هذه الجدران كان يتراوح بين ثمانية أمتار واثني عشر متراً ، ويناهز سمكها مترين خصوصاً في الجزء الأعلى منها

ولم تكن الطريقة التي اتبعت في بناء هذه الجدران منتظمة موحدة ، بل اتخذت في اقامتها طريقتان مختلفتان يمكن التفرقة بينهما من ترتيب الطوب الذي استعمل في البناء . ففي بعض أجزاء الجدار وضع الطوب وضعاً أفقياً ، أي في «مداميك» أفقية ، بينما وضع في أجزاء أخرى من الجدار نفسه وضعاً مقعراً قليلاً ، بحيث يحدث قبوة مستوية جداً . وتتداول الطريقتان في البناء كله بانتظام ودقة ،

ولعل الدافع اليهما تقليل ضغط الطبقات أو المداميك العليا (المقوسة) على الطبقات السفلى (الأفقية) التي تتركز عليها . ويقال ان هذه الطريقة تساعد كذلك على احتمال الزلازل

والتقلبات دون أن تعرض البناء إلى الوهن أو التشقق . وسواء كان هذا الفرض صحيحاً أو غير صحيح فإنه مما لا شك فيه أن هذا الحصن قديم جداً ، وقد استولى على هذا الحصن في عهد الاسرة الخامسة أشراف أييدوس فملاؤا ساحته بمقابرهم ولوحاتهم الحجرية فأفقدوا الحصن بذلك ميزته الحربية

أما الحصن الآخر فيعرف الآن « بشونة الزيب » ، ويقع بعيداً عن الأول يضع مئات من الأمتار ، وقد بنى في عهد الأسرة الثانية عشرة ليقوم مقام كوم السلطان . لكنه لم ينج من التخريب الذي عبت بالحصن الذي سبقه ، خصوصاً في عهد الرمامسة . ولولا أن مدينة أييدوس اضمحلت بعد هذا وضعف شأنها لما بقي للحصن أثر ولمسأله الأهالى بمقابرهم ولوحاتهم كما فعلوا بكوم السلطان

لم يكن عند المصريين القدماء من الآلات ما كانوا يهدمون به هذه الجدران الهائلة ويقتحمونها . وكل ما كانوا يملكونه من الوسائل لتخريب القلاع والاستيلاء عليها هو نبش الجدران ، أو تسلقها ، أو فتح الأبواب . فاتخذ المهندسون الذين قاموا ببناء الحصن الثانى - شونة الزيب - من ضروب الحيلة والحذر فى البناء ما يتغلبون به على طرق الاستيلاء المذكورة . فكانت تبنى الجدران الخارجية مرتفعة ومسقيمة دون أن يكون فيها أى ثوة أو أبراج . وكان يبلغ طولها فى الجهتين الشرقية والغربية نحو مائة وأربعين متراً ، وفى الجهتين الشمالية والجنوبية ما يقرب من خمسة وثمانين متراً ، وكانت بنى من اللبن فى مداميك أفقية قوية خالية من الثقوب والفجوات ، وكل ما عليها لا يعدو حلية تشبه الابواب الوهمية التى نراها فى لوحات الدولة القديمة . ويبلغ ارتفاع هذه الجدران الآن نحو اثنى عشر متراً ولم يكن ارتفاعها فى الزمن القديم يتجاوز خمسة عشر متراً وهو ارتفاع كاف لحماية الحود والحامية من أى خطر اذا أمكن تسلق الاسوار بالسلام المتحركة (القالى) مثلاً

وكان سمك الجدران يناهز سبعة أمتار عند القاعدة ، تقل بارتفاع الحدار حتى تنقص إلى ستة أمتار . ويظهر من رسوم الحصون والقلاع التى وجدت على جدران مقابر بنى حسن من الاسرة الثانية عشرة أن هذه الجدران كانت تتوج بطيف (كورنيش) كبير يحيط بها من جهاتها الاربع

ولم يعرف المصريون القدماء طريقة حفر الخنادق والاخاديد أمام هذه الجدران لينعوا الوصول اليها والاغارة عليها ، وإنما لحأوا - توصلوا الى حماية قاعدة الحدار



(شكل ١٠) صورة خيالية تصور جاساً من هو الملك وعيخته في بعض أوقات فراعنه ، يرى فيها الملك جالساً على عرشه في إحدى قاعات قصره في وضع مملوء بالحياة والمرح يطر في شوق ولهفة الى راقصات قصره الجميلات وهم يرقصن على نجات الآلات الموسيقية . ومما يجدر ذكره أن هذه الأشخاص الذين يظهرون في الصورة وردت رسومهم متفرقة على حدران مقابر طيبة ، ويرى هنا تكاد تكون مقولة عن رسوم هذه المقابر تقرأ حرقياً



(شكل ١٩) رمسيس الثالث يعرف من مركته الحربية على تقطيع أيدي الأسرى اللبيين بعد أن قهرهم . وهذا الرسم يعتمد في جميع أجزائه على النقوش الموجودة بمعبد مدينة هابو بالأقصر .
فلايس الملك ، والكتبة الذين يسجلون عدد الأيدي المقطوعة ، وجميع الأشخاص الآخرين
الظاهرين بالصورة مقولون تقلا دقيقاً عن هذه النقوش المذكورة

الاصلى من النيش والهدم - الى اقامة جدران أخرى يبلغ ارتفاعها نحو ستة أمتار أمام الجدران الاصلية بثلاثة أمتار من كل جهة لتغطيتها وتحميها (انظر الرسم الأوسط من شكل ١٣)

كانت هذه الطرق كافية لحماية الجدران من التخریب ، على أن الابواب ظلت بعد ذلك نقطة ضعف في البناء فوجه المصريون اليها قسطا وافرأ من عنايتهم . ولما كان لهذا الحصن بابان أحدهما هو الباب الرئيسى الذى يقع في الواجهة البحرية على مقربة من طرف البناء الغربى فقد اتخذوا من طرق التحصين والتعمية في الوصول اليها ما جعل اقتحامها أمراً صعباً . فلا يصل اليها العدو الا بعد أن يدخل من باب ضيق ذى مصراعين خشبيين ضخمين يقع في الحائط الامامى (الذى بنى لحماية جدران الحصن الاصلية) - وهو مرموز اليه بحرف ا في الرسم - فاذا تجاوزه وصل الى مساحة صغيرة (ب) مفرغة في نفس الجدار الاصلى . فاذا تخطاها وجد باباً ثانياً (ج) ضيقاً كالباب الاول تعلوه جنود الحامية الذين يصبون سيلاً حامياً من كل جانب من قذائفهم على المقتحم . وكان على العدو الذى يصل الى هذا المكان أن يواجه أخطاراً جديدة ، فعليه أن يجتاز فناء مستطيلاً (د) محصوراً بين جدارين محصنين يتعرض فيه لهجوم الجنود المدافعين وقذائفهم . فاذا نجح بعد هذا في التغلب عليهم كان عليه ان يجتاز باباً (هـ) تعمداً وضعه في زاوية يصعب الوصول اليها لكي يصل العدو بعد ذلك الى داخل الحصن (انظر شكل ١٣ ، الرسم الاسفل الى اليمين)

وكانت الأبواب تتشابه في طريقة بنائها ، ان اختلف بعضها عن بعض فبقدر ما تختلف أذواق المهندسين الذين أقاموها

وكان الباب الجنوبي الغربى يشبه بوجه عام الباب البحرى مع اختلاف بسيط في مدخليهما

أما في الكوم الاحمر (الكاب) فقد كان الباب محصناً بطريقة تحمى من ورائه من جنود الحامية

وكانت طرق التحصين التى اتبعت في القلاع والحصون التى سبق ذكرها تتبع كذلك في حماية المدن . فسايس وسان وهليوبوليس ومفيس وطية كانت كلها محاطة بأسوار مربعة أو مستطيلة تخلو من الحصون والأبراج ولا تمتد أمامها خنادق أو أخاديد ، إذ لم تكن لهذه الوسائل جدوى مع قيام أسوار يتراوح سمكها بين عشرة أمتار وعشرين متراً ولعل أقدم مدينة ظلت أسوارها قائمة إلى حد ما ، هى الكاب التى أغار عليها النيل

فلم يهتم سورها العظيم الذى يبلغ طوله نحو ٢١٠٠ قدم ويقل عرضه عن ذلك قليلا .
وكان بكل جهة من جهات هذا السور باب ماعدا الجهة الجنوبية

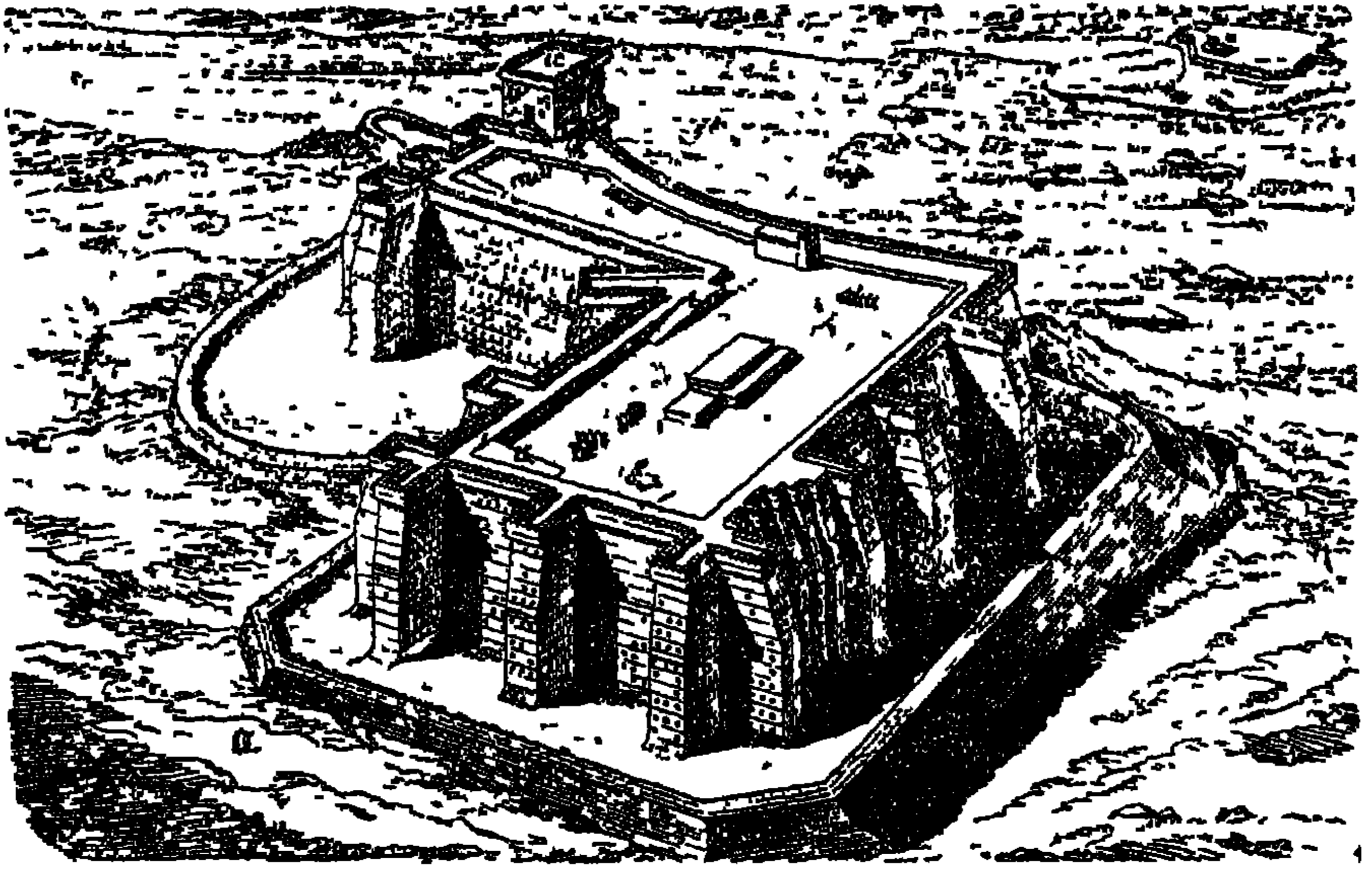
وكانت تقوم منازل المدينة كلها داخل هذا السور مبعثرة بدون انتظام ، متجاورة
فى الشمال والغرب ، متباعدة فى الجنوب والشرق . وكان يحيط بالمعابد سور آخر كانت
الحاميات تلجأ اليه إذا ما اقتحم المغير سور المدينة

وكانت تلك الأسوار المربعة أو المستطيلة تحرس المدن فى السهل المنبسط ، ولكنها
لم تكن صالحة لتأدية مهمتها فى المدن القائمة على الهضاب المرتفعة ، ففى كوم امبو لا نرى
للاسوار شكلا معينا ، بل تتبع المرتفع الذى تقع عليه المدينة انحداراً واستقامة . ولذا
فاننا نجد فيها تنوعات وانحناءات شتى

أما فى « سمنة » و « قمة » الواقعتين فى بلاد النوبة على مقربة من النيل عند صخور
الشلال الثانى - فقد أقام المهندسون من الأسوار والحصون ما يدل على براعة فائقة ودقة
عظيمة ، إذ أراد سنوسرت الثالث أن يقيم على حدود مصر من جهة الجنوب ما يمكنه من
الرقابة والسيطرة على مياه النيل من جهة ، وما يسد به الطريق فى وجه سفن الزنوج
القادمين من الجنوب من جهة أخرى ، فرأى أن « قمة » الواقعة على الشاطئ الأيمن من
النيل تمتاز بمناعة حصينة طبيعية ، إذ تقع على تل تحيط به المهاوى والحفر من كل ناحية ،
فأحاطها بسور متين يبلغ طوله نحو مائتى قدم ، وتقوم فيه قلعة بارزة فى كل من الجهتين
الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية تشرقان على المدخل من جهة وعلى طريق الماء من
جهة أخرى

أما « سمنة » فقد كان موقعها أقل حصانة وملاءمة . فهى تقع على الشاطئ الأيسر
للنيل ، وليس هناك ما يحميها سوى جبل يقوم فى الجهة الشرقية منها ، بينما تقف الجهات
الثلاث الأخرى معرضة مكشوفة . فرئى إقامة سور حولها ، طوله فى الجهة الشرقية ٥٠
قدما ، وفى كل من الجهات الأخرى ٨٠ قدما . وبلغ من حرصهم أن بنوا سوراً آخر
داخل هذا السور وعلى بعد مائة قدم منه ثم ردموا المساحة التى يحيط بها السور الداخلى
فصار الجزء الواقع بين السورين أشبه شئ بالخندق (شكل ١٤)

ولقد عرف المصريون نوعاً آخر من الحصون فى أثناء غاراتهم التى شنوها فى عهد
الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها على القبائل الآسيوية . فقد رأوا البدو فى الشام
يتحصنون فى حصون ذات شكل يختلف عما ألفوه فى مصر ، وأدركوا فائدتها ومناعتها

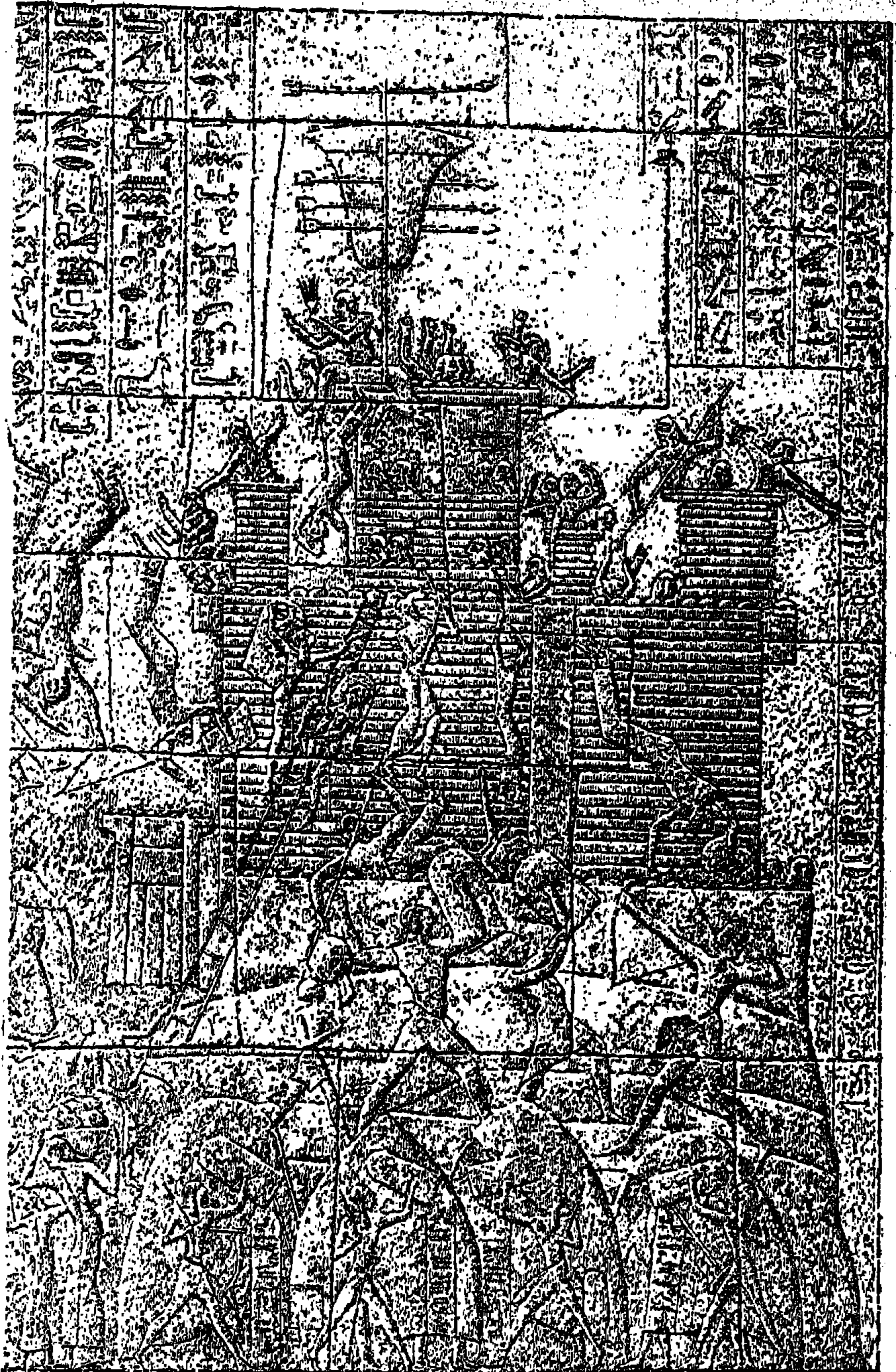


(شكل ١٤) رسم بين ما كان عليه الحصن الذى أقيم فى «سمة» فى حالته الاولى من فحامة وعظمة

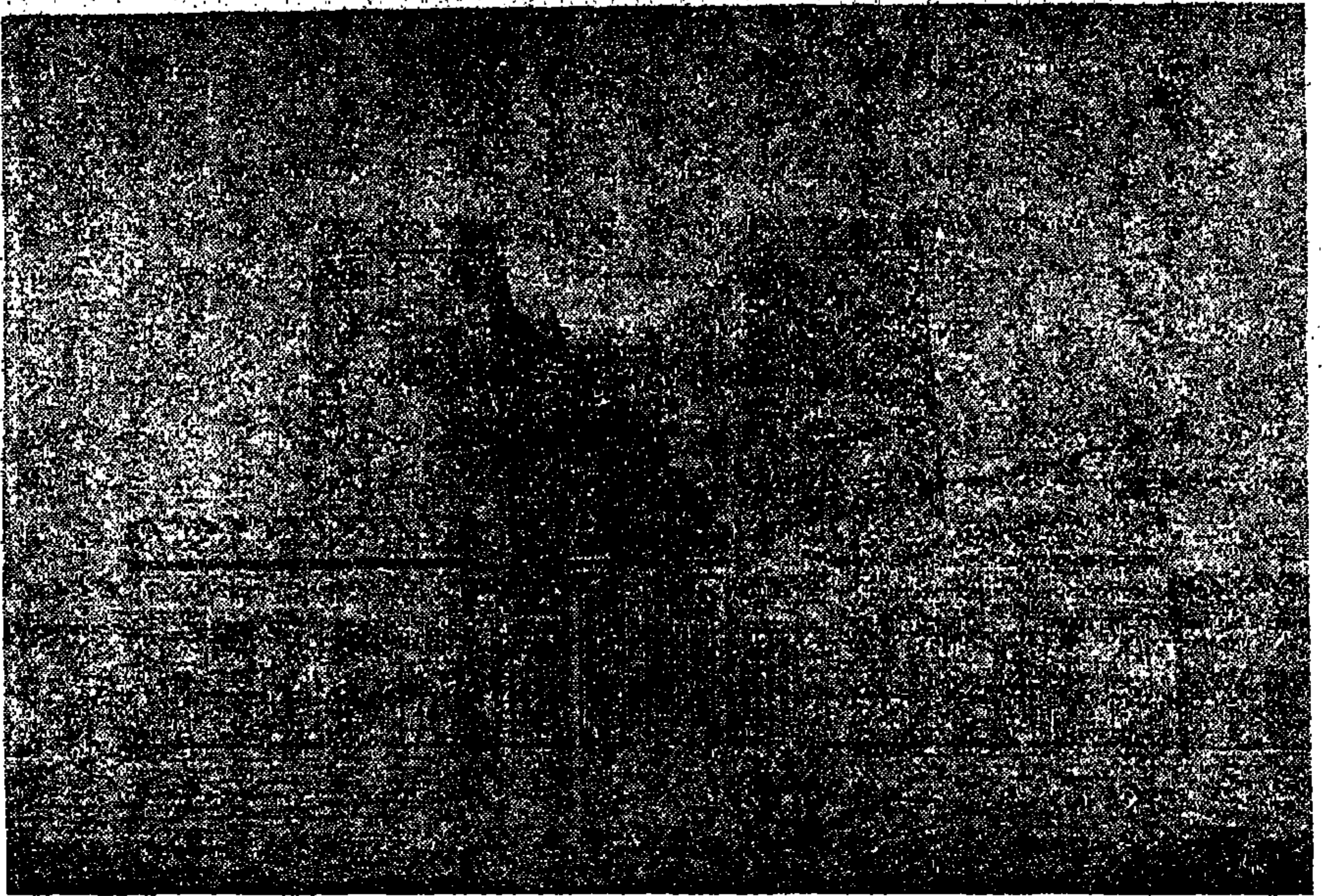
فى اغارتهم . فنقلوا عن المدن الكنعانية والحيثية أمثال عسقلان ودابور أسوارها التى كانت تتخللها أبراج تبنى واجهاتها من الحجر . (شكل ١٥)

ومنذ عهد الأسرة التاسعة عشرة نجد الجهة الشرقية من الدلتا قد أحاطوها بسور ذى أبراج لتمنع غارات القبائل الآسيوية عليها ، ثم اقتسبوا كذلك الاسم الآسيوى (ما جاديلو) وأطلقوه عليها فصار فى لغتهم (ما كاتيلو) . ولما رأوا أن اللبن لا يصلح لبناء هذه الأسوار ، ابتنوها من الاحجار كما نجد ذلك فى هليوبوليس ومنفيس . على أنهم كانوا يحيطون بعض المدن الواقعة فى السهل بسورين أحدهما وراء الآخر زيادة فى التحصين والتأمين

ولولارغبة رمسيس الثالث فى تخليد ذكرى حروبه لما أمكننا اليوم أن نقف على شكل تلك القلاع التى تعرف بالمجدول كما سبق بيانه . فقد أراد أن يضع فى معبده الذى أقامه فى مدينة حابو بناء يكون تذكراً لحروبه وانتصاراته على القبائل الآسيوية فبنى أمام هذا المعبد الى الجهة الشرقية قلعة على هذا النمط تتألف من سور ضخيم به باب يدخل منه الداخل الى القلعة التى تتكون من كتلتين من البناء تتعاقب فىهما الأفنية ويربط الاثنتين معا باب تعلوه طبقتان . أما الابراج فحعلوها عريضة القاعدة شحيحة القمة - ويبلغ طولها ١٧٢ قدما ومتوسط عرضها ٣٧ قدما - وذلك لتقاوم المغيرين طويلا (شكل ١٦)



(شكل ١٥) رسم بين أسوار مدينة داپور ذات القلاع
وقد حاصرتها الجيوش . والرسم منقول عن جدران الرمسوم



(شكل ١٦) قلعة من الطراز الذي يطلق عليه كلمة (مجدول) أقامها
رئيس الثالث بمدينة حابو تذكراً لحروبه وانتصاراته على القبائل الآسيوية

أما بعد الأسرة التاسعة عشرة فلما نجد أثراً نقف منه على أسوار أو حصون
وما عندنا بعد ذلك يمكننا أن نلخصه فيما يلي :

في القرن الحادي عشر قبل الميلاد جدد كهنة آمون الأسوار التي تحيط بمدينة طيبة
والحياة . وعلى أثر حركة شيشنق وانقسام البلاد إلى ولايات أخذ كل أمير يحصن إمارته
ويقوم حولها ماشاء من قلاع وأسوار . وفي عصر يعنخي لا بد وأن يكون قد أقيم بعض
الأسوار والحصون ، ثم أتى عصر الإغريق فوجدوا البلاد على ما هي عليه من هذه الوجهة
أما (الأشكال ١٧ و ١٨ و ١٩) فتتمثل مشاهد مختلفة من مناظر الحرب وتمارين الجنود

الاشغال العامة

لم تلق الطرق العامة في مصر القديمة نصيباً وافراً من عناية الدولة . إذ كان النيل
هو طريقهم الطبيعي لنقل المتاجر ، كما كانت الجسور والممرات التي تخترق الحقول كافية
لمرور الأهالي ومواشيهم ونقل المحاصيل من قرية إلى أخرى . وكانت القوارب تجري
في النهر وفروعه . كما كانوا يقيمون السدود لرفع مستوى الماء في الغدران والاحواض

الضحلة لتسير فيها القوارب والسفن ، وأحيانا كانوا يخوضونها ويعبرونها بأرجلهم وفي تلك الوسائل البسيطة انحصرت سبل مواصلاتهم الداخلية

وكانت القناطر (الكبارى) قليلة ولسنا نعرف في طول هذا العصر غير قنطرة واحدة تقع على مقربة من أسوار مدينة «زارو» القديمة التى لم يعرف بعد موقعها بالضبط وإن كان من المعروف أنها قد أقيمت على ترعة تقع على حدود الدلتا الشرقية وتفصل بين مصر وصحراء بطرة وكان يحمىها من الجهة الأخيرة سور كبير

وليس هناك من يعلم هل بنيت هذه القنطرة من الطوب أو الحشب ، وهل كانت مرتكزة على أعمدة تسندها أولا

أما الطرق الكبيرة المنظمة التى تخصص لها الحكومات الحديثة أموالا طائلة لإنشائها أو العناية بها فقد كانت تهملها حكومة مصر القديمة الى حد ما . مؤثرة عليها بالعناية والاتفاق ثلاثة أشياء : المخازن أولا وطرق الرى ثانياً والمناجم والمحاجر ثالثاً

ولقد أوجزنا القول في فصل سابق عن النظام المالى فى مصر وقلنا ان المالىة المصرية كانت تنحصر فى جمع كميات مما تنتجه الأرض أو تخرجه المناجم ، فقد كانت تجبى الضرائب من نوع ما تنتجه الأرض ، فكانت قمحا ممن يزرع القمح ، وعنبا أو نبيذاً ممن يغرس الكروم ، وهكذا . وبعد أن تجمع الضرائب توزع منها أجور العمال ، والموظفين - التى لم تكن سوى أنصبة من القمح والنبيذ والأقمشة وما إليها تختلف باختلاف العمل والمنصب - ويرسل منها ما يحتاج اليه قصر فرعون والجيش المربط فى العاصمة . ويحفظ مابقى بعد ذلك فى مخازن الدولة . غير أن حفظ هذه العلات بحالتها الطبيعية لم يكن أمراً مستطاعاً ، فكما أن الافراد يحولون القمح مثلاً الى خبز يأكلونه ، كذلك كان للدولة مطاحن للغلال تحولها دقيقاً . فأصبحت بذلك الدولة « صانعة » أيضاً تقيم المطاحن للغلال ، والمعاصر للعنب والمذابج للماشية ، ومصانع النجفيف لحفظ اللحوم ، وكما أن الدولة صارت بهذا صانعة فقد صارت « تاجرة » كذلك إذ كانت تبيع للافراد ما تنتجه مصانعها هذه اتسعت المخازن بذلك وتعددت أنواعها ودرجاتها فضاقت بها العاصمة على سعتها .

فأقاموا مخزناً فى كل عاصمة من عواصم الاقاليم يخزن فيها ما يجمع من الضرائب . ولا يحول الى العاصمة الكبرى الا ما كان لازماً لقصر فرعون ولحيشه . وصار يعين لكل مخزن من هذه المخازن الفرعية موظف خاضع لمدير المخازن كلها وهو الذى يشرف عليها ويهتم بنظامها، وكان هذا أشبه بوزير المالىة فى عصرنا ويعين فى الغالب من ذوى القربى الى الملك



(شكل ١٧) فرق من جنود الجيش المصرى القديم يقومون بتمريناتهم اليومية (عن نقوش بطيبة)

ولقد رأى المسيو نافيل Naville العالم الأثرى السويسرى فى طوخو (التى حققها بيتوم) عدة مخازن للذلال مستطيلة الشكل . كما وجدت بعض الحجرات المبنية من اللبن ملحقة بالرمسيوم فى طيبة ، كان يخزن بها النبيذ وغيره مما يحتاج اليه رجال المعبد . وفى فيله وأمبوس وأدفينا وعلى طول الجهة الشرقية للدلتا كانت تقوم عدة مخازن سيظهر الكثير منها عندما تقوم حفريات منظمة واسعة النطاق فى هذه الجهة

وكانت طريقة الرى بسيطة . فالقنوات تحفر مستقيمة غالبا ثم تعمق الى حد ما . أما الجسور فكانت تقسم النهر الى عدة أحواض ، ويمر عليها الناس والمواشى فى تنقلهم بين القرى . وهى عادة من التراب والطمي ، وقلما تكون من الاحجار « كجسر قشيشه »



(شكل ١٨) فرق من حدود الجيش المصرى القديم وهم يقومون بتمريناتهم الى جانب احدى الفلاع وهذا الرسم ولو أنه خيالى إلا أن الحدود وملابسهم وحركاتهم كلها مأخوذة عن النقوش الى وحدث على مقابر طيبة ، ومصدر مقارنة هذا الرسم بالشكل السابق (رقم ١٧) ليكن تبين مقدار الدقة التى توحاها المصور فى نقل الحقيقة كامله فى صورته

الذى قام بعمله الملك « مينا » عندما حول مجرى النيل من مجراه الاصلى الى مجراه الحالى وبنى عاصمته منف فى الفضاء الذى تخلف من ذلك ، ولا تزال بقايا هذا الجسر ظاهرة على مسيرة ساعتين جنوبى ميدوم . وتبدأ هذه الجسور والقنوات من جبل سلسلة على مقربة من اسوان وتسير محاذية للنيل حتى تصل الى جوار الفيوم ، فيخرج فرع منحدر الى هذه المنطقة الواطئة فيغمرها ويكون فيها بركا أهمها بركة قارون ، ثم ما راد من فيضه يرجع الى النيل ثانية . الا أما اذا تابعنا هيرودوت فيما يقوله لوحدنا أن المكورة فى وجود هذه المستنقعات لم تكن بسيطة كما يترأى لنا إذ هو يعزوها الى حكمة ملك هو « موريس » أسأ البحيرة وسماها باسمه لتكون أشبه بخزان للمياه . فى السنين التى يزيد فيها الفيضان يحبس ما زاد منه فى هذا الخزان ليلجأوا اليه اذا ما هبط الفيضان فيورع منه على أراضى مصر الوسطى والوجه البحرى . ويقول هيرودوت إنه كان فى وسط هذه البحيرة هرمان يعلوهما تمثالان أحدهما للملك والآخر للملكة . وذاك القول هو الذى حير مهندسى اليوم وغيرهم من الجغرافيين ، إذ يتساءلون : فى أى جهة من الفيوم كانت تقع هذه البحيرة الهائلة التى يبلع محيطها تسعين ميلا . قل « لينان » قولا معقولا هو أنها كانت تمتد من اللاهون الى مدينة الفيوم ، مستدلا على هذا بآثار جسر يقع فى هذه المنطقة ، ولكن الابحاث الحديثة خيبت ظنه هذا وحطأت تعليقه . لأن هذه الآثار العالية التى اعتمد عليها يرجع عهدها الى المائتى سنة الأخيرة فحسب ! . والعلامة الاستاد « ماسبرو » يرى أن هذه البحيرة - بالحجم الذى ذكره « هيرودوت » - لم يكن لها وجود مطلقا وإنما زار « هيرودوت » مصر فى وقت الصيف والفيضان على أشده فعمرت المياه الأقليم (الفيوم) فخليل اليه أنها بحيرة حشرت لغرض خاص

أما السدود فقد أقيمت فى جهات متعددة . واكتشف أحدها الدكتور « شوينفرت » على مسافة ستة أميال ونصف ميل من حمامات حلوان . وكان قد أقيم لغرضين : أولهما أن يحجز الماء الكافى لشرب العمال الذين كانوا يشتعلون فى قطع الأحجار هناك . ثانياً ما أن يحجز ما ينزل من الروابى والتلال من أن يسقط على العمال أو يعترض طريقهم فيعطلهم ويبلغ عرض الوادى نحو ٢٤٠ قدما ، وارتفاع الحواصى يتراوح بين ٤٠ و ٥٠ قدما . وكان السد السالغ سمكه ١٤٣ قدما يتكون من ثلاث طبقات : فى الاسفل قاع من الطين والحصى ، يتلوه كتلة من الاحجار الخيرية ، ثم حائط من الحجر المنحوت المبنى بمداميك ، وتكون هذه الطبقات معاً عدداً من الدرجات . ولا يزال باقيا فى هذا السد اثنتان وثلاثون درجة من درجاته الخمس والثلاثين ، وما يزال ما يقرب من ربع السد قائما عند

جانبى الوادى إلى اليمين وإلى اليسار ، ولكن الجزء الأوسط اجتاحتها السيول
أما المهاجر فقد كان الوصول إليها عسيراً ، ولو لم تشق إليها الطرق لتعذر بلوغها .
وكان الديوريت والجرانيت الأشهب وغيرهما من الاحجار يؤتى بهما من وادى الحمامات ،
لذا أقيمت صهاريج كثيرة تملأ من عيون يستنبعونها هناك ، فأمكن إقامة قرى صغيرة
حولها ، وكم من آلاف العمال المأجورين والمسخرين من الأرقاء والسجناء عملوا فى قطع
الاحجار تحت أمرة جند من الليبيين القساة أو الزنوج الغليظى القلوب يسومونهم سوء
العذاب . وكان أى اضطراب فى الدولة يؤدى الى اغارة البدو من الصحراء ، وهروب هؤلاء
المسخرين ، ورجوع الجند الى وادى النيل من تلك الأراضى النائية التى كانوا يعتبرونها كمنفى
ولما كانت الاحجار النادرة كالجرانيت الاسود والبازلت والديوريت والبرشيا
عسيرة المنال ، فقد أبقاها المصريون لصنع التواييت الحجرية والتماثيل وآثار الفن . أما
الاحجار الجيرية والرملية وكذا الجرانيت الاحمر فقد كانت عماجرها فى وادى النيل
نفسه ، لذا سهل الوصول إليها فاستعملوها لبناء معابدهم ومقابرهم . وعند ما كانت الطبقة
السفلى من طبقات الحجر هى التى تحتوى على الاحجار التى يريدونها فقد كانوا يحفرون
حفراً فسيحة فى صميم الصخر ليصلوا إليها بعد ان يتركوا بعض أعمدة قائمة ترتكز عليها
الطبقات العليا ، فأتخذت بعض المهاجر المهجورة معابد صغيرة ، مثل معبد « سبيوس
ارتميدوس » الذى وقفه تحوتمس الثالث على عبادة الألهة المحلية بخت

أما عماجر الاحجار الجيرية فكانت فى طرة والمعصرة . وقد أبانوا عما لهذا الحجر
من الميزات ، مما جعل المعماريين والمهندسين يؤثرونه فى البناء على سواه ، وذلك لسهولة
قطعه وثباته للبناء ، ولصلابته ومقاومته . أما الاحجار الرملية فكانت توجد فى جبل
سلسلة ، وكانت تقطع إما قطعاً عمودياً يبلغ ارتفاعه من ٤٠ الى ٥٠ قدماً ، وإما قطعاً
غير عمودى ذا درجات صغيرة لا تسع أكثر من قدمى شخص واحد . وكان يخطط
على الحجر بالقلم الاحمر حول المساحة التى يريدون قطعها ، ويرسمون أبعاد الشكل الذى
يريدون أن ينحتوه من هذا الحجر . ولقد وجدت بعثة فرنسية آثار رسوم على الحجر
لعمل تيجان أعمدة على شكل رأس الألهة « حتحور » فى مهاجر أبو فوده

أما الطريق الذى كانت تنقل به الاحجار من اسوان فهو النيل . أما من المهاجر التى
تبعد عن النيل شيئاً ما ، كطره ، فكانوا يحفرون الترع لتنقل الاحجار فى قواربها الى
النيل . أما اذا بعد الحجر عن النهر فتنقل فى زحافات تجرها الثيران أو العمال كما نرى ذلك
مرسوماً على جدران أحد المهاجر فى طره

الفصل الثالث

فن العمارة الدينية

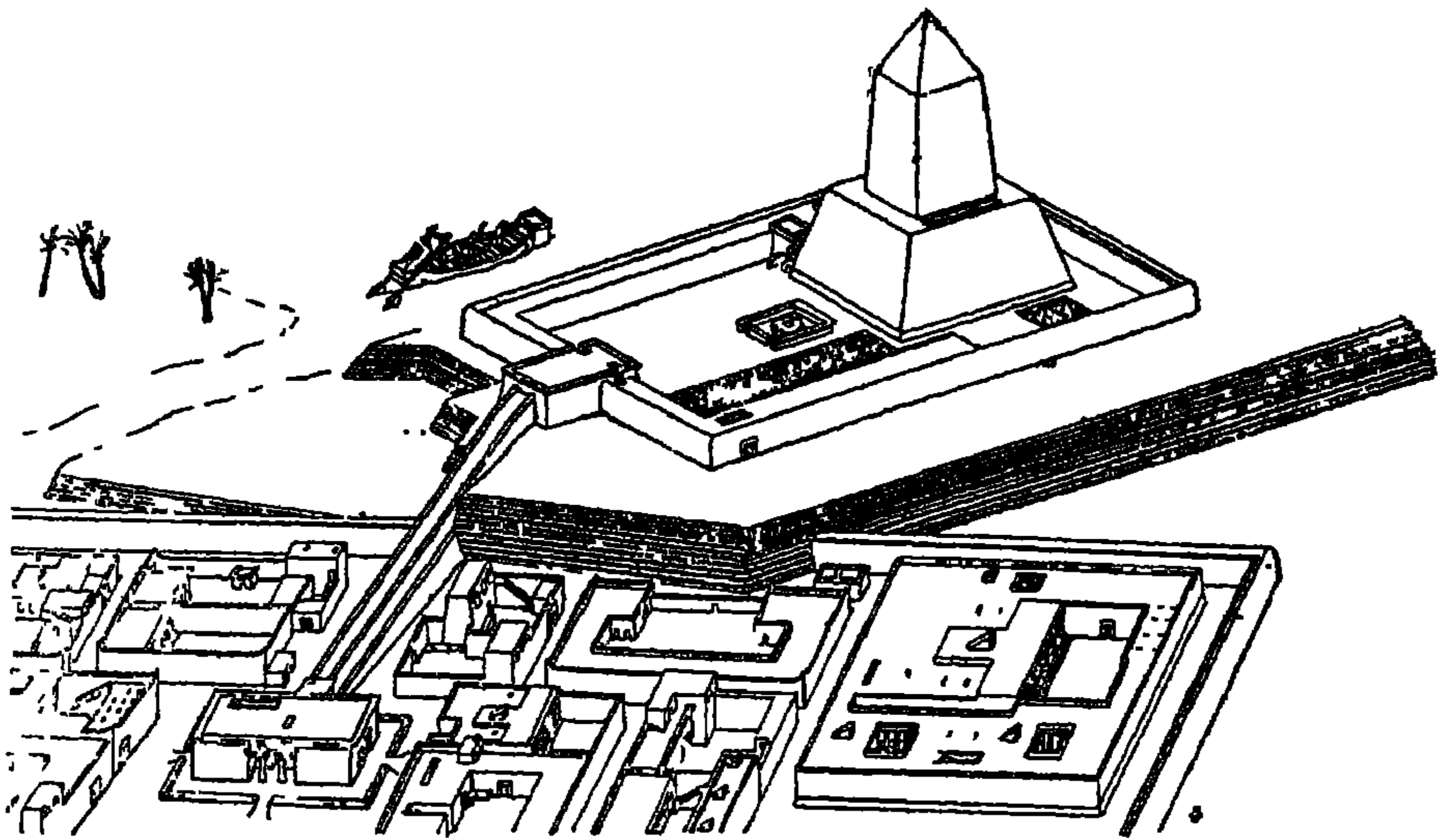
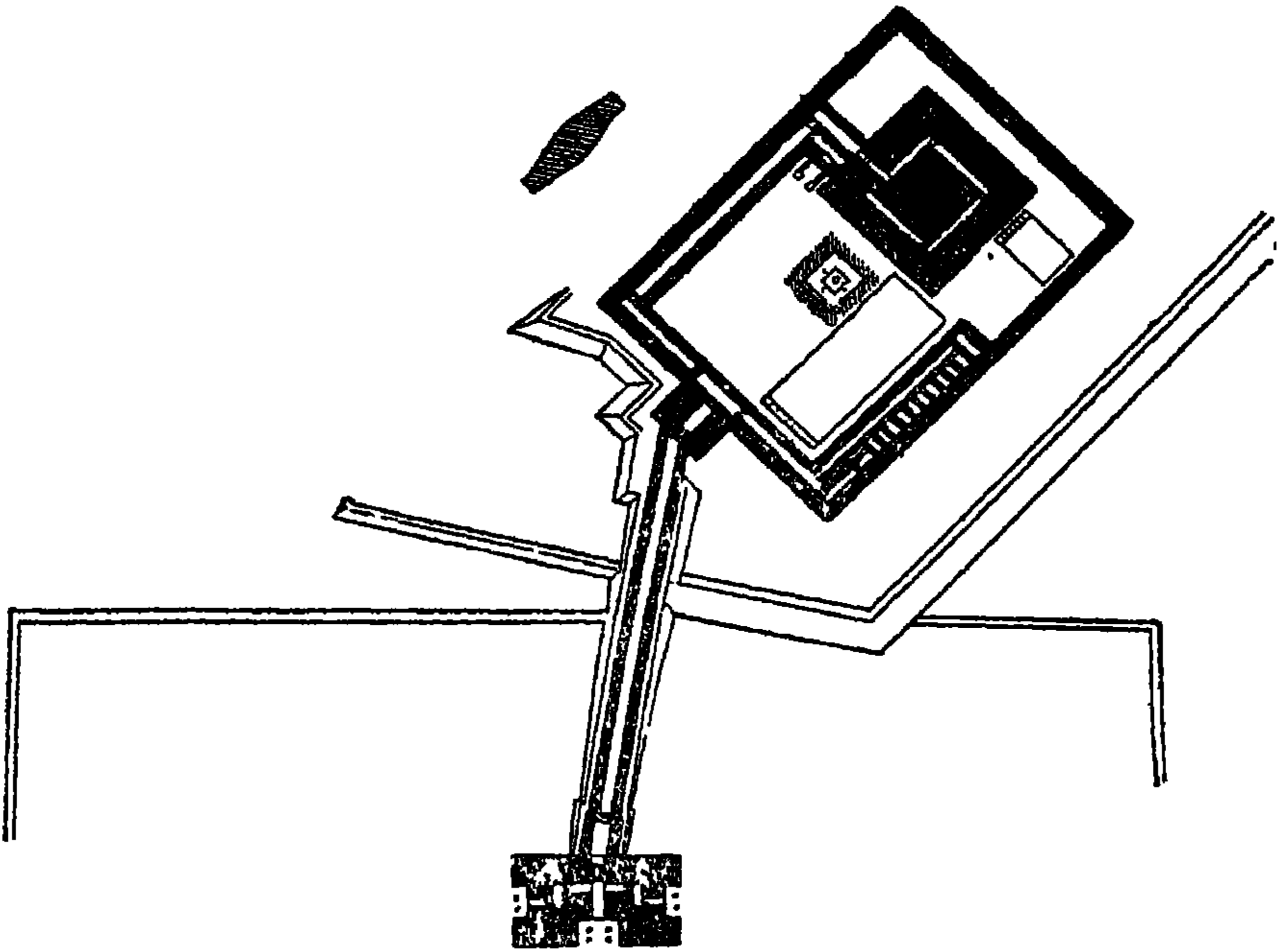
المعابد

ليس هناك شك في أنه قبل قيام الأسرات في مصر ، كان الناس يعبدون عدداً من الآلهة في أما كن خاصة لم يبق لها أثر لأنها بنيت من مواد هشة كالأخشاب ، ثم تدرجوا فبنوا المعابد من اللبن ، حتى جاء العصر الناريحي فأقاموها من الاحجار

ويتعذر علينا وصف المعابد الحجرية الأولى لأنها أنشئت في عصور سحيقة وعدل بناؤها ، بل غير تصميمها الأول في كثير من الأحيان ، فأصبح شكلها الجديد ينافي شكلها القديم . وكل ما نعرفه على وجه الدقة في أمر هذه المعابد هو أنها كانت تنشأ في جهات معينة دون غيرها . مثل هليوبوليس ومنفيس وأيدوس وطية وغيرها من المدن التي كانت مقر الآلهة منذ عشرة آلاف سنة تقريبا

حقيقة أن أسماء الآلهة التي عبدت فيها قد تغيرت وزيدت عليها أبنية عديدة بالتعاقب ، ولكن هذه الجهات بقيت متمتعة بشهرة دينية عظيمة رغم أن التواريخ أو الأساطير التي أوجدت هذه الشهرة قد بادت ونسيت . ومعظم المعابد التي لا تزال قائمة في مصر يرجع تاريخها الى عصرى الدولة الحديثة والبطالسة . أما معابد الدولتين القديمة والوسطى فقد باد معظمها ولم يبق من آثارها إلا القليل

وأجدر معابد الدولة القديمة بالذكر معبد الشمس الذي بناه الملك « نى أوسرع » من ملوك الأسرة الخامسة ، بابى جراب ، بجوار أبي صير . يتألف هذا المعبد من فناء كبير مكشوف أقيم بالجانب الغربى منه بناء منحدر الجوانب يشبه المصطبة اتخذ قاعدة تقوم عليها مسلة كبيرة هي رمز الاله « رع » . وقد اندثرت هذه المسلة الآن . وكان يصل بين المسلة ومدخل المعبد سلسلة من الممرات والغرف كلها مسقوفة تقع في الجانب الجنوبي



(شكل ٢٠) معبد الشمس الذى بناه الملك (نى أوسر رع) أحد ملوك الأسرة الخامسة بأبو جراب . والرسم الأول يبين تصميماً للمعبد والثانى يبين ما كان عليه المعبد فى الزمن القديم

من الفناء . وتقوم أمام المسلة مائدة قرابين عظيمة مكونة من خمس كتل من المرمر يقع الى الجهة الشمالية منها مكان قليل الارتفاع أعد لذبج الحيوانات به قنوات كانت تجري فيها دماء الضحايا الى عشر جرار عظيمة لم يبق منها إلا تسع . وهناك مذبح آخر في الجهة الشمالية من المسلة لا يختلف عن سابقه . وربما كان أحد المذبحين معداً لقرابين الاله رع والآخر لقرابين الالهة حتحور (شكل ٢٠)

فهذا المعبد يوضح لنا طراز المعابد التي كانت تقام في هذا العصر للاله رع ، لانه من الثابت أن «سحورع» و «نفر إركارع» وغيرها من ملوك الأسرة الخامسة كانت لهم معابد شمسية كهذه لم يكشف عنها الى الآن

أما معابد الآلهة الآخرين فلم يعثر لها على أثر ، غير أن عدداً من المعابد الاخرى قد كشفت عنه الحفائر التي أجريت في الثلاثين سنة الأخيرة ، ونعني بذلك معابد الاهرامات الجنازية التي كانت تبني في الجهة الشرقية من الاهرام لتقام فيها الطقوس الجنازية للملك المتوفى ، وأقدمها معبد هرم سنفرو بميدوم (الأسرة ٣) ، ثم معبد هرم خفرع ، (العاوي والسفلى ، والأخير منهما يعرف بمعبد الجرانيت) ، ومعبد هرم منقرع وكلاهما بالجيزة ويرجع عهدهما الى الأسرة الرابعة ، وأهمها جميعاً معابد اهرامات «سحورع» و «نفر اركارع» و «ننى أوسررع» ، (الأسرة الخامسة) ، بأبي صير ، فقد كانت جدرانها مغطاة بنقوش بديعة ملونة نقل الكثير منها الى المتحف المصري (راجع ما كتب عن هذه المعابد الجنازية عند الكلام عن الاهرام)

أما في الدولة الوسطى ، فاذا استثنينا بعض المعابد الجنازية التي وجدت خربة متهمة كمعبد « امنمحيث » الثالث بهواره ، المعروف باللابرنت ، ومعبد منتوحتب الثالث بالدير البحري ، فان معابد هذا العصر لا نجد من آثارها ما يوضح لنا صورتها كثيراً أو قليلاً . ولكن من الثابت أن ملوك الاسرة الثانية عشرة قد قاموا بتجديد المعابد التي شيدها أجدادهم . وبيناء معابد جديدة كذلك . ومن المرجح ان معابد الاسرة الثانية عشرة كانت كبيرة وجميلة تزين النقوش البديعة كثيراً من أنحائها ، وذلك لان هذا العصر كان عصر المقابر المنحوتة في الصخور ذات الألوان الزاهية والصور الدقيقة . فاذا كان الافراد أو الملوك قد زينوا مقابر الجثث وزخرفوها ، فلا يعقل أن شعباً شديد الدين كالشعب المصري القديم لا يهتم أكثر من هذا ببيوت الآلهة كما كان يعبر المصريون القدماء عن المعابد وإذا فنحن نستخلص من هذا أن معابد الأسرة الثانية عشرة كانت بلا شك عظيمة

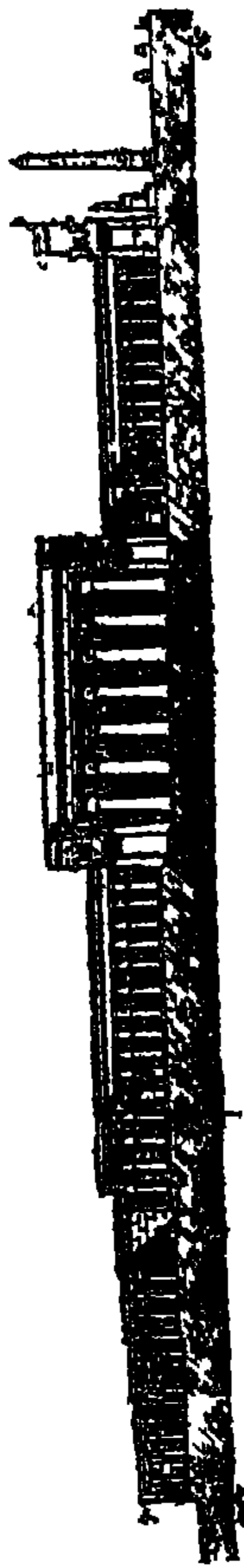
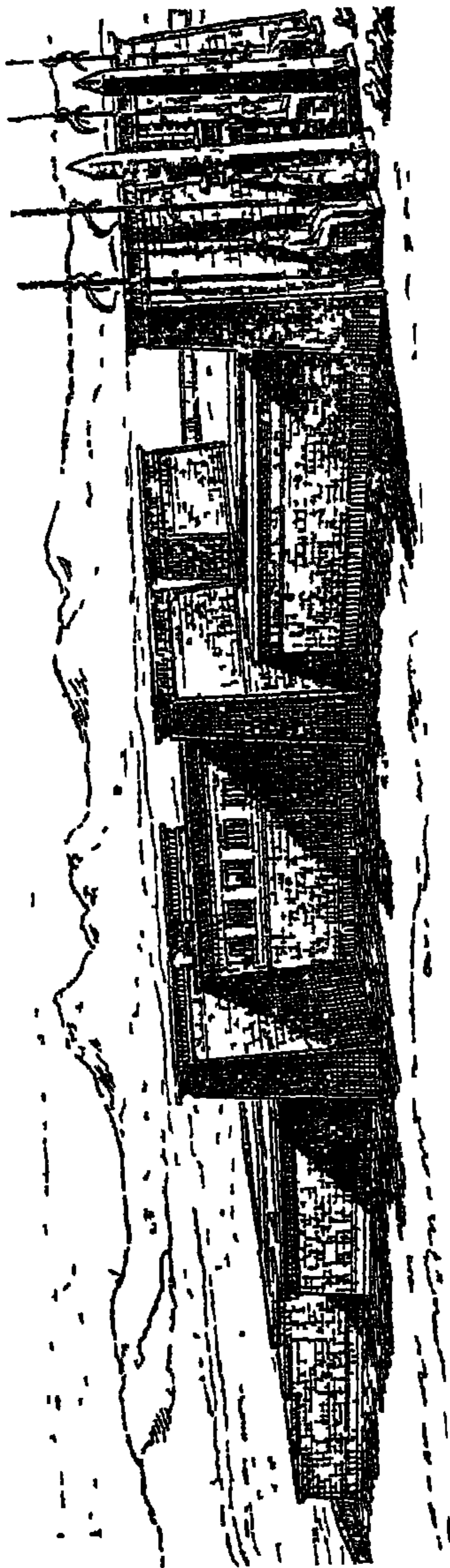
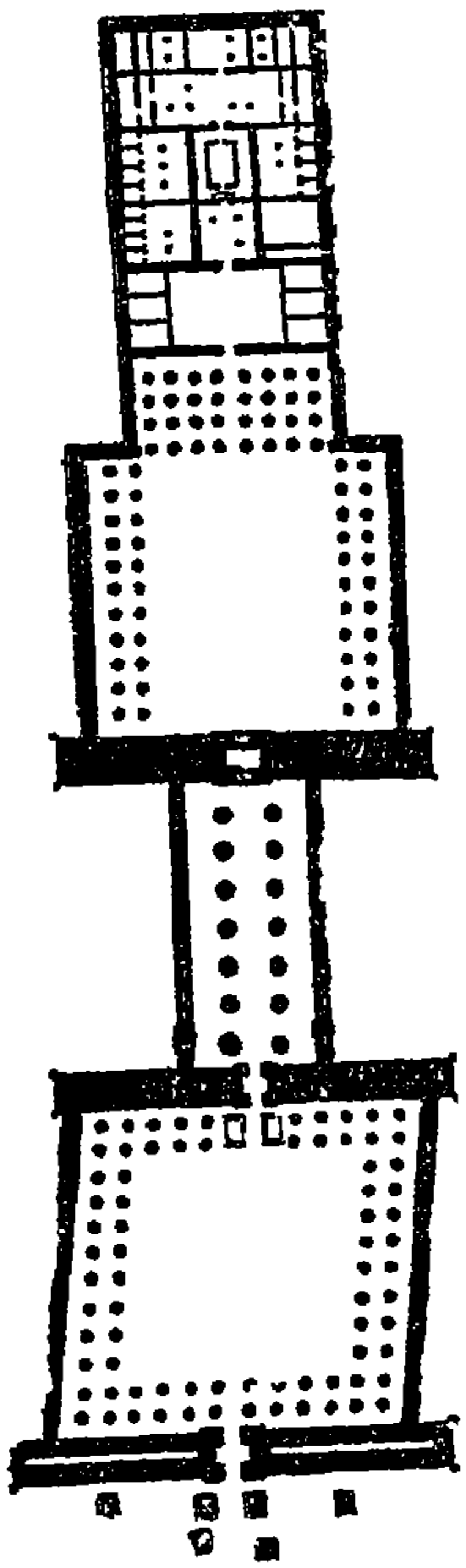
الحجم ، ولولا ذلك لكانت المسلات الجرانيتية العظيمة التي كانت توضع أمامها غير ملائمة لها . ومن أهم آثار هذا العصر المبد الصغير الذي أقامه ملوك الامنمحت والسنوسرت في الكرنك تكريما للاله آمون ، فكان نواة للبنى التي تنافس من بعدهم من الملوك في اقامتها في هذه الجهة

أما المعابد التي أقامها ملوك طيبة والبطالسة والتي لا تزال قائمة بيننا فتظهر للنظرة الأولى معقدة الأجزاء ، مختلفة الترتيب والنظام ، غير اننا اذا نظرنا اليها نظرة إمعان وجدناها ترجع الى شكل واحد معين ، يتكون من أربعة أجزاء متوالية : من (١) صرح (ونعني به ترجمة لمظة بيلون Pylone الافرنجية) (٢) فناء متسع على جوانبه بواكى مسقوفة (٣) قاعة للأعمدة ، ثم (٤) هيكل يحيط به عدد من الغرف

وكان يؤدي الى الصرح الأول طريق عريض صفت على جانبيه تماثيل أبى الهول على مسافات منتظمة ، مرتكزة على قواعد متجهة برؤوسها الى محور الطريق . وأطول طريق نعرفه من هذا النوع هو الطريق الذى كان يوصل بين معبد الاقصر ومعبد الكرنك والذى كان يزيد طوله عن ميل وربع ميل تقريبا . ومن المحتمل أن يكون قد قصد بوضع هذه التماثيل على جانبي الطريق أن تمثل أرواحا تحرس المعبد وتحوطه

وكان يقوم حول بناء المعبد سور من اللبن يقع الى خارجه طريق التماثيل . ويتكون الصرح من باب عظيم مستطيل الشكل يحيط به برجان شاهقان تنحدر جوانبهما . ويلاحظ أن الأبراج من الخصائص البارزة في المعابد المصرية القديمة

وكانت تحلى واجهة هذه الأبراج في الأعياد بعدد من الأعمدة الخشبية الملونة تطاير من أعلاها الشرائط أو الأعلام ، وعلى جانبي باب الصرح يوضع تماثلان للملك من الحرايت أو الحجر الجيرى أو الرمل ، ومسلتان من الجرانيت مرتكزتان على قواعد ذات حجم مناسب . وكانت توضع تماثيل أخرى في بعض الأحيان أمام أبراج الصرح . أما الفناء فقد كان يحيط به من ثلاث جهات ايوانات (بواكى) مسقوفة . ويلى هذا الفناء قاعة الأعمدة التي كانت تتصل بالفناء عادة بصرح آخر . وكان الفناء وقاعة الأعمدة التي تليه تجمع الناس في الحفلات والأعياد ، وفي أحدهما أو كليهما كانت توزع الحيوانات المذبوحة والصدقات . أما الجزء الذى يقع خلف قاعة الأعمدة فربما كان مخصصا للكهنة ولأودية الطقوس المقدسة ، وفيه يقع الهيكل ، وهو حجرة يكتنفها الطلام من كل جانب ، ضيقة منخفضة السقف ، ولا يدخلها سوى فرعون والكهنة ، ولم يكن بها في العادة تماثيل أو



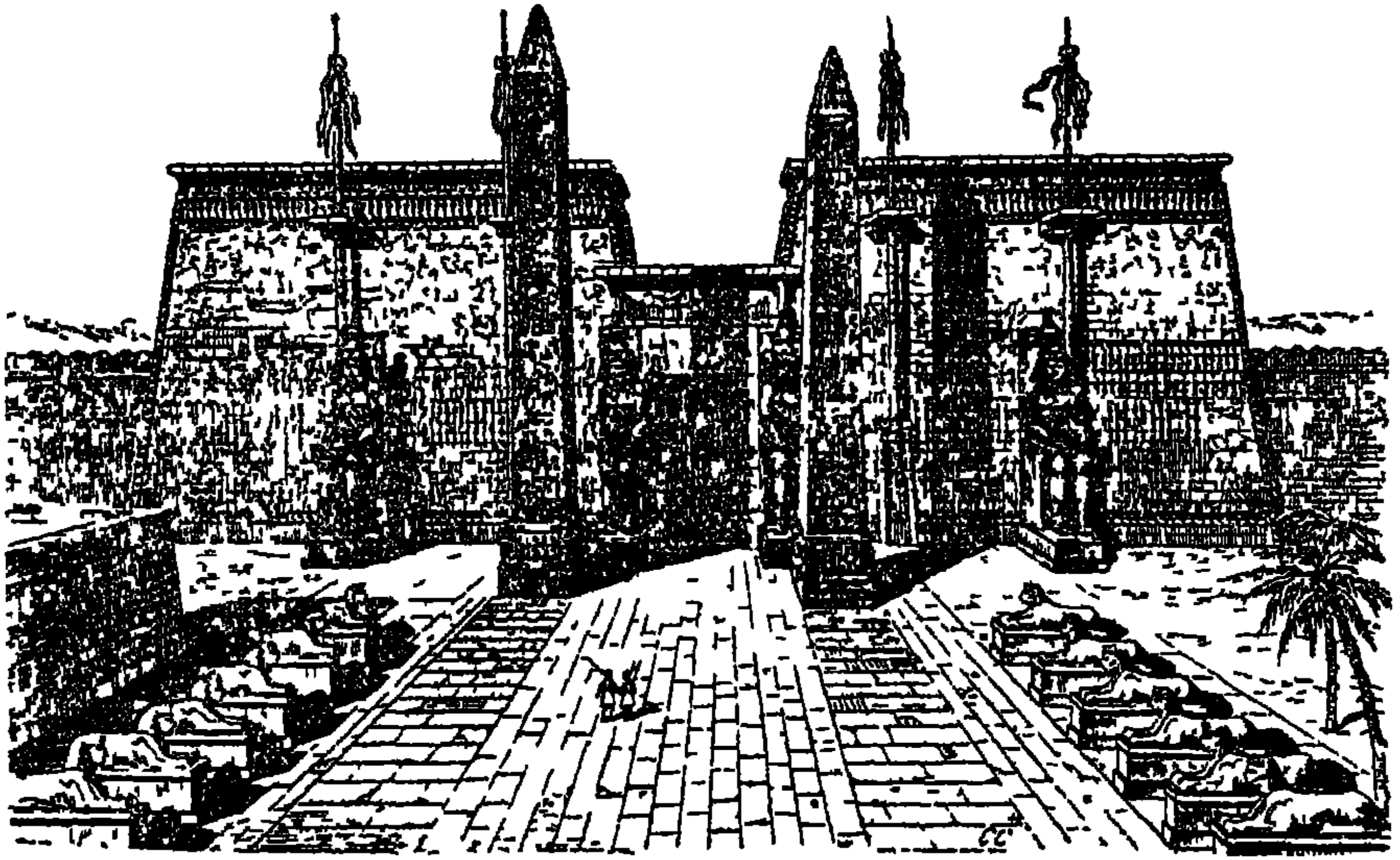
(شكل ٢١) معد الاقصر -- رسم مخططي له ، مع مقطع طولى ورسم بين حالته التى كان عليها فى الزمن القديم

رمز وانما زورق مقدس أو مظلة من الخشب الملون موضوعة فوق قاعدة . أما في الحائط فقد أحدثوا فجوة في كتلة من الحجر أعدوها ليوضع فيها تمثال الاله المحلى أو رمزه ، أو الحيوان المقدس الخاص بهذا الاله أو صورته وذلك في أيام معينة . وكان لا بد للمعبد أن يكون به هذا الهيكل أو قدس الاقداس ، بل اذا لم يكن بالمعبد سوى هذا الهيكل لما قل من الوجهة الدينية عن أعظم المعابد واكبرها . غير أنه من النادر وخصوصا في المدن الكبيرة ، أن تقتصر خدمة الآلهة على أداء الطقوس والفرائض في هذا الهيكل فكان يقام حول الهيكل (أو « بيت الاله » كتعبير اللغة المصرية القديمة) مجموعة من الغرف تخزن فيها أدوات الضحايا والطقوس كالازهار والعطور والزيوت والاولانى والاولعية وما إليها

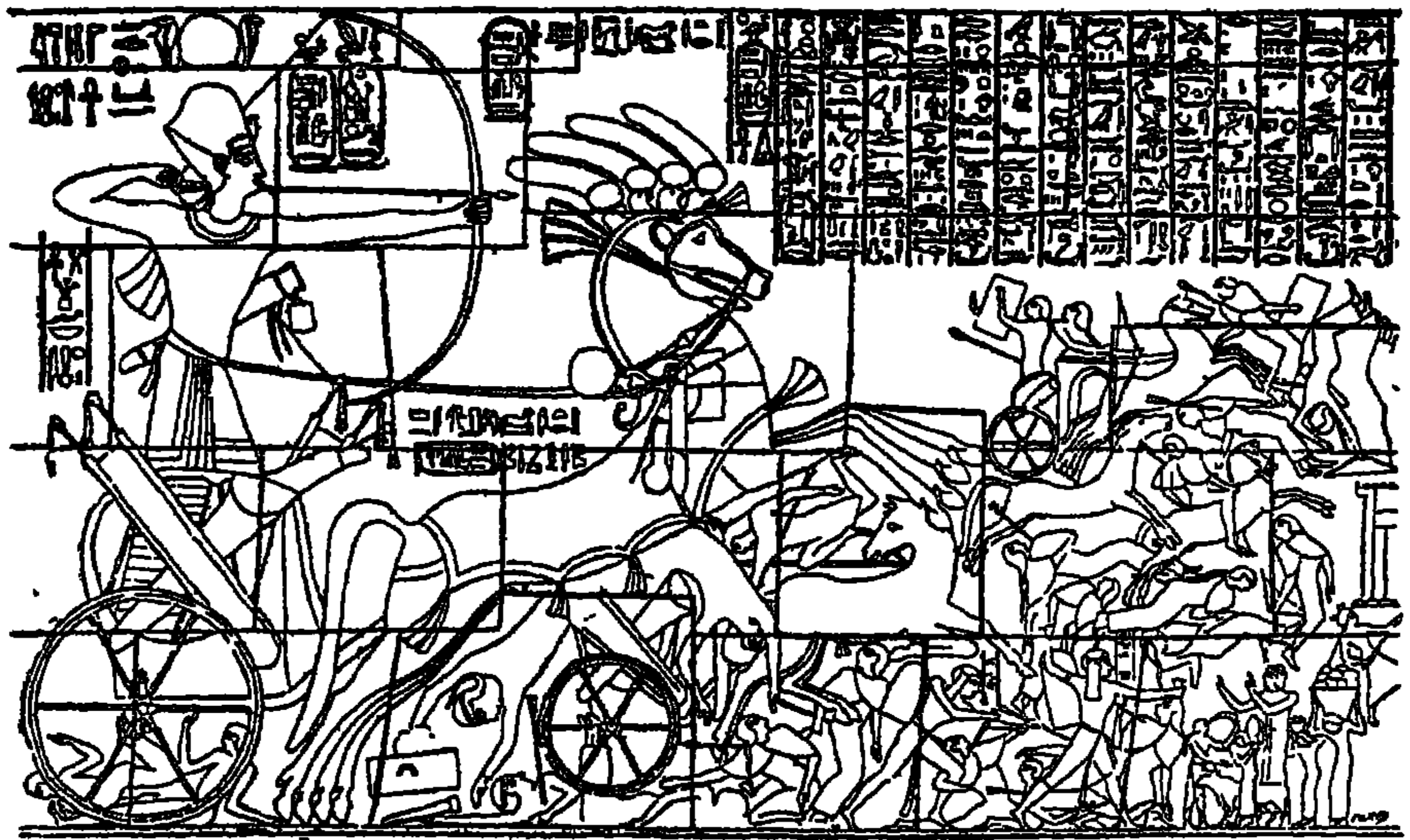
وفي الفضاء الذى يقع خارج حوائط المعبد ، ويدخل ضمن السور العام المبني من اللبن ، كانت توجد البحيرة أو البحيرات المقدسة (كما هو الحال في معبد الكرنك) حيث كان يستحم الزائر أو الحاج الى المعبد ، وتقام في مياهها مواكب الزوارق المقدسة هذا وصف موجز لاهم خصائص المعابد المصرية التى بنيت أو تجددت فيما بين ١٣٧٠ ق . م و ٢٠٠ ق . م ولم يكن كثير من المعابد الصغيرة التى بناها البطالسة قبل الميلاد بقرنين تقريبا سوى صور معدلة من المعابد الصغيرة التى يرجع تاريخها الى الجزء الاخير من الأسرة الثامنة عشرة . واذا درس المرء عدداً من المعابد فانه لاشك واصل الى الحقيقة الآتية : وهى أن المعابد لا يختلف بعضها عن بعض إلا في أمور صغيرة نسبياً خاصة بكل منها

الآن وقد تكلمنا عن المعابد الدينية كلاماً عاماً شاملاً ، فانتقل الى وصف أحد المعابد الشهيرة وهو معبد الاقصر ليوضح ما بيناه آنفاً (انظر شكل ٢١) كانت تقوم أمام الصرح ستة تماثيل لرئيس الثانى ، اثنان منها يمثلان الملك وهو جالس ، أما الاربعة الباقية فنمثله وهو واقف ، ولم يبق من هذه التماثيل الآن غير الاثنين الجالسين ، ويبلغ طول كل منهما ١٥ متراً ، وأحدهما وهو الواقع الى جهة الشرق مطمور بالأتربة الى صدره . وأمام هذين التمثالين كانت تقوم مسلمان من الجرانيت الوردى احدهما ناقية ، أما الأخرى (الغريبة) فيزدان بها ميدان الوفاق (بلاس دلا كونكورد) باريس منذ عام ١٨٣٦ ، والنقوش (١) التى عليهما وعلى الصرح تذكر أن رئيس الثانى

(١) وقد ذكر رئيس الثانى على المسلة بجميع اسمائه وألقابه



(شكل ٢٢) الواجهة الرئيسية لمعبد الاقصر ، كما كانت في الأصل

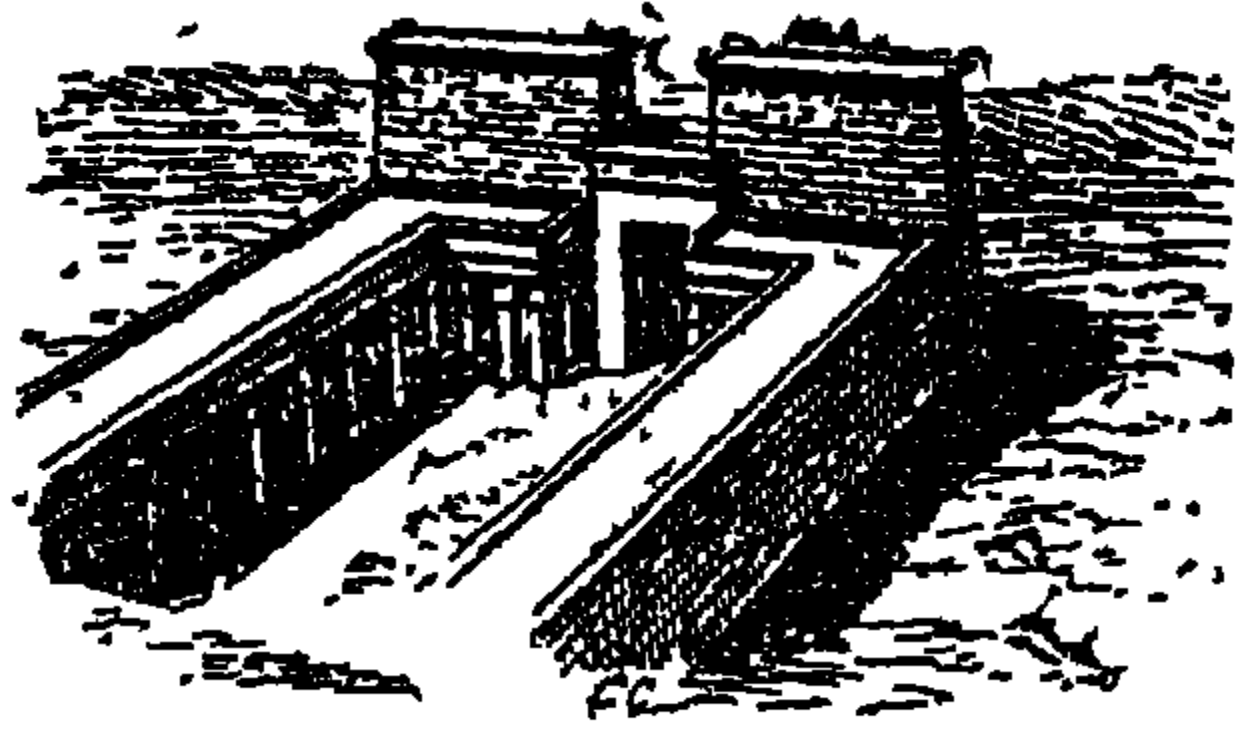
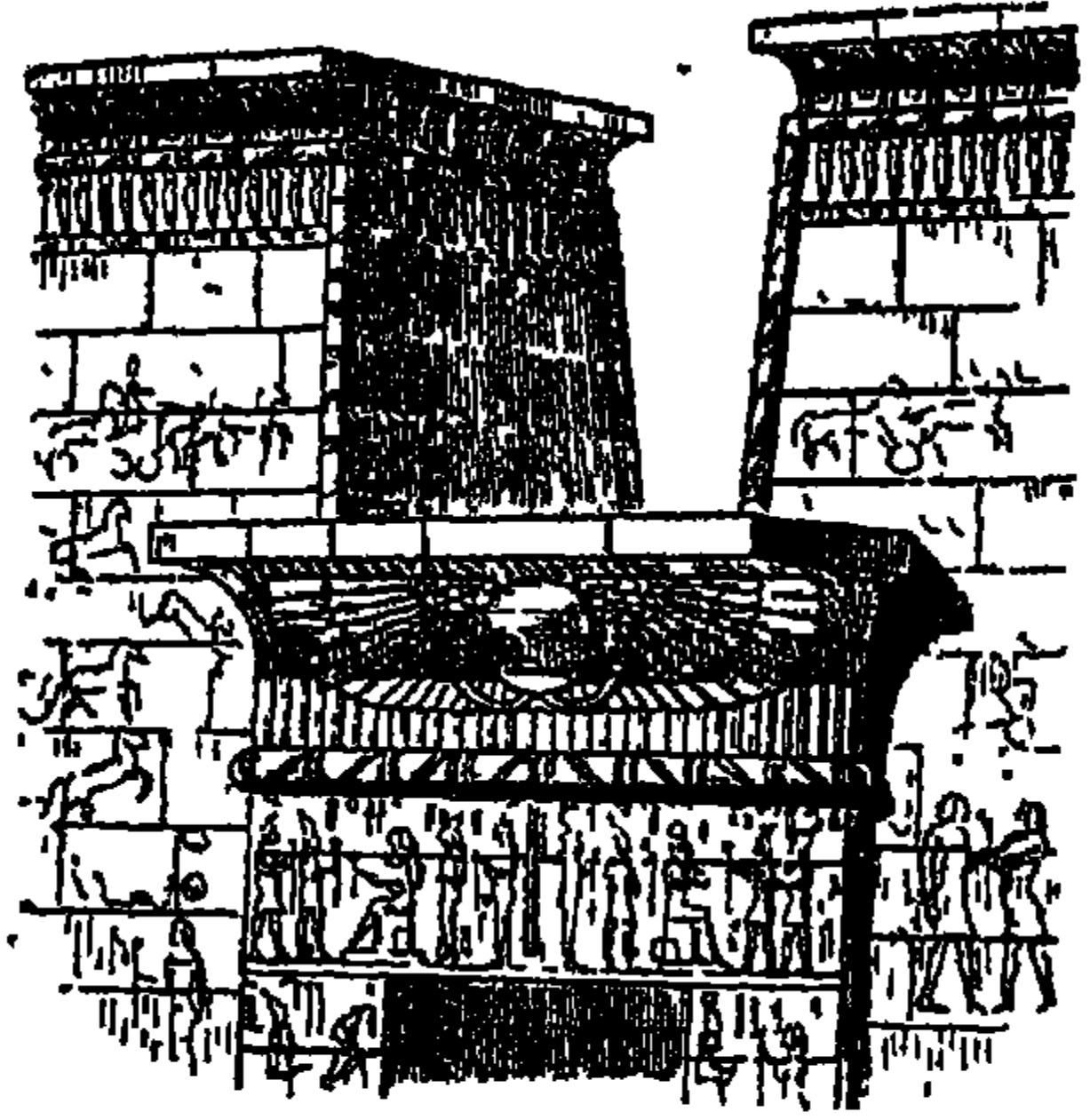


(شكل ٢٣) المعركة التي خاض غمارها رمسيس الثاني ، وقد وردت تفاصيلها على ابراج معبد الاقصر

هو الذى أقام هذا البناء العظيم تكريماً للاله آمون (أنظر شكل ٢٢)

وجدران الصرح (أو البرجان) الخارجية تزينها نقوش خاصة بالغارة التى شنها رمسيس الثانى على الحيثيين فى سوريا فى السنة الخامسة من حكمه . ولقد أثرت يد الزمان العاتية فى هذه النقوش والرسوم فمحت أكثر أجزاءها . وعلى البرج الأيمن (الغربى) يرى إلى اليسار الملك جالسا على عرشه يرأس مجلس الحرب المؤلف من أمراءه ، ويرى فى الوسط المعسكر وبه دروع الجند مرتبة بعضها إلى جانب بعض وقد أغار عليه الحيثيون ، ويرى إلى اليمين الملك فى مركبته يندفع إلى الهيحاء . أما الناظر الذى على البرج الأيسر (الشرقى) فتبين مشاهد المعركة نفسها ، مرتبة من اليمين إلى اليسار هكذا : الملك فى مركبته يشحن الأعداء الذين أحاطوا به

برماحه ويلهب أجسامهم بسهامه (أنظر شكل ٢٣) ثم الميدان مغطى بأشلاء الموتى والجرحى بينما الحيثيون يلوذون بالفرار إلى حصن قادش ، ثم تظهر قادش تحيط بها المياه والجند يزدحمون فى قلعتها ، للدفاع عنها ، وبعيداً عن ساحة القتال يقف ملك الحيثيين فى عربته يحيط به حرسه « خائفاً أمام جلالته » أى جلالة ملك مصر كما تقول النقوش



والى أسفل النقوش الموجودة على البرج الغربى وصف شعري طويل لمعركة قادش مكتوب فى خطوط عمودية ، ويعرف الآن بقصيدة « بنتاؤور » . ولها تكملة على البرج الشرقى يختفى جزء منه فى التراب

وعلى واجهة كل من برجى الصرح ثغرات كبيرة عمودية توضع فيها الأعمدة التى تحمل الاعلام ، وفوقها كوات كبيرة

(شكل ٢٤) رسمان يبين أولهما القسم الأعلى من صرح معبد الاقصر ويرى الطنف « الكورنيش » يزين بابه الواقع بين البرجين أما الرسم الآخر فيبين فناء هذا المعبد الذى يلي الصرح وهو محاط من جهاته الأربع « بيواكي » مسقوفة ذات أعمدة على شكل البردى

مربعة الشكل كانت توضع فيها الأربطة التي تمسك بأعمدة الاعلام هذه ، وتسمح كذلك بدخول الهواء والنور . أما الباب الذي يحصره البرجان فقد تهدم ، وتقع خلفه ساحة رمسيس الثانى ، وهى فناء عمار من جهاته الأربع بايوانات (بواكى) مسقوفة ذات أعمدة على شكل البردى (أنظر شكل ٢٤)

ولم تزل حتى الآن الأتربة التي تظمر الجهة البحرية منها لوجود مسجد قديم فيها يسمى مسجد أبى الحجاج

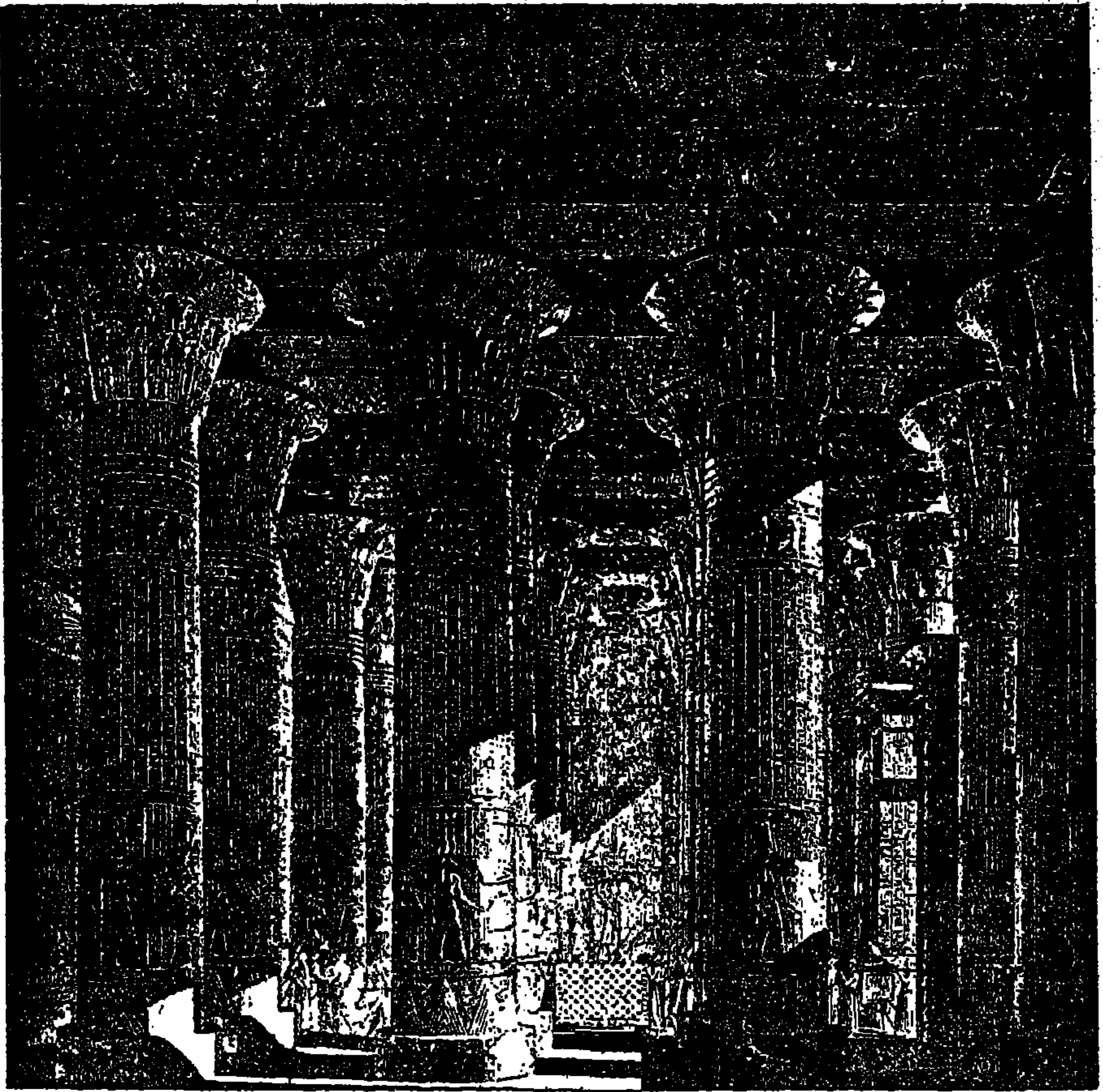
وجدران هذا الفناء مغطاة بالاناشيد والنقوش التي تمثل مناظر تقديم القران الى الآلهة ، ورسوم الشعوب المغلوبة على أمرها ، ومعظمها يرجع تاريخه الى عصر رمسيس الثانى . وعلى الجدار الجنوبي الغربى صورة واجهة معبد الأقصر بأبراجه وأعلامه وأمامه التماثيل والمسلات ، وقد أتجه إليها موكب يرأسه الأمراء ووراءهم حيوانات التضحية ، وتتمتع هذا المنظر على الحائط الغربى

ويبلغ طول هذا الفناء ٥٧ متراً وعرضه ٥١ متراً والنصف الجنوبي منه لا تزال فيه بقايا تماثيل لرمسيس الثانى موضوعة بين أعمدة الصف الأول ، وهى - ماعداً تماثلاً واحداً من الجرانيت الاسود - مصنوعة من الجرانيت الاحمر ، ومتوسط طولها سبعة أمتار . وعلى جانبي الباب المؤدى الى البهو ذى الاربعة عشر عموداً تماثلاً من الجرانيت الاسود للملك وزوجته ، وعلى قاعدتيهما رسوم الاسرى من الاسيويين والزنوج

ويتصل بهذا الفناء من الجهة الجنوبية بهو ذو أعمدة كان يقصد به فى الاصل أن يكون بداية قاعة كبيرة مسقوفة على مجموعة من الأعمدة ، ويوجد به الآن صفان من الأعمدة كل صف منهما سبعة أعمدة طولها ١٦ متراً ، وقد شيد هذا البهو أمونوفيس الثالث ، ولكن الملوك توت عنخ آمون وحارب وسق الاول ورمسيس الثانى وسق الثانى قد ذكروا أسماءهم على أحجاره . وقد زين توت عنخ آمون - وان كان اسمه قد عاه خليفته حارب ليضع اسمه مكانه - الجدران التي تحيط بالبهو بنقوش تمثل المهرجان العظيم الذي كان يقام فى عيد رأس السنة

ففى هذا اليوم كانت تخرج سفن الآلهة المقدسة من الكرنك وتسير فى النيل ذاهبة الى الأقصر ، ثم تحمل الى معبد الأقصر وتعاد الى الكرنك ثانية فى المساء . هذا المهرجان مصور هنا بجميع تفاصيله الشائقة ، وان كان قد زال جزء كبير من الصورة تهدم الجزء الاعلى من الجدران . وهو يبدأ من الركن الشمالى الغربى للبهو وينتهى فى الركن الشمالى الشرقى

ويتصل هذا البهو الى فناء ثان بناه الملك أمنوفيس الثالث ، يبلغ طوله ٥٥ متراً وعرضه ٥١ متراً ، وتحيط به من ثلاث جهات إيوانات (بواكى) مسقوفة ذات أعمدة على شكل البردى ، لها هي وأعمدة البهو منظر من ناحية النهر رائع جميل ويتصل بهذا الفناء قاعة الأعمدة المسقوفة على ٣٢ عموداً مربعة في أربعة صفوف كل صف منها يتكون من ثمانية أعمدة . ونرى على الحائط الشرقى الملك أمنوفيس الثالث أمام آلهة طيبة ، وعلى الجزء الأدنى من الحائط الولايات المصرية ممثلة في أشخاص يقدمون الهدايا . ويتصل بهذا الدهليز رحبة صغيرة كان بها ثمانية أعمدة يحيط بها



(شكل ٢٥) رسم يبين ما كان عليه معبد مصرى من عصر البطالسة فى أثناء القيام بالطقوس الدينية (هذه القاعة هى احدى قاعات معبد اسنا وقد جددت هنا فى الرسم وكلت بشكل يجعلنا نتصور ما كانت عليه هذه القاعة فى الزمن القديم من عظمة وفخامة)

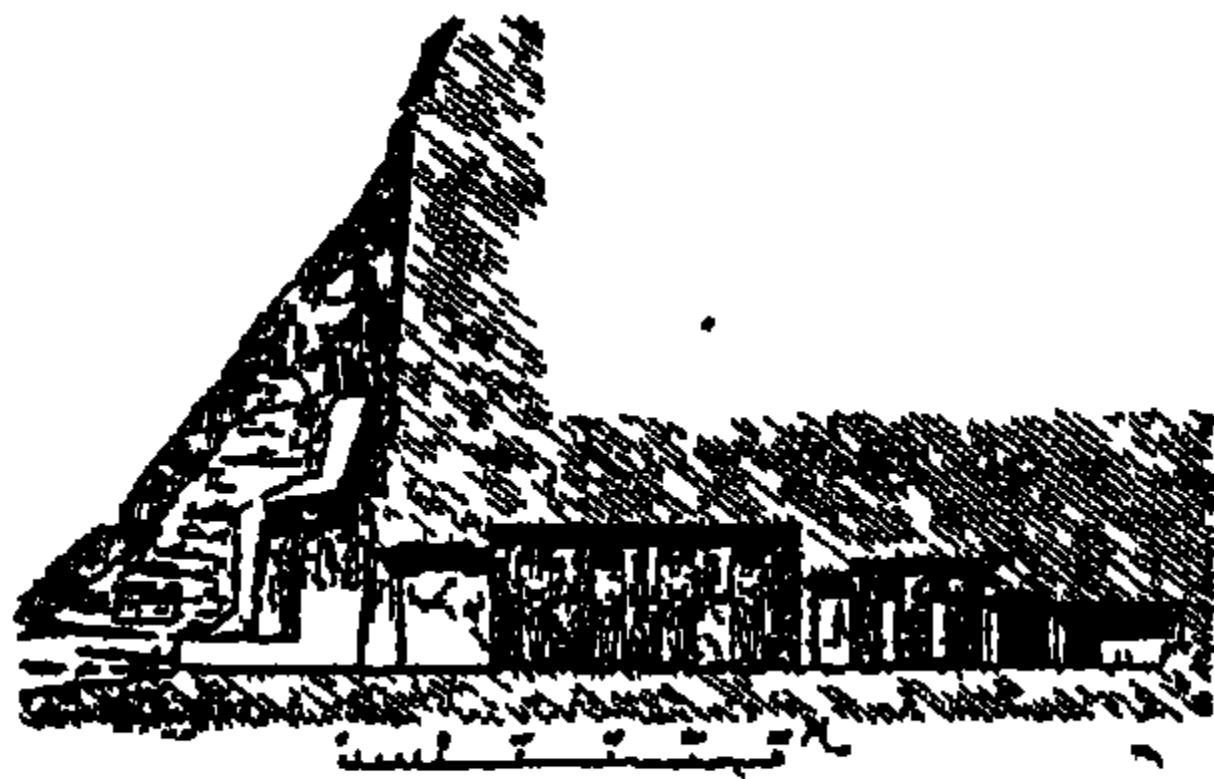
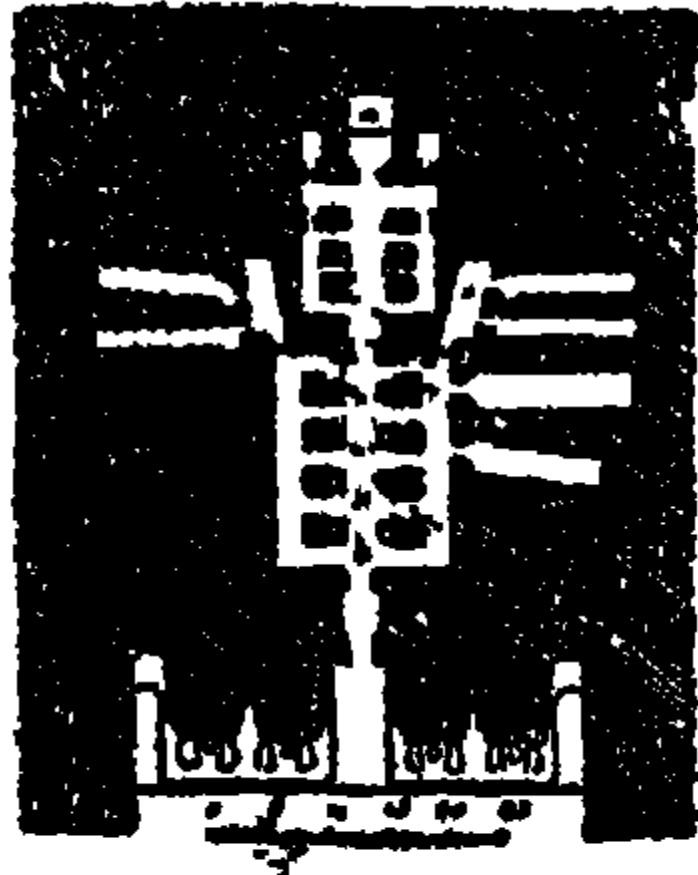


(شكل ٢٦) واجهة معبد « حتحور » المحفور في الصخر بأبي سمبل ، وهو يعرف بمعبد ابوسمبل الصغير . وقد أقامه رمسيس الثاني تكريماً للملكة نفرتاري . أما التماثيل التي ترى بواجهة المعبد فيبلغ ارتفاعها عشرة أمتار وتمثل أربعة منها الملك رمسيس الثاني . أما التمثالان الآخران فهما يمثلان زوجته الملكة نفرتاري ، وهذا الرسم الذي يرينا واجهة المعبد كما كانت في الزمن القديم ، يرينا في الوقت نفسه رصيف المعبد الذي كانت ترسو عليه السفن في الأعياد والاحتفالات المقدسة

حجرتان صغيرتان إحداهما للالهة (موت) والأخرى للاله (خنس) . وتليهما غرفة كان بها أربعة أعمدة ، ووراءها الهيكل المعروف بهيكل الاسكندر الأكبر لأنه قام بتجديده وأعاد بناءه ، وكان يوضع فيه مركب أمون المقدس

وتمثل النقوش التي تغطي جدران الاسكندر أمام أمون وسائر الآلهة ، أما نقوش الغرفة التي بها الهيكل فتمثل أمنوفيس الثالث أمام آلهة طيبة المختلفة وكانت هناك غرفة في آخر البناء هي الهيكل الأصلي القديم ، وتحيط بها غرفتان كانتا مخازن للعطور والزيوت والأواني المقدسة التي كانت تتخذ في أداء الطقوس الدينية ولا يفوتنا أن نذكر أنه كان هناك طريق مرصوف يكتشفه صفان من تماثيل الكباش أمام كل منها تمثال صغير لامنوفيس الثالث . وهذا الطريق يصل ما بين هذا المعبد ومعبد الكرنك . ويمكن تتبع آثاره الباقية الى جانب السوق في شمال القرية وإلى جانب معبد « خنس » بالكرنك

ولا يمكننا أن نختم هذا الفصل دون أن نشير الى المعابد التي كانت تنحت في الصخور



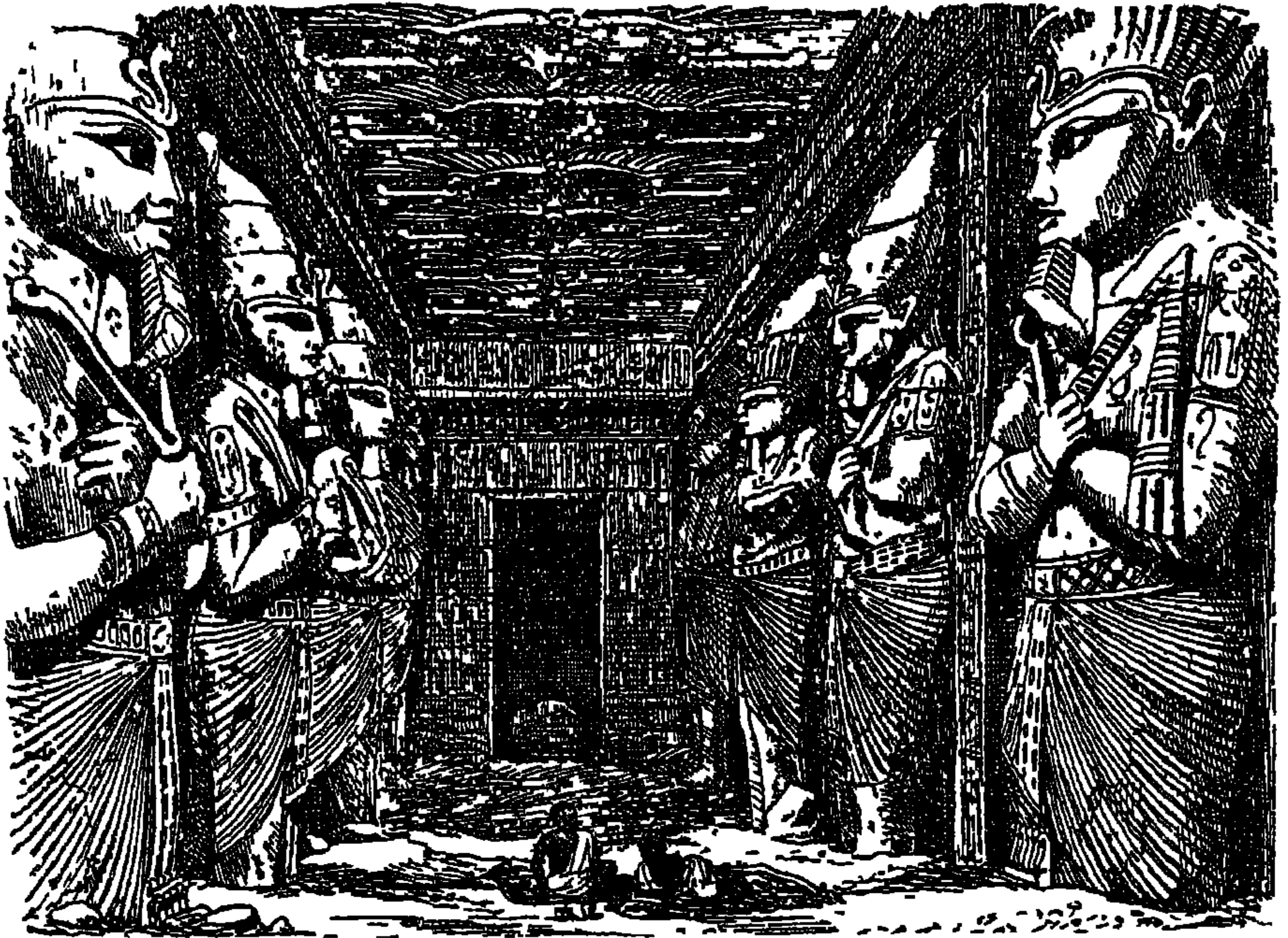
(شكل ٢٧) معبد أبو سمبل الكبير . رسم تخطيطي له مع مقطع طولي يبين أجزائه من الداخل

ومن المحتمل أن الفراعنة تساءلوا فقالوا : اذا كنا نحفر بيوت الأموات (أى المقابر كما كانوا يسمونها) في الجهات الجبلية . فلماذا اذن لا نحفر فيها بيوت الآلهة (أى المعابد) . وربما جاءت هذه الفكرة في العصور المتأخرة . لاتنا لا نجد أمثال هذه المعابد فيما قبل الاسرة الثامنة عشرة ، وإن كنا لا نقطع ولا نجزم بعدم وجودها قبل هذا التاريخ . وكانت توجد عادة في الجهات التي تضيق بها الاراضي المزروعة مثل بني حسن (وبها معبد سيبوس أرتميدوس الذي بناه تحتتمس الثالث للالهة بخت) وجبل السلسلة (وبه معبد حارحب) وبلاد النوبة وبها معبد

« حتخور » الذى يعرف بمعبد أبى سمبل الصغير ومعبد أبى سمبل الكبير (شكل ٢٦) .
وهذه المعابد المحفورة فى الصخور تشبه المعابد المبنية مع شىء من التعديل وفق الاحوال
المحلية ، وينطبق هذا بوضوح على معبد أبى سمبل الكبير - الذى حفره رمسيس الثانى -
(شكل ٢٧) وقد نحتت واجهة هذا المعبد فى الصخر بحيث تشبه الصرح المنحدر
المتوج بطنف (كورنيش) كبير يحرسه أربعة تماثيل جالسة لرمسيس الثانى ارتفاع كل
منها ٢٠ متراً . ورغمما عن أن هذه التماثيل أعظم من تماثيل ممنون إلا أنها قد نحتت
نحتاً دقيقاً بارعاً (شكل ٢٨) وإذا مر المرء من الباب دخل رحبة أولى يبلغ طولها
١٧ و ٧٠ متراً وعرضها ١٦ و ٤٣ متراً تقابل الفناء المعتاد وجوده فى باقى المعابد .
وبها ثمانية أعمدة تستند عليها تماثيل لرمسيس الثانى تمثله على هيئة أوزوريس يبلغ
ارتفاعها عشرة أمتار وتظهر كأنها تحمل الجبل على رؤوسها (انظر شكل ٢٩)
وخلف هذه الرحبة تقع (١) قاعة ذات أعمدة (٢) ثم دهليز يفصل الهيكل عن
باقى المعبد (٣) ثم الهيكل نفسه بين غرفتين صغيرتين . ويبلغ طول المعبد كله من الباب
الى نهاية الهيكل نحو ٥٥ متراً



(شكل ٢٨) واجهة معبد أبي سمبل الكبير وقد نحتت في الصخر بحيث تشبه الصرح المسحدر المتوج
بـ « كورنيش » كبير يحرسه كالمعتاد أربعة تماثيل جالسة لرمسيس الثاني ، طول كل منها ٢٠
متراً ورغم أن هذه التماثيل أكبر من تماثيل ممون إلا أنها قد نحتت نحتاً دقيقاً بدرجة مذهلة



(شكل ٢٩) القاعة الرئيسية بمعبد أبي سمبل الكبير (المحفور في الصخر) وبها ثمانية أعمدة
تستند عليها تماثيل لرمسيس الثاني تمثله على هيئة أوريريس يبلغ ارتفاعها عشرة أمتار ، تظهر
كأنها تحمل الجبل على رؤوسها

الفصل الرابع

العمارات الجنازية

ما من أمة حديثة أو قديمة عنت بأمر موتاهها عناية المصريين القدماء بموتاهم ، وما دعا المصريين الى بذل جهدهم وثروتهم في اعداد مقابرهم (أو منازلهم الخالدة على حسب التعبير المصرى القديم) إلا اعتقادهم الراسخ بفكرة الخلود ورغبتهم في حفظ الجثة حتى يظل القرين (الكا) حالا فيها

ذلك أن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن الانسان مكون من جملة قوى ، لكل منها وظيفتها ، ولكل منها حياتها . فالى جانب الجسم ، وهو الجزء الظاهر المنظور من قوى الانسان يوجد القرين أو (الكا) الملتصق به . وال (كا) عند المصريين هو شبح للانسان من مادة خفيفة لا ترى كالأثير ، وكان هذا القرين يشبه صاحبه كل الشبه ، وكان قرين الطفل طفلا ، وقرين الشيخ شيخاً ، بل كان قرين الاعور أعور وقرين الاصم أصم . .

والى جانب «الكا» أو القرين كان للانسان ما يسمى (البا) أى الروح أو النفس ، وكانوا يصورونها في شكل طائر له رأس انسان . يضاف الى هذا جزء آخر يسمى (آخ) أو الظل المنير ، ثم اجزاء اخرى تقل عن هذه في اهميتها وهذه الاجزاء أو القوى التى ذكرناها كانت قابلة للفناء اذا أهمل أمرها ، فاذا فئت مات الشخص مرة ثانية ، أو بعبارة أخرى أمحى وجوده

وكان بقاء القرين (الكا) حيا متوقفا على بقاء الجسم وحياته . ولكي يحتفظ الجسم بكيانه حنطوه ووضعوه في مقابر محصنة ، تباعد بينه وبين اللصوص وتمنعهم عن الوصول اليه ، وهى مقابر تعمدا ببناءها أو حفرها في الجهات الحافة أو الجبلية لكي تكون بعيدة عن الرطوبة ، لان الرطوبة تحلل الاجسام وتفسد التحنيط ، ووضعوا في

هذه المقابر الباطنية المحصنة جثث موتاهم ، وبذا ضمتوا خلود الجسم والقرين والقوى
الآخري ، وكانوا الى هذا يؤدون الصلوات ويقدمون القرابين في مقابر موتاهم ليحفظوا
حياة القرين (السكا) والروح (البا) والظل (الآخ) ،
وكان القرين يلزم المكان الذي وضعت فيه الجثة ، أما الروح والظل فكانا
يتحركانه ليتصلا بالآلهة ويسيرا في حاشيتها ، إلا انهما كانا يعودان الى المقبرة ليزورا الجثة
من حين الى حين

وكان المصريون يعتبرون المقابر بيوتاً لهم ، حتى اطلقوا عليها اسم (البيت الأبدى)
أما بيوتهم في الحياة الدنيا فأشبهه بفنادق ينزلون فيها فترة من الزمن ، حتى يأتي الوقت
الذي ينتقلون فيه الى منازلهم الأبدية ، أي المقابر

وكان ترتيب هذه المقابر ونظامها يوافق فكرتهم عن الحياة المستقبلية . فكانوا
يعدون فيها مكاناً للروح . وآخر للقرين ، وأمكنة يجتمع فيها الأهل والاقارب ، ويقوم
فيها الكهنة بالطقوس الدينية من صلوات وتقديم قربانين . وكانت هذه الاجزاء التي
تتكون منها المقابر تختلف باختلاف العصر والجهة التي بنيت فيها ودرجة غنى الشخص الذي
شادها . فكان الجزء المعد لاجتماع اقارب الميت يبني عادة على سطح الارض منفصلاً عما
حوله وقائماً بذاته . على انه قد حفر هذا المزار - أي الغرفة المعدة لاجتماع الأهل - في
الصخر الذي حفرت فيه المقبرة كلها . وهناك أحوال أخرى حفرت فيها غرفة الدفن
والدهاليز الموصلة اليها في جهة جبلية ، بينما بني مكان تقديم القرابين واداء الصلوات في
جهة أخرى تبعد عنها قليلاً

ومهما اختلف نظام المقابر وتعددت طرق بنائها فكلاً كانت بيوتاً أعدت لتضمن
لساكنها طيب الحياة وخلودها

مقابر عصر ما قبل الاسرات

لم تكن المقابر في هذا العصر سوى حفر بسيطة ، اما يضاوية أو مستديرة . وكان
عمقها لا يتجاوز المترين عادة ، على انها كانت تختلف اتساعاً وأيضاً حسب مقدرة الشخص
ورغبته ، فمنها ما حفر حفراً مستطيلاً وبلغ طوله أربعة أمتار وعرضه مترين . وكانت
تهال الرمال على الجثة فتختلط بها ، ولم تنشأ على هذه الحفر ابنية أو شاهد ، على أنه
في أواخر عصر ما قبل الاسرات كانت تغطي الجثة بملاط من الطين ثم تهال عليها الرمال
أو كانت تحاط المقبرة ببناء بسيط من اللبن

ولما كان حجم المقابر صغيراً
فقد وضعوا الميت على هيئة القرفصاء ،
(أى تنثنى الركبتان الى الصدر وتقرب
أحياناً من الوجه حتى تشبه وضع
الجنين) ، راقداً على جنبه الأيسر ورأسه
متجه الى الشمال أو الجنوب ، وهذا
هو أقدم شكل لدفن الميت ، على أن
هناك شكلاً آخر وجدت فيه العظام
مفككة ومبعثرة (شكل ٣٠)



ولا نريد أن نعرض للبحث فيما
إذا كان اختلاف طريق دفن الموتى
راجعاً الى اختلاف الجنس أو اختلاف
العصر . وإن كان الاحتمال الثانى هو
الأرجح ، وإنما يكفى أن نذكر أن
الجثث كانت تلف عادة فى جلد الغزال
أو فى شيء يشبه الحصر . على أنه قد
وجد كثير من الجثث التى تفككت
أجزاءها موضوعة فى أوعية فخارية

(شكل ٣٠) شكل من أشكال مقابر عصر ما قبل
الأسرات ، ونرى فيه العظام مفككة ومبعثرة

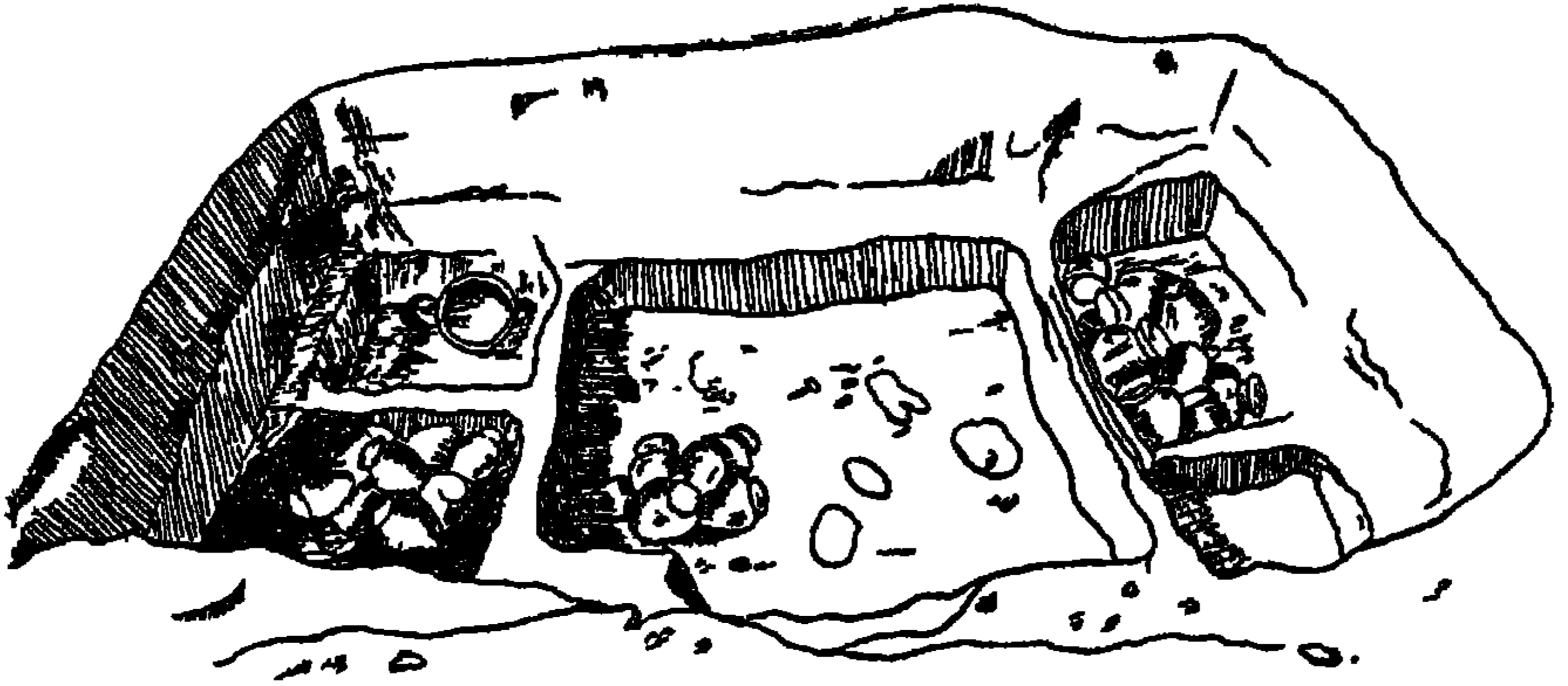
كبيرة ذات قواعد منبسطة وبها فتحة صغيرة فى الجزء الأعلى منها ، كما وجدت أمثال
هذه العظام المفككة موضوعة فى صناديق مستطيلة من الفخار

وكانوا يضعون حول جثث الميت ، أثاثه الجنائزى وهو مجموعة من الأواني توضع
فيها اللحوم والخضر والحبوب (وخاصة الشعير) والأشربة وغيرها مما يدل على أنهم كانوا
فى هذا العصر - عصر ما قبل الأسرات - يؤمنون بحياة مقبلة خالدة . وإلى جانب هذه
الأواني مجموعة من أدوات الحرب كالرمح والأسنة والسهام ، ومجموعة من أدوات
الزينة كالعقود - التى كانت تتخذ جباتها من الحجر الجيرى والكوارتز والشست ،
أو الأحجار الكريمة كالعقيق والأمايثست - والأساور والأمشاط التى كانت تصنع من
العاج والعظم والصدف

وقد وجد في كثير من المقابر الى جانب رأس الميت ألواح من الشست الأخضر متعدد الاشكال ، فمنها المربع والمستطيل ، ومنها ما يماثل في شكله الحيوان أو الطير كفرس البحر والسحفاة والسمة والعصفور . وكانت تستعمل كألواح يصحن عليها الكحل الأخضر بقطعة من (الزلط) وكان الرجال والنساء يتكحلون على السواء . وقد وجدت هذه الألواح عالقة بها آثار الكحل ظاهرة بجلاء

ولقد عرض الاستاذ « بدج » في كتابه عن تاريخ مصر لهذه المقابر فقال :
« أما البارزون في الهيئة الاجتماعية فكانت تدفن بجثهم في حفر غير عميقة على حافة الصحراء . ولم يكن لهذه الحفر شكل معين خاص ، وإن كان يغلب أن تكون يضاوية الشكل ، وكان يقترب بعضها من بعض كثيراً . وتوجد الجثة في الغالب ملقاة في الأرض على جانبها الأيسر ورأسها متجه الى جهة الجنوب . أما الركبتان فمثنيتان على مستوى واحد مع الجزء الأعلى من الصدر ، واليدان موضوعتان أمام الوجه . وإلى جانب الجثة عدد من أواني الفخار مبعثرة ، وهي تملأ غالباً بأنواع الطعام ، كما توجد الأسلحة والمدى وغير ذلك من الأدوات التي كان يتخذها المتوفى في حياته . وكانت تلف الجثث أحياناً في حصر مضمورة من الغاب ، وأحياناً في جلود الحيوانات . ولقد وجدت في بعض هذه الحفر جثث حرق بعض أجزائها قبل الدفن ، وفي أكثر هذه الحفر كانت عظام الهيكل العظمى مبعثرة هنا وهناك مختلطة ممتزجة ، حتى يظن البعض أن هذه الجثث جزئت عظامها وفكت أطرافها قبل دفنها ، ولهذا الظن ما يؤيده في عبارات كثيرة من نصوص على الأهرام وفي أجزاء شتى من كتاب الموتى يصرح فيها الميت طالباً أن تجمع عظامه ولحمه ، وأن يضم رأسه الى جسده مرة ثانية ، ولا داعي لهذه الصلوات والتوسلات ما لم تكن عقيدتهم أن أعضاء الجسم تفكك قبل دفنها

« وكانت الجثث تدفن أحياناً في توابيت من الفخار مختلفة الاشكال والاحجام . وهناك حقيقة واضحة تستخلص من شتى أساليب الدفن في العصر الحجري الحديث ، هي أن المصري في عصر ما قبل الأسرات كان يعتقد بحياة مستقبلية . فلقد كانت كميات من الطعام توضع في المقابر الى جانب الموتى ليتناولوا منها في أثناء انتقالهم من هذا العالم الى العالم الآخر ، ومجموعة من المدى من الظران (الصوان) وغيرها من الأدوات المختلفة ليتخذوها عند ما يباشرون الصيد أو يقاتلون الأعداء »



(شكل ٣١) مقبرة من مقابر العصر التيني ، وترى بها الجثة في
الغرفة الوسطى وحولها الجرار التي تتناثر أيضاً في الغرف الجانبية

العصر التيني

اختر أمراء تينيس (طينة) لمقابرهم منطقة رملية تشرف عليها الجبال في المكان الذي أصبح يعرف فيما بعد ببايدوس . وأقدم هذه المقابر - ونعني بذلك مقابر ملوك الاسرة الاولى الاوائل ومن سبقهم - لم تكن سوى حفر كبيرة مستطيلة اقتطعت في أرض الصحراء لا يتجاوز طولها خمسة أمتار وعرضها سبعة أمتار ، وعمقها ثلاثة أمتار على وجه التقريب . ولكي يمنعوا انهيار الرمال من جوانب الحفرة واختلاطها بالجسم بنوا حوائط من اللبن غطوها بعوارض من الخشب تسندها أعمدة خشبية تطمر بالتراب بعد ذلك فتختفي المقبرة عن الانظار

مقابر الملوك

كانت هذه المقابر بسيطة البناء إلى حد أنها لم تكن تمتاز عن مقابر الأفراد . وهذا ما دعا الملوك إلى اتخاذ مقابر كبيرة تميزاً لها عن مقابر سواهم فمنذ منتصف الاسرة الاولى نجد أحجام هذه المقابر تكبر وتزيد طولاً وعرضاً وعمقاً ونجد الملوك لا يكتفون بحوائط اللبن مسقوفة بأخشاب تغطي الحفر بل أخذوا يفرشون أرض المقبرة ، ثم يضيفون درجا (سلماً) من اللبن يهبط إلى أسفل الغرفة ، ثم يبنون حول الغرفة الرئيسية سلسلة من الغرف الصغيرة تخزن فيها أواني الجبوب واللحوم والفواكه ، وقدور النبيذ والزيت والسوائل ، وكذلك الأدوات والعقود والاساور . . . الخ

ثم يهيلون التراب على هذا كله في كتيب صغير يضعون عليه لوحة كتب عليها بحروف كبيرة اسم الملك لتدل على مكان مقبرته

وأظهر مثال لذلك مقبرة الملك « قع » باييدوس

على أن أهم مقابر هذا العصر المقبرة الباقية في نقادة ، بين أييدوس والاقصر . فهي لم تحفر في الرمال وإنما هي بناء يعلو وجه الأرض ، ويخيل الى من يراه من بعيد أنه مصطبة من مصاطب الدولة القديمة ، ولكن حفائر السيودي مورجان أثبتت أن هذه المقبرة هي لملك من أقدم ملوك الأسرة الأولى ، ظنه البعض الملك « مينا » ، ولو أن الأرجح أنها لاحد خلفائه « أتت ككنكس »

وهذه المقبرة مستطيلة الشكل وكلها من اللبن ، ويبلغ طولها ٥٤ متراً وعرضها نصف ذلك ، وقد زينت حوائطها الخارجية بنتوءات منتظمة على شكل مستطيلات

مقابر الأشخاص

أما مقابر الأشخاص فقد ازداد حجمها قليلاً عما كان عليه في العصر السابق ، ولكنها ظلت محتفظة ببساطتها . وكانت مستطيلة أو مربعة ، تحيط بجوانبها جدران من اللبن يغطيها سقف من الخشب أو عوارض من الأحجار وتشمل في بعض الأحيان عدة غرف تخزن فيها الجرار والأواني ... الخ . وكانت توضع فيها الجثة على الجانب الأيسر ، ورأسها متجه الى الجنوب (أنظر شكل ٣١)

مقابر الدولة القديمة

المصاطب

هي أبنية مستطيلة الشكل يكثر وجودها في جبانة منفيس التي تمتد الآن من أبي رواش شمالاً الى دهشور جنوباً ، أي مسافة يزيد طولها على خمسة عشر ميلاً ويتراوح عرضها بين ميلين وميلين ونصف ميل . فهي على الأرجح أكبر جبانة في العالم ، وكانت خاصة بمنفيس - أكبر المدن المصرية في ذلك الوقت - وما جاورها من القرى والضواحي ويختلف حجم هذه المصاطب ، فمنها ما يتراوح ارتفاعه بين عشرة أمتار وثلاثة عشر متراً ويبلغ طوله خمسين متراً وعرضه ٢٧ متراً ، ومنها ما لم يتجاوز ارتفاعه ثلاثة

أمتار وعرضه خمسة أمتار وطوله ثمانية أمتار ، وأوجهها الأربعة منحدره . وهذا ما دعا البعض الى أن يزعم أن المصاطب ما هي الا اهرامات غير كاملة ، والمصاطب إما أن تكون مبنية من قوالب اللبن أو من الحجر الجيري ، وكانت المصاطب الحجرية على ثلاثة أنواع : أفضلها ما يبنى من الحجر الجيري الناعم الأبيض المجلوب من طرة . ومنها ما يبنى من الحجر الجيري الأزرق الصلب المستخرج من سقارة . وأدناها ما يبنى من الاحجار المقطوعة من جبل ليبيا

أما اللبن فعلى نوعين كلاهما مجفف في الشمس . أحدهما مصفر اللون صغير الحجم مصنوع من الرمل والحصى المخلوط بالطمي . وثانيهما أسود اللون مصنوع من الطمي المخلوط بالتبن فحسب وحجمه اكبر من حجم النوع الاول

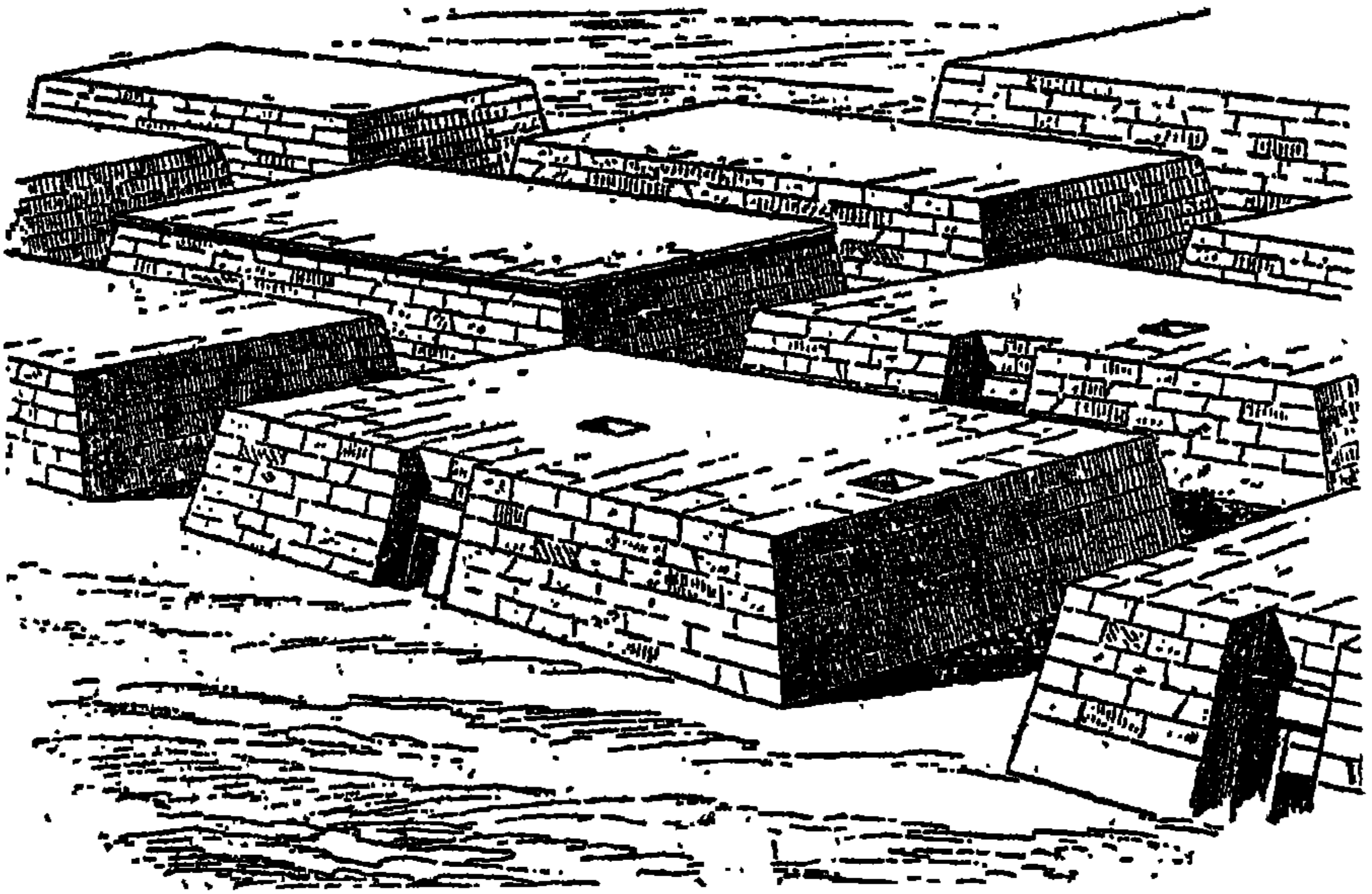
وكان نظام بناء الجدران يختلف باختلاف المادة التي أقيم منها البناء . ففي تسعة أعشار المصاطب المبنية من الحجر كان يعنى باستواء سطح الجدار الخارجى وحده . أما الجزء الداخلى منه فكان يحشى بالحصى ومتخلفات الاحجار التي توضع في مداميك أفقية بينها طبقات من الطمي . أو تكوم دون أن يربطها معا أى نوع من أنواع الملاط

أما المصاطب المصنوعة من اللبن فكانت في معظم الاحيان متجانسة الجدران . فكان اللبن المستعمل في واجهة الجدار يوضع به الملاط الكافي أما الفراغ الواقع بين المداميك في داخل الجدار فقد كان يملأ برمل ناعم

وكان يشترط في المصطبة أن تواجه جدرانها الجهات الأربع الأصلية وأن يجرى محورها الرئيسى من الشمال الى الجنوب . ولكن البناء في الواقع لم يبد عناية ظاهرة في الاتجاه صوب الشمال تماما وعلى ذلك كان اتجاه المصاطب الى الجهات الأربع غير دقيق غالبا

وأقيمت المصاطب في الجزيرة بطريقة منظمة . تفصل بينها شوارع مستقيمة (شكل ٣٢) على حين أنها في سقارة وأبي صير ودهشور بنيت مبعثرة على سطح الهضبة . يقترب بعضها من البعض في جهات ويبعد بعضها عن البعض الآخر في جهات أخرى . وكان بابها يواجه الشمال أو الجنوب في المعتاد لان المصريين كانوا يجتنبون توجيهها الى الغرب

وكان يجب أن يكون للمقبرة نظريا بابان أحدهما للميت والآخر للاحياء . أما في الواقع فلم يكن باب الميت سوى فجوة في الحائط طولها اكبر من عرضها يطلق عليها



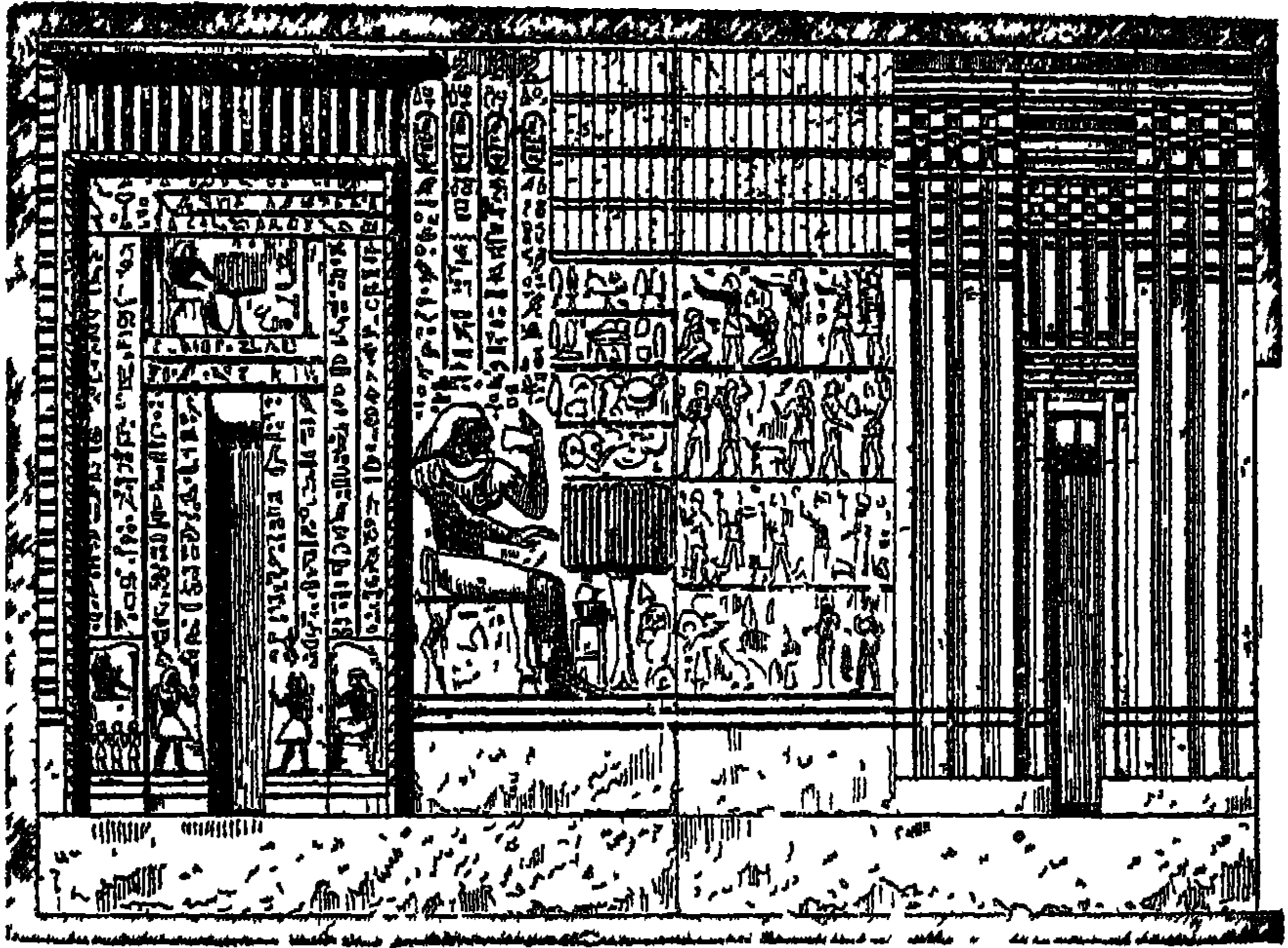
(شكل ٣٢) جانب من جبانة الجيزة وترى فيها المصاطب
وقد بنيت بطريقة منظمة ، تفصل بينها شوارع مستقيمة

اسم « الباب الوهمى » . أما باب الاحياء فكانت تختلف أهميته تبعاً لمساحة الحجرة التى يوصل اليها ، وكان يحاط الباب وتحاط الواجهة أحيانا بسور أقيم حول فناء مربع ، كما هى الحال فى مقبرة (كاعبر) أو حول فناء غير منتظم كما هى الحال فى مقبرة (نفرحتب) بسقارة . وفى المقابر التى لتشتمل على غرفة أو أكثر يفتح الباب أحيانا فى وسط الواجهة وأحيانا تحت ايوان صغير (بواكى) محمول على عمودين مربعين ليس لهما تيجان ولا قواعد ، ويكون الباب فى الغالب بسيطا تزين جانبيه نقوش تمثل الميت وتعلوه عتبة محفور عليها اسمه وألقابه ، ووراء هذا الباب دهليز يصل الى غرفة المزار - إذا صح أن نطلق عليها هذا الاسم - وهى إما أن تكون مستطيلة متعامدة مع الدهليز (بحيث تكون معه شكل حرف T) وإما أن يوصل هذا الدهليز الى غرفة توازيها غرفة أخرى يصل بينهما دهليز آخر ، وأما أن تكون الحال كما هى فى مقبرة (تى) حيث يوجد (ا) الايوان (البواكى) ذو العمودين وفيه المدخل (ب) غرفة مربعة يقوم على جوانبها اثنا عشر عموداً (ج) ثم دهليز على جانبه الأيمن حجرة صغيرة ، وينتهى هذا الدهليز الى غرفة أخيرة هى المزار وبه بابان وهميان لصاحب المقبرة ، أمام الجنوبى منهما مائدة قرابين لا تزال باقية ، وبذلك كان فى هذه المقبرة المكان الكافى لعدد كبير من الزائرين

وكان المزار حجرة استقبال القرين الخاصة ، فيجتمع فيها أقارب المتوفى وأصدقائه والكهنة ليحتفلوا بتقديم الضحايا والقرايين في الأيام التي يعينها القانون ، مثل أعياد بدء الفصول وعيد (تحوت) في رأس السنة ، وعيد «سوتيس» الكبير ، وفي يوم مهرجان الاله (مين) وفي أعياد الأشهر وأنصاف الأشهر وأيام الأسبوع . وكانت توضع الضحايا والقرايين على مائدة قرايين مبنية أمام الباب الوهمي ، الغائر في الحائط الغربي من المزار . وكانت توجد على عتبة الباب الوهمي العليا نقوش بحروف كبيرة تبين اسم الميت وألقابه ثم تحفر صورته على قائمتي الباب واقفا أو جالسا . وفوق الباب رسم يمثله جالسا أمام مائدة صغيرة مستديرة . وهو يمد يده الى الأكل الموضوع عليها (شكل رقم ٣٣) وكانوا يعتقدون أنه حالما يغادر الأحياء الغرفة (المزار) راجعين الى بيوتهم يأتي القرين (الكا أو ما يعبر عنه بالعامية روح الميت) ليأكل ويشرب

وكانت الطقوس تقضى بأن تقام هذه الاحتفالات كل عام الى الأبد . ولكن المصريين رأوا بعد قليل أن هذا أمر يتعذر تحقيقه فأهملوا بعد جيلين أو ثلاثة أموات الأيام الحالية لينتبهوا الى من مات حديثا . وحتى اذا أقيم بناء مقدس يصرف عليه من ريع وقف عبوس عليه لم يحل هذا دون اغفال أمر الميت يوما ما ، يخرج فيه القرين من المقبرة هائما على وجهه . يرتاد المدينة آكلا ما صادفه من القمامات والقاذورات ، ذاهبا الى أهله يروعههم أثناء الليل وينتقم منهم لنفسه . لهذا رأوا أن ينقشوا رسوم هذه القرايين على جدران المزار زعما منهم أن هذا يغني الميت عن القرايين نفسها . فاذا رأى القرين نفسه مرسوما على الجدار يأكل ويشرب ، أكل وشرب . .

وعندما قبل الناس هذه الفكرة واتخذوها ، سار رجال الدين والفنانون في تفسيرها شوطا بعيدا . فلم يكتفوا برسم المآكل والمشارب على الجدران ، بل أضافوا اليها رسم ممتلكات الميت وقطعانه وخدمه وعبيده وقصره وكل ما كان ينعم به في الحياة الدنيا . وبذلك لم يكن ثم داع الى وضع اللحوم . بل كان يكفي على اعتقادهم رسم ثور أو غزال يقطع القصاب نخذه أو صدره مثلا . ويرسمون الى جانب هذا رعاة الثور وصائدي الغزال . وهكذا الحال اذا رسموا الخبز أو الكعك فانهم يرسمون كذلك عملية حرث الأرض وإعدادها للبذر . ثم نمو النبات وحصاده وتذريته وخزنه وطحنه . الخ . وقس على ذلك ما يختص بالملايس والحلى والأثاث . فقد رسم الى جانبها النساجون والصائغون والنجارون . الخ . أما صاحب المقبرة - أي الميت - فكان يرسم رسما كبيرا جدا يمثله



(شكل ٣٣) الحائط العربي بمرار مصطبة « بتاح حتب » بصقاره ، وترى به الأبواب الوهمية والرسوم التي تمثل الميت صاحب المقبرة حالاً أمام مائدة القرايين

مشرقاً على خدمه وعبيده وعلى هذه المناظر كما كان يشرف عليها أثناء الحياة . لأنهم كانوا يعتقدون أن أداء الصلوات وقراءة النصوص الدينية تحول رسوم هذه الأدوات والمناظر الى أدوات ومناظر حقيقية فيجاء الميت ويأكل ويشرب محاطاً بكل ما كان له في دنياه العابرة

وهذه المناظر والصور لم توضع على الحدران عبثاً . بل كان يقصد بها عرض معين معروف . فجميعها يوحى الى هذا الباب الوهمي لاعتقادهم انه يصل بداحل القبر نفسه أى غرفة الدفن ، فما كان منها قريباً الى الباب فهو يمشى سائر القرايين والصحابا . أما مناظر إعداد الحيوان للذبح وتهيئة المواد لصعها فتوالى على العاقب متعددة عن الباب ، أما عند الباب نفسه فيرسم الميت ينتظر زائريه مرحباً بهم . ولسا نريد أن نذهب في تفصيل ذلك الى مدى بعيد ، بل نقول ان النصوص والنقوش كانت تتفاوت كثرة وولة حسبما يقصيه هرى الفنان أو الكاتب . بل ان الباب الوهمي نفسه قد استعصى عنه في بعض الاحيان بلوحة حجرية عليها اسم المتوفى ووظيفته . أما الزار - أى هذه الحرفة المبينة

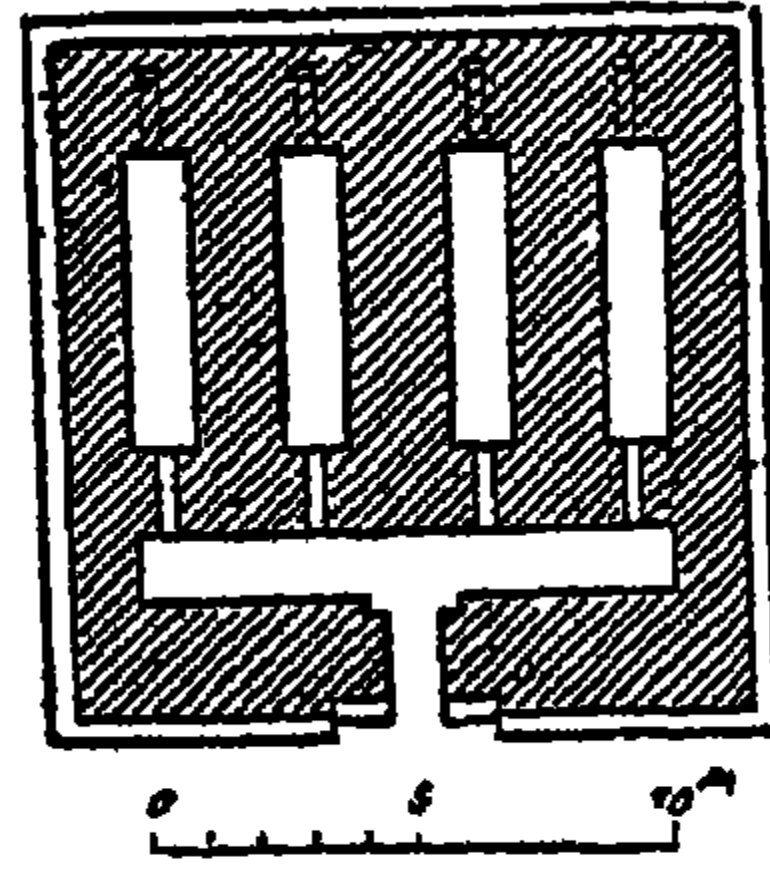
فوق الأرض متصلة بالباب العام بدهليز طويل ، فهي دائماً غرفة الاكل . أى المكان الذى يدلف اليه الميت عندما يشعر بالجوع

ولم يكن فى هذه الغرفة من الادوات غير مائدة للقرايين موضوعة أمام « الباب الوهمى » ، وهى مصنوعة من الجرانيت أو الرخام أو الحجر الجيرى ، واذا زيد على ذلك شيء فمسلان صغيرتان من الحجر الجيرى وشيثان آخران من هذه المادة يشبهان أرجل المائدة ، مثقوب أعلاهما لوضع القرايين . وكانت تترك هذه الغرفة مفتوحة الباب ، ولم يجد « ماريت » سوى مقبرتين ، فى مئآت المقابر التى فحصها قد أوصد باباهما وعلى مقربة من غرفة الزار ، الى الجنوب والى الشرق قليلا ، منفذ ضيق فى الباء ، سماه « الفعلة » الذين عملوا فى هذه الحفريات بالسرداب ، ومن ثم اطلقت هذه التسمية عليه اصطلاحا فى علم الآثار المصرية . ولا يوجد فى بعض الأحيان أى اتصال بين هذا السرداب وباقى أجزاء المصطبة ، فهو محاط بالجدران من كل جانب ، وفى أحيان أخرى توجد فتحة ضيقة مستطيلة تشبه الكوة تصل بين السرداب والغرفة ، يبلغ من ضآلتها وصغرها أنه لا يمكن ادخال اليد فيها إلا بشق الأنفس (شكل ٣٤)

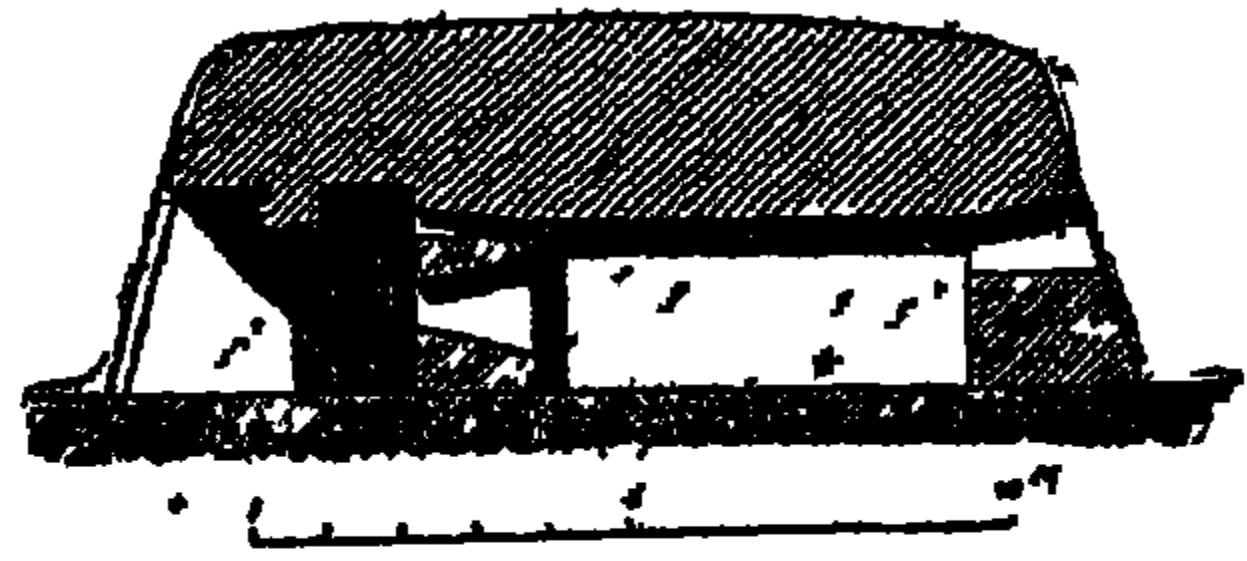
وكان يوضع فى هذا السرداب تمثال أو أكثر من تماثيل الميت ، إذ كان يعتقد المصريون أن هذه التماثيل هى ضمانه مؤكدة - لا تفوقها فى هذا إلا المومياة نفسها - لحياة المتوفى المستقبل . لانهم كانوا يخافون ، بالرغم من تحنيط الجثة ، أن تتحلل اجزاؤها وتلاشى ، أو أن يعير عليها مغير ، يريد أن يثأر وينتقم أو يريد أن يسلبها ما تحمل من ذهب ، وجواهر ، فيشوه معالمها فتبيد ، وادا بادت الجثة ، لم تجد الروح مقراً تأوى اليه فيموت الشخص ثانيا ميتة الية بشعة ، فلكى يتحبوا هذه الميتة الثانية الشنيعة التى سببها انعدام الجثة أو تلاشيها ، وضعوا هذه التماثيل التى تحاكي صاحبها أدق المحاكاة فى السيئات والقوام والملابس ، وزادوها تعريفا بكتابة اسم صاحبها عليها حتى يتعرف عليها القرين ويحل فيها ادا فئت المومياة وهكذا تستمر حياة القرين وبالتالى حياة المتوفى ، وكلما تعددت هذه التماثيل الصلبة راد ضمان بقاء القرين . فعشرون تمثالا يضمون عشرين فرصة لحياة القرين وبالتالى حياة المتوفى

وكانت هذه السرايب ، التى توضع فيها تماثيل الميت مخبوءة عن الاطوار فى سحنها المظلم ، تحفظ وديعتها فى مأمن من أذى المتقم أو السارق وفى الوقت نفسه تتصل بالغرفة التى يجتمع فيها الاصدقاء والاقارب ، ولا تفصلها عنها سوى أحجار قليلة . فكان

(شكل ٣٤) السرداب في المصاطب



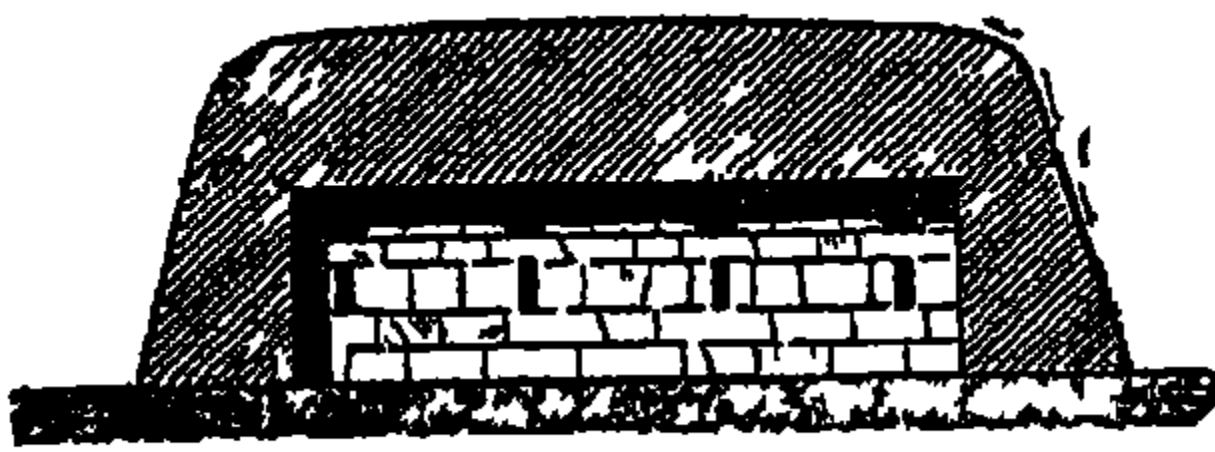
(أ) رسم لمصطبة
بها أربعة سراديب



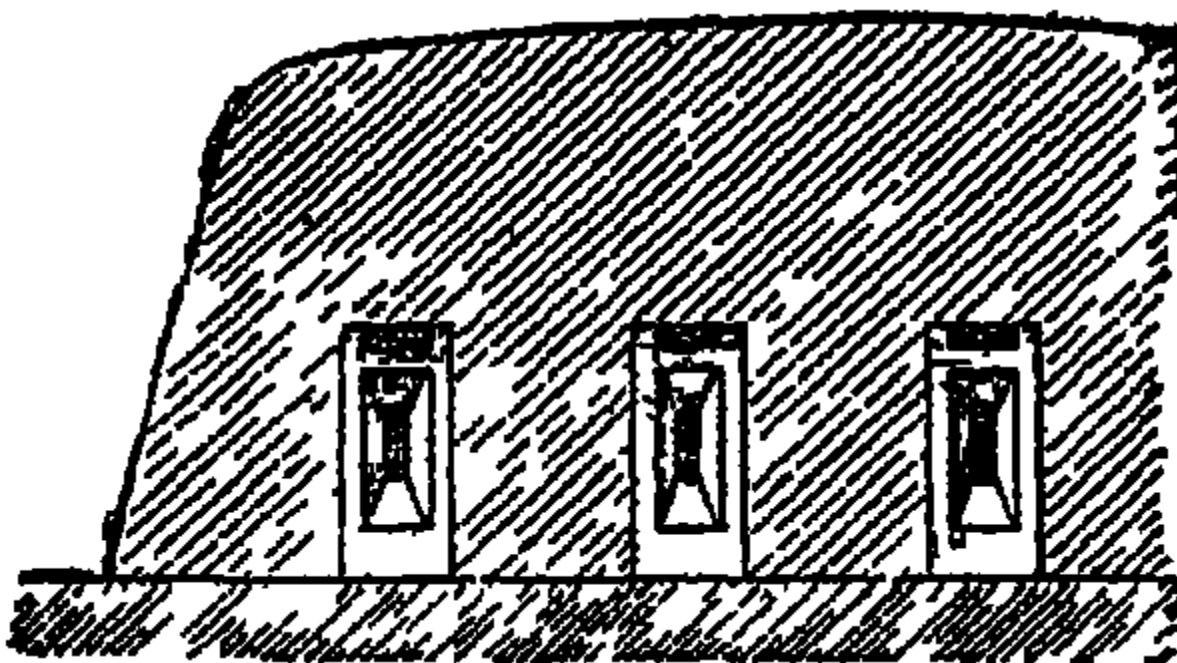
(ب) مقطع طولي للسرداب

المنفذ المثقوب في الحائط القائم بينهما ، بين المزار والسرداب ، في أغلب الاحيان يسمح بمرور رائحة المواكه وعير البخور ودخان الضحايا المحروقة في الغرفة المجاورة ، فيحملها الهواء الى خياشيم هذه التماثيل . ولم يعثر في السراديب على نقوش ماعدا ما وجد منها على التماثيل نفسها . ولم يوجد في داخل السرداب سوى التماثيل ، فاقترنت وظيفة السرداب بذلك على أن يكون مأوى اميا حصيا للتماثيل . وتسعة أعشار تماثيل الملكة القديمة الموجودة بالمتحف المصري الآن والمستخرجة من سقارة كانت من هذه السراديب

لقد وصفنا جميع اجراء المقبرة المبية



(ح) مقطع عرضي بين شكل فتحة السراديب من المزار (أي من العرفة المعدة لاحتواء أقارب المتوفى)



(د) مقطع عرضي لنهاية السرداب من الداخل عند اتصاله بمحدر المزار

فوق الارض ، ولم يكتف بزيارة المزار الذي كان يترك مفتوحا بل اجتزاه الى المحايء البعيدة المتوارية عن الانظار ، واكتشفنا أسرار هذه الجدران المهولة التي ظن بابوها انها تخفيهم الى الأبد عن عين الاسات ، ولكنا رعم ذلك كله لم نصل حتى الآن الى موضع الحثة أي الى غرفة الدفن نفسها ، وهذا ما سنفصله في حديثنا عن الجزء الثالث من المقبرة ، ونعني به البئر البئر حفرة مربعة أو مستطيلة - ولا تكون مستديرة ابدا - تقع في نهايتها العرفة التي توصل فيها الحثة (المومياء) ولكي يصل المرء الى فتحة البئر لابد له من أن يصعد الى

سطح المصطبة ، ولما لم يكن للمصطبة درجات (سلم) في الداخل أو في الخارج ، كان من الصير بلوع فتحة البئر . ولما يكون هذا الامر ميسوراً إلا في مقابر قليلة أهمها مقبرة « تي » حيث تتحدر فيها البئر من أرض أكبر الغرف الداخلية ، وسواء كان مبدأ البئر من سطح المصطبة أو أرض غرفة المزار ، فهو دائماً مسدود سداً محكماً بأحجار مستوية ضخمة . وتقع البئر في الغالب على محور المصطبة الرئيسي خلف الباب الوهمي (انظر مصطبة تي) ويبلغ

عمقها في المتوسط ١٣ متراً ، على أن هناك بعض الاحوال التي تراوح فيها عمق البئر بين ٢٢ متراً و ٢٧ متراً

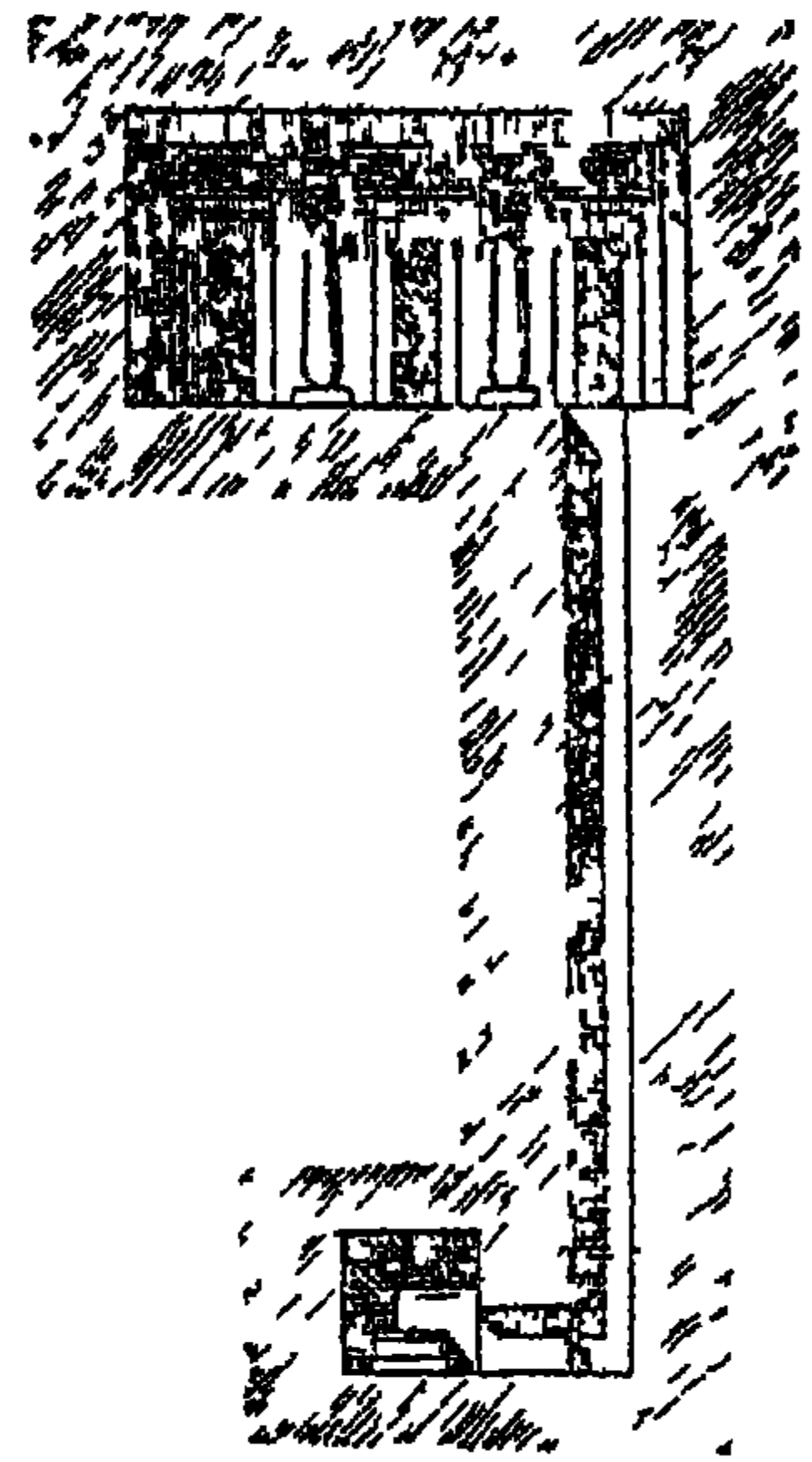
وبما أن البئر تبدأ من سطح المصطبة وتنتهي في غرفة الجثة المنحوتة تحت الأرض في الصخر فانها تنزل عمودياً داخل المصطبة أولاً ، ثم تنفذ خلال الصخر الذي تقوم عليه المصطبة ثانياً .

والجزء المشيد من البئر فوق الأرض يبنى من حجارة كبيرة مهندمة وتلك إحدى خصائص المقابر في المملكة القديمة . وكان الوصول عادة الى غرفة الدفن يستدعي أن يوثق المرء نفسه بحبال تتدلى به الى قاع البئر (شكل ٣٥)

وعندما يصل الى نهاية البئر يبدأ يسير في دهليز



(شكل ٣٥) شكل يبين
أجزاء المصطبة الثلاثة :
(١) المزار أو العرفة التي
فوق الأرض ، المعدة لاجتماع
أقارب المتوفى وتقديم الضحايا
والقراين (ونرى فيها
الاعمدة والابواب) (٢) البئر
التي تمتد ناعداً في الصخر
(٣) غرفة الجثة التي يوضع
بها التابوت وهي محمورة
تحت الأرض



صغير شق في الصخر لا يسمح بمرور المرء منتصباً ، ثم يتجه إلى الجنوب الشرقي الى أن يصل الى كهف صغير هو غرفة الدفن بالمعنى الاخص ، أعنى الغرفة التي أقيم من أجلها كل هذا البناء ، والتي تعد كل هذه الاجزاء التي تحيط بها ملحقات وتوابع لها ، وهذه الغرفة التي أعدت لايواء الجثة تقع عمودية تحت الرحبة المتسعة التي تعلوها . وبذلك يكون تحت أقدام الزائرين ، - الذين يجتمعون في هذه الغرفة أو الرحبة الاخيرة التي أطلقنا عليها اسم المزار - جثة المتوفى على مسافة تختلف باختلاف عمق البئر

ويعتنى بغرفة الجثة في العادة عناية فائقة ولكنها وجدت خالية من الزخرفة والنقش حتى عصر الاسرة السادسة في المعتاد ، ولم يجد (ماريت) فيما اكتشفه من المصاطب غير واحدة زخرفت فيها حجرة الجثة زخرفة بديعة بنقوش لم يصفها

وفي أحد أركان غرفة الدفن كان يوضع التابوت المصنوع من الحجر الجيري أو الجرانيت الاحمر ، أو من البازلت الاسود في بعض الاحيان ، وهو مستطيل الشكل ذو غطاء مقبب السطح ، مربع الأركان ، وكان يكتب على التابوت في بعض الاحيان - ولو ان هذا قليل الورد - اسم الميت وألقابه ، وقلما نجده مزخرفاً برسوم ونقوش . على أنه قد وجد على سطوح بعض التوابيت المعدودة رسم واجهة بيت مصرى بأبوابه ونوافذه والأشياء التي وجدت بغرف الدفن هي :

أوان للعطور من المرمر ، أكواب يصب فيها السكاكين نقاطاً من مختلف السوائل المقدسة التي يقدمها للميت ، أباريق للماء حمراء كبيرة من الفخار ، مسند للرأس (أورس) يتكئ عليه رأس النائم وهو من الخشب أو الحجر ويقابل الوسادة عندنا ، ثم لوحة الكتابة وقد وجد في بعض الغرف مائدة قرابين مستديرة من المرمر وعند ما توضع الجثة في التابوت ، كان يلصق الغطاء بالجص ويعثر الفعلة أجزاء الثيران والغزلان التي ذبحوها على أرض الغرفة ، ثم يقيمون جداراً على مدخل الدهليز يسده ، ويردمون البئر الى أعلاها بخليط من الرمل والتراب وشظايا الاحجار ، ثم يرشونها بالماء فتجمد وتصير كتلة واحدة صلبة لا يمكن اختراقها

الآن وقد تركت الجثة وحدها فما من أحد يزورها ، غير النفس أو الروح التي تغادر من حين الى حين الاقطار السماوية ، حيث كانت تخرج مع الآلهة ، وتهبط الارض لتتحد بالجسم ثانية

الاهرام

تاريخ نشوئها : لم ينشأ الشكل الهرمى دفعة واحدة ، ولم يكن ثمرة مجهود فرد واحد ، وإنما كان نتيجة ارتقاء بطيء في اتخاذ المقابر وتشييدها

كانت المصاطب التي سبق وصفها مقابر الامراء والاثرياء في عصر الدولة القديمة . بل ومقابر بعض الملوك (١) في الأسرات الاولى . فترامى لاحد ملوك الاسرة الثالثة وهو «زوسر» أن يضع فوق هذه المصطبة مصاطب أخرى ، كل واحدة أصغر مما قبلها حجماً ، فأثر هذا تأثيراً قوياً في تاريخ الفن المصري عامة ، وفن العمارة خاصة ، فنشأ بذلك الهرم المدرج المعروف في سقارة ، وهو حلقة الاتصال بين المصطبة والهرم

وأقدم هرم معروف هو المنسوب للملك (هوني) بدهشور الذي كانت زاويته في الأصل تختلف في الجزء الأسفل عن الجزء الأعلى . أما الشكل الكامل فأننا نجده لأول مرة في هرم ثان بدهشور بناء الملك سنفرو ، ويوجد في ميدوم هرم آخر مدرج أقامه هذا الملك نفسه ولكنه يختلف عن هرم سقارة في أن قاعدته مربعة الشكل وقاعدة ذاك مستطيلة

ولعل من الخير أن نوجز ذلك التطور التدريجي بهذا الترتيب ليزداد وضوحاً :

١ - المصطبة الكبيرة ، ومثالها مصطبة الملك زوسر (الاسرة الثالثة) بيت خلاف

٢ - المصاطب المستطيلة المتراكبة ، في سقارة (هرم زوسر المدرج بسقارة)

٣ - الأبنية المربعة المتراكبة ، في ميدوم (هرم سنفرو بميدوم)

٤ - ملئت فرج الدرجات فاقترب من الشكل الهرمى ، في هرم هوني بدهشور

٥ - نظم الشكل باتخاذ زاوية واحدة ابتداء من القاعدة الى القمة في هرم سنفرو

بدهشور

معنى الكلمة واشتقاقها : قد تكون الكلمة مشتقة من الكلمة القبطية (بي راما)

ومعناها ارتفاع . وقد تكون مشتقة من الكلمة المصرية القديمة (بر - ام - اوس)

ومعناها بناء منحدر الجوانب ؟ ويكون الاغريق قد نقلوها بصورتها (براميس)

وجمعوها على (براميدس) ومنها أخذت الكلمة الافرنجية الحالية فهي في الانكليزية

(١) مثال ذلك مصطبة نقاده (أسرة ١) ، ومصطبة « سانخت » (أول ملوك الاسرة الثالثة)

بيت خلاف وهي مصطبة مبنية من اللبن ، ومصطبة « زوسر » (الاسرة الثالثة) بيت خلاف أيضا

Pyramid وفي الفرنسية والالمانية Pyramide . أما الكلمة العربية فأمرها غير معروف أيضا ، غير أنه يغلب على الظن أن كلمة « هرم » بمعنى الشيخوخة وبلوغ أقصى الكبر قد اطلقها العرب عليه دلالة على قدمه ثم جمعت الكلمة على أهرام ، وجمع الجمع أحيانا فقيل اهرامات

الجهات التي توجد بها : على الشاطئ الغربي للنيل وعلى حافة صحراء ليبيا تمتد من أبي رواش شمالا الى ميدوم جنوبا ، هضبة مرتفعة قليلا يبلغ طولها ٢٥ ميلا ، يقع عليها أهرام أبي رواش والجيزة وزاوية العريان وأبي صير وسقارة والشت ودهشور . وتوجد غير هذه اهرام أخرى في اللاهون وهواره (في الفيوم) . وأشهر هذه الأهرام وأعظمها شأنًا أهرام الجيزة الثلاثة المعروفة وأكبرها الهرم الذي بناه الملك « خوفو » الغرض منها : اتفق جميع الكتاب والمؤرخين منذ عهد أبي التار يخ - وتقصد به هيرودوت - الى الآن على ان أهرام مصر مقابر عظيمة ، وعلى أنه قد وجدت فيها جثث وتوابيت عند ما فتحت لأول مرة ، اما للسلب والنهب ، واما حباً في الاستطلاع . وسندكر فيما بعد أقوال هيرودوت وغيره من المؤرخين الأقدمين ، وانما نود أن نورد هنا ما قاله ابو محمد بن عبد الرحيم في كتابه تحفة الالباب عن دخوله الهرم ورؤيته لما فيه إذ قال :

« فتح المأمون الهرم الكبير الذي تجاه الفسطاط ، وقد دخلت في داخله فرأيت قبة مربعة الأسفل مدورة الأعلى كبيرة في وسطها بئر وهي مربعة ينزل الانسان فيها فيجد في كل وجه من مربع البئر بابا يفضى الى دار كبيرة فيها موتى من بني آدم عليهم أكتاف كثيرة على كل واحد أكثر من مائة ثوب (يقصد بها اللقائف دون شك) قد بليت لطول الزمان وتقلب الحداث واسودت لطول ما أكل الدهر عليها وشرب ، أو هي سوداء من أثر الحنوط (ما يحنط به الجسم) . وأجسامهم كأجسامنا ليست طوالا ، واذا قلب المرء بصره في هذه الاجساد لا يكاد يجد بها نقصاً يدل على تساقط شيء في هياكلها أو شعورها ، وليس فيهم شيخ ولا من شعره أبيض وأجسامهم قوية لا يقدر الانسان أن يفت عضواً من أعضائها البتة ، غير انها لتقادم العهد خفت حتى صارت كالهباء » وقال غيره : « لما فتح المأمون الهرم الكبير بعد جهد شديد وعناء طويل وجدوا في داخله مهاوى ومراق يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ، ووجدوا في أعلاها بيتاً مكعباً - يقصد غرفة الملك بدون شك - وفي وسطه حوض من رخام مطبق ، فلما

كشفوا غطاءهم لم يجدوا غير رمة بالية قد أتت عليها العصور الخالية ، فعند ذلك كف
الأمون عن ثقب ما سواه »

فيؤخذ من هذا أن الاهرام كانت مقابر لبعض ملوك مصر . ومع وضوح هذه
المسألة التي لا ينقصها دليل ، فقد اعتقد بعض العلماء - نذكر منهم جاب وجومار وتايلور
والأستاذ سميت - أن الهرم الاكبر ليس قبراً ملكياً وإنما هو أثر ذو قيمة متولوجية
(مقاسية) عجيبة ، قد بنى منذ أربعين قرناً « كمرکز ضروري تحفظ في داخل بنائه
أدوات مادية يعتمد عليها الناس على مدى الأزمان وتعاقب الأمم في مقاييس الطول والثقل
والوزن والمقاومة . . الخ »

فهو « أثر - كما يقول سميت - حفظت فيه الأوزان والمقاييس الأصلية ، وظلت سليمة
آلاف السنين . لم يؤثر فيها سقوط الامبراطوريات وتلاشي الأمم ، ولا يكتفى مستر
تايلور وسميت بذلك فحسب . بل يتعديانه الى القول بأنه كان ثمرة وحى إلهي . ذلك
أن المقاييس التي صنعت بهذا النظام العجيب وتلك الطريقة التي تفوق طاقة البشر قد
حفظت بواسطته حتى أمكن فهمها وترجمتها في هذه الأزمنة المتأخرة . إذ يقول المستر
بيازي سميت - استاذ الفلك بجامعة أدنبرة - : « ان الهرم الاكبر كان كتاباً مختوماً للعالم
أجمع حتى هذا اليوم الذي تمكن فيه العلم الحديث من تعرف أهم معانيه مستعيناً بما تصدع
من البناء وبما نجم عن ذلك من فجوات »

ولقد قام سميت - مدفوعاً بحماسة لرأيه وإيمانه به - بقياس معظم النقط الرئيسية في
الهرم الكبير . وقد بذل في هذا السبيل مجهوداً شاقاً وأظهر براعة ومقدرة فائقة .
فمنحته جمعية أدنبرة الملكية وساماً . ولكن ضبط هذه المقاييس لا يغني شيئاً عن تعيين
الغرض الذي بني من أجله هذا البناء

وجد كل من المستر تايلور وسميت تابوتا من الجرانيت في غرفة الملك فاعتقدا أنه
نحت ووضع هناك كتمياس للعالم كله . لأن المقاييس الاسرائيلية القديمة ، والمقاييس الاغريقية
والرومانية ، وكذلك مقاييس الأمم الأوروبية الحديثة (الانجلوسكسون) مقتبسة كما
يقولان من هذا المقياس الجرانيتي . وأن قاعدة الهرم مقياس للطول ذو علاقة
بمحور الأرض

وبينا يجاهر هؤلاء العلماء بقولهم هذا إذ يقول بروكتور : « إن هذه المباني كلها
- يقصد الاهرام - بدون استثناء ، مبنية على مبادئ فلكية . فقواعد المربعة موضوعة

بحيث يكون جانبان منها الى جهة الشرق والغرب . والجانبان الآخران الى الشمال والجنوب،
أو بعبارة أخرى لكي تكون أوجهها الأربعة مواجهة للجهات الأربع الأصلية . وإن
الإنسان مهما أعمل الفكرة لا يستطيع أن يتصور سبباً معقولاً يبرر به وضع المقبرة على
هذا الشكل . بل من الصعب أن يلتبس العقل لهذا الوضع غرضاً يقصده بناء الهرم اللهم
إلا أن يكون غرضاً فلسياً ،

ولكن هذه النظرية لا تستحق أن تناقشها . لأنه لو كان هذا هو الغرض من بناء
الاهرام لكفى بناء الهرم الأكبر ولما احتمل الملوك من بعده ما احتملوه من العناء في
بناء سواه . وليس من المعقول كذلك أن هذه الاهرامات التي تتابع بناؤها على أيدي
ملوك المملكة القديمة . كان كل منها يؤدي غرضاً فلسياً لم يكن الأول يؤديه . وعلى كل
حال فانتا لا نود أن نضيع وقتنا في مناقشة هذه التأويلات ودحض هذه المزاعم الغريبة
التي ظهرت في السبعين سنة الأخيرة . والتي بعثها من جديد مستر كوتسورث مدير جمعية
الرزنامة الدولية ، في مقال نشرته له جريدة الديلي كرونكل في شهر فبراير سنة ١٩٢٩
وقال فيه إنه يعتقد أن الاهرام بنيت لتكون ساعات شمسية يمكن بواسطتها قياس فصول
السنة وضبط مناوبات المحاصيل وإنها لم تبني لتكون مدافن للملوك

وسوف لا تتعب أنفسنا لإثبات أنها لم تكن مراصد إذ أن هذه المنافذ المنحدرة التي
يزعم الكتاب الحديثون أنها مراصد كان يرقب منها الفلكيون مرور النجوم في خط
نصف النهار، قد سدت بأحكام واتخذت احتياطات دقيقة لغرض واحد هو إخفاء مداخلها
وتعميتها . أما أن جوانب الاهرام الأربعة تواجه الجهات الأربع الأصلية ، فما هذا إلا
لأن مواجهة المقابر كانت عادة عند المصريين (راجع ما ذكرناه عن المصاطب)

كما أننا لن نشغل أنفسنا بتلك النظرية المضحكة التي أحدثت ضجة بين المفكرين في
عصرها وهي أن الاهرام كانت أسواراً ومتاريس حاول بها المصريون القدماء أن يصدوا
الرمال عن وادي النيل الخصب . وزعيم هذه النظرية السيو برسني Fillian de Persigny
الذي ألف كتاباً عنوانه « الغرض من اهرام مصر وبلاد النوبة وفائدتها الدائمة في صد
هجمات رمال الصحراء - مذكرة مرفوعة لأكاديمية العلوم يوم ١٤ يولييه سنة ١٨٤٤ .
طبع باريس ١٨٤٥ » وقد قرأه أمام أكاديمية العلوم بباريس محامراً بنظريته
وحسبنا رداً على هذا الرأي الغريب أنه لو كانت هذه الشواهد الباهظة الكلفة قد
أقيمت لصد هجمات الرمال عن مصر لوجب أن تتراس على حافة مصر من أقصاها الى

أقصاها ، ولما وجدت الاهرام جميعها ، إلا ما ندر ، بجمعة بجوار منفيس
ونحمد الله على أنه قلما يصدق أحد أو يناقش مثل هذه النظريات . نعم ، هناك بعض
نقط غامضة في تاريخ الاهرام أو في تفاصيل بنائها ، تثير بحثاً جديداً وتكون مجالاً للزعم
والتأويل ، ولكن لا يمكن أن تكون طبيعتها العامة موضع الشك والتوهم . فارتداد
الاهرام من جهة ، وترجمة النصوص المصرية من جهة أخرى ، قد أكد أقوال كتاب
الاغريق الذين عرفوا مصر جيداً ، أمثال هيرودوت (الكتاب الثاني ١٢٧) وديودور
السنقي (١ - ٦٤ - ٤) واسترابون (سترابون ١٧ صفحة ١١٦١ ج - وسندكر أقوالهم
جميعاً فيما بعد) . ومؤدى هذه الأقوال أن الاهرامات مقابر ، وليس لبنائها من غرض
سوى هذا مطلقاً ... « هي مقابر عظيمة ظاهرة ومختومة .. جميع مداخلها مسدودة
حق تلك الطرق المحكمة البناء . هي مقابر لا نوافذ لها ولا أبواب ولا أية فرجة من
أى نوع . هي مستقر عظيم شاهق لحدث الليت . لقد كانت أحجامها الهائلة سبباً في
أقاويل وتخربات أولئك الذين ينتحلون لبنائها مقصداً آخر ، ولكنها في الحقيقة والواقع
تختلف في أحجامها وبعضها لا يتجاوز العشرين قدماً في الارتفاع . وإلى جانب هذا
يجب أن نتذكر أنه ليس في مصر كلها هرم أو اهرام لا تقوم وسط جبانة ، وتلك
حقيقة كافية لاثبات أنها ما أعدت إلا مضاجع للموتى » (ماريت - دليل السياحة في
الصعيد صفحة ٩٦ - ٩٧)

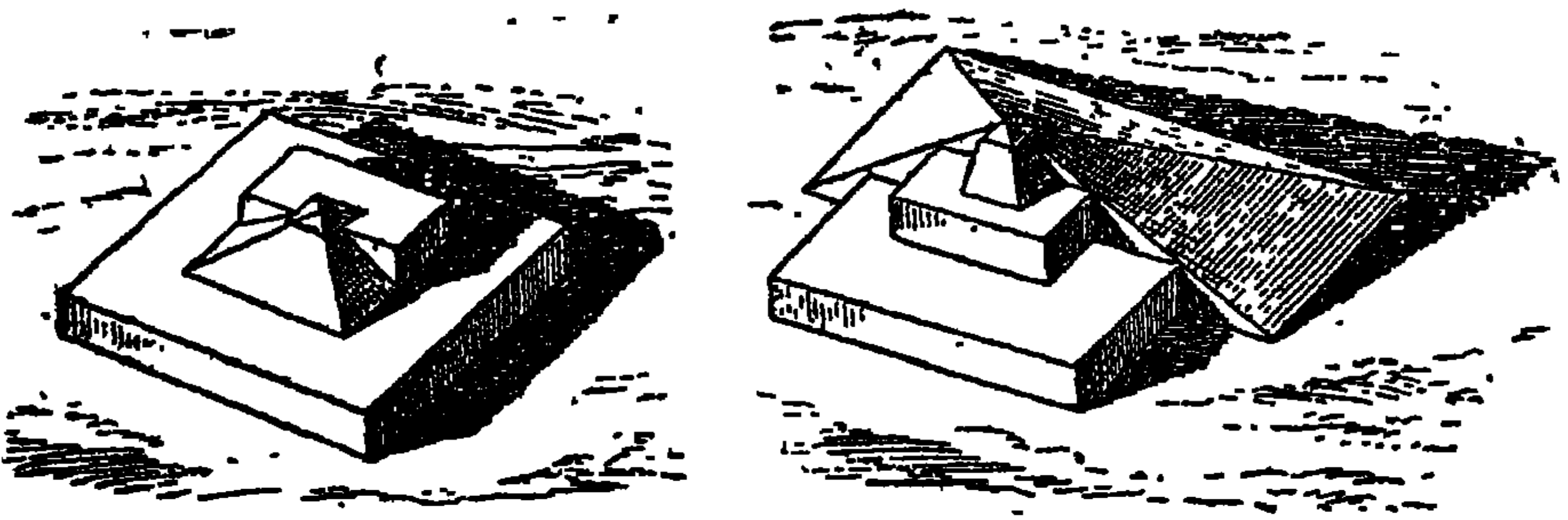
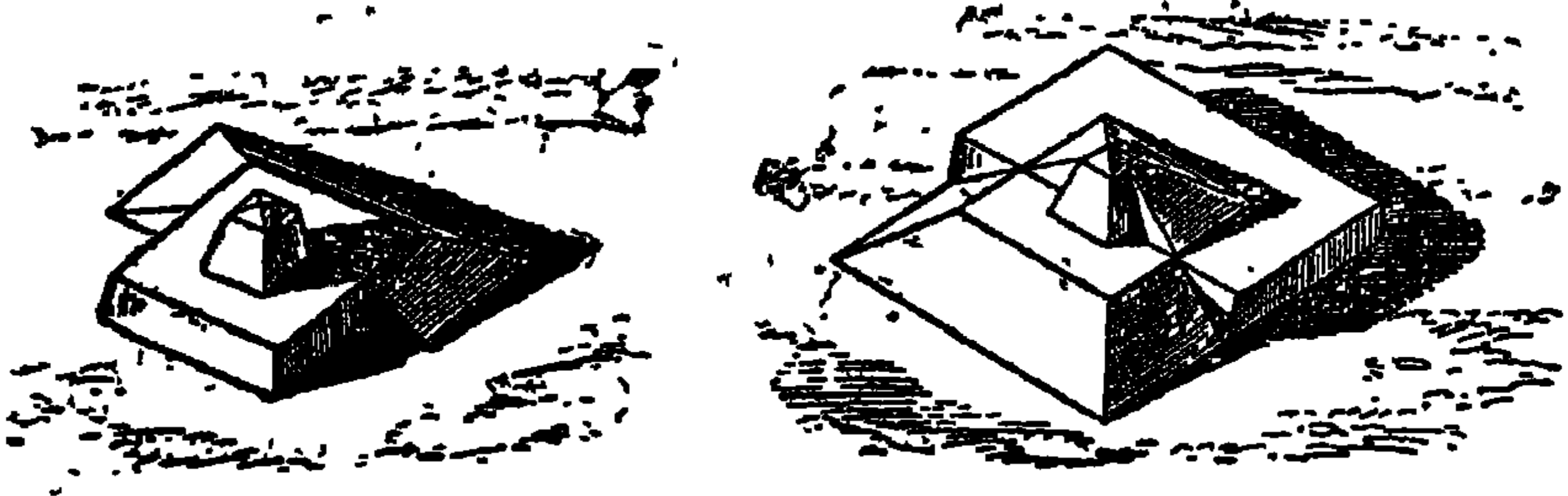
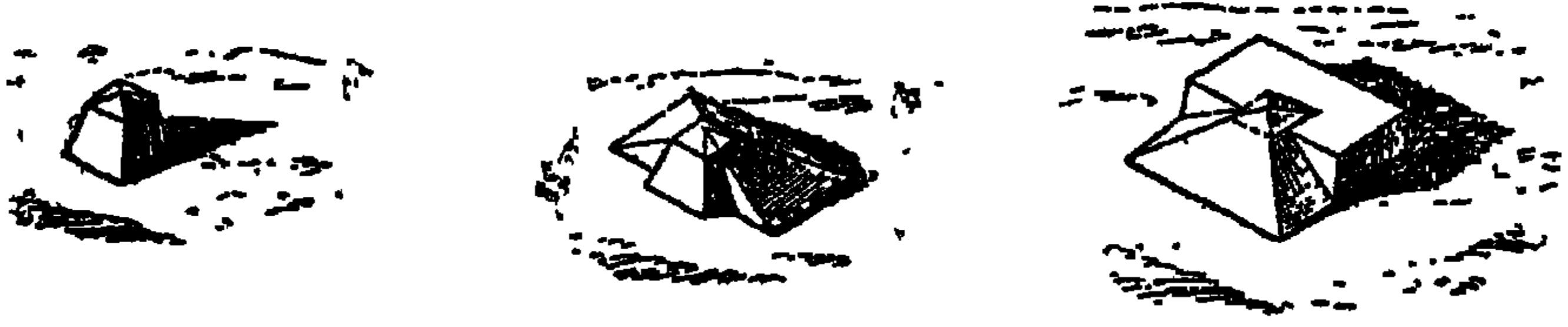
ويمكن اثبات ذلك بدليل أوضح اذا أمكن الاستدلال بالتواييت التي وجدت في
الغرف الداخلية فارغة في معظم الاحوال ، لان هذه الغرف قد فتحت وخربت إما في
الايام الحالية القديمة ، وإما في العصور الوسطى ، وبعضها بقى سالماً لم تنله يد التخريب كما
هو الحال في هرم مقرينوس (منقرع)

لقد أغلقت الاهرام بحكمة عظيمة ، ويمكننا أن نتثبت من هذا اذا عرفنا ما كان
يتخذه المصريون من ضروب الحيلة دائماً ليحموا مقابرهم من المتطفلين . على أنه لا داعي
للتدليل على هذه الحقيقة لوضوحها وجلالتها . وإن عجز الخليفة المأمون (٨١٣ - ٨٣٣
ب . م) عن احداث أكثر من فرجة في الهرم الأكبر على مقربة من وسط
واجهته البحرية - وقد صادفت هذه الثغرة الممر الهابط بعيداً عن المدخل - رغم ما بذله
من جهد شاق وما لاقاه من عناء طائل ، ليدلنا على أنه لم يجد علامة ما تدله على الفرجة
المسدودة التي كان الفراغنة أعدوها لادخال الجثة ، فاضطر الى أن يلجأ الى فتح ثغرة

جديدة . ويظهر ان الكسوة التي كانت تغطي الهرم كانت حينذاك سابغة عليه جميعه ، فكانت جوانبه الأربعة خالية في ذلك الوقت من الأحجار البارزة . أما ان العرب قد اختاروا الجهة الصحيحة لنقبهم فربما كان هذا راجعا الى رواية قديمة تشير الى أن المدخل يجعل في الجانب الشمالى - وهذا ما وجد فعلا في كل الاهرامات المعروفة اليوم - وخصوصا اذا لاحظنا أن مدخل المر الموصل الى غرفة البثة لم يكن مجهولا لاسترابون حيث يقول : « وطى مقربة من منتصف جوانبها بالنسبة للارتفاع كان للاهرام حجر يمكن تحريكه ، فينفتح وراءه طريق يؤدي الى التابوت » (استرابون ١٧ صفحة ١١٦١ ج) وربما اهتدى العرب أيضا بآثار محاولات سابقة ، إذ يظن أن الهرم قد فتح حوالى عصر الاسرة العشرين وسد ثانيا . ثم رمم المدخل وغيره من الغرف والدهاليز في عصر الاسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين الى أن تجددت المحاولات في عصر الفرس وفي عصر الرومان ثم في عصر العرب

طرق بنائها : يظهر أنهم قبل أن يبدءوا فى بناء أى هرم كانوا يختارون جهة صخرية ويزيلون عنها الأتربة والأحجار ويتركون اذا أمكن كتلة من الصخر فى وسط المساحة لتكون قلب البناء ، ثم يرسمون بعد ذلك الغرف والممرات المؤدية اليها ويحفرونها ، ثم يأخذون فى بناء الهرم

ولقد تساءل الاستاذ الألمانى اشتيندرف : « كيف أمكن كيوبس عندما انتخب مكانا مساحته نحو ٣٠٠ متر مربع لهرمه الجنازى أن يعرف أن مدة حكمه ستطول الى أمد ينتهى فيه تنفيذ هذا التصميم العظيم ؟ واذا مات أحد من بنوا الاهرام الكبيرة بعد توليه الحكم بسنتين أو ثلاث قبل أن يتم بناءه فكيف يمكن أن يقوم ابنه أو خليفته ، مهما بلغ عطفه عليه وبره به ، باتمامه دون أن يفكر فى إقامة شئ لنفسه ؟ هذا ما بحث لبسوس واربكام وإيرز Erbkam & Ebers و Lepsius عن تفسيره ، فرأى هؤلاء الأعلام أن كل ملك كان يبدأ فى بناء هرمه حالما يعتلى العرش . فكان يقيمه فى أول الامر صغيراً ليضمن لنفسه قبرا كاملا اذا عاجله الموت قبل أن يمضى فى الحكم طويلا ثم يضيف اليه فى كل سنة كسوة أو طبقة جديدة حوله (شكل ٣٦) . حتى اذا مات كانت جوانب الهرم مؤلفة من كثير من الدرجات التى يملأها خلفه بكتل مستطيلة من الاحجار ذات زوايا قائمة . وبذلك يكون حجم الهرم ذا صلة بمدة حكم الملك . ولكن نظرية بناء الاهرام على دفعات متعاقبة يعارضها الآن الأستاذ بترى F. Petrie - كما يعارضها المسيو



(شكل ٣٦) هرم في أحواله المتعاقبة يضاف اليه في كل سنة كسوة أو طبقة جديدة حوله حسب نظرية لبسوس وبورشارد

ماسبرو - في كتابه عن تاريخ مصر جزء أول صفحة ٣٨ إذ يقول ما نصه :
 « أقيم الهرم الأكبر أول الامر على مساحة متسعة وإن طرقاته الداخلية تدل على أنه لم
 ين أولاً على حجم أقل من حجمه الحالي . فمدخل هذه الطرقات لا يمكن عمله على حجم
 من البناء يقل عن ثلثي قاعدته الحالية . وزيادة على ذلك فإن حجمه الحالي يرينا أن هذا
 الهرم وهرم ميدوم كان يقصد بهما مقاس معين دقيق »
 على حين أن الهرم بورشارد Herr Borchardt يعتقد بعد أن درس الموضوع دراسة
 دقيقة طويلة أن نظرية الدكتور لبسوس صحيحة ، ولكنها تحتاج الى اصلاح بسيط في
 نقط قليلة . ويقول إن التصميمات الاصلية كانت أحيانا تتبع بدقة ، وأحيانا تعدل وتوسع

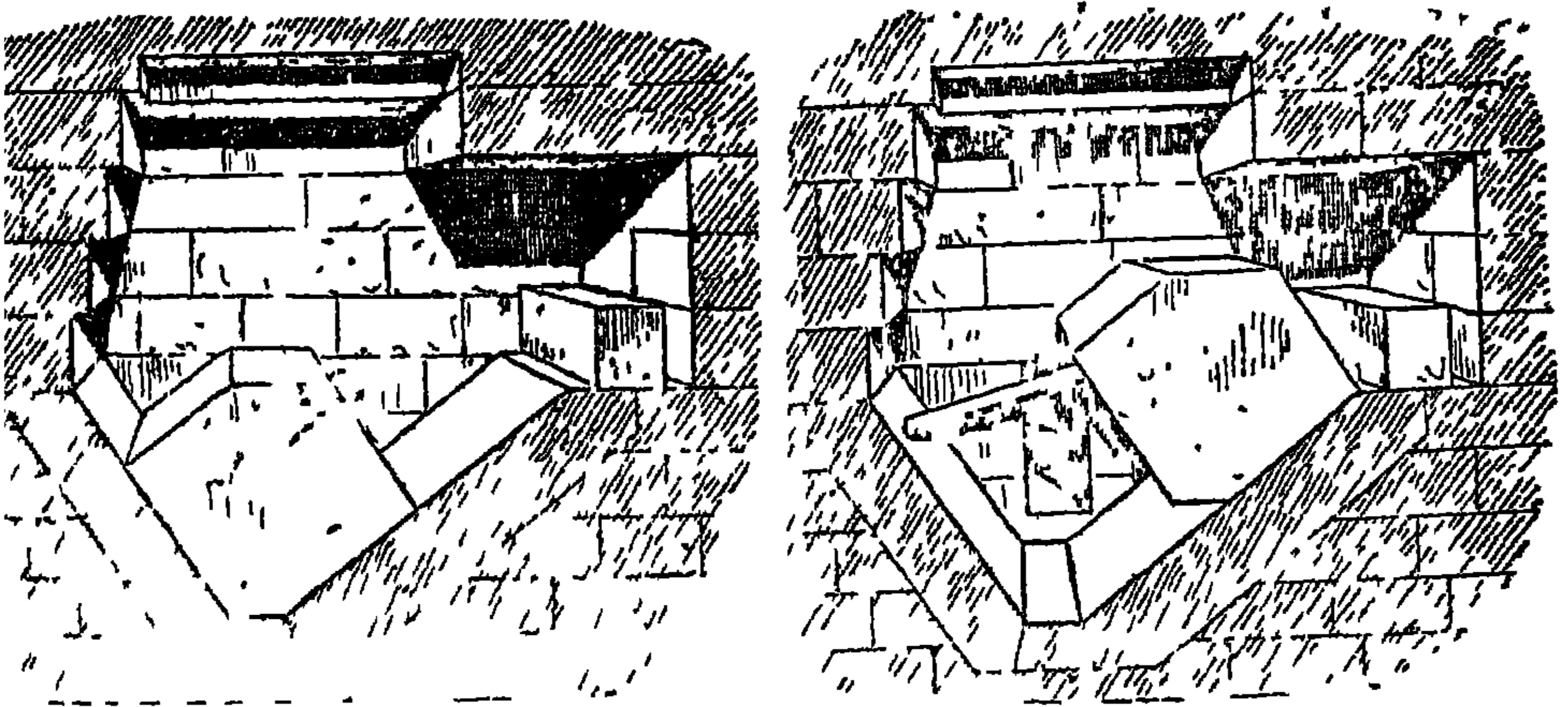
أو تغير تغييراً تاماً تبعاً لهوى الدين بنوها

ولقد ذكرنا في عرض حديثنا أن الأهرام كانت مكسوة من الخارج ، ففي هرم كيوبس كانت هذه الكسوة من الحجر الجيري ، وفي هرم ددفرع بأبي رواش كانت من الجرانيت ، ولا يزال الجزء الأعلى من هذه الكسوة باقياً في هرم خفرع وهو من الحجر الجيري على حين أنها في «المدما كين» السفليين من الجرانيت . وهذا الحجر الأخير قد قد استعمل في تغطية ستة عشر «مدما كا» في أسفل هرم مقربينوس (منقرع)

هرم الجيزة الأكبر

أكبر أهرام الجيزة الثلاثة ، بناء سنة ٢٩٠٠ ق.م أول ملوك الأسرة الرابعة - الملك خوفو - الذي يسميه هيرودوت كيوبس ، ويسميه ديودور شمس أو خميس ، ويسميه مانيتون الكاهن المصري الذي كتب تاريخاً لمصر بأمر بطليموس فيلادلف استقاه من سجلات المعابد ، باسم سوفيس - وقد وجد الكولونيل هوارد فيس Howard Vyse وزميله الأستاذ بيرنج Perring في بعثتهما اسم هذا الملك مكتوباً بالمغرة الحمراء على ما فيه من كتل الحجر ، ويقولان أنها علامات الحجر الذي اقتطعت منه الأحجار منذ خمسة آلاف سنة ولكي نفهم حقيقة هذه الكتلة الهائلة يجب أن نلجأ إلى الأرقام فنكون منها فكرة دقيقة عن عظم هذا البناء

يلغ طول جانب الهرم ٢٣٠.٣٥ متراً ، وارتفاعه ١٤٦.٥٩ متراً (وقل الآن



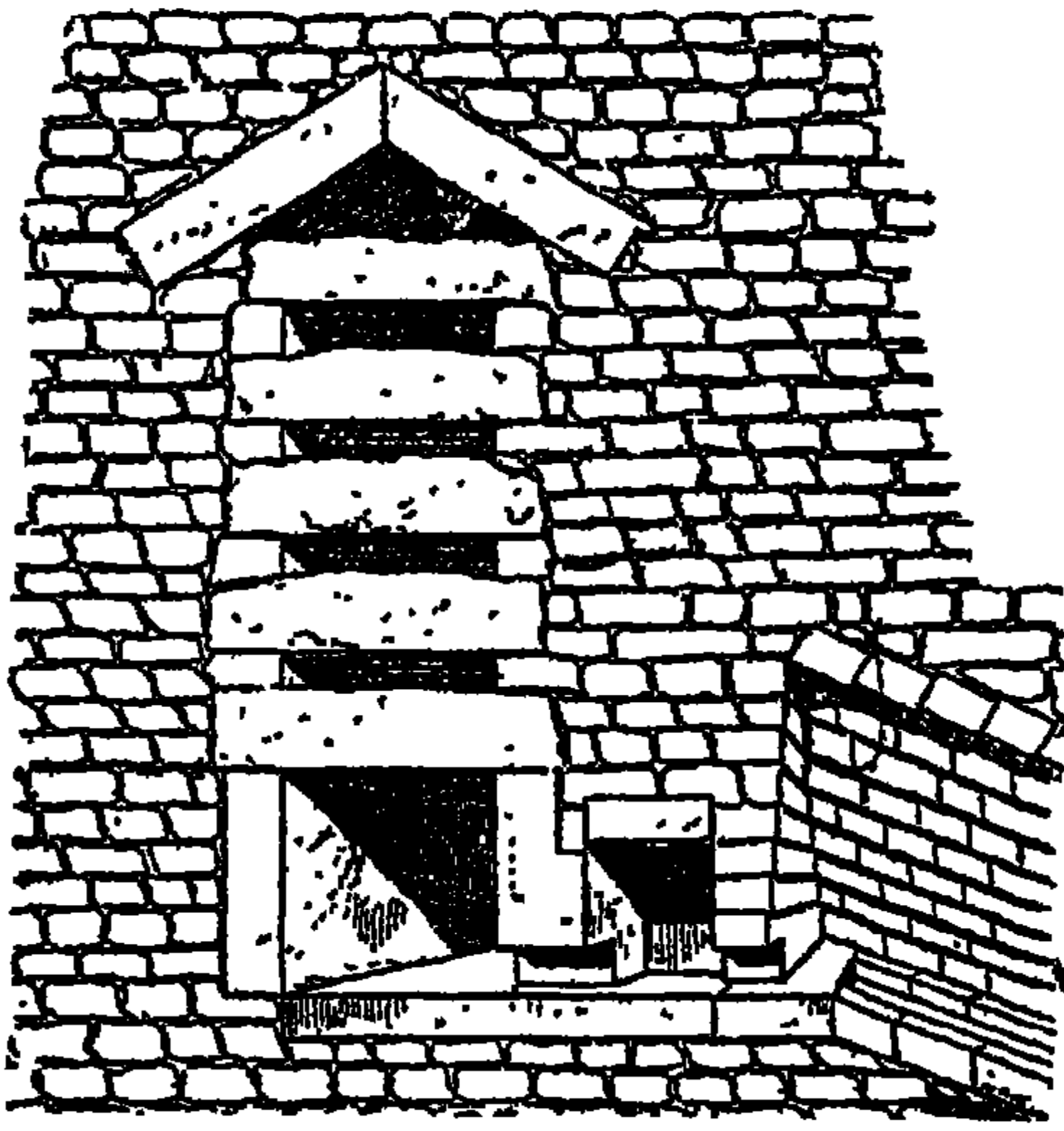
(شكل ٣٧) طريقة سد دهليز من دهاير الهرم الجنوبي بدهشور . وترى الكتلة العظيمة المعدة لهذا السد . ثم كتله الحجر (في الصورة الأخرى) وقد سدت مدخل الدهان بالحكمة

الى ١٨ و ١٣٧ متراً) وارتفاع الأوجه للمائلة ١٨٦ متراً، وزاوية ميله احدى وخمسين درجة وخمسين دقيقة . وتبلغ كتلة البناء ٢٠٠٠ ١٥٢ متر مكعب . وقد قدر المستر بترى أن بناء الهرم استلزم على وجه التقريب ٢٠٠٠ ٣٠٠ ٢ كتلة من الحجر حجم كل منها ١٠ ١٠ متر مكعب وقد أخذت بعض الأحجار من أرض الصحراء نفسها ، ولكن معظمها (١) نقل من محاجر طرة القائمة على الضفة الاخرى للنيل على زحافات من طريق يصل الجبل بالنهر ، ثم يستأنف نقلها الى هضبة الاهرام . أما الجرائيت الذى يصنع منه التابوت ومخدع الملك وبعض أشياء أخرى فكان الملك يرسل البعثات من رجال بلاطه الى محاجر اسوان حيث كانت تقوم شق مظاهر العمران بما يحشد فيها من جماعات العمال لاقتطاع هذا الحجر الصلب الجميل

ومدخل هذا الهرم - كمدخل جميع الاهرام الاخرى - يقع فى الجهة البحرية ، فى المدمالك الثالث عشر وعلى ارتفاع نحو ١٥ متراً من الارض ، وتتصل به زلاقة تنحدر الى داخل البناء ، ويخرج منها فى نقطة معينة دهليز جديد صاعد يبلغ طوله ٣٨ متراً يميل اقنيا بطريقة يتصل بها بغرفة جديدة هى غرفة الملكة تقع تقريباً فى محور البناء . وفى الجهة الاخرى يخرج دهليز آخر يبدأ برواق كبير طوله ٤٧ متراً وارتفاعه ٥٠ متراً وعرض القسم الأوسط منه ١٠٤ متر وهو مبنى بحجارة متلاصقة باحكام مصقولة بابداع حتى وصفها المؤرخ عبد اللطيف بحق بانها من الدقة بحيث لا يمكن ادخال ابرة أو شعرة بين ملاط هذه الأحجار

فاذا وصل الانسان الى نهايته وجد فى أعلاه حجرة صغيرة كان بها فيما سبق أربع كتل من الحجر تسد الطريق ، ثم يصل اخيراً الى الغرفة التى لايزال يوجد بها تابوت الملك . ومقاس هذه الغرفة الأخيرة ٣٤ ١٠٠ متراً طولاً ، ٢٠ ٥ متراً عرضاً ، ٨١ ٥ متراً ارتفاعاً وسقفها مسطح وهو يتكون من تسع قطع من الحجر الجرانيتى طول كل منها ٦٤ ٥ متراً وليخفف ضغط هذه المواد الثقيلة على السقف أفرغت خمس غرف صغيرة ، يقوم بعضها فوق بعض ، ولأعلاها سقف من كتلتين مائلتين تقسم الضغط وتلقيه على الجانبين (شكل ٣٨) وعلى أحجار هذه الغرفة الأخيرة وجد اسم خوفو ثم هناك منفذان آخران للهواء يخرجان من قلب الهرم الى سطحه الخارجى ، ويرجع أن لهما شأنًا جنازياً هو ايجاد طريق لروح الملك . وإلى شرق الهرم الاكبر ثلاثة

(١) وخصوصاً الأحجار التى استعملت فى كساء الهرم الخارجى وباء الدهانز السكيرفى داخل الهرم



أهرام صغيرة يرجح أنها لزوجات
للملك ، ولوان هيرودوت يقول عن
الأوسط منها إنه بنى لابنة خوفو
ووصف بناء هذا الهرم قد آتى
بذكره هيرودوت المؤرخ اليوناني
الذى زار مصر سنة ٤٥٠ ق . م
على وجه التقريب إذ قال :

« وقال الكهنة أيضاً إنهم إلى
عهد رعمسيسنت رأوا العدل يسود
والحصب ينمو في أرض مصر كلها ،
ولكن خليفته كيوبس لم يندر نوعاً
من الشر إلا سعى إليه ، فانه أولاً
أغلق الهياكل ومنع الدبائح وسخر
كل المصريين بعد ذلك لمصلحته ،

(شكل ٣٨) لتقليل ضغط البناء الشديد على سقف
مخدع الملك بهرم الجيزة الأكبر أفرغت خمس غرف
صغيرة ، مرتب بعضها فوق بعض ، ولأعلاها سقف
من كتلتين مائلتين تقسمان الضغط وتلقيانه على الجانبين

فأعد فريقاً منهم للنحت في محاجر جبل العرب ، ولحمل الأحجار التي يقطعونها من مكانها
إلى النيل ، ولنقلها على سفن من ضفة إلى ضفة ، وفريقاً آخر يأخذها إلى جبل ليبيا .
وكان يستخدم في هذا العمل مائة ألف رجل كل ثلاثة أشهر^(١) وقد ظل الشعب يقاسى
هذا العذاب عشر سنوات في شق الطريق الذي كانت تنقل فيه الأحجار . وهذا الطريق
فيما أرى ليس أقل عظماً من الهرم نفسه ، فطوله خمس استادات (٩٢٥ متراً) وعرضه
عشر أورجيات (١٩ متراً) ومعظم ارتفاعه ثمانى أورجيات (١٥ متراً) وهو مبنى من
حجارة مصقولة ومزينة بصور الحيوانات . فأمضوا عشر سنوات في بناء هذا الطريق
عدا ما أمضوه في إقامة التل الذي شيدت عليه الأهرام وفي إقامة ما تحت الأرض من
الآبنية التي اتخذت مدفنًا للملك في جزيرة تكونت بادخال قناة من النيل . أما الهرم
نفسه فقد استغرق بناؤه عشرين سنة ، وهو مربع الشكل ، عرض كل وجه من أوجهه

(١) يقول المستر بترى إن هذه الثلاثة الأشهر تقابل فصل فيضان النيل الذي لا يعمل فيه
الفلاحون ولهذا تيسر استخدام ١٠٠.٠٠٠ رجل في نقل الأحجار . أما الذين يقطعون الأحجار
فكانوا بدون شك يشتغلون طول السنة في المحاجر

الاربعة ثمانية بليترات (٢٥٠ متراً) وعلوه كذلك ، وأكثره مبنى بحجارة متناسقة متلاصقة باحكام ، لا يقل طول الواحد منها عن ثلاثين قدماً (١٠ أمتار)

وقد بنى هذا الهرم على شكل درج ، بعضها محدب وبعضها مقبب . ولما شرعوا فى بنائه على هذه الصورة رفعوا من الارض الحجارة الباقية بواسطة آلات مصنوعة من قطع صغيرة من الخشب رفعوها الى أول مدماك فمضى وصل الحجر اليه وضعوه فى آلة أخرى تكون على هذا المدماك فترفعه الى المدماك الذى يعلوه وهكذا . وكانوا لهذا يضعون آلات بعدد المداميك . وربما استخدموا آلة واحدة ينقلونها كالمارفعوا الحجر من مدماك الى مدماك . وقد ذكرت الوجهين بحسب ما سمعت . فشرعوا على هذه الطريقة فى تميم أعلى الهرم واتقانه ومن هناك نزلوا بالتدريج الى ما يجاوره حتى اتصلوا الى أسافله وانتهوا الى ما يمس الارض منه . وحفروا على الهرم بحروف مصرية مقدار ما أنفق على الفعلة من الفجل والبصل والثوم ، وقد قال لى من ترجم هذه الكتابة (١) - وأنا أتذكر قوله جيداً - إن تلك النفقات بلغت ألفاً وستمائة وزنة من الفضة (ما يزيد على ٣٢٠٠٠٠ جنيه مصرى) ، فإذا صح هذا فكيف تكون النفقة على الآلات الحديدية ، وبقية مؤونة الفعلة من طعام وكسوة ، لانهم قضوا فى هذا العمل الزمان الذى ذكرته مع قطع النظر عما صرفوا من الوقت فى تنسيق الاحجار ونقلها بالعجلات وحفر الغرف تحت الارض ،

ويقول ديودور (١ - ٦٣) ان شمس ثامن ملوك مدينة منفيس والذى ظل فى الحكم خمسين سنة : « بنى أكبر الاهرام الثلاثة التى اعتبرت من عجائب الدنيا السبع : وهى تقع جهة ليبيا على بعد ١٢٠ فرسخاً من منفيس و٤٥ من النيل . وعظم هذه الأبنية ومجهود العمال الذى يتراءى فى حذق صنعها ، يثيران فى الرائيين الاعجاب والدهشة . وكان أكبرها على شكل مربع يبلغ طول ضلعه عند القاعدة ٧٠٠ قدم ويزيد ارتفاعه

(١) يقول الاستاذ ماسبرو فى تعليقه على كتاب هيرودوت الثانى ، فى كتاب له عنوانه دراسة الاساطير والآثار المصرية جزء ثالث : « إنه ليس من المقبول عقلاً أن الذى ترجم له هذه العبارة - وهو يشبه تراجم اليوم الذين يرافقون السائحين - كان يعرف قراءة الهيروغليفية ، ومما لا شك فيه أنه لم يقص له سوى الروايات التى تتداولها أفواه الناس خاصة بالاهرام وغيرها من الآثار مع اضافة مبالغات يفتريها عليها » ويقول الاستاذ بدج W. Budge : « اذا كان على السطح الخارجى نصوص حتماً فلا بد أن تكون نصوصاً دينية صرفة ، كتلك النصوص التى نراها فى داخل هرم بيبى وتتا وأوناس »

عن ٦٠٠ قسم ، وهو مبنى من الرخام الصلب الذى يجر طويلا ، لأنه وقد مضى على بنائه ألف سنة - ويقول آخرون زيادة عن ثلاثة آلاف واربعمائة سنة - ما زالت أحجاره متماسكة جيدا ، وما يزال البناء كهده الأول حين انتهى منه البناء ، لم تنل منه يد الأزمان الطويلة والقرون المتعاقبة . ويقولون ان أحجاره كان يؤتى بها من جبل العرب على بعده ، وانهم كانوا يكدسون التراب تلالا يرفعون عليها الأحجار للبناء ، حيث لم تكن تعرف فى هذا الوقت آلات تستخدم لرفع الأحجار . وان أعجب ما يجب له الانسان أن يرى وضع الأساس بهذه الحكمة فى بقعة رملية ليس بها أثر ظاهر من صلابة الأرض ، كما أنه لم يوجد بها من بقايا الأحجار ما يدل على انها اقتطعت فى هذه البقعة وصقلت بها ، بل الكتلة كلها تظهر كأنها أقيمت دفعة واحدة وثبتت فى وسط أكوام الرمل بقدره إله ولم تبين تدريجا بأيدي بشر . وبعض المصريين يقص أشياء عجيبة ويخترع حكايات غريبة فيما يختص بهذه الاعمال ، مؤكدة أن التلال كانت تقام من الملح حتى اذا طاف عليها طائف من فيضان النيل أذابها وجرف كل شيء ما عدا البناء ولكن ليس هذا صحيحا ، بل ان الأيدي التى وضعت هذه التلال هى التى رفعتها لأنهم يقولون إن ٣٦٠٠٠٠ رجل استخدموا فى هذا العمل ، وانه تم بشق الأنفس فى عشرين سنة ، (١)

وفى نظر ديودور أن العمال والمهندسين الذين بنوها أحق بالشاء عليهم من الملوك الذين انفقوا عليها الأموال وسخروا لها العمال ، لأن أولئك ابقوا لنا علومهم ومهارتهم تحدثنا عن فضائلهم وتنبئنا باقترارهم ، أما هؤلاء الملوك فانهم اما سخروا الاهالى قهراً وظلماً واما أجروهم باموال ورثوها وسلبوها من الناس

ووصف بليني Pliny للاهرام ٢٥ (١٦ - ١٧) من تاريخه الطبيعى على جانب كبير من الطلاوة :

« بنى الهرم الأكبر بأحجار قطعت من جبل العرب ويقال أن ٣٦٦٠٠٠ رجل استخدموا فى اقامته مدة عشرين عاما ، وان الاهرام الثلاثة استغرقت ٧٨ سنة واربعة شهور . ولقد وصفها الكتاب الآتون : هيرودوت وأهيرموروس . الخ وهؤلاء المؤلفون متناقضون فى رواية الأشخاص الذين بنوها ، ولقد أدت تقلبات الظروف الى نسيان الكثير من اسماء الذين اقاموا هذه الآثار العظيمة . وبعض هؤلاء الكتاب

(١) عن ترجمة Booth صفحة ٦٥

يخبرنا أن ١٥٠٠ وزنة من الفضة صرفت في شراء الفجل والبصل والثوم وحدها ،
وان اصعب مسألة هي أن نعرف كيف أمكن أن ترفع مواد البناء الى مثل هذا الارتفاع
العظيم . وترى بعض المصادر أنه كان كلما ارتفع البناء شيئاً كوموا الى جانبه تلالا كبيرة
من الملح والنظرون التي ذابت أكوامه بعد الفراغ من البناء بواسطة جرى ماء الفيضان
من تحتها . ويعتقد البعض الآخر أن قناطر قد بنيت من اللبن ، وأنه عند ما تم الهرم
اتنفع بهذا اللبن في اقامة الأكواخ التي كان يسكنها القرويون وأوساط الناس ، ولا انخفاض
مستوى النهر انخفاضا كبيرا لم يتيسر اوصول الماء الى الهرم في قنوات تمتد من النهر
ولكن في داخل الهرم الكبير بئر عمقها ٨٦ ذراعا يظن انها موصولة بالنهر . وطريقة
للتحقق من ارتفاع الاهرام وما شابهها من المباني الشاغرة اكتشفها Thales فلقد قاس الظل
في ساعة من النهار يكون فيها ظل كل شيء مساويا له . . ويشغل الهرم الأكبر سبع
ججيرات وزواياه الاربع على مسافات متساوية في البعد . وطول كل جانب ٨٣٣ قدما .
والارتفاع السكلى من الارض الى القمة ٧٢٥ قدما ، ومسطح القمة يبلغ محيطه ١٦ قدما
أما الهرم الثانى فلن أوجه الجوانب الأربعة يبلغ طول كل منها ٧٥٧ قدما على حين
أن الهرم الثالث أصغر من الآخرين ولكنه أحسنها شكلا وأبدعها تنسيقا : وهو مبنى
من الحجر « الاتيوبى » أى (الجرانيت)

وهالك وصف أسترابون للاهرام (١٧ - ١ - ٣٣) :

« وعلى مسافة ستديات من منفيس تل يقع عليه عدة اهرام هي قبور للملوك .
وأكبرها ثلاثة يدخل اثنان منها ضمن عجائب الدنيا السبع (١) وهي مربعة الشكل
ويفوق ارتفاعها قليلا طول أحد الجوانب . وأحد هذه الاهرام أكبر من الثانى وفى
أحد الجوانب على مسافة من الارض يوجد حجر يمكن تحريكه ، فإذا رفع أدى الى منفذ
يؤدى الى المقبرة وهما - أى الهرمان الأولان - متقاربان وعلى مستوى واحد ، أما الهرم
الثالث فعلى جهة مرتفعة من الجبل تبعد عنهما وهو يقل عن الاثنين الآخرين وان
كانت نفقات تشييده أكثر لان ما يقرب من نصفه الأدنى من الحجر الاسود »

ووصفها كذلك كثير من كتاب العرب - وقد بحث عبد اللطيف في أمرها - وخير

(١) عجائب الدنيا التي كان الناس يتعجبون منها في قديم الزمان هي : أهرام مصر ومنم
رودس ومنارة الاسكندرية واليه أو البرية بغير مصر وحدائق بابل المعلقة وسور بابل وهيك
بابل المعروف ببرج النمرود

من وصفها المقرئى (انظر الخطط والآثار جزء أول صفحة ١١١ وما بعدها)
والمسعودى فى مروج الذهب ، وابو الفداء فى تاريخه . ومن بين الكتاب المسيحيين
السوريين الذين وصفوها Dionysius الذى عاش فى القرن التاسع للميلاد إذ يحدثنا فى
خلال رحلاته « أننا رأينا فى مصر الاهرام التى يتحدث عنها اللاهوتى فى أناشيده ،
وهى ليست مخازن غلال يوسف كما ظن بعض القوم وإنما هى أبنية شائعة بنيت على
مقابر الملوك الأقدمين .. الخ

غير أن هناك حقيقة جهلها الأقدمون أو أهملوا ذكرها ، وهى أن كل هرم كان له
اسم مخصوص ليميزه عن غيره . فمثلا هرم الجيزة الأكبر سمي « أخت » وقد بنيت ثلاثة
اهرام متجهة الى الشرق أمام هرم خوفو الأكبر حيث دفنت زوجات الملك وأولاده ،
وحوله توجد مصاطب الامراء والاتباع مرتبة صفوفًا فى شوارع منتظمة
وان أبعد مدى يمكن أن تصل اليه عين الباحث فى اعماق الزمن السحيق ، وما
يمكن أن يعرفه من بقايا هذا العصر المغطاة بالنقوش ، يصل به الى أنه فى الازمنة القديمة
من أيام الأسرة الرابعة كانت جبانة الجيزة تختار لدفن أجساد أولاد الملك وامرائه
وان سحراً عميقاً ليغمر هذه الدنيا البائدة المملوءة بالحياة القديمة ، وذلك العالم الذى
يرتفع الى أعلى قمم الانسانية والحضارة ، ولا تزال عروق حياته الخالدة تنبض من
خلال النصوص والنقوش

الهرم الثانى بالجيزة

أما الهرم الثانى فقد بناه الملك خفرع الثانى ملوك الأسرة الرابعة عام ٢٨٦٩ ق . م .
وسماه (أور) . وهو يظهر لنا من بعيد أعلى من الهرم الأكبر لانه بنى على جزء مرتفع
من الهضبة ، ويبلغ ارتفاعه الحالى ١٣٦ر٤٠ متراً (وكان فيما سبق ١٤٣ر٥٠ متراً)
وطول الجانب ٢١٠ر٤٦ متراً (وكان ٢١٥ر٢٥ متراً) وبناء هذا الهرم أقل اتقاناً من
بناء الهرم الأكبر . ويقع مدخله فى الجهة البحرية على علو نحو ١١ر٥٣ متراً ، ومنه
يبدأ دهليز هابط يبلغ طوله ٣٢ متراً ، يسير بعدها فى خط أفقى ينتهى بغرفة ارتفاعها
٦ر٨٦ متراً وطولها ١٤ر٠٩ متراً وعرضها ٩ر٤ متراً كان بها تابوت من حجر
الجرانيت هو الذى دفن فيه الملك ، ولكن بلزوني حين فتحه فى مارس سنة ١٨١٨
وجده مملوءاً بالأتربة والردم

وكان لهذا الهرم فيما مضى مدخل آخر في أسفل واجهته البحرية أيضا ، يؤدي الى غرفة نحتت في الصخر قصد أن تكون غرفة الدفن في الأصل ، ولكنهم عندما عدلوا في رسم الهرم الاصلى بأن وسعوه وكبروه أعرضوا عن استعمالها وبنوا غرفة أخرى هي التي سبق ذكرها

أما كسوة هذا الهرم فلا تزال تكسو الجزء الأعلى منه قرب القمة ، وكانت من الحجر الجيري في المداميك العليا ومن الجرانيت في الدنيا منها

معبد خفرع الجنازى العلوى

وكان يلتصق بهذا الهرم من الجهة الشرقية معبد جنازى لا تزال آثاره باقية ، خصوصا بعض الجدران الداخلية وكسوتها التي كانت من الجرانيت . ورغم أن هذا المعبد قد بلى وتهدم إلا أنه بفضل حفائر بعثة « أرست فون زيجلن » ، عام (١٩١٠) أمكن معرفة رسم هذا المعبد في حالته الاولى

فالى يسار المدخل غرفة يطلق عليها غرفة البواب ، والى يمينه عدة مخازن مستطيلة ، وبلى هذا المدخل قاعة كبيرة أقبية كان بها أربعة عشر عموداً ، يليها قاعة عمودية أخرى كان بها عشرة أعمدة ، يجاوزها المرء الى فناء كبير مكشوف أحيطت جوانبه « بيواك » تقوم سقوفها على أعمدة مربعة تستند عليها تماثيل للملك ، تملئه بشكل أوزيريس وكانت أبواب هذه البواكى منقوشة بنقوش هيروغليفية ملونة بالألوان الخضراء والزرقاء ، والى خلف الفناء خمس غرف ضيقة مستطيلة كان بكل منها تمثال للملك ولذا تعرف هذه الغرف الخمس بغرف التماثيل . وكان الدهليز الواقع أمامها يصلها بخمس غرف أخرى متشابهة تقع وراءها استعملت كمخازن . وكان يلى هذه الغرف قدس الأقداس أو الهيكل الذى كان معداً لوضع الباب الوهمى ويدل على مكانه الآن فجوة فى الارض لا تزال باقية ومما يجدر ذكره مرة أخرى أن جميع جدران هذا المعبد كانت مبنية من الداخل بالحجر الجيري ، مكسوة من الخارج بأحجار الجرانيت ، أما الاعمدة الضخمة - التي كانت من الجرانيت كذلك - فلم يبق منها فى القاعات سوى بعض الفجوات التي تبين موضعها من أرض هذه القاعات (شكل ٣٩)

الدهليز

وكان يمتد من مدخل هذا المعبد دهليز - طريق - لا تزال آثاره باقية يبلغ طوله

هو ٤٩٤٦٠ من الامتار وهو يؤدي الى الوادى وينتهى برصيف على النهر أعد لرسو الاحبار التى كانت تحملها السفن أثناء الفيضان من محاجر طرة ، فى الجانب الآخر من النيل ، وتنقلها الى أسفل هضبة الاهرام ، أى الى هذا الرصيف ويظهر أنه بعد أن تم بناء الهرم ومعبد الجنازى - العلوى - السابق وصفه أقام خفرع على هذا الرصيف معبدًا جنازياً سفلياً - سيأتى وصفه - كان بمثابة الباب الكبير أو المدخل الذى يصل اليه من يزورون منطقة الهرم فى سفهم أثناء الفيضان على أن خفرع قد ربط بهذا الدهليز نفسه للمعبدين العلوى والسفلى ، بعد ان أحاطه بجدران ووضع له سقفا

معبد الوادى

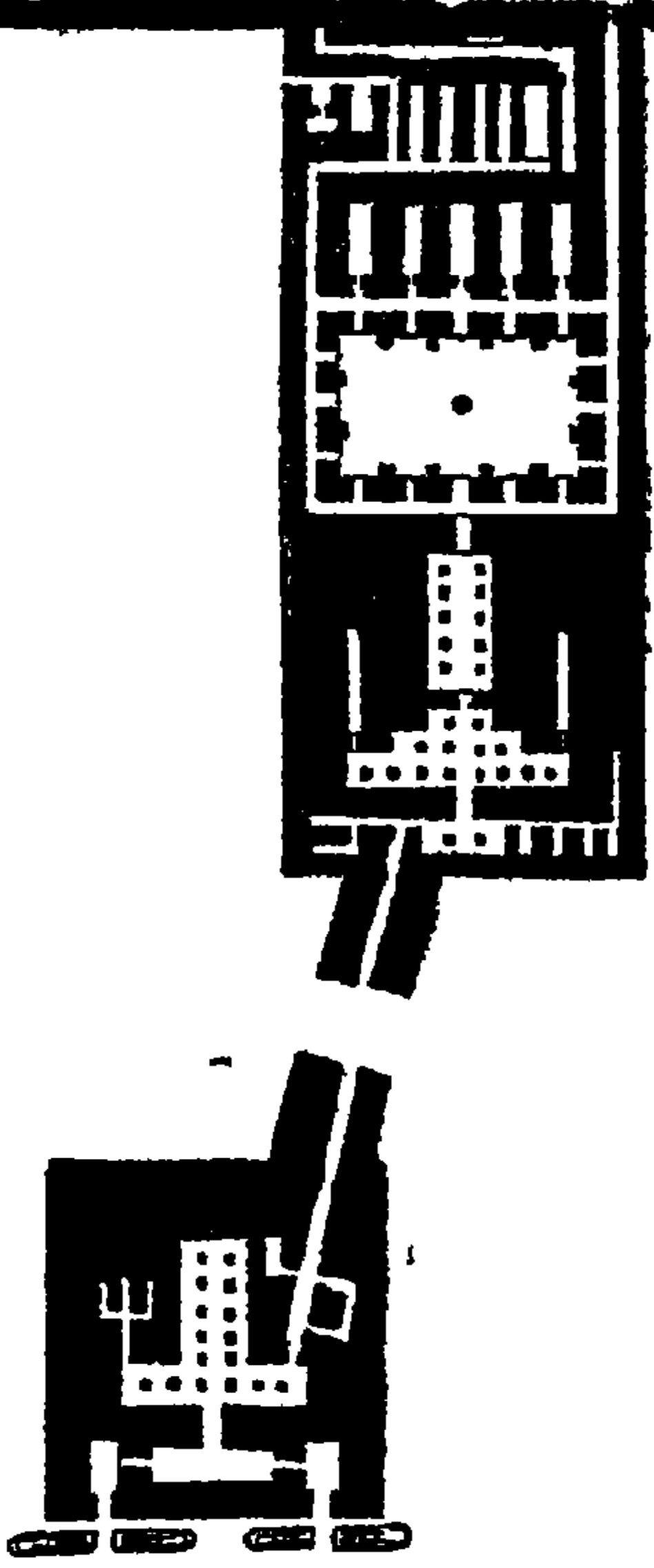
أما معبد الوادى - الواقع بجوار أبى الهول - فقد اكتشفه ماريت عام ١٨٥٣ ، إلا أن معظم أجزائه بقيت منطاة بالرمال الى أن جاءت بعثة « ارنست فون زيملن » فى عام ١٩١٠ فكشفت عن واجهته وباقي أجزائه ونشرت مؤلفا قبا عنه وهذا المعبد يعد من أقدم المعابد الجنازية الموجودة فى مصر ، ويكاد يكون كاملا ، وقد بنيت جدرانه من الحجر الجيرى الناعم المجلوب من طرة ، إلا أنها كسيت من الخارج بأحجار الجرانيت

ويشبه بناء هذا المعبد من الخارج للصطبة ، وكان بواجهته بابان وضعت على جوانبها تماثيل لأبى الهول ، يوصلان الى دهليز عرضى فيه بئر وجدت بها عدة تماثيل للملك خفرع باني هذا المعبد - وهذه التماثيل الثمانية معروض بعضها بقاعات المتحف المصرى ، والبعض الآخر محفوظ فى مخازن المتحف للعلقة - ويخرج من منتصف هذا الدهليز طريق يتصل برجة مستطيلة أفقية تقوم فيها ستة أعمدة متصلة برجة أخرى عمودية بها عشرة أعمدة من الجرانيت . وفى أحد طرفى الرجة الأولى دهليز يوصل الى ثلاث غرف صغيرة ذات طبقتين كانت تستعمل كمخازن للشموع والمشاعل والزيوت والأواني المقدسة وملابس الكهنة وغيرها من أدوات الاحتفالات المقدسة . وفى الطرف الآخر من هذه القاعة يمتد دهليز على أحد جانبيه غرفة بها درج يصعد الى سطح البناء ، وعلى الجانب الآخر غرفة يطلق عليها غرفة البواب وهى مبنية من للرم - فى جزئها العلوى - والجرانيت . ويمتد هذا الدهليز الى خارج المعبد فيتصل بالدهليز أو الطريق الفسيح

السابق ذكره الذى كان يربط هذا
للمعبد بمعبد الهرم العلوى (أنظر
شكل ٣٩)

الهرم الثالث بالجيزة

أما الهرم الثالث فقد بناه منقرع
ثالث ملوك الأسرة الرابعة وسماه « حر »
وقد دخل هذا الهرم هوارد فيس
Howard Vyse فى عام ١٨٣٧ ووجد به
تابوتا حجرياً وبقايا تابوت من الخشب
منقوش عليه اسم الملك « منقرع »
وقد نقلت بقايا التابوت الخشبى الى
انكلترا وهى محفوظة بالمتحف البريطانى.
أما التابوت الحجرى فقد غرق مع
الباخرة التى نقلته أمام شواطئ اسبانيا
ومع أن هذا الهرم أصغر كثيراً
من الهرمين السابقين ، إلا أنهم تأنقوا
فى بنائه واستعملوا الاحجار الثمينة فى
تغطيته ، فان ستة عشر « مدمكا »



(شكل ٣٩) معبد الهرم الثانى بالجيزة
الجنائزبان ، العلوى والسفلى ، والأخير منهما
يعرف بمعبد الجرانيت أو معبد الوادى

فى أدناه كسيت بالجرانيت الاحمر الذى لا يزال باقيا الى الآن ، أما باقى كسوته التى
كانت سابعة عليه فى ذلك الوقت فمن الحجر الجيرى

ويظهر أن الملك قد مات فجأة قبل أن يصقل أحجار هذه الكسوة

ويبلغ ارتفاع هذا الهرم ٦٢ متراً (كانت فى الأصل ٦٦ر٤٠ متراً) ، وطول
الجانب ١٠٨ر٠٤ متراً ويقع مدخله كسائر الاهرامات فى الجهة البحرية على ارتفاع نحو
أربعة أمتار من الارض ، وهذا المدخل يؤدى الى دهليز هابط يبلغ طوله ٣١ر٧٠
متراً يمر بغرفة يعتدل بعدها الدهليز فيسير أفقياً حتى يصل الى غرفة تتصل بها غرفة
أخرى وجد بها تابوت الملك الحجرى والخشبى وبداخله بقايا جثة بشرية

وإلى جنوب هذا الهرم ثلاثة أهرام صغيرة بكل منها ممر يوصل الى غرفة نقش على سقف غرفة الهرم الاوسط منها اسم « منقرع » وكان لهذه الاهرام معابد جنازية بالجهة الشرقية منها لا تزال ترى آثارها مبنية من اللبن

المعبد الجنازى العلوى والسفلى والدهليز

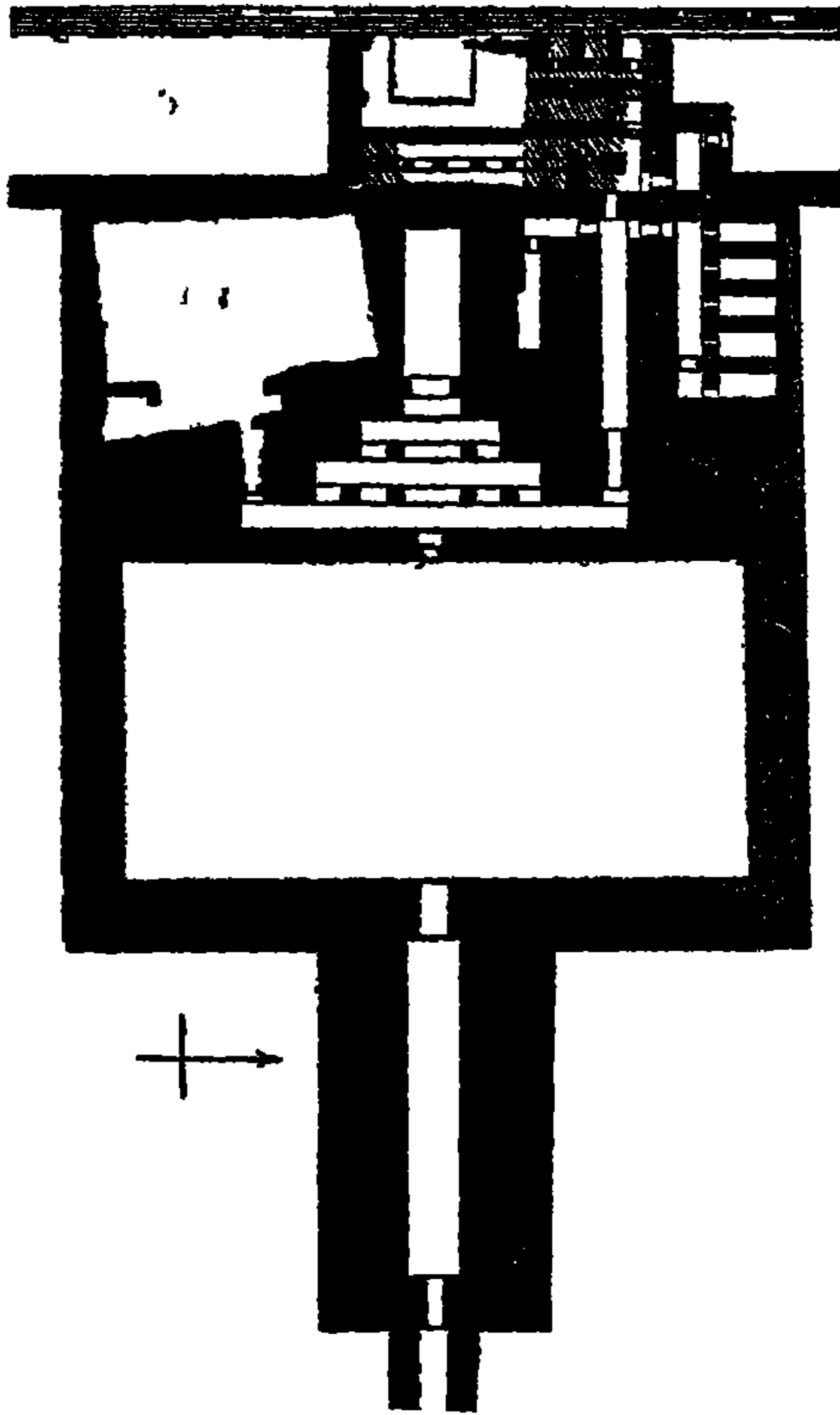
وقد قامت بعثة جامعة « هارفرد » منذ عام ١٩٠٧ تحت رئاسة الدكتور « ريزنر » بالكشف عن هذه المناطق . فبينت حفائرهما انه كان يلتصق بهرم منقرع من الجهة الشرقية معبد جنازى يمتد أمامه طريق يوصل الى معبد الوادى ، شأنه فى ذلك شأن الهرم الثانى ومعبدية . وهى القاعدة التى جرى عليها ملوك الاسرة الخامسة وغيرهم فى بناء اهرامهم

ولم يتم بناء المعبدين قبل موت منقرع فاختصر خليفته « شيسكاف » فى تنفيذ التصميم الاصلى ، بأن اختزل أجزاء كثيرة منه لم تكن قد بدأت بعد . كالبواكى التى كان يراد اقامتها على جوانب فناء المعبد العلوى . والمخازن التى تركت بدون تشييد فى الجانب الجنوبى من هذا المعبد نفسه . بل ان « شيسكاف » استعمل أرخص أدوات البناء لاتمام الجزء الباقى . فبناه باللبن بدلا من الحجر الجيرى

المعبد العلوى

يبدأ هذا المعبد بدელიز طويل يشبه فى نظامه الدهاليز التى تبدأ بها معابد الاسرة الخامسة الجنازية بأبى صير - وسيأتى وصفها فيما بعد - ويليه فناء مكشوف لم تبين « بواك » على جوانبه - وهى البواكى التى مات منقرع قبل أن يبدأها فأهمل خليفته بناءها - ويقع خلف ذلك قاعتان على شكل حرف T المقلوبة ، بالاقفية منهما ستة أعمدة : أربعة منها فى جزئها الرئيسى ، واثنان فى قسمها الأصغر . وأمام هذه القاعة ممر يسير شمالا ثم غربا مؤديا الى خمس غرف مبنية من اللبن كانت تستعمل كمخازن . ثم يتجه هذا الممر غربا فيصل الى المعبد الخاص أى الى الجزء الخلفى من المعبد الملتصق بجائط الهرم الشرقى والذى يقع به الهيكل فى منتصف واجهة الهرم الشرقية تماما

وتجدر ملاحظة المساحة التى تقع جنوبى القاعتين اللتين على شكل حرف T . فقد كانت مخصصة أصلا لبناء عدة مخازن تشبه مثيلاتها الواقعة فى الجهة الشمالية . ولكن



(شكل ٤٠) معبد هرم منقرع
الجنائزى العلوى (بالجيزة)

عندما مات الملك أهمل بناؤها وأقيم مكانها سلم لا تزال بقاياها موجودة .
ويجب علينا ألا ننسى أن زهاء ربع مساحة المعبد تركت خالية من البناء بسبب موت « منقرع » الفجائى
(شكل ٤٠)

الدهليز

أما الدهليز الذى يمتد أمام المعبد العلوى ويصله بالمعبد السفلى فلا تزال آثاره موجودة فى كثير من الاجزاء وخاصة أمام المعبد العلوى . وهذا الدهليز هو نفس الطريق الذى استعمله القدماء لجر الاحجار عليه من رصيف الهر حيث كانت ترسو السفن وقت الميضان محملة بالاحجار الجيرية المقطعة من طرة الى أن تصل الى منطقة بناء الهرم فى أعلى الهضبة

ويظهر أن هذا الطريق لم تبني له حوائط جانبية بسبب موت الملك الفجائى

المعبد السفلى أو معبد الوادى

أما المعبد السفلى فقد بنى كما بنى معبد خفرع على رصيف الوادى السابق ذكره ، وبما لا شك فيه أن صاحبه منقرع قد دأب على الموت بعد أن أتم وضع الأسس وحدها ، أما باقى البناء فقد أنجزه خليفته من البن

وقد وجدت فى هذا المعبد المجموعات المشهورة من حجر الشست التى تمثل الملك واقفا بين الالهة « حتحور » من جهة وشخص يمثل احدى ولايات مصر من الجهة الاخرى ، وثلاث من هذه المجموعات بالمتحف المصرى ، أما المجموعة الرابعة التى تظهر فيها « حتحور » فى الوسط فهى محفوظة بمتحف بوسطن بأمريكا . كما وجد بالمعبد

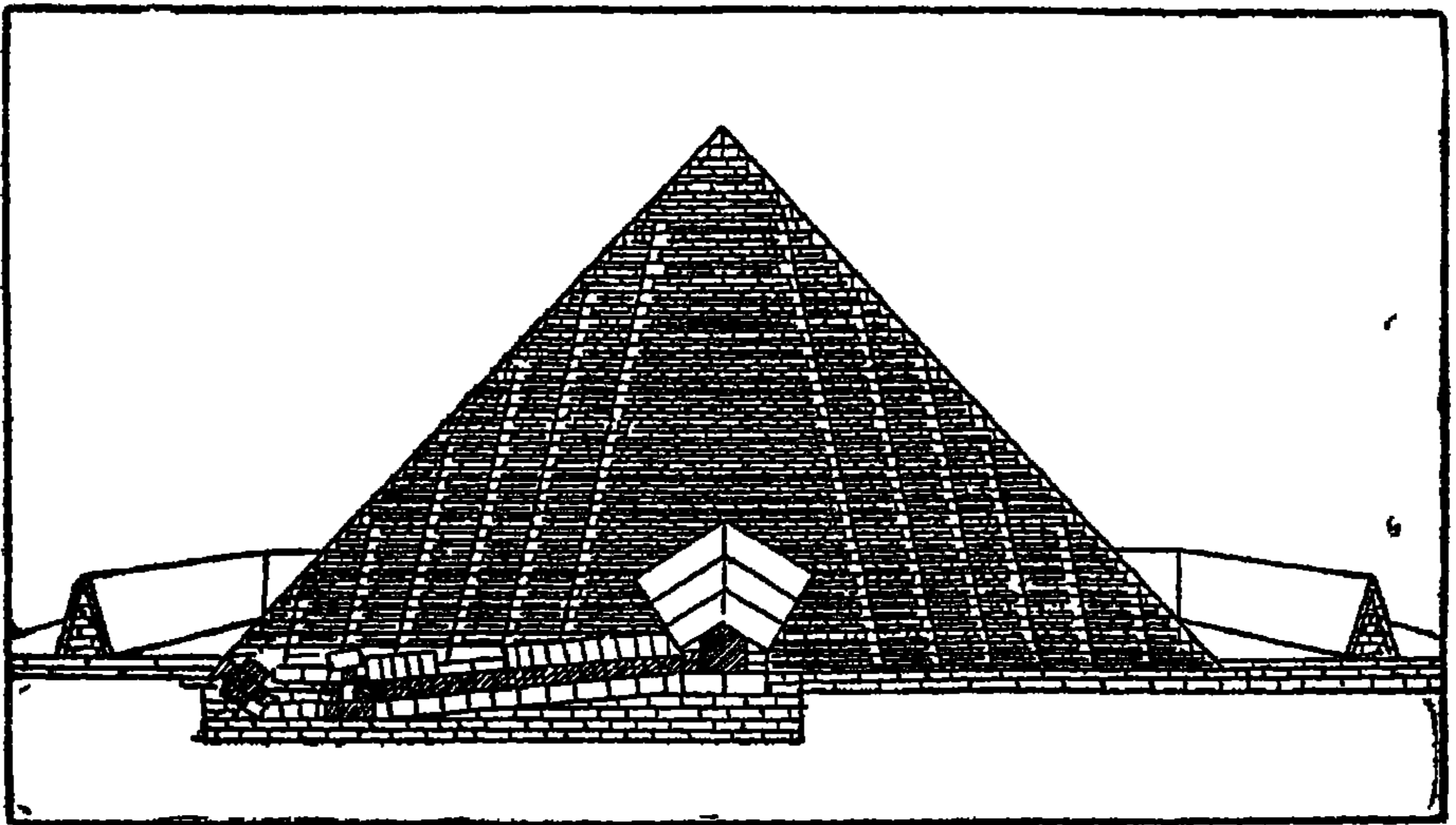
تمثال الملك والملكة ، وهو محفوظ كذلك بمتحف بوسطن بأمريكا ، وقد صب له قالب
عرضناه بالمتحف المصرى

اهرام أبى صير ومعابدها الجنازية

أقام هذه الاهرام ملوك الأسرة الخامسة على هضبة أبى صير ، غير أنهم لم يغنوا
بيناتها كثيراً ، فلم يبق منها إلا ثلاثة اهرام ، هرم « سحورع » فى الجانب البحرى
وهرم « نى أوسررع » فى جنوبه ، وهرم « نفر إركارع » فى جنوب سابقه تقريبا .
وهذه الاهرام الثلاثة مع معابدها العلوية والسفلية والطرق التى توصل بين هذه المعابد
اكتشفها الدكتور « بورشارد » الذى تقب فى هذه المنطقة فيما بين عامى ١٩٠١ - ١٩٠٨
لحساب جمعية الشرق الألمانية Deutsche Orient-Gesellschaft

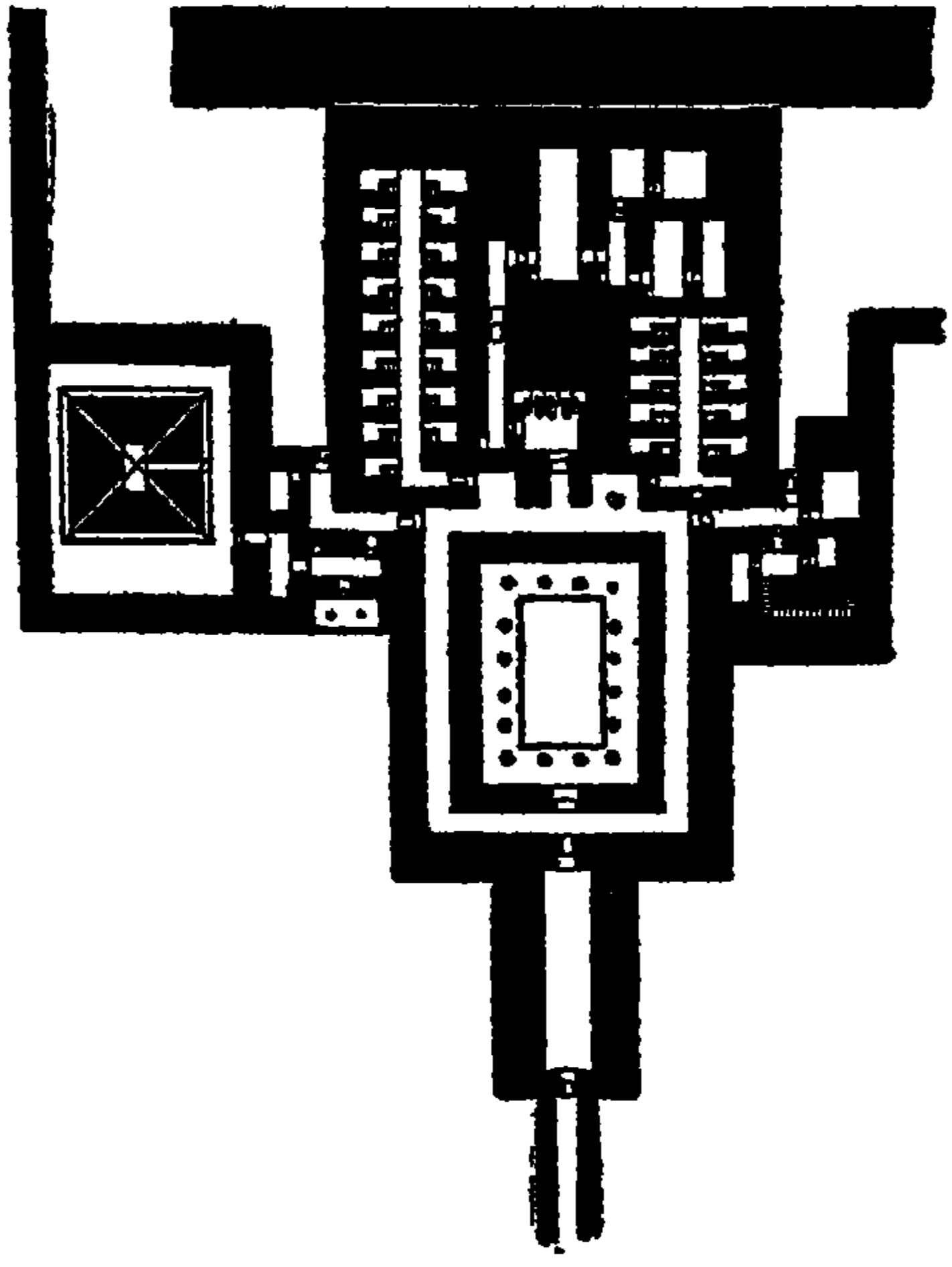
هرم سحورع

هو الهرم الشمالى من مجموعة اهرامات أبى صير بناء سحورع ، ثانى ملوك الأسرة
الخامسة وممما « خع با سحورع » . ويقع مدخله فى الجانب الشمالى وكان ارتفاع الهرم
٤٩٦٠ مترا قبل الآن الى ٣٦ مترا . أما طول الجانب (عند القاعدة) فكان ٧٨٣٢
مترا وقل الآن الى ٦٥٦٣ مترا

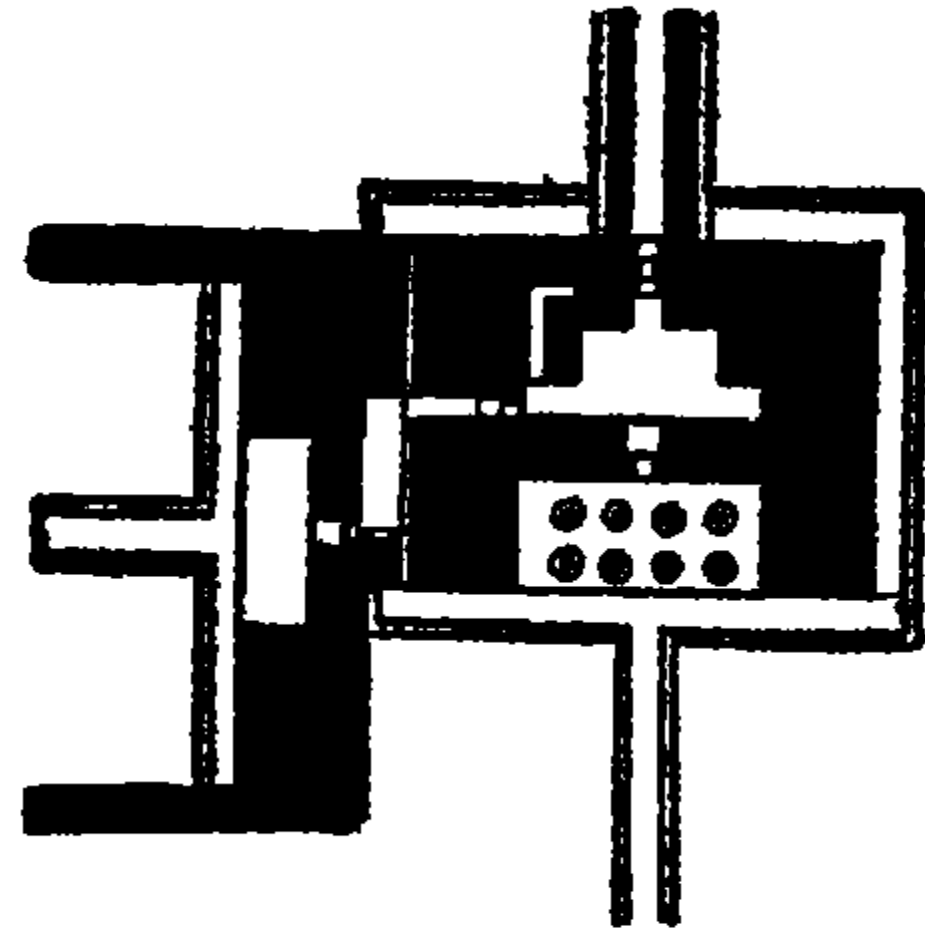


(شكل ٤١) مقطع بين الأجزاء الداخلية فى هرم سحورع بابى صير

ويعتمد من مدخل الهرم دهليز يصل الى غرفة الدفن التي تقع في وسط البناء . وكان يعترض هذا الدهليز جملة غرف صغيرة تملأ بكتل ضخمة من الجرانيت وضعت لتسد الطريق الى غرفة الدفن ، رغبة منهم في حماية الجثة التي ما أقيم الهرم كله إلا لحمايتها (شكل ٤١)



أما معبد هذا الهرم الجنائزي (شكل ٤٢) فقد أقيم كالعتاد في الجهة الشرقية من الهرم . ويعتبر أظهر مثال لمعابد الاهرام الجنائزية . وتصميم هذا للمعبد سهل بسيط ، فقد كان يتكون من : (١) دهليز طويل ، يليه (٢) فناء مكشوف على جوانبه الاربعة يواكي تقوم على ستة عشر عمودا ، وكان يحيط بالفناء محرات من الخارج . ووراء الفناء ، أى في الجهة الغربية ، يقع باب يوصل الى (٣) غرفة بها خمسة أقسام كانت توضع بها تماثيل للملك



(شكل ٤٢) رسم تخطيطي لمعبدى هرم سحورع بأبي صير

الى هنا كان ينتهى المعبد العام ، ولكن هذا لم يكن إلا بداية القسم الخاص من المعبد أو المعبد الخاص اذا شئت دقة التعبير . فكان في غرفة التماثيل المذكورة باب يؤدي الى ممر طويل يقع في نهايته الهيكل أو قدس الاقداس المبني في الجزء الخلفي من المعبد أمام الجانب الشرقى من الهرم مباشرة ، وفي وسط هذا الجانب بالضبط . وكانت اللوحة توضع في هذا الهيكل ومعها مائدة القرايين وأواني الطهور . وقد ألحقت بالهيكل من الجهة الشمالية عدة غرف لا يعرف الغرض منها

فإذا عدنا الى المعر الواقع امام غرفة التماثيل واتجهنا شمالا مارين بغرفة ذات عمود واحد ، وصلنا الى سلسلة غرف ذات طابقين استعملت مخازن تحفظ فيها الأدوات الثمينة الغالية . وكان لكل غرفة منها باب يعلق عليها . فإذا عدنا ثانيا الى المعر السابق - الواقع أمام غرفة التماثيل - واتجهنا جنوبا مارين بغرفة أخرى ذات عمود واحد ، ثم اتجهنا غربا وصلنا الى سلسلة أخرى من المخازن ذات الطابقين ، لها درج لا يزال باقيا يؤدي الى المخازن العلوية

والى جنوب شرق المعبد مدخل خاص ذو عمودين يوصل الى عدة غرف تربط هذا المدخل بالمعبد نفسه ، لكنه يوصل فى الوقت نفسه الى فناء خاص أقيم فيه هرم الملكة ، فكانت غرف هذا المدخل الخاص معبداً جنازياً لهرم الملكة

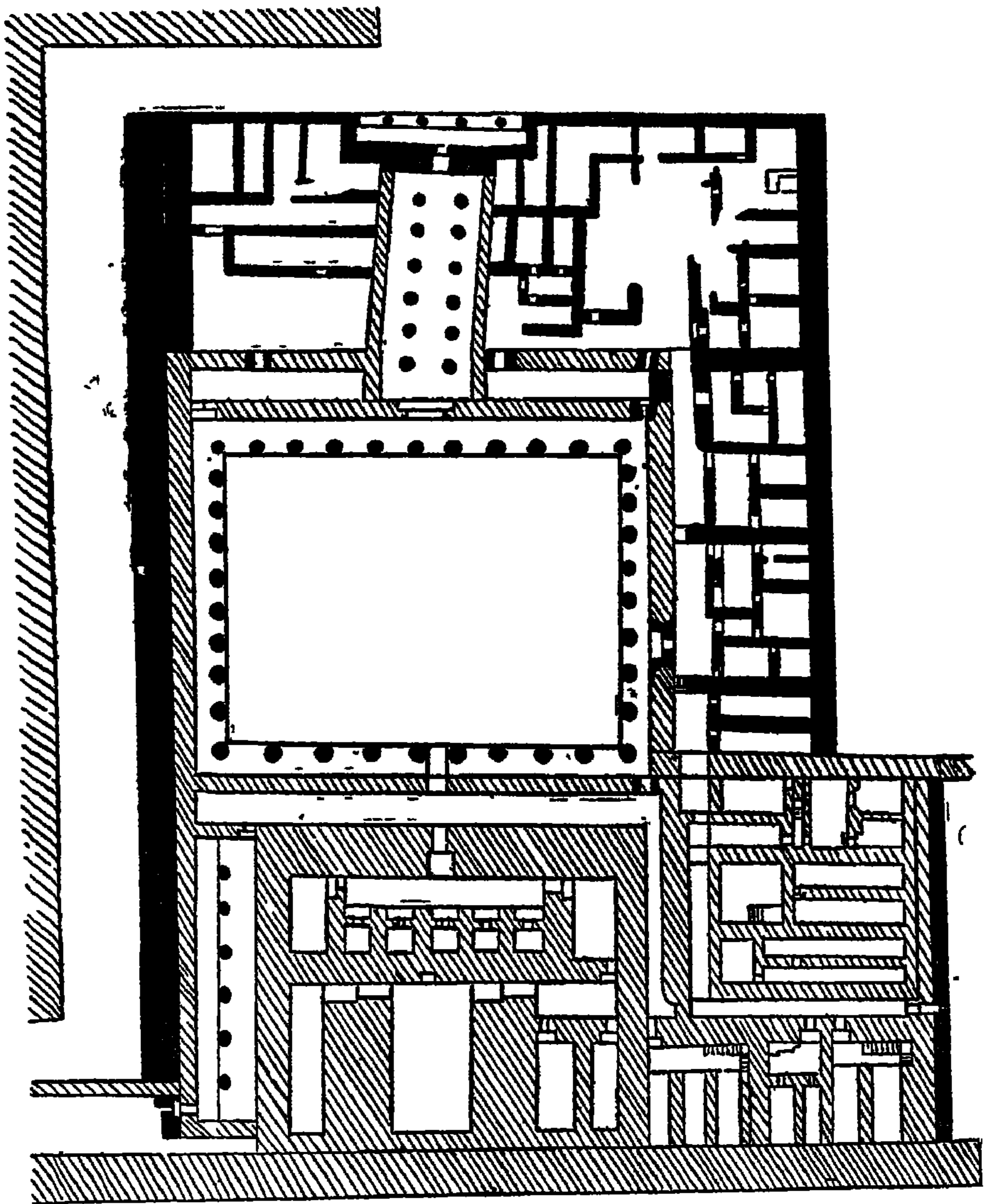
أما الدهليز الذى كان يصل بين المعبد العلوى ومعبد الوادى فلا تزال أكثر آثاره باقية

أما معبد الوادى فقد بلى وتهدم ، وكان مدخله الرئيسى يواجه الشرق ، يؤدي اليه إيوان (بواكى) محمول سقفه على ثمانية أعمدة مرتبة فى صفين . وكانت تليه غرفة ذات عمودين يقع الى خلفها دهليز يوصل الى الدهليز العام ، فضلا عن ذلك فان لهذا المعبد مدخلا جانبياً يقع الى الجنوب به إيوان ذو أربعة أعمدة يوصل الى داخل المعبد

هرم نفر إركارع

أقام « نفر إركارع » ، ابن « سحورع » وخليفته وثالث ملوك الأسرة الخامسة . هرمه بأبى صير الذى يعد أفخم أهرام المنطقة . وهذا الهرم هو الجنوبي فى مجموعة اهرام المنطقة وسماه « بانفر إركارع » أى روح الملك نفر إركارع ، وقد كان « تى » صاحب المصطبة المشهورة بسقارة مشرفاً على هذا الهرم

وكان ارتفاع هذا الهرم ٦٩ر٤٣ متراً قلت الآن الى ٥٠ متراً . وطول الجانب ١٠٩ر٦٥ متراً قلت الآن الى ٩٩ متراً . وقد غطى هذا الهرم دون سائر أهرام أبى صير بكسوة من الجرانيت . وذلك على الأقل فى الداميك السفلية . أما باقى الكسوة فكانت ككسوة باقى أهرام هذه المنطقة من الحجر الجيرى الناعم المأخوذ من طرة . ويرجع أن قمة هذا الهرم كانت كتلة أو هريمة من الجرانيت . وقد اتخذت هذه الهريمات فى معظم الاهرامات الكبيرة



(شكل ٤٣) رسم بين أجزاء معبد « نفر إركارع » الجبازى العلوى

وإذا لاحظنا أن الهضبة التي أقيم عليها هذا الهرم كانت ترتفع عن مستوى وادى النيل في ذلك الوقت بثلاثة وثلاثين متراً . وأن ارتفاع الهرم في الأصل كان نحواً من السبعين متراً ، لأمكننا أن نتصور مقدار جلال هذا الهرم - في علوه الاجمالى البالغ مائة متر - أمام من ينظر اليه من الوادى . ولو أنه لا سبيل الى مقارنته بالهرم الاكبر بالجيزة أما نظام هذا الهرم من الداخل فيشبه هرم سحورع . فالمدخل الواقع في الواجهة

البحرية يؤدي الى عمراً أفقي تقريباً تعترضه غرف صغيرة ملئت بكتل من الجرانيت . وهذا للمر يؤدي الى غرفة الدفن التي صنع سقفها من كتلتين مائلتين من الحجر لتقليل ضغط البناء عن السقف . وهذا المر هو وغرفة الدفن في حالة سيئة جداً . فكلها مملوء بالاحجار والأتقاض

وقد بنى المعبد العلوى (شكل ٤٣) كما بنيت سائر المعابد في الجهة الشرقية . والمعبد الذي نراه اليوم لم يبنه « نفر إركارع » وحده . فقد مات هذا الملك كما مات من قبله الملك « منقورع » قبل أن يتم بناء معبده . والواقع أن الجزء الذي قام ببنائه « نفر إركارع » لم يتعد الهيكل وما حوله من غرف تقع الى شماله وجنوبه . ثم الغرفة الواقعة أمام الهيكل التي أعدت لوضع الخصة التماثيل

أما أجزاء المعبد الأخرى فقد تركها الملك عند موته وديعة لخليفته يتصرف فيها كيف شاء . وقد بنى خليفته الفناء ذا الأعمدة . وأضاف بعض المخازن حول البناء الأصلي الذي أقامه سلفه شمال وجنوب الغرف الواقعة حول الهيكل . وكلها من اللبن تسهيلاً للعمل وإسراعاً في إنجازها . وعند ما تولى « نى أوسر رع » الحكم أضاف بعض المخازن - التي بناها من اللبن أيضاً - حول الغرف التي سبق ذكرها ، ثم بنى عمراً طويلاً به اثنا عشر عموداً مرتبة في صفين أمام الفناء

وعند ما اغتصب « نى أوسر رع » الطريق الموصل بين هذا للمعبد ومعبد الوادى الخاص بنفر إركارع - كما اغتصب معبد الوادى نفسه لاتخاذها في معبده الجنائزى - اضطر الى أن ينقل مساكن كهنة نفر إركارع - التي كانت عبارة عن مدينة أو قرية قائمة بذاتها على مقربة من معبد الوادى - من الوادى الى الهضبة العليا حيث بنى لهم مساكن من اللبن حول جانبي الدهليز أو المرزى الاثنى عشر عموداً الواقع أمام الفناء المكشوف السابق ذكره ، كما بنى لهم مساكن أخرى من اللبن الى جنوب الفناء وبذلك اتخذ المعبد رسمه النهائي الذي يمكن تتبعه الى الآن

هرم « نى أوسر رع »

هو أصغر أهرام أبى صير ، بناه « نى أوسر رع » بين هرمى سلفيه « سحورع » و « نفر إركارع » ، فهو الهرم الأوسط في هذه المجموعة الى جنوب هرم « سحورع » ولا يتجاوز ارتفاع هذا الهرم ثلاثين متراً ، واسمه « من أسوت نى أوسر رع » قد

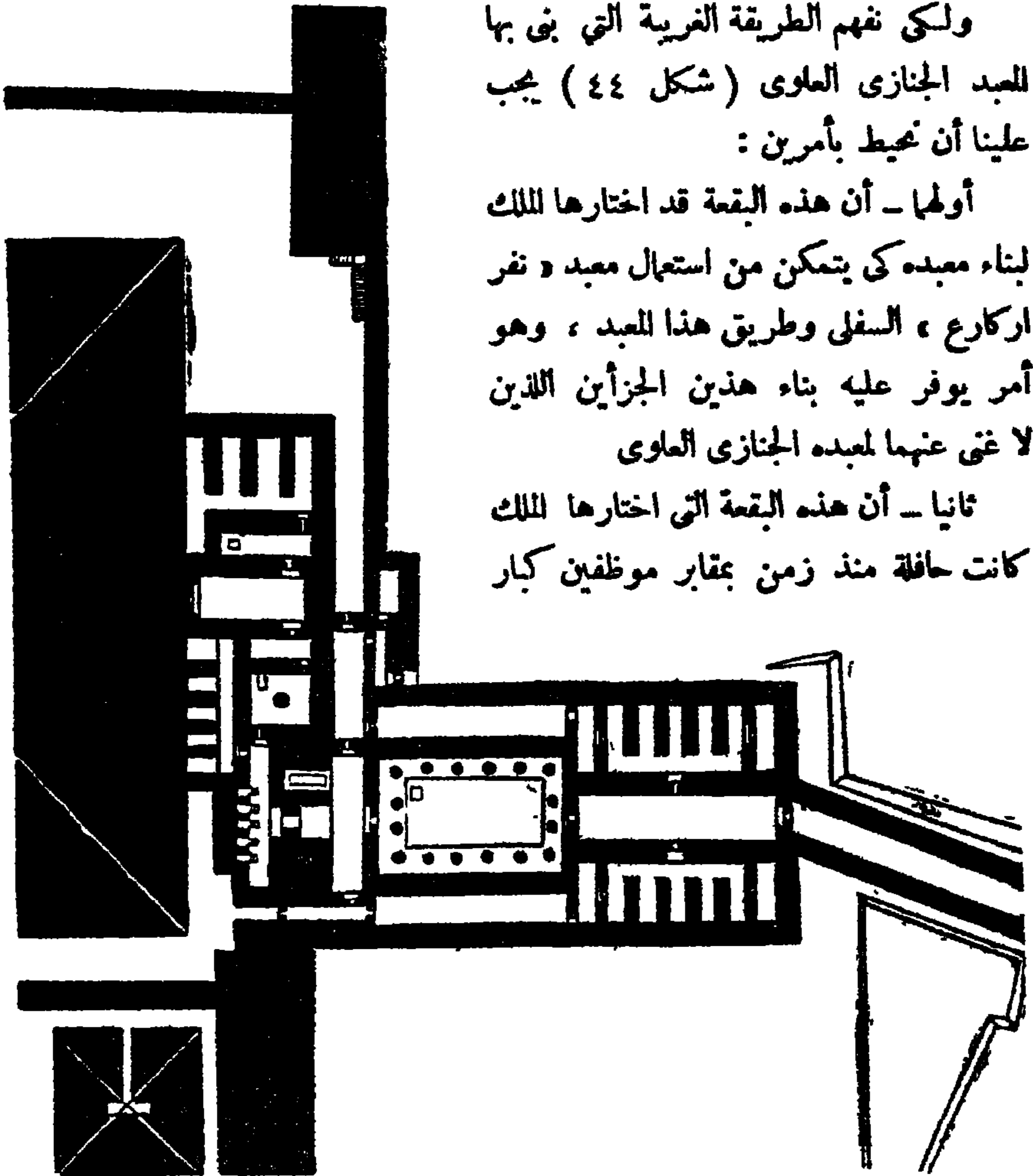
ورد جملة مرات في مصاطب ستارة كمصطبي «تي» و «أخت حنب» وهما كاهنا هذا الهرم وكان لهذا الهرم كسوة خارجية من الحجر الجيري وركب على قمته هرم من حجر صلب قائم يرجح أنه الجرانيت

أما مدخله فهو في وسط الواجهة البحرية تماما. والمدخل يؤدي الى عمارة طوله ١٢ مترا قد غطيت جدرانه وسقفه وأرضيته في الجزء الاول منه بالجرانيت وهذا الممر يؤدي الى غرفة تتلوها غرفة الدفن ، وقد صنع سقفها من كتلتين مائلتين من الحجر والى جنوب هذا الهرم أقيم هرم الملكة

ولكى نفهم الطريقة الغريبة التي بنى بها للمعد الجنائزى العلوى (شكل ٤٤) يجب علينا أن نحيط بأمرين :

أولهما - أن هذه البقعة قد اختارها الملك لبناء معبدته كي يتمكن من استعمال معبد « نفر اركارع » السفلى وطريق هذا للمعد ، وهو أمر يوفر عليه بناء هذين الجزأين اللذين لا غنى عنهما لمعبدته الجنائزى العلوى

ثانيا - أن هذه البقعة التي اختارها الملك كانت حافلة منذ زمن بمقابر موظفين كبار



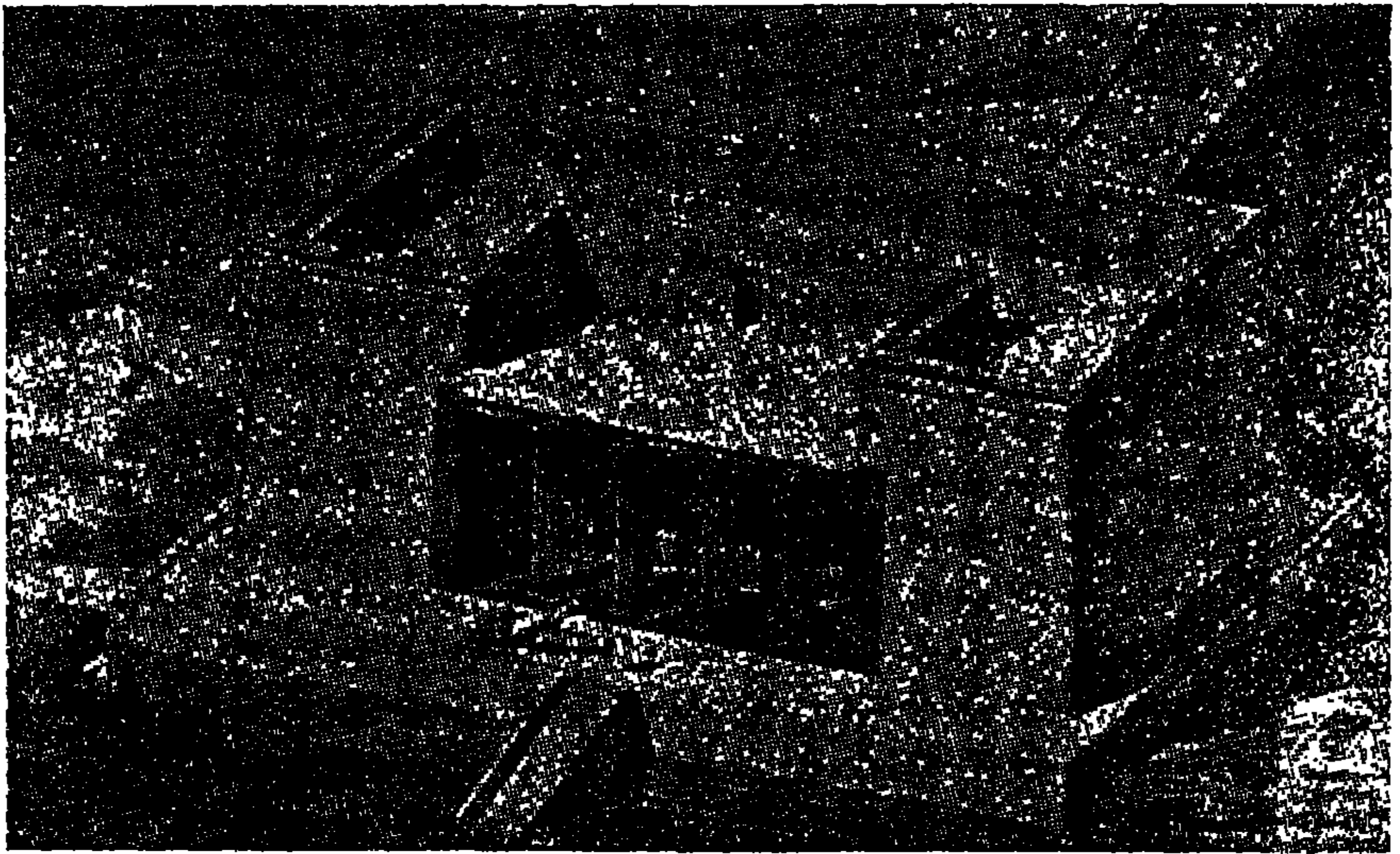
(شكل ٤٤) معبد هرم « نى أوسر رع » الجنائزى العلوى بأبي صير « رسم تخطيطى »

أمثال « أوسركاف عنخ » و « زازام عنخ » يرجع عهدهما غالبا الى عصر « سحورع » ،
وهي مقابر لم يشأ الملك أن يزيلها

ولما كان قيام هذه المقابر يمنعه من أن يبنى معبده الجنازى فى نفس محور الهرم ،
فقد دعاه ذلك إلى التفكير الطويل حتى اهتدى الى رأى موفق ، هو أن يفصل جزأى
المعبد ، فبنى للمعبد الخاص فى محور الهرم بحيث يكون الهيكل فى وسط جانب الهرم
الشرقى تماما كالاعتاد فى أمثال هذه المعابد ثم أحاط الهيكل بالغرف المعتادة ، بينما بنى للمعبد
العام فى محور آخر يبتعد مسافة ما الى الجنوب

وقد أقام المعبد العام كامل الاجزاء ، فتجد فيه : (١) الدهليز الطويل (٢) الفناء
المحاط بيواكى ذات أعمدة (٣) غرفة التماثيل

ومما يجدر ذكره أن الفناء المكشوف قد أحيط « بيواكى » فى جوانبه الأربعة
تحميلها ١٦ عمود من الجرانيت ذات تيجان صنعت على شكل نبات البردى ، وأن أرضية
هذا الفناء ومعظم جدرانها قد غطيت بحجر البازلت الذى لا يزال باقيا . وقد نقش على
سقف البواكى نجوم ذهبية على أرضية زرقاء



(شكل ٤٥) المعبد السفلى لهرم « نى أوسركاف » بأبى صير كما كان فى الأصل . وكانت هذه
المعابد السفلية للأهرامات تبنى على شاطئ النهر حيث ترسو على رصيفها السفن القادمة بطريق النهر

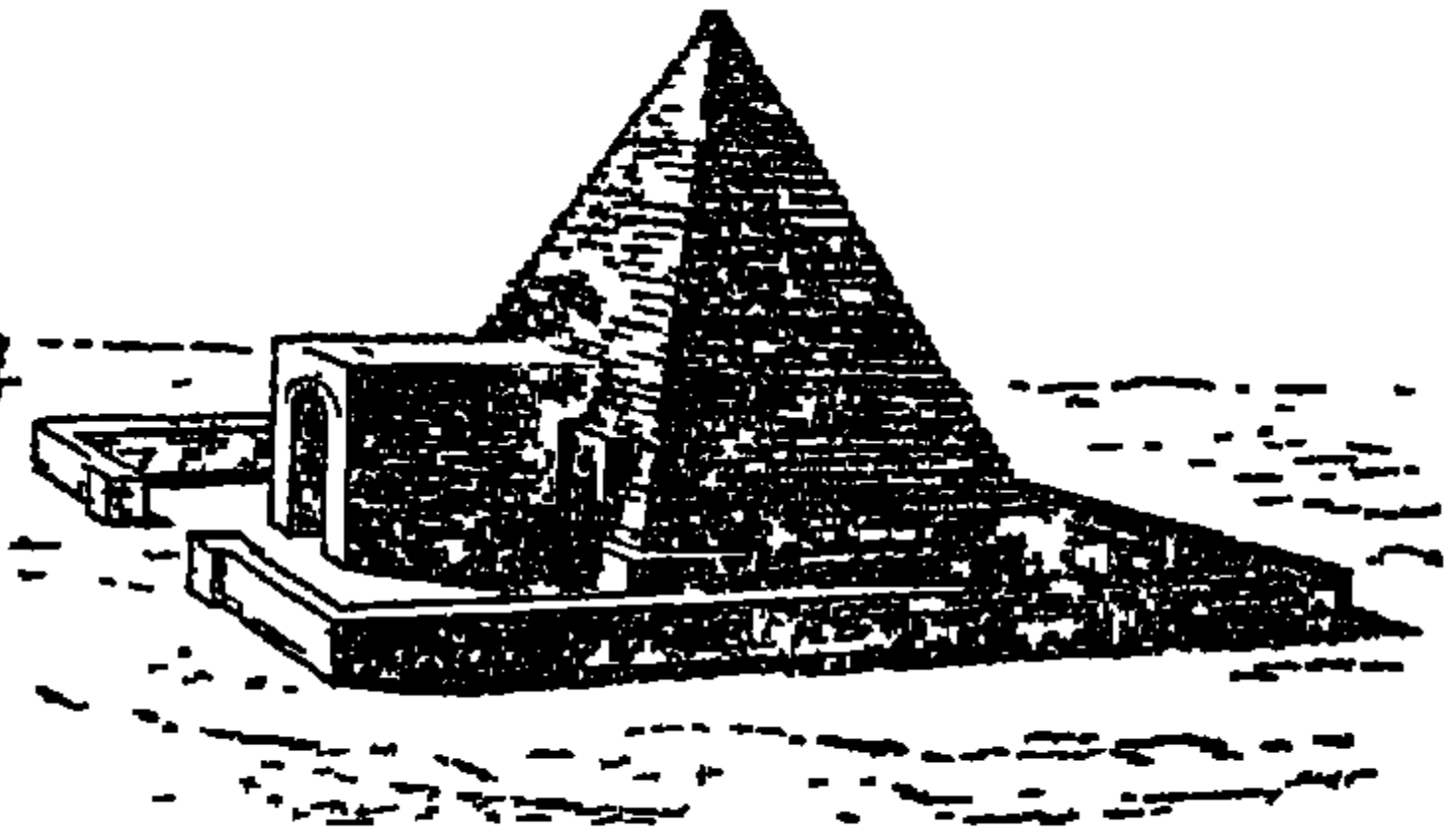
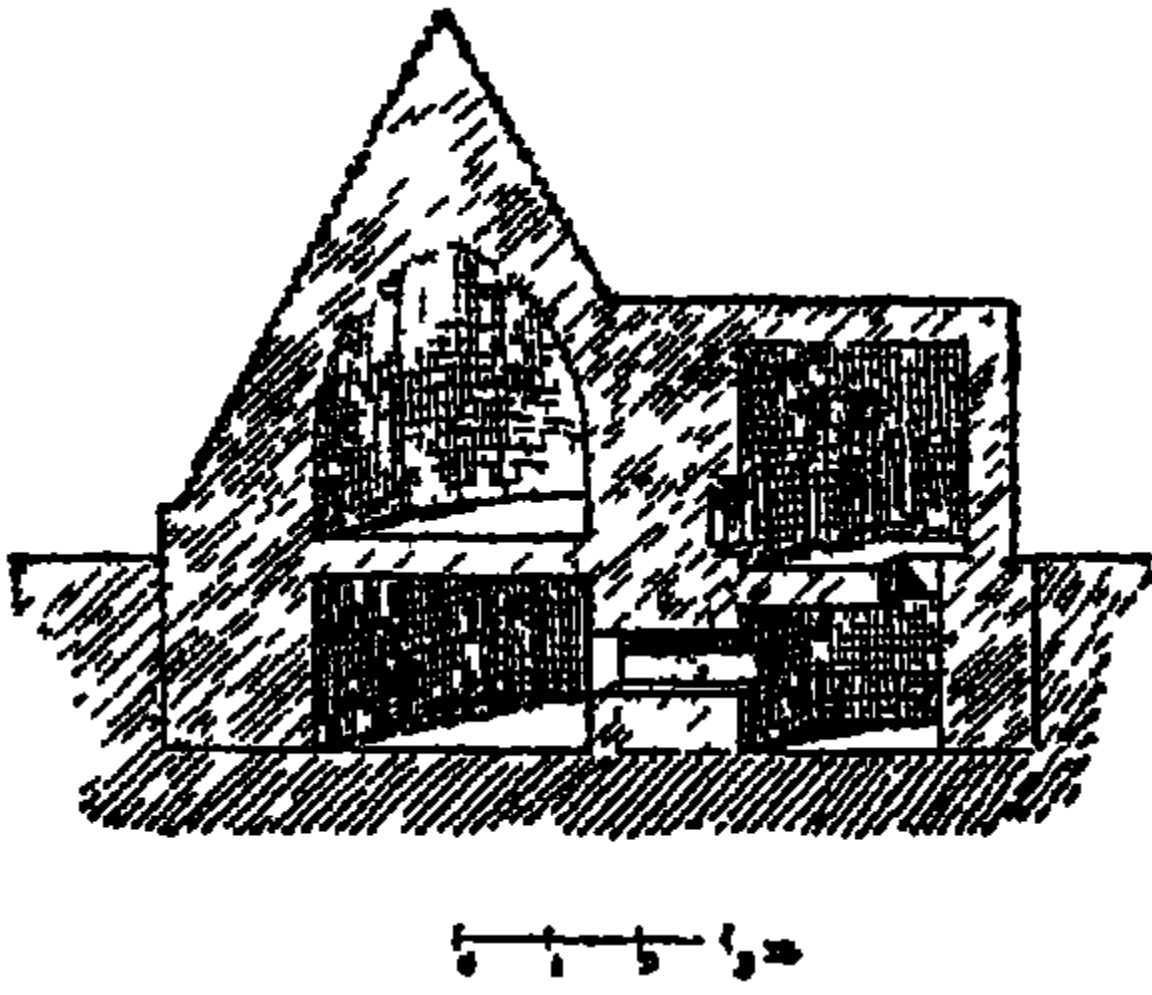
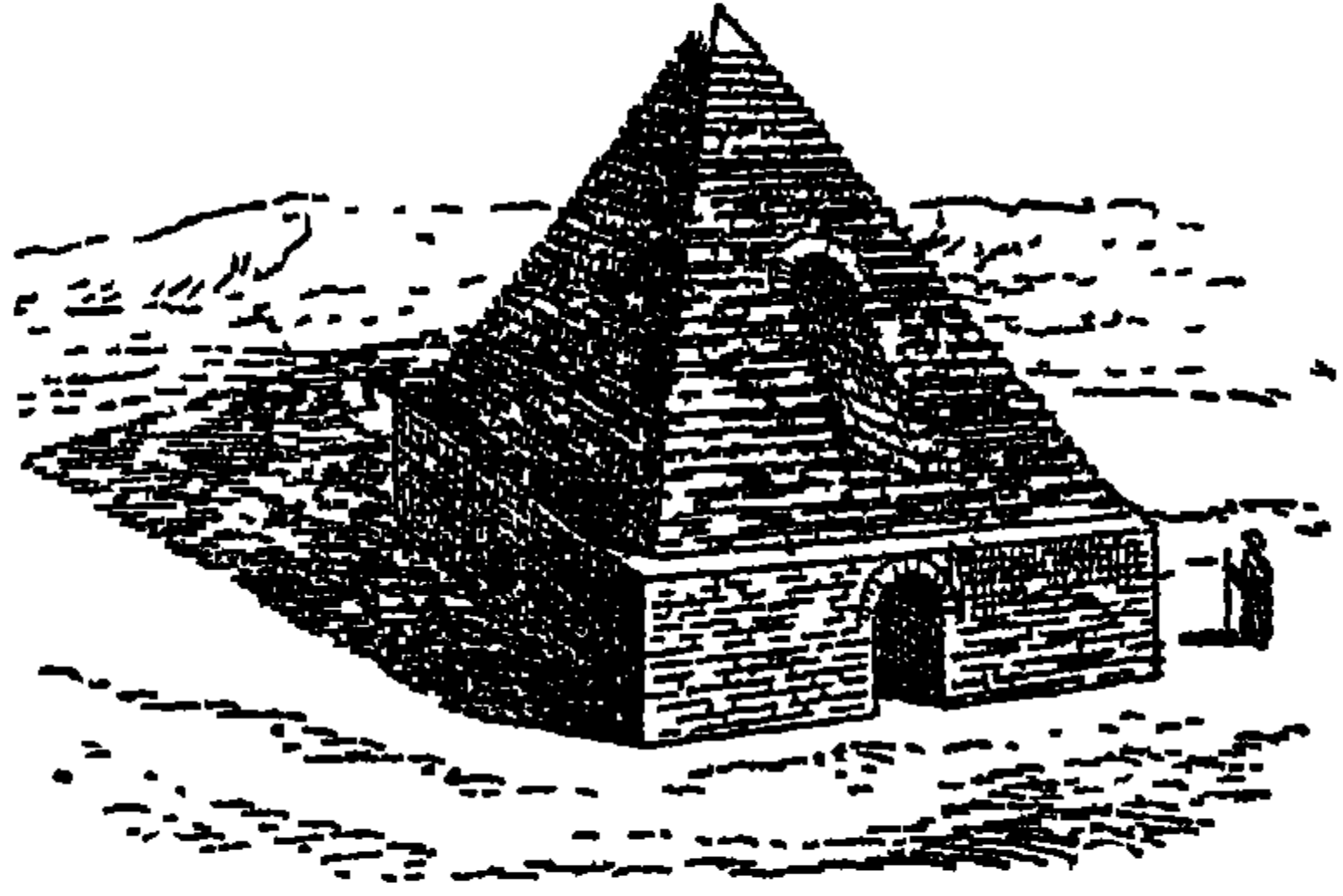
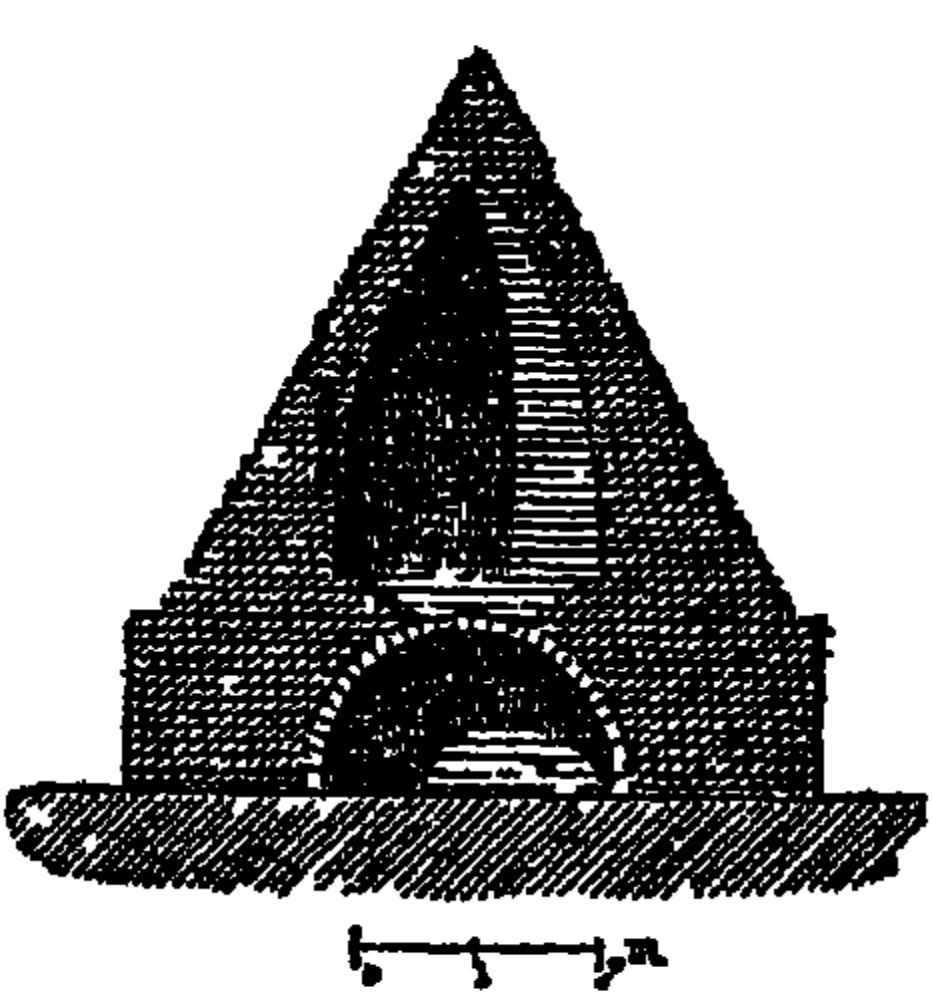
أما المخازن التي لم يكن لها موضع ثابت في هذه المعابد الجنائزية . فقد بنى بعضها حول الدهليز الطويل وبعضها حول الهيكل
أما معبد هذا الهرم السفلى فهو في حالة تهدم ، على انه كان في الأصل جميل البناء
(شكل ٤٥)

هرم أوناس ومعبده بسقارة

أما هرم أوناس فقد فتح داخله في عام ١٨٨١ ، ومدخله في الجهة البحرية - كالمعتاد -
في المدمالك الأدنى ، الذي كانت تغطيه الأرضية المحيطة بالهرم ، ويبدأ من المدخل ممر
هابط يوصل الى غرفة صغيرة ثم يسير بعدها أفقياً ، وكان يسد نهاية هذا الممر ثلاث
كتل عظيمة من الاحجار ، فاذا جاوزنا هذا الممر وصلنا الى غرفة غطيت جدرانها
الأربعة بنقوش زرقاء هي نصوص دينية تعرف بنصوص أو متون الاهرام ، وهي أقدم
النصوص الدينية المعروفة في مصر . والى يمين هذه الغرفة (بالجهة الغربية) غرفة الدفن
وبها تابوت الملك المصنوع من الجرانيت ، وجدران هذه الغرفة مغطاة بنصوص مشابهة
لنصوص الغرفة الأولى ، ويرى الى اليمين والشمال أبواب وهمية من المرمر
أما المعبد الجنائزي الذي كان ملتصقا بالهرم من الجهة الشرقية فقد بلى وتهدم -
وكان به فناء محاط من جهاته الاربع بيواكى ذات أعمدة تيجانها على شكل النخيل ،
وأمام منتصف واجهة الهرم الشرقية ، أى في المكان الذي كان يشغله الهيكل أو قدس
الاقداس ترى بقايا باب وهمي من الجرانيت

مقابر الدولة الوسطى

رأينا في الفصول السابقة أن مقابر الدولة القديمة كانت على شكل مصاطب ثم هذب
الملوك شكلها فبنوا الاهرام واتخذوها مقابر ضخمة عظيمة تحفظ فيها الجثة بعيدة عن
أيدي اللصوص . واستمرت الاهرام بعد ذلك مدة كمقابر ملكية حتى عصر الدولة
الوسطى ، فقد أقام امنمحت الثالث أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة هرما لنفسه من اللبن
بهوارة ، كما بنى سنوسرت الثاني من الأسرة نفسها هرما آخر من اللبن باللاهون ،
وكلاهما بالفيوم وأقام امنمحت الثاني هرما صغيراً من الحجر بدهشور
غير أن عصر الدولة الوسطى يتميز بشكلين مهمين من المقابر : الأول تقع فيه غرفة
الدفن - حيث يوضع التابوت - والمزار على وجه الأرض ، واختلطت فيه المصطبة بالهرم



(شكل ٤٦) يرى في الصورة شكلان من أشكال مقابر الدولة الوسطى بايدوس ، أحدهما هرم يعلو قاعدة على شكل مصطبة (مع مقطع لهذه المقبرة بين غرفة الدفن في داخل الساء نفسه حيث توضع الجثة ، ويلاحظ سقف العرفه المقبب الذي يقلل ضغط الساء) ، والشكل الآخر لمقبرة من العصر نفسه بايدوس يرى فيها الهرم فوق قاعدة قليلة الارتفاع تلتصق بأحد أوجهه غرفة المرار ويحيط بالبناء جميعه والأراضي التابعة له سور غير مرتفع

اختلاطاً دعا الى مزج الطريقتين ، والثاني يتكون من مقابر حفرت في الصخر وأفرغت فيه بجميع أجزائها ، بما فيها غرفة المزار التي يجتمع فيها الأهل والأقارب لتقديم الضحايا والقرايين في الأعياد والمواسم الدورية
وكانت مقابر النوع الأول منتشرة في جبانة الدولة الوسطى في طيبة وفي ايدوس -
(العراة المدفونة) (شكل ٤٦)

وتتكون هذه المقابر من مصطبة قليلة الارتفاع ، تبني باللبن غير المخلوط بالتبن ، وهي إما أن تكون مربعة الشكل أو مستطيلة ، وقد بلغ أقصى طولها في بعض الاحيان من ثلاثة عشر متراً الى ثمانية عشر . وفوق هذه المصطبة يبنى هرم يتراوح ارتفاعه بين الاربعة والعشرة أمتار ، يطل من الخارج بطبقة من الملاط ويدهن باللون الأبيض .

وإذ كان هذا النوع من المقابر يقام عادة في أرض غير صلبة ، فقد تعذر عليهم أن يحفروا غرفة الدفن ذات التابوت في هذه الأرض ، فاضطر البناؤون إلى إخفائها في البناء نفسه حيث أعدوا في وسطه غرفة مقبية السقف لوضع الجثة ، على أنه في كثير من الأحوال وجد جزء من هذه الغرفة مبنيًا في جدار البناء والجزء الآخر في المصطبة نفسها ، على حين ترك الجزء الأعلى المقبب ليقفل من ضغط البناء . وبمجرد أن توضع الجثة في هذه الغرفة - الواقعة في المصطبة أو في الجزء الأسفل من البناء الذي يقوم عليه الهرم - يقفل بابها ويسد بجدار سميك

وكانت تقام أمام هذا البناء عادة غرفة تلتصق بأحد أوجه الهرم ، وتترك مفتوحة ليجتمع فيها الأقارب لتقديم الضحايا ، فهي تشبه الزار في المصطبة ، غير أن هذه الغرفة لم تكن جزءاً أساسياً من المقبرة ، إذ خلت منها كثير من مقابر هذا النوع . وكانت تقدم القرابين ويجمع القوم حينئذ في الهواء الطلق أمام لوحة الميت الحجرية (الاستيلا) التي كانت تلتصق بأحد أوجه المصطبة عادة أو توضع فوقها . وكان يقام أمام اللوحة الحجرية أحياناً بناء صغير توضع عليه من غير شك الضحايا والقرابين . وكان يحيط بالمقبرة في كثير من الأحيان سور يعادل في ارتفاعه ارتفاع المصطبة نفسها ، فكان يحدد بذلك الأراضي التابعة للمقبرة التي تعد حرماً لها ، وعند ما يعلق باب هذا السور فإن أقارب المتوفى وأصدقاءه الذين جاءوا لزيارته يكونون في شبه عزلة . حتى ولو لم يوجد مزار للمقبرة (شكل ٤٦ تحت)

انتشر هذا الشكل المركب في المدافن الطيبية ابتداء من الأعوام الأولى من عصر الدولة الوسطى . فهناك كثير من ملوك وأمراء الأسرة الحادية عشرة أقاموا مقابر لهم من هذا النوع بدراع أبو النجا تشبه تماماً ما بني منها في أييدوس . فالملك « متوختب » الثاني مثلاً بني مصطبة كبيرة يبلغ طولها نحو الأربعين متراً أقام عليها هرماً في الفناء الغربي من معبد الجنازي بالدير البحري

على أن القرون المتعاقبة غيرت كثيراً من أحجام هذه الأهرام كما غيرت من حجم المصطبة التي ترتكز عليها . فبعد أن كانت المصاطب قاعدة صغيرة للبناء تضخمت بالتدريج ، وأخذ حجم الهرم ينقص ويصغر حتى تحول إلى قمة هرمية لا قيمة لها ، وانتشر هذا الشكل في مدافن طيبة وجباتها حوالي عصر الرمامسة ، غير أن آثار هذه المقابر قد

بادت وزالت منذ زمن ، وكل ما دل عليها هو بقاء بعض رسوم هذا العصر ببعض المقابر تبين هذه الاشكال المتنوعة

كانت مقابر هذا النوع الأول ، سواء كانت مصاطبها واهراماتها صغيرة أو كبيرة ، تبنى من اللبن ، بلا عناية أو تهذيب ، فكانت يبنائها الضعيف وبوجود جميع أجزائها على وجه الأرض ، معرضة للمطر والعواصف ومختلف تقلبات الجو ، فوق تعرضها للنهب والسلب ، ولهذا فقد تهدمت منذ أزمان بعيدة ، ولولا الجهود التي أبداه « مارييت » عند ما زار هذه الجهات ، وبخاصة أييدوس ، في النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، أى منذ نحو سبعين عاما تقريبا ، والحفائر التي قام بها لتتبع تخطيط هذه المقابر وآثارها وغير ذلك من الشئون ، لما أمكن معرفة شكلها بكل هذه الدقة التي مكنتنا من تخطيط رسوم واضحة لها . ولعل كل ما بقى بأييدوس سالما أمام مارييت لم يتعد اللوحات الحجرية الكثيرة التي وجدها في أطلال هذه المدينة ، وبخاصة في كوم السلطان على مقربة من معبد أوزيريس

أما عن مقابر النوع الثاني . أى المقابر المحفورة ، فقد كان المصريون يفضلون أن يحفروا مقابرهم في الصخر كلما أمكنهم ذلك وساعدتهم موقع المكان أو المدينة بوقوعها على مقربة من جبال أو تلال صخرية . وقد سمى الاغريق أمثال هذه المقابر « سبيوس » ΣΠΕΟΣ ، وأجملها مقابر الأسرة الثانية عشرة ببنى حسن وأسيوط

ولعل أقدم مقابر هذا النوع هي الواقعة بالجيزة بين مصاطب الأسرة الرابعة ، وهي مقابر منحوتة في الصخر ، متوسطة الحجم غير مزدانة بالكثير من الرسوم والنقوش . ولما أتى عصر الأسرة السادسة وما بعدها ارتقت هذه المقابر وزادت العناية بحفرها وتزيينها بالكتابة والنقوش كما هي الحال في البرشة والشيخ سعيد ودندرة ونقادة ، والفتين (اسوان) حيث توجد مقابر نحو وسابنى وحرخوف ، وكلها من الأسرة السادسة ، والأخيرة منها مشهورة بنصوصها التاريخية التي تصف رحلات صاحبها الى بلاد النوبة في عهد « مرنرع » الرابع و « نفر كارع » خليفة « مرنرع » ، وفي دير الجبراوى حيث توجد مقبرتا « زاو » و « إبي » أمراء المقاطعة الثانية عشرة في عهد الأسرة السادسة . وتزين جدرانها نقوش بديعة تمثل العمال وهم يشتغلون وتصور مناظر الصيد والقتل

غير أن أجمل هذه المقابر هي التي أقامها أمراء الاقطاع الذين كانوا يقتسمون القطر المصري وأراضيه في عصر الدولة الوسطى . فأقام أمراء النيسا مقابرهم في بني حسن . وأقامها أمراء الاشمونين في البرشة . وأمراء أسيوط في جبل أسيوط الغربي - وأغلب هذه المقابر يرجع عهده الى الأسرة الثانية عشرة - وأمراء الفنتين في التلال للواجهة لاسوان ، وكان بعض هذه المقابر يقع في صف واحد منتظم كما هي الحال في بني حسن واسوان حيث يتبعون طبقة واحدة من الحجر الجيري ، وبعضها يقع في طبقات مختلفة على سفح الجبل يعلو بعضها بعضا كما هي الحال في أسيوط والبرشة وطيبة

وكان يفضل المصريون اتخاذ مقابرهم في المناطق الجيرية من الجبل التي يعلو مستواها عن مستوى الأراضي الزراعية ومياه الفيضان ، والتي تكون كذلك قرية العلو بحيث لا يجد مشهد الدفن وموكبه مشقة في الصعود اليها ، خصوصا عند حمل التابوت الى المقبرة لمواراة الجثة

وكان يعد في معظم الاحيان طريق ممهد يشق في الصخر نفسه من أسفل الجبل (الوادي) الى مدخل المقبرة . ومثل هذا الطريق قد زال أثره في بني حسن مثلا ، أما في اسوان - مقابر أمراء الفنتين - فان أحد هذه الطرق لا يزال موجودا ، تراه منزلقا في الوسط وكان يمر عليه التابوت وغير ذلك من الأثاث الجنائزى الثقيل الحمل ، وعلى جانبي هذا الطريق المنزلق يوجد إلى الآن درجان (سلمان) كان يصعد عليهما المشيعون وأقارب المتوفي وغيرهم ممن كانوا يسيرون وراء الموكب ، وكان الموكب عندما يصعد الدرج يبطئ يقف أمام المقبرة ليؤدي الكهنة وغيرهم الطقوس الاخيرة للجثة التي سيوارونها مكانها الأبدى

ويكاد يكون ترتيب هذه المقابر واحدا ، فيما عدا اختلافات بسيطة خاصة بكل مجموعة منها - كما هي الحال في بعض مقابر اسوان مثلا - . فهي تشتمل أولا على إيوان (بواكى) أعمدته وقواعدها وتيجانها محفورة في الصخر نفسه ، يلي هذا الايوان (البواكى) مدخل المقبرة نفسها (شكل ٤٧) حيث توجد نقوش باسم الميت وألقابه على جانبي الباب وعتبته العليا ، تليه غرفة مربعة أو مستطيلة ذات سقف مقبب في كثير من الاحيان ، ينيها باب المدخل فحسب ، وهي تشبه بما فيها من أعمدة منحوتة في الصخر قاعة الأعمدة في المعابد وغيرها من مباني العصور الاخرى . ففي مقبرة « أميني » و « خنوم حتب » اكبر أغنياء بني حسن وأثريائها ، يقوم في هذه الغرفة أربعة أعمدة ، بينما تقوم في مقابر



(شكل ٤٧) واجهة مقبرة من مقابر بنى حسن (وهى مقابر محفورة
فى الصخر) ، وترى بالصورة أيضا بعض مداخل المقابر المجاورة

اخرى ستة أو ثمانية اعمدة . وكان يلى هذه الغرفة فى بعض الاحيان غرفة اخرى تشبهها فى النظام والترتيب وقد تتعاقب فى احوال قليلة جداً ثلاث غرف من هذا الطراز ، وهذه الغرفة أو الغرف تقابل المزار فى المصطبة ، والمبعد الملتصق بالهرم فى اهرام الدولة القديمة ، فهى تتخذ فى نفس الاغراض التى اتخذت فيها المباني السابقة ، أى لاجتماع اقارب المتوفى وكهنته لتقديم الضحايا والقرايين ، وأداء الطقوس الدينية . ولقد لاحظ « ماريت » ملاحظة صحيحة وهى ان الخطوة الاولى التى يخطوها الانسان فى مقبرة « خنوم حتب » يبنى حسن تذكر المرء أول وهلة ، رغما عن اختلاف المكان والأوضاع ، بنقوش

وتقاليد الدولة القديمة التي ظلت مستمرة في طريقها في هذا العصر . إذ يقول في ذلك :
« ان الروح التي كانت تسير نقاشي مقبرة « تي » بسقارة ، ظلت تلهم الفنانين الذين
غطوا مقبرة « خنوم حتب » برسومهم . فالبيت يرى في منزله ، بين ممتلكاته وخلاته ،
يصيد السمك ويقتنص الحيوانات ، ويستعرض الماشية ، ويقوم خدمه ببناء القوارب
وقطع الاشجار وغرس الكروم وجمع العنب ، وحرث الأرض ، أو يقومون بالعب
القوى والتمرينات البدنية ، بينما يستعرضهم الميت وهو في عفته المحمولة على الأعناق .
وكما وجدنا هذه الرسوم متواترة في مصاطب الدولة القديمة ، فالتناجدها في هذه المقابر
كذلك . والفارق بين هذه وتلك بسيط ، يتلخص في أن نقوش مقابر بني حسن
ورسومها قد اصبحت في هذا العصر شخصية ، أي خاصة بشخص صاحب المقبرة ، فنرى
فيها وصفا دقيقا مسهبيا لحياة صاحبها بجميع تفصيلاتها ، مما لا نجده في الجهات الأخرى ،
واكبر مثل على ذلك مقبرة « خنوم حتب » السابق ذكرها ،^(١)
وكان في أحد أركان هذه الغرفة التي سلفت الإشارة إليها ، أي المزار ، أو في
الغرفة الأخيرة في حالة وجود عدد من الغرف ، فتحة تنحدر من أرضها بئر الى غرفة
الدفن التي يوضع فيها التابوت تحت الأرض

* * *

اذن فهذه المقابر تشتمل على الاجزاء الثلاثة التي كانت تتكون منها مقابر الدولة
القديمة ومصاطبها ، ونعني بها المزار أو الغرفة الأولى حيث يجتمع أقارب المتوفي في
الاعياد ، ثم البئر ، ثم غرفة الدفن نفسها التي تقع في آخر البئر وأسفل أرض المزار
بقي من أجزاء المصاطب القديمة السرداب ، أي المكان الذي كانت تخفي فيه التماثيل.
ولا يخفى أنه كان من المتعذر أن يحفر أمراء هذا العصر ومن أقاموا هذه المقابر سرايب
في الصخر لتحفظ فيها التماثيل ، وكان من المخاطرة في الوقت نفسه أن يضعوا تماثيل منقولة
في مكان كالمرار سهل لمن يريد أن يصل اليه ، فتعرض التماثيل بذلك للسرقة أو للتلاف
والتشويه . ولهذا فقد ألحقوا السرداب بغرفة المزار بعد ان عدلوا فيه ، فأصبح مقصورة
في طرف غرفة المزار الأخير تشبه الهيكل في شكلها وتواجه في معظم الاحيان باب الدخول.
ووضعوا في هذه المقصورة (الهيكل) تماثيل الميت وزوجته الذي لم يكن تماثلا منقولا يمكن

(١) راجع ماريت - دليل السياحة في الصعيد

Mariette-Voyage dans la Haute Egypte, vol .1 P. 51

أحمله ورفعته ، وإنما كان تمثالا محفوراً ومفرغاً في الصخر نفسه ، فأصبح بحكم اتصاله به غير معرض لا للسرقة ولا للنهب . وكانت تتجه جميع نقوش المقبرة في المعتاد الى هذا الهيكل حيث يوجد تمثال الميت ، كما كانت تتجه نقوش المصاطب الى اللوحة الحجرية أو الباب الوهمي

وتقع مقابر أسيوط في الجبل الغربي ، وهي تشبه على وجه العموم مقابر بني حسن ، وأهمها مقبرة « حب جفا » أحد أمراء الاقطاع في عصر الملك سنوسرت الأول من ملوك الأسرة الثانية عشرة . وتتكون هذه المقبرة ، التي يسميها العامة اسطبل عنتر ، من دهليز مقبب السقف تليه رحبة ، يليها دهليز يوصل الى رحبة ثانية ، وكلتا الرحبتين خالية من الأعمدة ، وفي نهاية الرحبة الثانية مقصورة في الوسط كانت هي الهيكل الذي توضع فيه تماثيل الميت ، تزين جدرانها نقوش يرى فيها المتوفي جالسا الى مائدته المغطاة بالآكل ، ويتقدم اليه خدمه بالضحايا والقرايين والأوز والطيور وما إليها ، ويحملون اليه أثاثه الجنائزي في مناظر أخرى منقوشة على الحائط المقابل

أما جدار المقصورة الأوسط فيرى فيه الميت وأمامه أربع نساء من أقاربه يحملن اليه زهر اللوتس . وتنحدر من المقصورة اليسرى البئر التي توصل الى غرفة الدفن المحفورة الى أسفل المقبرة بمسافة

أما مقبرة « تحوتي حتب » بالبرشه فلا تختلف في الترتيب عن مقابر بني حسن ، ويرجع عهدها الى عصر الأسرة الثانية عشرة . ويوجد على الحائط الأيسر من غرفتها الرئيسية رسم يبين جر التمثال الهائل الذي صنع للميت من عاجر (حات نوب) الى المعبد على زحافة من الخشب تجرها أربعة صفوف من الرجال ، كل صف يضم ٤٣ رجلا ، وتذكر النقوش الموجودة في المقبرة أن التمثال كان من المرمر وأن ارتفاعه نحو سبعة أمتار ، كما يرى « تحوتي حتب » نفسه مشرفا على أداء هذا العمل

ولا بد أن مقابر مير كانت توافق في ترتيبها ونظامها مقابر بني حسن ، فقد كانت محفورة في الصخر كتلك المقابر الأخيرة ، بيد ان الكثير من أجزائها مهدم الآن وأهم مقابر مير يرجع عهده الى الأسرة الثانية عشرة كمقبرة « سنبى » Senbi (من عصر أمنمحت الأول) وأوخحتب Ukhhotep (من عصر سنوسرت الأول) ، وكلاهما به نقوش جميلة من أبدع ما خلفته الدولة الوسطى

مقابر الدولة الحديثة

تكلمنا في الفصول السابقة عن المقابر في عصورها المختلفة ، وقلنا إن المصاطب كانت في الدولة القديمة مقابر الأمراء والأثرياء ، والأهرام هي المقابر الملكية التي أقامها الملوك وتفتنوا في تعليتها وتعمية مداخلها وطرقاتها لتكون مكانا حصينا يحفظ جثثهم بعد الموت . وقد استمر هذا الشكل من المقابر الملكية (الأهرام) في عصر الدولة القديمة والدولة الوسطى

ولما كانت المقابر الملكية ترشدنا دائما الى الشكل الكامل للمقابر العامة ، فاتنا نبداً بالكلام عن مقابر ملوك الدولة الحديثة ، ثم نعود بعد ذلك الى الكلام عن مقابر الأفراد

مقابر الملوك

اتخذ ملوك الدولة الحديثة ، ابتداء من الأسرة الثامنة عشرة ، طيبة قاعدة لحكمهم ، ولما استقروا في عاصمتهم الكبيرة ، اختاروا بقعة يقيمون فيها مقابرهم هي المنطقة الجبلية التي نسميها الآن (ببيان الملوك) على الشاطئ الغربي من طيبة (الأقصر الحالية) في سلسلة جبال ليبيا

ويهمنا في هذا الفصل أن نبحث عن الأسباب التي أدت الى انشاء مقابرهم في هذه الجهة دون سواها ، إذ أن اختيارهم لم يأت عبثاً أو بطريق الاتفاق ، وإنما هو يرتكز ، على وجه التحقيق ، على أسباب نبسط هنا طرفانها

رأينا في الفصول السابقة أن المصريين القدماء كانوا يعنون العناية كلها بحفظ الجسم فحفظوه ووضعوه في مكان حصين ، كان آخر أشكاله الملكية هو الهرم . غير أن الملوك رأوا أن هذا الشكل وحده دليل على وجود مقبرة تلفت أنظار اللصوص وتغريهم بسرقتها ، وفعلاً رأى فراغت الأسرة الثامنة عشرة قبور من سبقهم قد انتهكت حرمتها وسرق ما كان فيها من أثاث ومجوهرات ، ومثل بالجثة نفسها أشنع تمثيل ، ولما كان هلاك الجثة هلاكاً ابدياً للشخص لا رجعة بعده ، وكان المصريون يعنون بالخلود ، كان لا بد من التفكير في طريقة أخرى

إذن فقد كان موقف ملوك الدولة الحديثة وشعبها موقفاً دقيقاً صعباً ، يتلخص في أنهم يريدون ألا تكون مقابرهم ظاهرة تلفت الانظار ، على أن تكون في الوقت نفسه

بعيدة بعداً ما عن النهر مخافة أن يطغى عليها بفيضانه فتتحلل الأجسام وتشتت فائدة التحنيط ، ثم لم لا يجدون بعد الوادى الضيق الواقع الى غرب النهر عند طيبة هضبة عالية مستوية يقيمون عليها مقابرهم ، كما كان شأن منفيس مثلاً حيث أقام ملوك الأسرة الرابعة أهراماتهم فكانت بعيدة عن النهر ومحفوظة في مكان جاف ، وإنما هم يجدون جبالا عالية ترتفع وتنخفض ، جبالا موحشة تلهبها الشمس بقيظها ، ويتردد فيها عواء الذئاب والحيوانات المفترسة

لم يطل تفكيرهم ، خصوصا وقد وجدوا أمراء الاقطاع في الأسرة الثانية عشرة يحفرون مقابرهم في الجبل نفسه (بنى حسن واسيوط والبرشة . . الخ) فأنحلت حينئذ المشكلة أمامهم ، وتم لهم كل ما أرادوه باتخاذهم منطقة الجبال مقراً لمقابرهم المحفورة

كانت المقابر الى هذا العهد ، كما رأينا في الفصول السابقة ، تتكون من أجزاء ثلاثة مهمة هي :

(١) المزار حيث تقدم القرابين والصلوات للميت بواسطة أقاربه ، ويقابله المعبد الملصق بالاهرامات حيث يقوم الكهنة بهذه الواجبات

(٢) البئر

(٣) غرفة التابوت

غير أن ملوك هذا العصر وجدوا أن الجبل لا يتسع لحفر مزار أو معبد كبير تقدم فيه القرابين . فاكتفوا بحفر السرداب (١) أو السرايب المتعاقبة ، وغرفة التابوت في الصخر ، أما المعبد (٢) فقد أقصوه الى الوادى على مقربة من النهر

ولم يتم هذا الفصل بين هذين الجزئين الرئيسيين من المقبرة إلا بعد أن تغيرت الفكرة الدينية تغيراً محسوساً . فبعد أن كان الجسم المخطط المحفوظ في المصطبة أو الهرم له (كا) أو قرين يلازمه في قبره ولا يفارقه ، وهو يأكل ويشرب بفضل الصلوات التي تحول الرسوم المنقوشة على جدران المزار الى الحقائق التي تمثلها فيتمتع بها القرين ، ارتقت هذه الفكرة الى فكرة فلسفية أو روحية ، هي أقل مادية من السابقة بأن تصوروا وجود (با) روح او نفس لا تلازم الميت ، وإنما هي تزوره من وقت الى آخر

(١) والسرداب هنا يقابل البئر في المصطبة والدهاليز في الاهرام

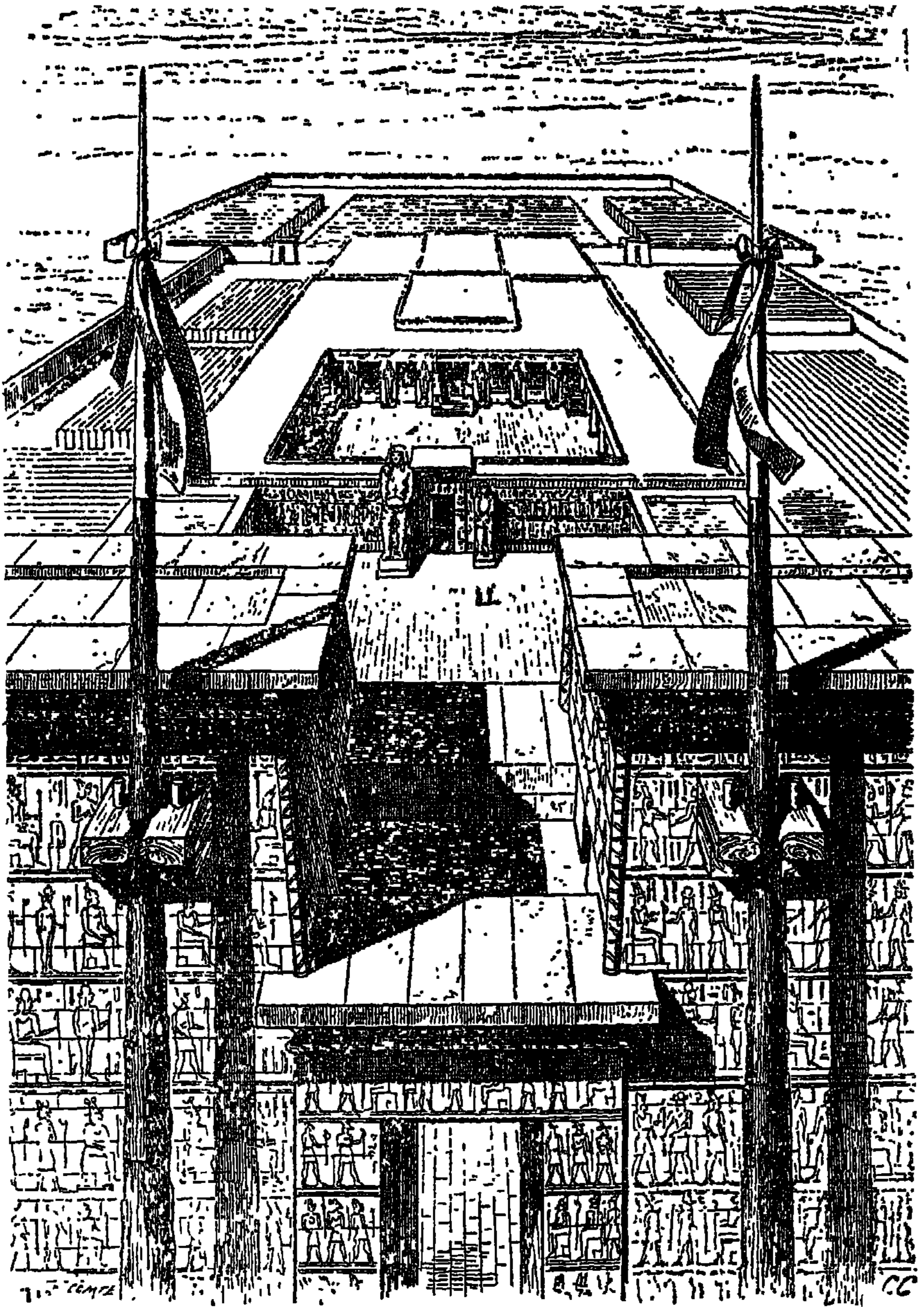
(٢) وهو الجزء الذي يقابل المزار في المصطبة والمعابد الجنازية التي كانت نبى في الجهة الشرقية من الهرم

بينما ترافق رع في سيره أثناء الليل ، وتتجدد بتجدد الشمس (رع) . فكلفت تسير معه في العالم السفلى مخترة تلك الابواب العظيمة التي يحرسها الجن والمسوخ ، وتسير في طرق ضيقة ومآزق وبحيرات كثيرة ، حيث تتغلب على ذلك كله بقوة طهارتها وإيمانها ومراقبتها لسفينة الشمس المقدسة في سيرها الى أن تتجدد وتشرق مع الشمس في أول النهار

عندما بدءوا يفكرون على هذا المنوال وأوجدوا لتفكيرهم هذا فقها خاصا ، لم تعد هناك من ضرورة لالتصاق مكان تقديم القرابين بالمقبرة ، لأن الروح أصبحت بحكم جوهرها الجديد قادرة على مفارقة القبر والحجى الى المزار . فتمكنوا بذلك من بناء سلسلة من المعابد على الشاطئ الغربى للنيل ، ذات صفة جنازية خاصة كالرمسيوم الذى بناه رمسيس الثانى ، والدير البحرى الذى بنته حتشبسوت ، ومعبد رمسيس الثالث بمدينة هابو ، ومعبد ستي الأول بالقرنة وكلها خاصة بعبادة الملك المتوفى وتقديم القرابين له ، حيث تأتى الروح وتنفع بما يتلى لها من الصلوات

وهذه المعابد تختلف عن المعابد الموجودة على الشاطئ الشرقى من المدينة نفسها (طيبة أو الاقصر الحالية) ، فبينما كانت معابد الاقصر والكرنك معابد إلهية ، اشترك في اقامتها ملوك عديدون وخصصت لعبادة الآلهة ، كانت معابد الرمسيوم ومعبد رمسيس الثالث بمدينة هابو ، أى معابد الشاطئ الغربى من النيل على العموم ، معابد جنازية أقامها الملوك لأنفسهم . فكان كل ملك يشيد معبداً لنفسه ، هو الذى يبدؤه وهو الذى يتمه ، والغرض منه تقديم القرابين والقيام بالطقوس الدينية لروح الملك المتوفى المدفون في مقبرته في بيان الملوك ، فهو بهذا جزء من المقبرة التى ينتسب اليها ولوانه منفصل عنها بعض الانفصال

وأهم هذه المعابد الجنازية الرمسيوم ، (شكل ٤٨) أى المعبد الذى أقامه رمسيس الثانى وسماه ديودور الصقلى بمقبرة « اوسمدياس » (والاسم تحريف عن كلمة « أوسر (أوسي) - ما - رع » لقب رمسيس الثانى) وقد وصفه وصفا مسهباً وأن مجرد تسمية ديودور لهذا البناء بأنه مقبرة ، ليثبت لنا بكل جلاء ما كان شائعاً في ذلك الوقت عن صفة البناء الجنازية . على أن المعبد جميعه مملوء بالقوش ، سواء من الداخل أو الخارج ، وهى تمثل الملك في حروبه وغزواته ، وبخاصة حربه ضد الحيثيين في معركة



(شكل ٤٨) معبد الرمسيوم منظوراً من أعلى في شكل بيته كما كان عند بنائه في حالته الأولى

على نهر الأورنت خرج منها ظافراً بفضل شجاعته ورباطة جأشه ، وبفضل مساعدة الآله « آمون » له الذى اشترك معه - على حد قول النصوص المكتوبة - فى المعركة فأخرجه منها سالماً من أيدي العدو .

ولقد كان المعبد الجنازى الذى أقامه رمسيس الثالث بمدينة هابو كالرمسيوم ، فكل حجر من أحجاره ينطق باسم بانيه وبحروبه وأعماله ومختلف ذكرياته ، إذ يشير على جدران المتعددة الى الحرب التى أقامها هذا الملك على الشعوب الشمالية والغربية ويشبه هذه المعابد فى الغرض منها ، معبد سيقى الأول الجنازى بالقرنة

ولم يكن هناك ما يمنع من أن يكون للآله نصيب فى أمثال هذه المعابد ، وخصوصاً « آمون رع » إله طيبة الأعظم ، فأصبحت هذه المعابد منشأة لتخليد ذكرى الملك بعد موته والاحتفال باقامة الطقوس الدينية والصلوات فى الأعياد الدورية ، ولتخذ فى الوقت نفسه مكاناً يعبد فيه الملك الذى أقامها الآلهة شكراً لهم على ما أسدوه اليه من النعم وهو على قيد الحياة ، أو ما سيسدونه اليه بعد موته

الآن وقد انتهينا من الكلام على المعابد الجنازية ووصفها ، ننتقل الى مقابر الملوك نفسها . أى المقابر التى كانت تنحت فى الصخر ، وتتفق مع الاهرام فى أن طرقاتها ودهاليزها كانت مخصصة لاستقبال الجثة ووضعها فى غرفة خاصة بالتابوت يكاد يكون ترتيب هذه المقابر واحداً فابتداء من المدخل تمتد ثلاثة دهايز أو طرقات (سراديب) يقع الواحد منها تلو الآخر وتمتد الى مسافات بعيدة فى الداخل ، فى قلب الجبل . (شكل ٤٩)

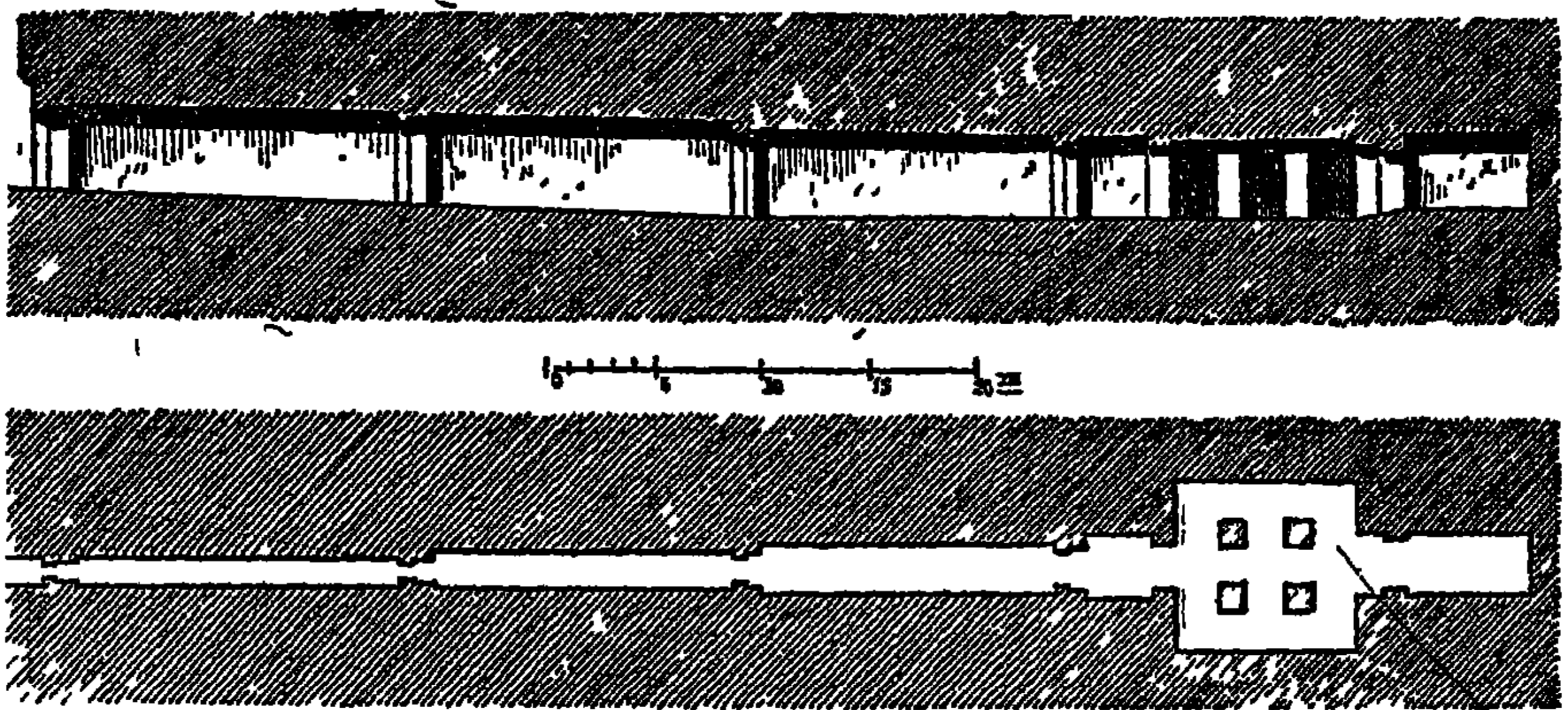
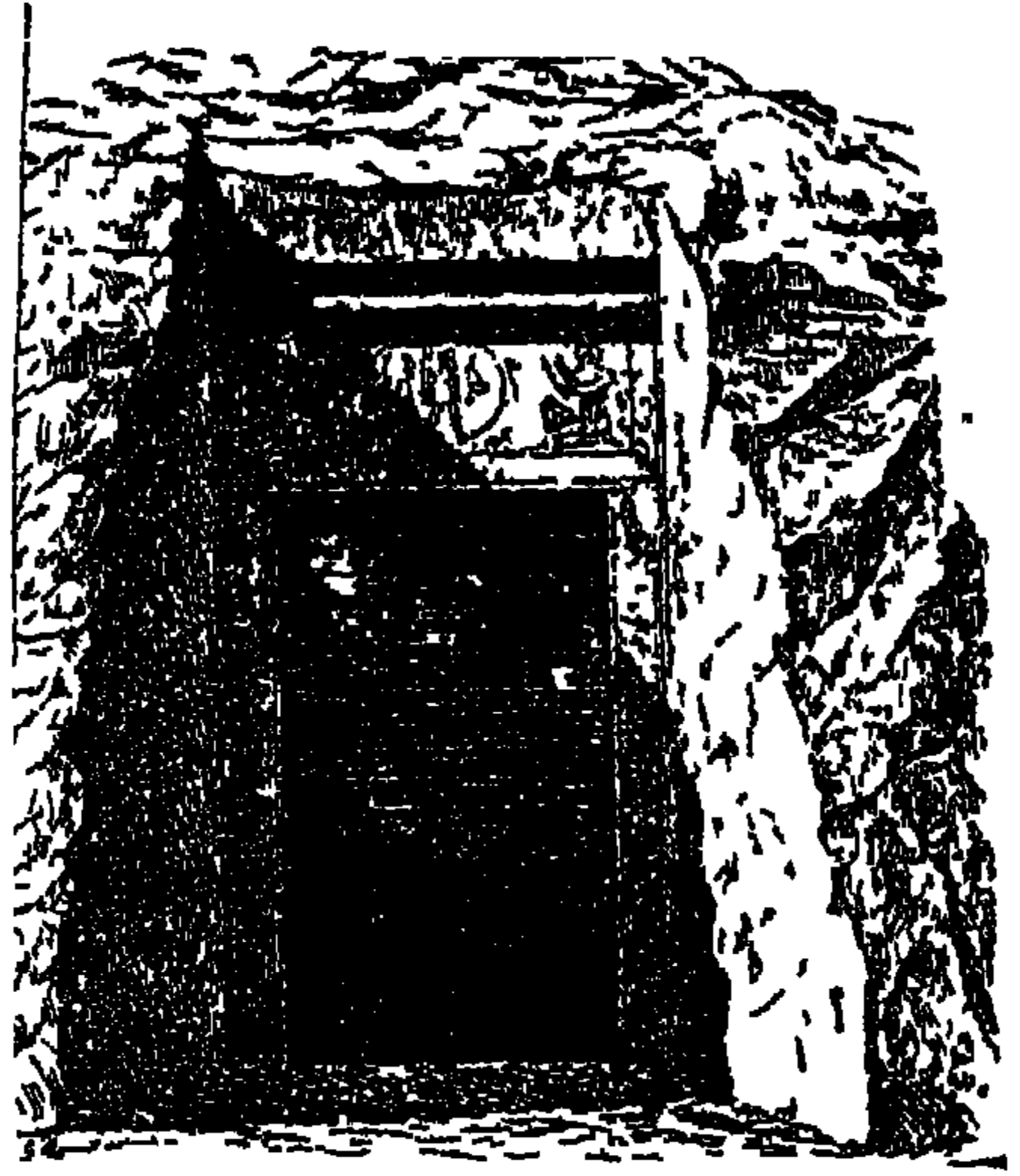
فالدهليز الأول كانت تقع على جانبيه غرف صغيرة ، كما تقع على جانبي الدهليز الثانى عدة فتحات مستطيلة يتلوها مقاصير صغيرة على جانبي الدهليز الثالث أعدت لوضع الاثاث الجنازى وأدواته فيها

وينتهى الدهليز الثالث بباب يوصل الى رحبة تليها القاعة الكبرى (١) (ويرتكز سقفها الثقيل على أعمدة فى المعتاد) حيث يوجد تابوت الملك الجرانيتى . وكان يلحق بهذه القاعة أو الغرفة الكبرى فى أغلب الأحيان غرف أخرى جانبية

وكانت جدران هذه المقابر تغطى كلها برسوم ونقوش دينية ، ابتداء من المدخل حتى

(١) أو غرفة الدفن وكانت تسمى بالمصرية القديمة « بر نوب » أى المنزل الذهبى أو بيت الذهب

آخر غرفة في المقبرة ، لأنهم كانوا يعتبرون .
أن معرفة الميت بها ضرورية لضمان حياته
المستقبلية . ولما كانت الفكرة الدينية في هذا
العصر تنحصر في أن الملك حين يموت يسير
مع رع أو الشمس ، أو يندمج معه ، في
سفينة المقدسة طوال الليل حيث يجتاز معه
العالم السفلي (الدوات) فان أمثال هذه
المنظر والصوص والقوش التي ترسم على
جدران المقبرة كانت تصمن وصفا تفصيليا
لهذه الرحلة ، وبيانا يوضح الطرق



(شكل ٤٩) - الى أعلى : مدخل مقبرة من مقابر الملوك ،
(وتحت) مقطع تم رسمه يبيان أجزاء المقبرة من الداخل

الصحيحة الواجب اتباعها حتى يصل سالما . وكانت هذه القوش المرسومة على الجدران
تقتبس من كتابين متشابهين ، أولهما « كتاب العالم السفلي » وهو يشير الى وجود
عالم سفلي (دوات) ينقسم الى اثني عشر قسما تماثل الاثني عشر ساعة التي ينقسم اليها
الليل ، وبهذا كان الكتاب جميعه يتألف من اثني عشر فصلا ، يرسم في كل فصل منها
النهر الذي تجتازه سفينة الشمس في الوسط ، فيرى إله الشمس (الذي يشبه رأسه رأس
الكبش) على ظهر سفينة تحيط به بطائنه ، وهم يسرون جميعا مجذوفين ينشرون النور

والحياة على الأقاليم التي يجتازونها ، وفوق هذا الرسم وتحت رسم شاطئ النهر وهما يوجان بمختلف الأرواح والجنان والمسوخ التي تحي الشمس وتحميها ضد أعدائها

أما الكتاب الثانى فاسمه (كتاب الأبواب) وهو يتعلق بنفس الفكرة ، فهو يصف رحلة الشمس الليلية خلال اثني عشر قسما من أقسام العالم السفلى . وكانوا يتصورون أن هذه الأقسام أقاليم أو ولايات مختلفة ، يفصل أحدها عن الآخر بأبواب عظيمة تحرسها أفاعى ضخمة ، ولكل باب اسم يعرفه إله الشمس ، ومفروض في المتوفى أن يعرفه كذلك وعندما يصل موكب الشمس الى كل باب يحياه إلهان وأفعيان تلفظان نارا . وفى هذا الكتاب وصف للعالم السفلى لا يختلف عن وصفهم له في الكتاب الاول

وهناك كتاب ثالث يمكن أن نسميه (رحلة الشمس في العالم السفلى) يحتوى على نفس المناظر المملة التي يتعاقب أحدها تلو الآخر ، وتصف وصول الشمس الى العالم السفلى ، وأحاديث الاله (الشمس) الى الأرواح والمسوخ التي عنى المصريون برسمها في صفوف طويلة

ولم تكن هذه الكتب هى الكتب الوحيدة التي اعتمد عليها الفنانون في تزيين قبر الملك ونقش جدرانه بالرسوم ، فقد وجدوا لديهم كنزا لا يفنى في (أناشيد الشمس) وفى كتاب (فتح الفم) وأولها ، وهو الذى زينوا به الجدران الأولى التي تلى المدخل ، ولا سيما الدهليزين الأولين ، يتضمن تمجيذا طويلا للشمس يتلى في المساء . أى في الوقت الذى تدخل فيه الشمس في العالم السفلى . وتدعى فيه الشمس بخمسة وسبعين اسما مختلفة لكل اسم منها شكل خاص مرسوم على الحائط

أما الكتاب الآخر (فتح الفم) فيبين الطقوس الدينية التي يجب اتباعها أمام تمثال الملك المتوفى لكي تعود اليه الحياة بحيث يستمتع بالآكل والمشارب التي تقدم له

والى جانب هذا كله عدة رسوم ونصوص أخرى على الجدران نقلوها عن كتاب الموتى ترتب على هذه الفكرة الدينية التي سادت في هذا العصر على الوجه الذى شرحناه فيما سبق ، ان كانت المقبرة المحفورة في صخور هذا الجبل تغلق بأحكام بعد دفن الجثة ولا تفتح بعد هذا أبداً بل تقام الصلوات في المعبد الواقع في السهل حيث يتردد أقارب الملك المتوفى وشعبه . وكانت الجهود العظيمة تبذل لاختفاء المقبرة عن الابصار ، وليس هذا بالشئ الذى نفترضه افتراضا ، فان عندنا من النصوص ما يحملنا على هذا الظن ، فقد أمر تحتمس الأول بحفر مقبرة له في هذا الوادى العجيب ، ونقصد به وادى الملوك ، ودار

العمل تحت رئاسة الأمير « أنينا » ، وقد وجد في مقبرة هذا الأمير النص الآتى : « عملت في حفر مقبرة في الصخر لجلالة الملك وحدى ، دون أن يسمع أحد ، ودون أن يرى انسان ، ومن هذا يتضح أن حفر المقبرة كان يجرى سرا ، وكذلك الجثة نفسها كان لا يصحبها وقت تشييعها غير كهنة يقسمون أغلظ الايمان على حفظ سر المكان ، ثم تغلق البئر وكثير من الابواب . ويغلق أخيراً الباب العام بأصلب المباني ، ثم تهال عليه الانتقاض والصخور الى مسافة كبيرة فيصير جزءاً من الجبل لا فرق بينه وبين أى جزء آخر منه ، فلا يميزه دليل أو علامة

على أن منطقة وادى الملوك كلها كانت مرصودة على الالهة (حتحور) فمن المحتمل أن الناس كانوا يمنعون من دخولها على أنها بقعة مقدسة ، والواقع أنهم نجحوا في اخفائها الى حد كبير ، حتى نسيت مواضع معظم المقابر ، وأظهر دليل على ذلك أن رمسيس السادس عندما أراد أن يحفر لنفسه مقبرة في الصخر لم يعرف أن الملك « توت عنخ آمون » له مقبرة تحت البقعة التى اختارها مباشرة ، فحفر مقبرته فوقها تماماً ، وهذه ظاهرة تستحق الالتفات

ثم يجب أن نضيف الى ذلك أنه تبعاً لهذه الفكرة الدينية الجديدة كانت المقبرة تحفر بشكل خاص سماه الاغريق ΣΥΡΙΝΕ أى الأنابيب لامتدادها وضيق طرقاتها ، كى تشبه تلك المضائق والبحيرات والطرق الضيقة المظلمة التى تسير فيها سفينة الشمس فى العالم السفلى . ومن هنا جاءت تلك السرايب الضيقة المظلمة ، التى يلى بعضها بعضاً ، لتكون صورة مجسمة لتلك الصعوبات التى تلاقيها ، وهذه الابواب العظيمة التى تسير فيها الروح ، والرحبات الواسعة حيث تجلس آلهة الجحيم وغيرها من الأرواح ، ولم يكن ينقص لاتمام وجه الشبه غير رسم الآلهة والجان وهم يحرسون الأبواب ، ثم الثعابين والحيات وما اليها مما تتعرض له الروح حسب فكرتهم ، فرسموها على الجدران

وخلاصة القول فان المقبرة كانت صورة مصغرة للعالم السفلى (دوات) بجميع أجزائه وسكانه

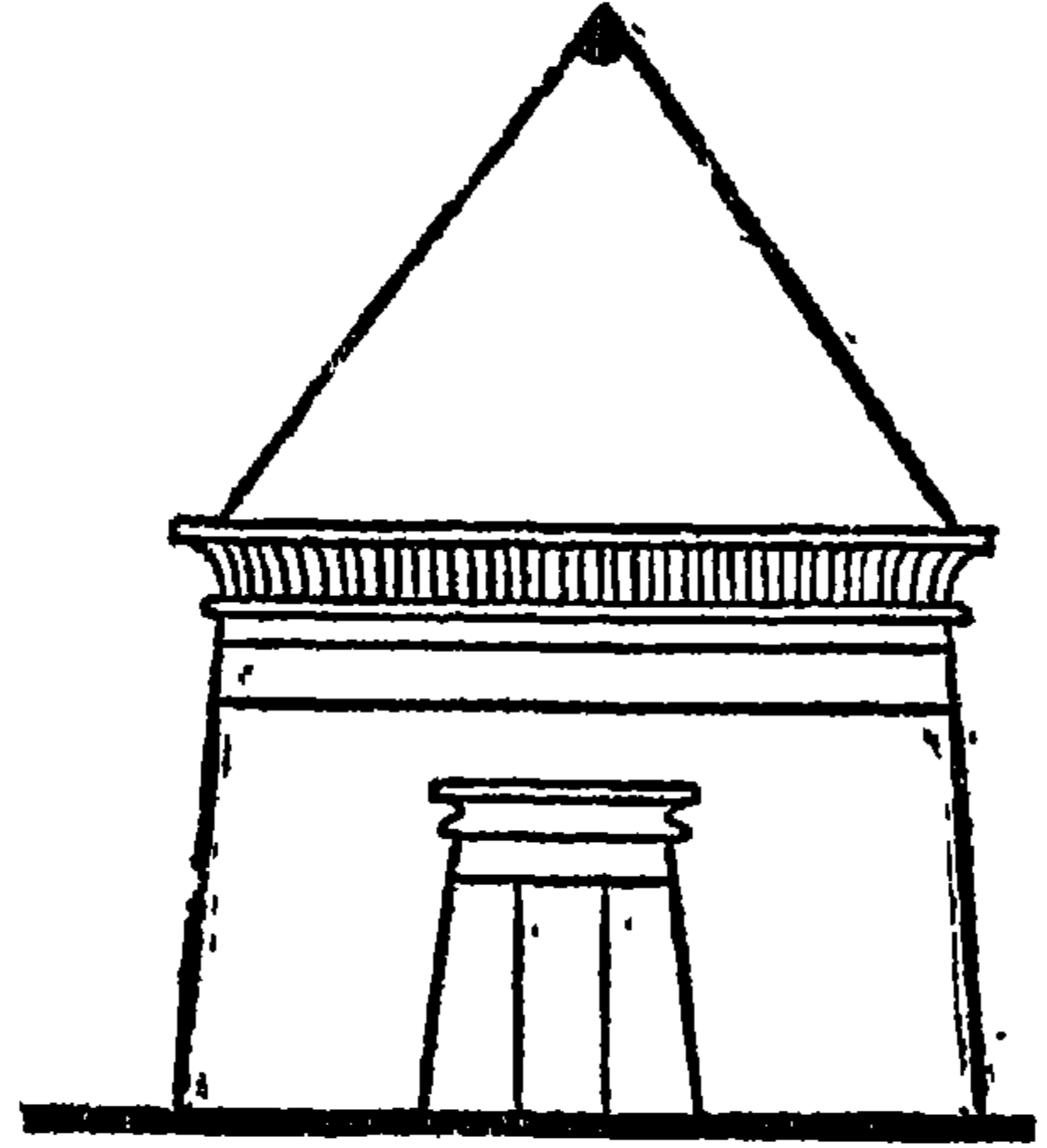
ومع أن هناك من المقابر الملكية ما يبلغ طوله نحو ١٦٠ متراً كما فى مقبرة ستنى الأول ، و ١٤٠ متراً كما فى مقبرة رمسيس الثالث ، فقد ملئت جدران تلك السرايب والاعمدة بالنقوش ، ولم يتركوا منها جزءاً عارياً ، لأنها لم تكن مجرد حلية أوزينة ، وإنما هى تمثيل لفكرة دينية

وفي مثل هذه السرايب المسدودة ، ذات الهواء الدافئ الجاف ، احتفظت النقوش
بهاء ألوانها . ولكي يصلوا الى هذه النتيجة ، كان لابد لهم من أن يستعملوا نوراً
صناعياً . فعلى ضوء المشاعل أو لهيب المصاييح المدلاة من السقف بخيوط معدنية أبدع
فنانو مصر هذه النقوش الفنية الرائعة وأتقنوا مزج ألوانها
وان الفن المصرى فى الواقع لم يصل الى درجة من الابداع فى تاريخه كله تفوق أو
تضارع ما وصلت اليه هذه النقوش من اجادة واتقان

مقابر الافراد

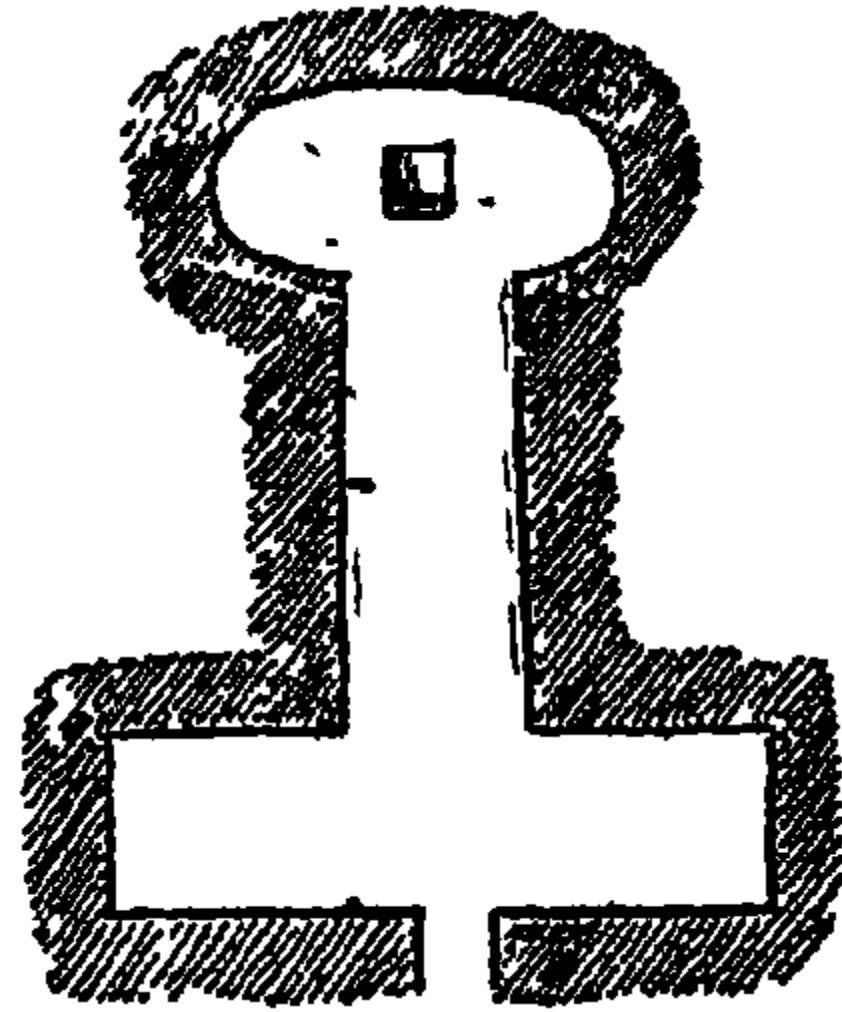
أما مقابر الاشخاص بعبانة طيبة فهى عديدة ، منها ما يرجع عهده الى الأسرة الحادية
عشرة ، ومنها ما يرجع تاريخه الى العصر الصاوى ، ومنها ما كان معاصراً لحكم البطالسة
والرومان فى مصر . على أن أهم هذه المقابر هى ما أقيم منها فى عصر الدولة الحديثة .
وبخاصة ابتداء من الأسرة الثامنة عشرة الى العشرين
وقبل أن نتناول هذه المقابر بالدرس والبحث ، فالتا نود أن نظهر الفرق بينها وبين
مقابر الملوك

أول فرق يستوقف أنظارنا هو أن مقابر الافراد لم يدخلها فصل لبعض أجزائها
عن البعض الآخر كما رأينا فى مقابر الملوك . وفى الواقع فان هذا الفصل لم يكن ضروريا
فى مقابر الافراد . ففوق أن الملوك بحكم مركزهم الممتاز كان لابد لهم من اقامة معابد
عظيمة تقدم لهم القرابين والصلوات فيها . ويختلط فيها اسمهم باسم الاله . معابد فخمة
كان من غير الممكن عمليا أن تحفر فى الجبل فى الصخور الصلبة لتكون جزءاً متصلاً
بالمقبرة ، نقول فضلا عن ذلك فانه لم يكن هناك من أفراد الشعب وعامته من يطمع فى
أن تقدم له الصلوات وشق ضروب التمجيد بعد موته ، كما كانت تقدم لملك البلاد الذى
كان يقده كل فرد من أفراد الشعب ويعبده ويمجده بعد موته ، وفوق هذا وذاك فانه
لم يكن بين عامة الشعب من يطمع فى أن يمتزج اسمه باسم الآلهة العظام فى معبد كبير
عظيم النفقة . ولذلك بقى المصرى من الطبقة المتوسطة وغيرها محتفظاً بتقاليده القديمة
فى تشييد المقابر واقامتها ، وهى تقاليد كانت فيها أجزاء المقبرة الثلاثة ، أى (١) غرفة المزار
التي يجتمع فيها الأقارب (٢) البئر (٣) غرفة الدفن ، تجتمع فى بناء ومقبرة واحدة ، أى
فى وحدة متصلة غير منفصلة



(شكل ٥٠) الى أعلى شكلان لمقابر طيبة
المشيخة (النوع الأول) وجدت مرسومة
على جدران مقابر معاصرة لها من النوع الثانى
المحفور فى الصخر

الى اليمين "رسم تخطيطى بين أبسط شكل من
أشكال مقابر طيبة المحفورة فى الصخر



إذن فقد وجدت هذه الأجزاء الثلاثة فى مقابر الأفراد فى الدولة الحديثة ، وهذه
المقابر ، شأنها فى ذلك شأن مقابر الدولة الوسطى ، تنقسم الى نوعين : نوع يبنى ويشيد
على سفح التلال ، بحيث يكون فى مكان جاف بعيد عن مياه الفيضان ، ونوع يحفر فى
صخور الجبل

فمقابر النوع الأول : كانت تتفق مع مقابر الدولة الوسطى التى كانت تقام فى أيدوس
من حيث وجود بناء مربع أو مستطيل تنحدر جدرانها - أى بشكل مصطبة عالية ضيقة -
تعلوه قمة هرمية صغيرة (انظر شكل ٥٠) وتختلف عنها فى أنه بحكم إقامة هذه المقابر
فى طيبة حيث الأرض جبلية صلبة ، كانت تحفر البئر فى الصخر الى أسفل هذا البناء حيث
تؤدى الى غرفة يضعون فيها التابوت تحت الأرض . على حين كانت طبيعة الأرض الرخوة
الرملية فى أيدوس تضطر البنائين الى وضع غرفة الدفن التى بها التابوت فى نفس سمك
البناء - المصطبة - الذى تعلوه القمة الهرمية (راجع مقابر الدولة الوسطى بصفحتى ٩٨ و ٩٩)

فكان البناء المقام على وجه الأرض في مقابر طيبة هو المزار الذى تنفذ من أرضه بئر يتراوح عمقها بين الستة والعشرة أمتار توصل في نهايتها الى غرفة التابوت وانه لمن دواعى الاسف أن آثار هذه المقابر قد بادت ، فقد كانت بحكم تشييدها فوق الأرض معرضة للتلف والتهدم . وكل ما بقى لدينا هو رسوم متعددة لها وجدناها في المقابر المعاصرة المحفورة في الصخور . ونعنى بها مقابر النوع الثانى

أما مقابر النوع الثانى : فهي من النوع المعروف باليونانية باسم « سبيوس » Speos أى المقابر المنحوتة في الصخر . وقد رأينا في الفصول السابقة أن أمثال هذه المقابر يرجع عهدها الى الاسرة الرابعة . فقد وجدت بجوار مصاطب الجيزة . ووجدت في الاسرة السادسة . وانتشرت وعم استعمالها في الدولة الطيبة الاولى والثانية . وخصوصا في الدولة الحديثة

والفرق بينها وبين مقابر الملوك هو أولا - كما ذكرنا سابقا - وجود المزار في نفس المقبرة . ثانيا وجود بئر عمودية عميقة توصل الى غرفة التابوت . ولا يخفى أن هذه البئر العمودية قد استعيز عنها في مقابر الملوك بالممرات المنحدرة النازلة التى توصل الى غرفة الدفن

ونظام هذه المقابر يتلخص في وجود غرفتين أو ثلاث ، يتصل بعضها ببعض بواسطة دهاير صغيرة ، وتنزل البئر إما من دهليز واقع بين الغرفتين ، وإما من غرفة المقبرة الأخيرة

وهناك عدد كبير من هذه المقابر بسيط الشكل والترتيب الى حد كبير ، لا يتعدى غرفة واحدة يبلغ ارتفاعها المترين أو الثلاثة ويتراوح طولها بين الأربعة والثمانية أمتار وعرضها بين الثلاثة والأربعة أمتار هي بمثابة المزار المعد لاجتماع أقارب المتوفى ، يليه دهليز منحدر قليلا يبلغ طوله بين الثمانية والاثني عشر مترا ، ينتهى بغرفة الدفن نفسها أحيانا ، وفي الغالب ينتهى بغرفة صغيرة تنفتح في أرضيتها البئر الموصلة الى غرفة الدفن (شكل ٥٠ تحت)

وكانت تزين جدران هذه المقابر جميعها الكتابات والرسوم التى تنقش ، بعد أن تطلّى الجدران بطبقة من السكس أو الجص ، على أن من المقابر ما لم يتم نقشه ومنها ما ترك بدون نقش

وأهم هذه المقابر يقع بالشيخ عبد القرنة وقرنة مرعى

مقابر الشيخ عبد القرنة حفرها كبار الموظفين والأثرياء في عصر الأسرة الثامنة عشرة ومعظمها يتكون من جزأين : رجة أو غرفة كبيرة بها باب المدخل وسقفها محمول على أعمدة في الغالب ، يليها دهليز يواجه المدخل وينتهي بمقصورة يوضع فيها تمثال الميت وأقاربه . ويوجد في بعض الأحيان غرفتان على جانبي الدهليز الذي ذكرناه ، كما يوجد فناء صغير أمام مدخل المقبرة ، أعد لتقديم الضحايا والقرايين

أما النقوش التي كانت تتعاقب على جدران الرجة فتمثل الميت يقوم بأعماله المختلفة في حياته الأرضية ، ولذا فإنها تلقى ضوءاً على طريقة الحياة المصرية في مبدأ الدولة الحديثة . على أن بعض أجزاء أخرى من هذه الجدران كانت تتضمن صلوات للميت ووصفا لتاريخ حياته . أما النقوش التي في الدهليز فإنها تمثل عادة الطقوس الجنائزية . ولما كان الحجر الجيري الذي حُفرت فيه مقابر الشيخ عبد القرنة هشاً ضعيفاً ، فقد غطوا الجدران أولاً بطبقة من الطمي تدهن بالجير ثم تحلى بالنقوش والألوان . وأهم مقابر الشيخ عبد القرنة هي مقابر « رعموسى » و « نخت » و « رخمارع » و « أمنحوب » و « سننوفر » و « إنا » و « منا » ،

فمقبرة نخت يرجع تاريخها إلى بدء الأسرة الثامنة عشرة ، وهى تتكون من حجرتين يوصل بينهما دهليز صغير ، غير أن الغرفة الأولى وحدها هى التى تحتوى على صور بديعة لا تزال محتفظة بروائها وجمالها

أما مقبرة رخمارع فصاحبها وزير عاش في عهد تحتمس الثالث وأمنوفيس الثانى ، وهى تتكون من مدخل وغرفة كبيرة ، يبدأ من منتصف حائطها الخلفى دهليز طويل يمتد في قلب الصخر . والرسوم التى على جدرانها على جانب عظيم من الأهمية بالرغم من حالتها السيئة

أما مقبرة أمنحوب فيرجع عهدها إلى تحتمس الثالث ، وهى تتكون من رجة ذات أعمدة يليها دهليز على جانبيه غرفتان

أما مقبرة « سننوفر » أمير طيبة ورئيس حداثق الإله آمون في عصر الملك « أمنوفيس » الثانى فإنها تمتاز بصورها الجميلة الزاهية

ومقابر قرنة مرعى يرجع عهدها الى الاسرة الثامنة عشرة ، وأهمها مقبرة « حوى » حاكم بلاد النوبة في عصر « توت عنخ آمون » ، وهى تتكون من غرفة ودهليز يتلوها

الفصل الخامس

النحت والحفر

أصل صناعة التماثيل

كان من أهم العوامل التي تمنع فناء الموتى شيثان : أولهما تلك المطاعم والمشارب التي كانت تقدم من وقت لآخر ، إما بالذات أو بواسطة السحر بأن تقرأ التعاويذ على الصور المرسومة على جدران المقبرة فتقلب إلى أطعمة حقيقية يستفيد منها الميت . ثانيهما وجود ملجأ تحل فيه الروح بعد موت صاحبها ، وكانت الجثة إذا حنطت وحفظت تحقق وجود هذا الملجأ الى حد ما ، ولكن أشفق المصريون ان يأتي وقت تتحل فيه هذه الاجسام وتبلى ، فتبلى معها الروح وتنعدم بذلك حياتهم المستقبلية . ففكروا وأمعنوا في التفكير إلى ان اهتمدوا إلى طريقة ظنوا فيها المخرج مما يتخوفون منه ، هي أن يصنعوا التماثيل الجنازية ويضعوها في المقبرة لتحل فيها الروح إذا بليت الجثة

وفي الوقت الذي ارتاح المصريون فيه الى هذه الفكرة ساروا في تحقيقها شوطاً بعيداً ، فصاروا لا يكتفون بوضع تماثيل واحد ، بل وضعوا عدة تماثيل تبع رغبتهم ، إذ لم يكن ثمة ما يمنع وضع عشرة أو عشرين تماثلاً أو أكثر من هذا في المقبرة ، حتى إذا لم يبق من هذه التماثيل سوى واحد ، كان كفيلاً بحفظ الروح . فكان لعمل المثالين (النحاتين) طبقاً لهذه الفكرة أثر بعيد فيما صنعوه ، إذ حتم عليهم ذلك تحرى الصدق والواقع في تصوير الشخص وتقاطيعه ليكون مثلاً صادقاً له ، والا أخطأته الروح . فلم يكن ثمة مجال للخيال أو للمثل الاعلى أو الجمال . وإذا فمن السهل - كما يقول ماسبرو - « أن نفهم السبب في أن التماثيل التي لا تمثل الالهة هي لاشخاص بذل الفنانون غاية الجهد في اتقانها ، لا لتكون صوراً للمثل الاعلى يغلب فيها حب الجمال وإنما لتكون أجساماً حجرية ، أجساماً

يكون لها من المميزات والشبه والتقاطيع ما لا صولها ذوات اللحم والسم . فاذا كانت
الاخيرة قبيحة المنظر كان رسمها قبيحا أيضا . على انه اذا لم تراعى هذه القواعد عجز
القرين عن أن يجد ملجأ يأوى اليه ،

وأهم ما اعتنى به المثال وصرف فيه جزءاً عظيماً من وقته ، وكد فيه ذكاءه وعقله ،
هو تمثيل الاشخاص ، خصوصاً العظماء منهم كالملوك والامراء والموظفين ، لأن هؤلاء
أقدر من غيرهم على استخدام مهرة الصانع وأشهرهم . على ان أفراد الطبقة الوسطى
ومن هم دونهم مرتبة صنعوا لأنفسهم تماثيل لا تخلو من الدقة نظراً للفكرة الدينية
الاساسية التي سبقت الاشارة اليها

أما الآلهة فليس لهم من التماثيل ما بلغ حظاً كبيراً من الاتقان ، وذلك يرجع لسببين :
أولهما ان تمثال الآله صنع في أول الامر ليمثل فكرة معينة خاصة به . وبذا أصبح كل إله
متميزاً عن غيره بما يختص به من المميزات ، ثم صار الشكل الاول يقلد ويحاكي بعد
ذلك تقليداً آلياً (أوتوماتيكياً) . ثانيهما انه يظهر ان المعابد المصرية لم يكن فيها تمثال
واحد للآله يفرغ المثال في صياغته كل ما يمكن ان يوحى به الفن اليه من عبقرية ونبوغ ،
كما كان الحال في معابد الاغريق مثلاً - مثال ذلك تمثال أثينا في معبد البارثنون - أو
بعبارة أخرى يظهر ان تمثيل الآلهة لم يكن المثل الاعلى الذي يرمى اليه الفن الرفيع عندهم .
لم ؟ لان أفضل مكان في المعبد ونعني به وسط الهيكل كان مقصوراً على رمز الآله ، سواء
كان حيوانه الحى أو مركبه المقدس أو غير ذلك من الاشياء التي كانت تمثل الآله وتوجه
اليها جميع الصلوات وهى محبوبة عن أنظار الناس جميعاً ، إذا استثنينا الملك والكاهن
الاعظم . فلم يجد المثال رغبة - ما دامت تماثيله مقصاة عن مكان الاحترام - في أن يبدل
أى مجهود لاتقانها كما كان الحال عند الاغريق

ولما ريت الحق في أن يهتم بهذا الفارق فيقول : « قلما يوجد في المعابد تماثيل غير
مندور . وهذه التماثيل نثر عليها مبعثرة في الرمال حول الاساس أو مرتكنة إلى حائط
في صف واحد . ومعظمها لا يتجاوز حجمه الحجم الطبيعي للرجل ، ولا يمكن القول
بأنه كان لكل معبد تمثال يمكن ان يطلق عليه بالتخصيص اسم تمثال هذا المعبد . لقد
كانت التماثيل الالهية كثيرة حقاً ، ولكن لكل منها غرضه الخاص . أما وجود شيء
كتمثال يكون جزءاً أساسياً من المعبد ، يمثل الآله بدون تخصيص مندور فهذا أمر غير
مرجح ولا محتمل ا » . ويشير ماريت بقوله « تمثال مندور » إلى أن الملك كان يسمح

لبعض الامراء والموظفين ولمن قام ببعض الخدمات والاعمال أن يضع تماثله في المعبد كمنحة من الملك وجزاء له على ما قام به من اعمال

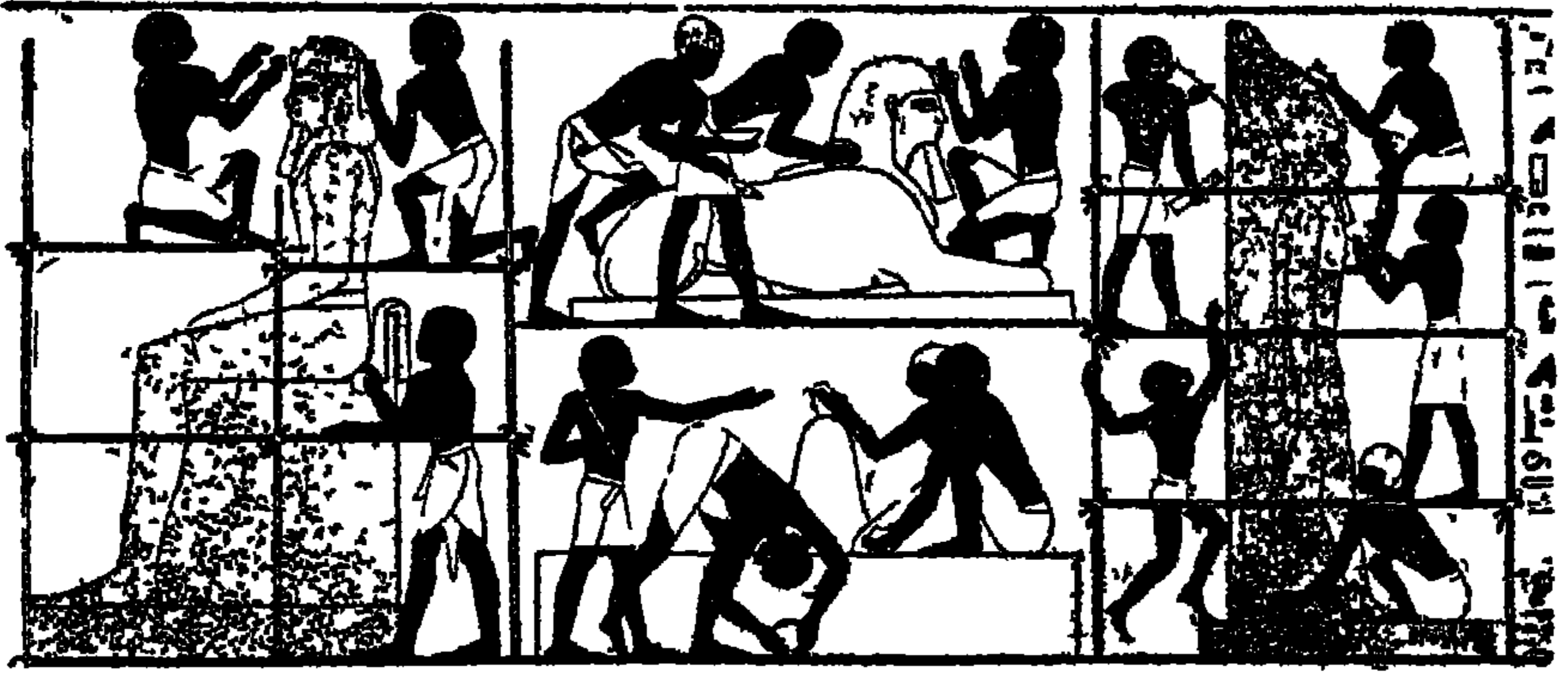
هذا ولقد كان لتماثيل الملك المقام الاسمى في تلك المعابد التي كانت تملأ بتماثيله أمام الابراج الخارجية وفي الافنية والرحبات

وسواء صنعت التماثيل لتوضع في القبر مع الميت لتكون أجساما حجرية تحمل محل الجسد المحنط عند ما يبلى ، أو لتمثل الآلهة برموز خاصة بها وبقواها ومظاهرها المختلفة ، أو لتمثل الملك ذاته ، فإن الفنان المصرى وضع الغرض الدينى نصب عينيه على الدوام ، على حين كان الاغريق أول شعب قديم أحب التكوين البشري لذاته ولجمال أوضاعه واتساق حالاته

إذن فقد كان ينقص التماثيل المصرية تنوع الحركات والاضاع ، ينقصها أن تغير ما ألفته من إلصاق الركبتين معا ، ووضع اليدين فوقهما ، فما من تماثيل نجده مرفوع الذراع أو مشتبك الأيدي . ولقد علل البعض ذلك بنفوذ الكهنة على الفنون الجميلة وتقييدها بأشكال متعارفة وأوها كفيلة بإظهار أفكارهم عن الانسان بعد الموت ، وعن الملك بصفته ابن الاله ، وعن الآلهة باعتبارهم حماة الجنس المصرى ، وحثموا على الفنانين اتباع هذه القواعد والأشكال فى رسومهم وتماثيلهم باعتبار ذلك واجبا مقدسا يلزم اتباعه غير أن هذه النظرية لم يوافق عليها بعض العلماء ، نذكر منهم أميل صولدى فى كتابه عن النقش المصرى والعلامتين بروه وشبيهه إذ يقولون إن تنوع الرسوم فى المعابد وعلى الجدران ابتداء من الاسرات الاولى يثبت لنا أن المصريين لم يتقيدوا باصطلاح ما ، وإن القيد الثقيل الذى كان ينوء تحت عبئه المثل - النحات - المصرى لم يكن مرجعه الى الكهنة وإنما الى المادة التى كان يشتغل فيها

وقد جلا المسيو اميل صولدى نظريته هذه فى كتابه ، واذا راعينا أنه كان مثالا وفنانا أمكن أن نقول إن خبرته العملية مكنته من أن بقدر حيدا أثر المادة التى يراد نحتها ، وأثر الادوات التى يراد استخدامها فى اسلوب الفنان وانتاجه

وقد أوجد المصريون - كما قلنا - علاقة متينة بين التماثيل وحياتهم المستقبلية ، فجعلوا التمثال كفيلا يضمن تلك الحياة ، فجنحوا بطبيعة الحال الى استعمال أقسى أنواع الحجر صلابة كالجرانيت والديوريت والبازلت لصنع التماثيل التى يراد أن تقاوم احداث الزمن . وقد تبع هذا صعوبة نحتها ، ولا سيما وهم لا يملكون سوى



(شكل ٥١) مثالون يشتعلون في صبع تمثالين هائلين من الحرايت الاحمر للملك « تحتس » الثالث ، أحدهما جالس والآخر واقف . وقد أقيمت « سقالات » من الحشب حولهما حتى يتمكن المثالون من اعتلائها والعمل عليها في صقل التمثالين وإضافة النقوش عليها . وفي وسط الصورة يرى تمثال يمثل « تحتس » الثالث على هيئة أبي الهول والعمال يشتعلون في نحتة وتلوينه . وإلى أسفل ذلك ترى مائدة قرايين تصنع . وهذا الرسم مقول عن حدران مقبرة الورر « رحمارع » بطيبة

أدوات بدائية بسيطة كالأزاميل والمطارق وما إليها ولكي يتجنبوا تشويه الشكل أو كسره ، اضطروا إلى أن يصرفوا اهتمامهم إلى صلابة التمثال وثقله فاكثروا من نقط التحمل وتجنبوا أي مطهر من مظاهر الرقة وخفة الاجزاء البارزة من جهة ، كما اضطروا إلى أن يصقلوا التمثال ليخفوا معايب حفر الأزاميل (شكل ٥١) من جهة أخرى ، وبذا أضاعوا بل أفقدوا الاجزاء التي تعطى التمثال شبه وقربه من الشكل البشري . وكل هذا يفسر أهمية وحوود القطع الخلفية التي كان يتركها المثال المصري وراء ظهر التمثال لتسندة ، كما يفسر عظم حجم هذه القطع . ولما كانت رقة العنق تعرض التمثال للكسر ، أي هي نقطة ضعف ووهن في التمثال أثناء العمل وبعده ، فقد وضع المثالون أحيانا لباس الرأس بحيث يتدلى على عنق التمثال إلى صدره ليقوى هذا الجزء الضعيف ، ويكون للرأس بمثابة الدعائم وأحيانا كانوا ينحتون خصلات شعر عريضة متدلية على المسكين في تماثيلهم ليحققوا ذلك الغرض كذلك على أنهم كانوا يتركون لوح الحجر فيما بين الساقين ، وفيما بين الذراعين والحاسين لأن إزالته تستلزم طريقة قرع المطارق التي تؤدي غالبا إلى كسر ذراع التمثال أو ساقه ، ولهذا فقد اجتنبوا



(شكل ٥٢) تمثال الاميرة ممرت (ومعنى اسمها « الحميلة ») وروحها رع حتب .
والتماثيل من الاسرة الثالثة ، اكتشف بميدوم ومحموط الآن بالمتحف المصرى (رقم ٢٢٣)



(شكل ٥٣) تمثال الملك خفرع بالمتحف المصري ،
وهو من حجر الديوريت الاخضر (الاسرة الرابعة)



(شكل ٥٤) احدى المجموعات التي وحدها ريزنر بمعد منقرع الاسفل ، يظهر فيها الملك في الوسط ، تحيط به الالهة « حتحور » من جهة ، والهة أخرى تمثل ولاية كسوليس (أسبوط) من الجهة الاخرى



(شكل ٥٥) تمثال رع نفر بالمتحف المصرى (الاسرة الخامسة)



(شكل ٥٦) تمثال الكاتب المترجم بالمتحف المصري (الأسرة الرابعة)



(شكل ٥٧) قنثال شيخ البلاد بالمتحف المصرى

وكانت عملية فصل أطراف التمثال ورأسه عن الصخر الذى يتصل به فى بعض الاجزاء شاقة عسيرة . فكم يكون صعباً متعذراً بل محالاً أن يعطى التمثال تماثيلاً أية حركة قوية كالجرى أو القتال مثلاً . فالجمال والرغبة فى اظهار حركة قوية أمور لم تفت الفنان المصرى ملاحظتها . ولكن صلابه المادة التى يشتغل فيها ، والغرض الذى يسعى اليه فى عمله اضطراره الى أن يهمل ذلك

هذا هو ملخص النظرية الثانية التى يقول بها إميل صولدى . ومما يؤيد رأيه أن الأزاميل عند ما كانت تستعمل فى أحجار أقل صلابه من الجرانيت ، كالأحجار الجيرية مثلاً ، تحررت من هذه الأوضاع التى كانت تقيدتها وتسيرها - ولو الى حد ما - فى صناعة التماثيل الكبيرة و « الكولوسات » . فالأيدى والأقدام انفصلت فى التماثيل الحشبية والمصنوعة من البرونز ، كما انعدم فيها وجود الدعامة التى كانوا يتركونها خلف تماثيل الجرانيت

فن صناعة التماثيل

لعل أقدم تماثيل وصلنا اليها تبدو فيها روعة الفن وجماله هما تماثلاً رع حتب وزوجته نمرت اللذان يرجع عهدهما الى أواخر الاسرة الثالثة (شكل ٥٢) فقد حاول الفنان فيهما أن يصور شخصين ، لهما مكانة رفيعة ، ومقربين الى فرعون ، متمتعين بشيء من التفاته وتقديره . وليس من شك فى أنه قد نجح فى محاولته الى حد كبير يستدعى الإعجاب ! . أما « رع حتب » فقد كان أميراً ملكياً ورئيساً لكهنة هليوبوليس وقائداً . وقد تجلت دقة الصنع فى تماثله كله ، ولا سيما فى الرأس الذى يعطينا فكرة عما كان يعتور اخلاق هذا الشخص من ضعف وعدم كفاية . أما زوجته « نمرت » فقد كانت نائلة يجرى فى عروقها الدم الملوكى ، ذات طلعة مهيبه ، وقوام جميل ، فجاء تماثلها البديع مرزاً لهذه الصفات ، فالوجه تعلوه المهابة والوقار ، يحف به شعر كثيف مقصوص ، ثم ثوب محبوك على جسدها يبرز منه نهذان تعلوها قلادة حول العنق . والحسم جميعه يظهر النضاضة ويبدى الجمال والرشاقة . فلا شك فى أن الفنان قد بذل مجهوداً عظيماً فى تصوير هذين الشخصين واعطاهما الملامح الحقيقية ، مع جمال التصوير والنحت ، وروعة الالوان التى استعملها فى تعطية الحجر الجيرى الذى صنع منه التمثال . فمثل هذه التحفة الصلة تثبت لنا وجود مدرسة قوية فى ذلك الوقت تعدت دور الكوين ووصلت الى

درجة كبيرة من الاتقان ، تلك هي مدرسة منفيس التي كانت قصبة الملك وعاصمة البلاد في العصور الأولى من المملكة القديمة ، فجعلها هذا قبله أنظار الفنانين والصانعين والعمال ومن اليهم من مختلف الطبقات - كما هو الشأن حتى الآن في العواصم الهامة - حيث يلتصقون لهم رزقا هناك

ولما كان الملك أوفر القوم ثروة وأعظمهم سلطة فقد كانت أعماله وحركة بنائه لا تنتقطع في المعتاد منذ أن يعتلى العرش الى أن يموت فعند ما يقبض على زمام الحكم ينصرف تفكيره منذ اللحظة الأولى الى بناء مقبرة له يلزمها المعماريين والفنانين والعمال وغيرهم ، والى اقامة معبد لايه الاله كي يرضى عنه ويمنحه حياة خالدة ملايين السنوات ، والى اقامة المسلات أمام صروح المعابد ، والى الاكثار من التماثيل وما اليها ، وهكذا توطدت أركان مدرسة منفيس وعلا شأنها

ونحن حين ندرس فن النحت في العصر القديم لانستطيع أن نتقدم في البحث دون أن نهرض لتمثال أبي الهول ، لتلك الكتلة الهائلة التي لبث تاريخها زمنا مجالا للاقاويل والمزاعم ، حتى اظهرت بعض الاكتشافات انها تمثل الملك خفرع نفسه . على أن المصريين منذ عصر الدولة الحديثة خلطوه بالاله « حور أختي » (أي حوروس في الافق) وجعلوه رمزا على الشمس المشرقة

وتمثال أبي الهول مصنوع من كتلة واحدة من الحجر - أضيفت اليها قطع أخرى من الحجر في بعض الاجزاء - كتلة عظيمة خالدة تقوم على طرف الصحراء فتشرف على ماحولها وتتجه الى الشرق فتكون أول من يرى الشمس حين شروقها . ويبلغ طول أبي الهول ٥٧ مترا ، وارتفاعه ٢٠ مترا ، وعرض الوجه خمسة امتار ، أما الاذن فتبلغ ١٣٧ متر ، والأنف ١٧٠ متر والفم ٣٣٢ متر

وأبوالهول يمثل بحق الخلود والثبات ، ومقاومة المصاعب ، وعلى فمه تنطبع ابتسامة غامضة لا تزال باقية واضحة ، ووجهه وان كان يصور القوة والبأس فهو يبتئ الأمن والسلام

وأن الفن الذي ارتأى ونحت هذا التمثال العظيم من مثل هذا الصخر الأصم إن هو إلا فن كامل ، سيد نفسه ، واثق من أسلوبه وانتاجه كما يقول العلامة ماسبرو وضعت مدرسة منفيس الأسس التي يقوم عليها فن النحت ، فكان من أثر ذلك أن تنوعت التماثيل بين أوضاع الوقوف والجلوس والركوع والتربع ، وهذه الأوضاع

الغالبية المتداولة كانت كافية في نظر المصريين لأن تعطى التمثال صورة حقيقية للشخص الذى تمثله ، صورة طبيعية لا يدخلها تصنع أو رياء ، اذا وضعت فى القبر ضمنت لصاحبها الخلود بقاء روحه فيها كما سلفت الإشارة اليه

فهم اذا صوروه واقفا دل ذلك على أنه يشرف على خدمه وعبيده حين يعملون ، واذا رسموه جالسا أرادوا بذلك أنه جالس الى أقاربه يشاركونهم فى اعمالهم العائلية حيث توجد زوجته الى جانبه جالسة على مقعد مستقل أو منطرحة على اقدامه مع ابنهما ، والى جانب هذا جميعه تتناثر فى المقبرة الواحدة تماثيل أخرى للخدم وهم يصنعون الجعة ويملاؤن بها الأواني والجرار ، وللنساء وهن يطهين الطعام ويخبزن العيش ويطحن القمح ، وغير ذلك من الاشياء التى نجد لها جميعا أمثلة وافرة فى المتحف المصرى

ومن أظهر تحف مدرسة منفيس وأتقنها تمثال الكاتب المحفوظ بالمتحف المصرى ونظيره بمتحف اللوفر بباريس ، وتمثال خفرع ، وشيخ البلد ، ورع نفر (وكلها بالمتحف المصرى) وغيرهم ممن سيرد ذكرهم فى خلال هذا الفصل

وأول تمثال من هؤلاء مهمنا دراسته هو تمثال خفرع (شكل ٥٣) الذى وجدته « ماريت » عام ١٨٥٩ فى معبد الهرم الثانى السفلى ، وهو مصنوع من حجر الديوريت الاخضر تلوح عليه سماء العظمة والقوة والصلابة . حتى قال عنه ماسبرو : « لو كانت جميع الكتابات التى عليه قد انمحت وزالت لما أمكن أن تتردد مطلقا فى أنه تمثال ملك تم عنه طلعتة فحسب . فكل قطعة من تقاطيع وجهه وتفاصيل جسمه تظهر الرجل متعوداً منذ صغره على الشعور بأنه مزود بالسلطة العليا »

ويشاهد خلف رأس التمثال باشق ناشر جناحيه يحمى الملك وهذا الطائر رمز للاله حوروس . ومما تجدر ملاحظته أن الباشق قد وضع بطريقة تدل على الحذق والمهارة ، فهو لا يتعارض مع شكل الرأس لمن ينظر الى التمثال من الامام . بل إنه لا يظهر بتاتا من الامام ، فاذا دار الانسان حول التمثال من الخلف أو من الجانبين ظهر شكل الباشق أما التماثيل التى اكتشفها ريزنر Reisner فى معبد الملك منقرع الاسفل فهى على درجة كبيرة من الدقة والاتقان . أربعة منها مصنوعة من المرمر تمثل الملك جالسا ، وتمثال آخر للملك وبجانبه الملكة من الشست (محفوظ بمتحف بوسطن بامريكا) ، وأربع مجموعات من حجر الشست أيضا يتكوّن كل منها من ثلاثة تماثيل . ويحتمل انه كان

هناك أربعون مجموعة كهذه ، بقدر عدد المقاطعات ، ولكن ريزنر لم يجد الا أربعة ، منها ثلاث في المتحف المصرى . وتمثل كل من هذه المجاميع الثلاث الملك بين الالهة «حتحور» وعلى رأسها قرص الشمس يحيط به قرنان والهة تمثل احدى الولايات المصرية (شكل ٥٤)

أما المجموعة الرابعة فهى محفوظة بمتحف بوسطن وهى فذة فى نوعها اذ تمثل «حتحور» فى الوسط والى يسارها الملك واقفا يحمل دبوسا والى يمينها الهة تمثل المقاطعة المسماة هرمبوليس

أما تمثال الملك ييى الأول من الاسرة السادسة الذى وجده المستركويل فى الكوم الاحمر عام ١٨٩٧ فمن النحاس المطروق ويمثل الملك واقفا تتدلى احدى يديه الى جانبه وترتكز الاخرى على عصا

وقد ضاعت بعض أجزاء هذا التمثال (١) ، على ان مصلحة الآثار قد أمكنها تركيبه وحفظه فى خزانة بالمتحف المصرى . وقد صور الجسم والذراعان والساقان بواسطة الطرق ، على قالب من الخشب ، ثم ثبت بالمسامير ، أما اليدان والقدمان والوجه وجميع الاجزاء التى تحتاج الى الدقة فى الشكل والتعبير فقد صبوها فى قوالب . وهذا التمثال هو أقدم ما وصل الينا من التماثيل المصرية المصنوعة من المعدن ، كما يعد أكبر نموذج من نوعه . وبالمتحف تمثال آخر من المعدن نفسه يمثل ابن الملك السابق ذكره

أما تمثال «رع نفر» فقد كان صاحبه أحد أفراد أسرة من الاسر النبيلة فى عصره ، ويرجع عهده الى الاسرة الخامسة ، وهو يمثل واقفا يشرف على خدمه ، ولا يعطينا التمثال فكرة الصلابة التى يشف عنها تمثال خفرع ، بل على العكس من ذلك يرينا شخصا جميلا قوامه قوام أمير ، ولا عجب فى ذلك فالتمثال مصنوع من الحجر الجيرى بحجم أكبر من الحجم الطبيعى وهو يمثل رع نفر وقد تزين بشعر مستعار وارتدى ثوبا قصيرا . ويعتبر هذا التمثال ، لما فيه من صدق التمثيل ودقة الصنع ، من أحسن نماذج الفن المنسوب الى مدينة منفيس ، وهو محفوظ بالمتحف المصرى (شكل ٥٥)

(١) وأهم هذه الاجزاء المفقودة جزءان ، النقبة (القماش الذى كان يغطى الوسط وهو ما يعبر عنه بالعامية بالشنتيان) ، ولباس الرأس ، وربما كان أولهما من الذهب والآخر من اللازورد ، وهذا ما دعا اللصوص الى سرقتها

ويظهر ان الشخص الذى يمثله الكاتب المحفوظ بمتحف اللوفر (ياريس) لم يكن على حظ كبير من الملاحظة وحسن النظر ، وهو الى جانب ذلك فى متوسط العمر . على ان الفنان قد أظهر شكله بدقة وأمانة على ما أعتقد ، اذ تراه متربعا ، وعلى حجرة ملف منشور من ورق البردى ، وفى يده قلم الغاب ، ولا يزال منتظرا ، كما كان منذ ستة آلاف سنة ، تلك اللحظة التى يفضل عليه فيها سيده بمتابعة املائه المتقطع ! هذا الى ان الجسم كله ترفرف عليه فكرة الانتظار التى تظهر أيضا فى هيئة وجهه وسحته . أما زميله الكاتب المحفوظ بمتحف مصر الذى اكتشفه « دى مورجان » فى سقارة عام ١٨٩٣ فيشارك مع سابقه فى خصائصه إلا أنه يزيد عنه فى جماله ، إذ يمثل شخصا فى مقتبل العمر وميعة الصبا

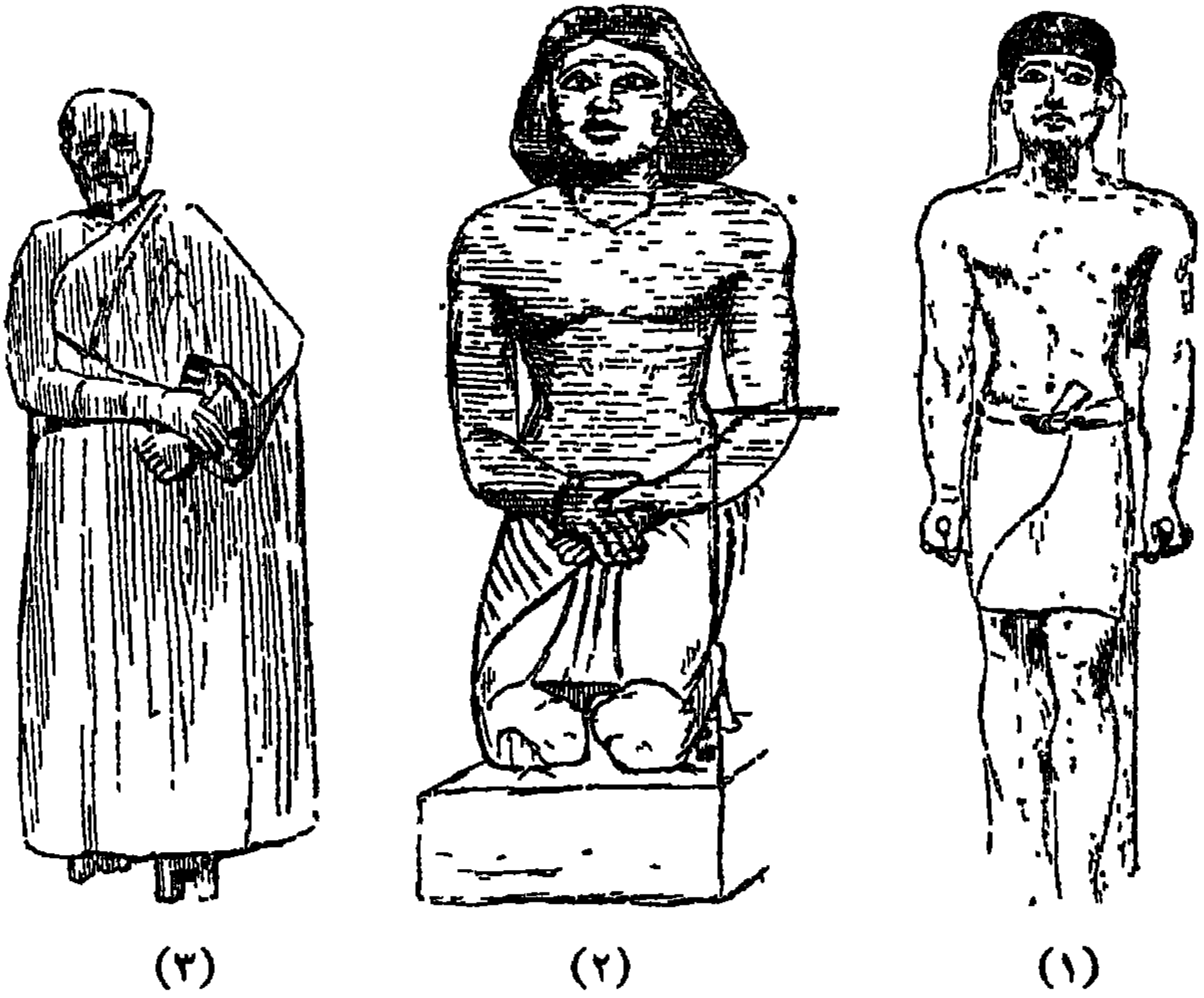
والتمثال من الحجر الجيرى الملون ويرجع عهده إلى الأسرة الرابعة (شكل ٥٦)

أما تمثال شيخ البلد (شكل ٥٧) فقد اكتشفه ماريت فى سقارة ، وبمجرد أن عثر عليه العمال الذين كانوا يحفرون تحت ادارته صاحوا : « هذا شيخ البلد » لمشابهته لشيخ بلدتهم سقارة وقتئذ ، فصارت هذه التسمية علما عليه . ولا يعد أن يكون هذا التمثال لأحد رؤساء العمال الذين اشتغلوا فى بناء الاهرام

ومثل هذا الرجل من أبناء الطبقة المتوسطة وهو يشغل منصبا هاما لخطورة العمل المسند اليه ، ولهذا فان مظهره كله يدل على الرضا وتقدير الذات . ولقد نخل الينا حين نراه ممسكا بعصاه المعقدة ، موقفه الغابر وهو يشرف على العمال ويحضهم على الدأب والمثابرة ، فلا يسعنا إلا أن نعجب بذلك الفنان ونثني على مقدرته التى مكنته من أن يظهر تلك الملامح والتقاطيع فى خشب الجميز المصنوع منه التمثال . وفى الحق أن التمثال بدقته وجماله يكاد ينطق

وعينا التمثال مرصعتان ، حافتهما من النحاس الاحمر ، وبياضهما من الرخام ، وقرنيتهما من الحجر المتبلور ، أما انسانهما فرأس مسمار من النحاس الأحمر

وقبل أن ننهى من الكلام على نجمة التماثيل فى الملكة القديمة لا نرى بدا من ذكر تمثال القزم « خنم حوتب » (شكل ٥٨) الذى نجح المثال فى تصوير رأسه الكبير . وآذانه العظيمة ، ووجهه الدال على الغاوة ، وعيونه الصغيرة ، ثم جسمه الممتلئ وبطنه العظيم ، والواقع أنه من الصعب أن نجد تمثالا كهذا تظهر فيه أمثال هذه



(شكل ٥٩) (١) تمثال رئيس الحبازين المدعو « نفر » (٢) تمثال رئيس كهنة
القرين المدعو « كام قد » (٣) تمثال صغير من الخشب لرجل ملفت بعباءة كبيرة

التشويبات والنقائص بشكل حتى خال من المبالغة والاغراق
والتماثيل مصنوعة من الحجر الجيري الملون ويرجع عهده الى الاسرة السادسة ،
ووجد في صقارة ، وكان صاحبه « ختم حتب » ، أمديراً لحزاة الثياب ، وهو محفوظ
بالمتحف المصري كسابقه

أما تمثال رئيس كهنة القرين المدعو « كام قد » (المحفوظ بالمتحف المصري)
فهو يدل على مهارة المثال الذي صنعه وأظهر فيه الدقة متميزة بالمهابة التي تحيط بهذا
الكاهن وهو جاث غارق في صلواته (شكل ٥٩ رقم ٢)

وتمثال رئيس الحبازين المدعو « نفر » قطعة من أبداع القطع الموجودة بالمتحف
المصري وتري دقة الصنع ظاهرة فيه على الأخص حول العنق والكتفين ، والتمثال يمثل
واقفا ومرتديا نقبته (شكل ٥٩ رقم ١)

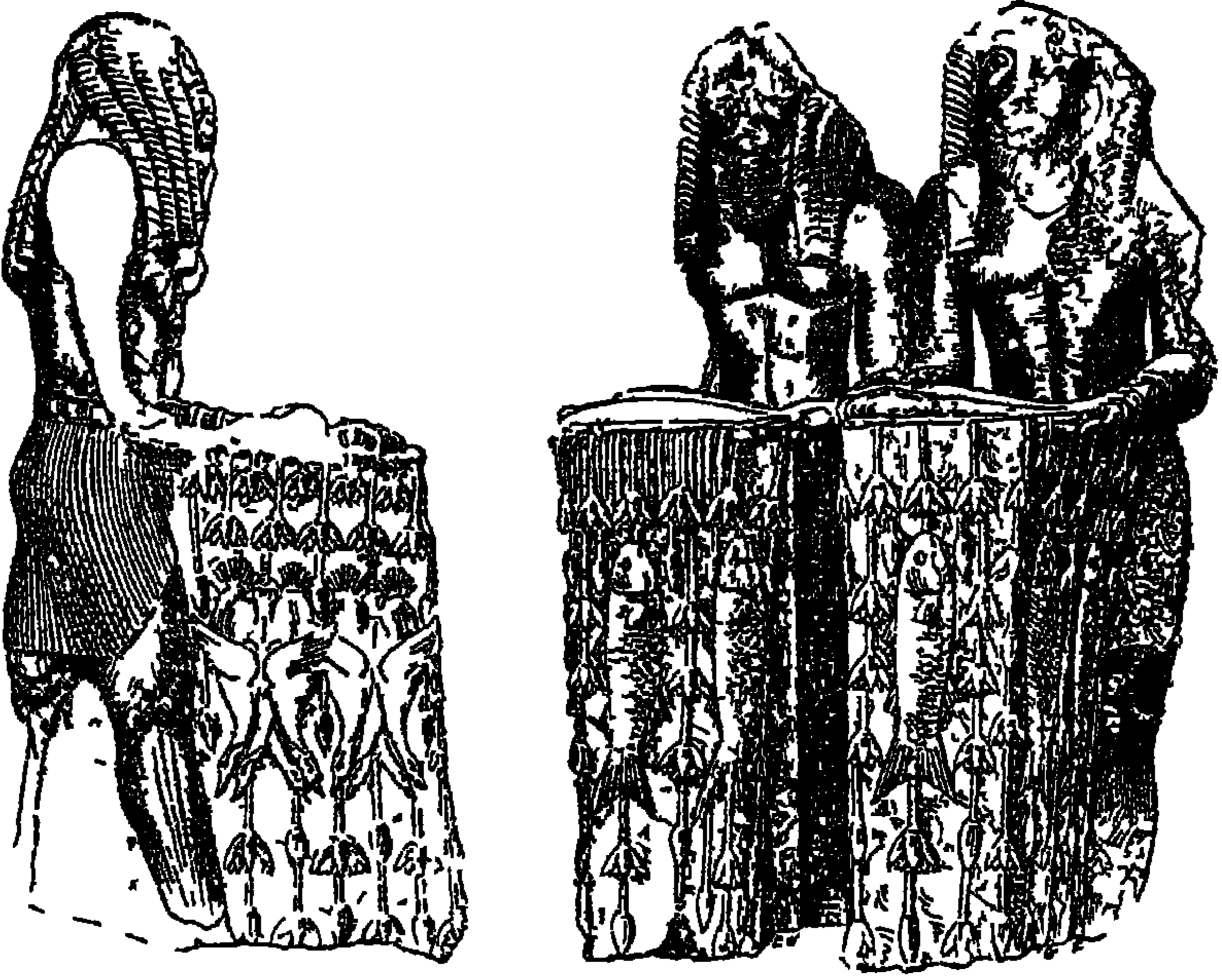
ومما هو جدير بالذكر أيضا تمثال صغير من الخشب لرجل ملفت بعباءة كبيرة وجد
بأبي صير ، تدل صناعته على الدقة والعناية وهو محفوظ بالمتحف (شكل ٥٩ رقم ٣)

أما الحفر في عهد الدولة الوسطى ، فكان ممثلا لنظيره في العصر المنى الذى تكلمنا عنه ، ولا يفترق عنه إلا فى أشياء صغيرة ، فمثلا ابتداء من الأسرة الحادية عشرة طولوا الساقين ورققوا الفخذين والعنق وبدا الجسم كله ناحلا رقيقا . ولا يمكننا مقارنة آثار هذا العصر بآثار المملكة القديمة ، كما أن الفرق يظهر واضحا جليا عند ما نقارنها بمثل ما انتجته مدرسة تانيس فى نفس العصر . وأهم ما اكتشف لهذه المدرسة الأخيرة تمثيل أبى الهول التى اكتشفها مارييت عام ١٨٦١ وهى تمثل الملك بجسم أسد بادية القوة ورأس بشر بادية التفكير ، وقد عثر عليها جميعا فى تانيس . وكانت تعزى سابقا الى ملوك الهكسوس ، لان شكلها غير مألوف فى التماثيل المصرية ، على أن جميع الظواهر تدل على أن هذه التماثيل يجب أن تنسب الى الأسرة الثانية عشرة وإلى عهد امنمحت الثالث على الأرجح ، وقد نقش عليها بالتوالى أسماء رمسيس الثانى ومنبتاح وبسوسنس . وهى محفوظة بالمتحف المصرى أيضا . ويلاحظ أن طول أبى الهول فى هذه التماثيل أقل من طوله المألوف ومع هذا فانه تعلوها مسحة واضحة من العظمة والوقار (شكل ٦٠)

ويحدثنا العلامة ماسيرو بأن هذه المدرسة قد استمرت الى ما بعد طرد الهكسوس ،



(شكل ٦٠) أحد تماثيل أبى الهول التى اكتشفها « مارييت » فى تانيس



(شكل ٦١) مطر أممي وآخر حاشي لتمثال من الحرايت الاسود تمثل بيلي (أو ملكي)
 الفمائل والحبوب يحملان حاصلات البلاد وخيراتهما من طيور ماء وسمك وزهر اللوتس وغيرها .
 والمرجح أن هذا التمثال من الدولة الوسطى ثم اعتصبه الملك « سوسنس » بعد ذلك - تاييس

ويستدل على ذلك بتمثال يمثل بيلي الشمال والحبوب يحملان حاصلات البلاد وخيراتهما من
 طيور ماء وسمك وزهر اللوتس وغيرها ، يقول إن الذي صنعه هو الملك (بي سك هاو)
 من الأسرة الحادية والعشرين . غير أنما نرجح أن هذا التمثال من الدولة الوسطى ،
 ثم اعتصبه هذا الملك بعد ذلك ، والتمثال محفوظ بالمتحف المصري (شكل ٦١)

أما الأسرات الأولى من المملكة الحديثة فقد حلفت لنا من التماثيل شيئا كثيرا كان
 يملا البلاد من أدناها الى أقصاها ، ويكاد يعادل في مجموعه كل ما وجد من الآثار ،
 ابتداء من الأسرة الاولى حتى بدء الأسرة الثامنة عشرة

ومن أحسن تماثيل هذا العصر تمثال البقرة «حتحور» الذي وحده «نافيل» بالدير
 البحري في فبراير عام ١٩٠٦ في داخل مقصورة من الحجر الرملي ذات سقف مقبب
 (شكل ٦٢)



(شكل ٥٨) مثال القرء « حم حتف » (الاسرة السادسة)



(شكل ٦٢) تمثال البقرة « حتحور » الذي وحده ناييل بالدر البحري ، وبعد تمثال هذه البقرة أحسن قطعة فنية من تماثيل الحيوانات عثر عليها الى الآن ، ليس في مصر حسب ، بل في العالم القديم كله ، بما فيه بلاد اليونان ورومة

ويعد تمثال هذه البقرة أحسن قطعة فنية من تماثيل الحيوان عثر عليها الى الآن ، ليس في مصر فحسب ، بل في العالم القديم كله ، بما فيه بلاد اليونان ورومة . وفي الواقع لا يمكننا العثور على تمثال حيوان بلغ ما بلغه هذا التمثال من الدقة والجمال إلا في عصرنا الحديث . فهو تمثيل حي البقرة المصرية ، لتلك العيون الحاملة والنظرة المبهمة الغامضة التي تمتاز بها البقرة والتي لم يفلح في تصويرها وازهارها إلا عدد قليل جداً من المثاليين والفنانين !

ومع أنه توجد لدينا بالمتحف المصري تماثيل أخرى تمثل البقرة « حتحور » يعتبر كل منها قطعة فنية اذا أخذناها على انفراد ، فانه ما من واحدة منها يمكن أن تقارن بتمثال هذه البقرة التي تتكلم عنها

ولما كانت هذه البقرة تمثل الالهة « حتحور » الهة جبانة طيبة التي تعيش في مستنقعات ملائ بالنباتات الكثيفة المتشابكة ، فقد حرص الممثل على اظهار هذه النباتات - ولا سيما اللوتس - التي تعيش بينها بتمثيلها على جانبي التمثال ، في جهتي الرأس والقوائم الأمامية . ويلاحظ وجود تمثال ملك يقف تحت رأس البقرة ، كان في الأصل يمثل تحتمس الثالث ، كما هي الحال في الرسوم المنقوشة على جدران المقصورة ، إلا أن ابنه امنوفيس الثاني أضاف اسمه خلف لباس رأس البقرة ، بين زهور اللوتس ، فنسب لنفسه بذلك أثراً هو في الأصل لايه . وقد مثل الملك مرة أخرى جاثياً يرضع من ضرع البقرة والوان هذا التمثال البديع لاتزال محتفظة برونقها وبهائها ، بالرغم من مضي ٣٤٠٠ سنة عليها ، إذ أن تاريخ هذا التمثال يرجع الى الاسرة الثامنة عشرة ، وهو محفوظ بالمتحف المصري

وقد كانت المراكز الدينية الشهيرة مثل منفيس وايدوس وتانيس وطيبة أغنى المدن بآثارها ، وظلت الثلاثة الأولى محتفظة بتقاليدها ، أما العاصمة طيبة فقد كانت تخرج التماثيل الملكية من معامل الكرنك ، كتمثال الملك امنحتب الأول وتحتمس الأول وتحتمس الثالث وغيرها

وأهم هذه التماثيل تمثال تحتمس الثالث المصنوع من حجر الشست وهو يمثل واقفاً يبطاً الأقواس التسع التي تمثل شعوب البدو . أما الرأس فهو آية في دقة الصنع وجمال التعبير ، فالوجه يرينا شاباً قوياً مملوءاً بشاطا وحركة وهذه صفات تتفق تماماً مع ما نعرفه عن هذا الملك المغوار من بطولة في حروبه التي قام بها في الخارج . ويعد هذا التمثال

احدى تحف الفن في متحفنا المصرى (شكل ٦٣)

ولما جاء « اخناتن » بدياته الجديدة ، حرر الفنانون أنفسهم من تلك القيود التي كانت تأخذ عليهم مسالكهم ، فزينوا جدران عاصمته الجديدة ، تل العمارنة ، بالمناظر الجميلة كالمعارك الحربية والاحتفالات القومية والاستقبالات الرسمية ، وتوزيع الجوائز على المجدين ، ومناظر المنازل والحدائق وغير ذلك ، وتركوا العنان لخيالاتهم فارتقوا بالفن الى درجة رفيعة ، خصوصا لتحسينهم طريقة رسم المنظور Perspective

وفي المتحف المصرى تمثال صغير من الحجر الجيري الملون للملك اخناتن وجده بورشارد في تل العمارنة عام ١٩١٢ ، ويمتاز بدرجة كبيرة من الدقة والبراعة (شكل ٦٤) ، على انه قد وجد بالكرنك منذ أعوام تمثالان كبيران للملك نفسه تتفق ملاحظتهما مع التمثال السابق ، وتزيد عليه في الدقة والابداع . فالملك فيهما نحيل ، ولعل ذلك نتيجة التعب والاجهاد عقب ملاقاه من كهنة آمون وطية من اضطهاد واعانت . وتقاطيع وجهه تمثل الرحمة يمازجها الألم ، وكأن المثال أراد أن يحملنا على أجنحة فنه الى معبد « آتن » العظيم ويسمعنا صوت الكهنة يرتلون الترانيم ، بينما يقف الملك يبشر بالسلام ، ويدعو الى الاخاء ، وينشر تعاليم المساواة ، مشققا على شعبه من التخبط في أمر دينهم المعقد ، متألما بما طبع في نفوسهم من حب الجهاد والحرب والحصام ، هاديا اياهم الى طريق جديد وديانة جديدة

استمر الفن في تقدمه في عصر الملك توت عنخ آمون ، فلقد وجد المرحوم الايرل كارنارفون ومدير عمله الهى الدكتور هوارد كارت رتمائيل صغيرة من الحشب (شوابتى) بعضها مذهب ، هى من تحف الفن المعدودة بفضل دقتها البارعة في اظهار تقاطيع الوجه وقسامة الجسم حتى ليكاد يحزم من يراها أن صاحبها لم يتجاوز العشرين ريعا ، وهذا أمر أنت صحة الفحص الطبى الذى أجرته اللجنة المختصة حينذاك

وكان يرحى أن يصل الفن الى دروة رفيعة لو استمرت مدرسة تل العمارنة في عملها ، غير أن التقلبات الدينية والسياسية ومجهودات الكهنة التي اضطرت الملك « توت عنخ آتن » الى الرجوع الى عبادة آمون ، أو على الأقل الى أن يعود من خلفه عدموته الى عبادة آمون والقضاء على الديانة الجديدة ، كل ذلك مكن مدرسة طية من لعودة الى سيطرتها الاولى ، ولكن رغم ذلك ظلت مدرسة العمارنة باقية الى الاسرة

الثانية والعشرين على الأقل كما أوضح بورشارد في كتاب له ، وهو يعزو إليها إدخال شيء كثير من الدقة والرشاقة التي ظهرت في منتجات مدرسة طيبة مدة قرن على الأقل .

فما من شيء يعادل النقوش الموجودة في معبد

ايدوس ومقبرة ستي الأول

ويدلنا رأس تمثال لخارجب دقيق الصنع من الجرانيت ، على أن الحفر والحث كما لا يزالان محتفظين بهاتهما في عهد الأسرة التاسعة عشرة ، كما يمكننا الاستدلال على ذلك بتماثيل رمسيس الثاني التي أقامها بمعبد الأقصر وتمثال هذا الملك المحفوظ بمتحف تورين (شكل ٦٥) وغير ذلك من التماثيل

العديدة التي يرجع

عهدا إلى هذا العصر

أو مابعد قليل

ثم بعد عهد مرنبتاح

أخذت الفتن والحروب



(شكل ٦٥) تمثال من الجرانيت للملك « رمسيس الثاني » محفوظ بمتحف تورين

تعصف بمصر عصفا قويا عاقها عن التقدم ورجع بفنها الى الوراء . ثم كانت غارة شيشاق
التي انجلت عن تخريب طيبة ومدرستها التي أخرجت أمثال هذه التحف ، الى أن جلس
بسماتيك ثانية على عرش آبائه فأخذ في اصلاح المعابد والهياكل والتماثيل ، فظهرت
المدرسة الصاوية وأخذت تنحت البازلت وحجر البرشيا . ومن آثارها تماثيل الالهة
« تآورت » (الهة الولادة) على شكل عجل البحر المحفوظ بالمتحف المصري (شكل ٦٦)
وأربع قطع وجدت في قبر الكاتب « بسماتيك » من الاسرة الثلاثين تمثل أوزير
واوزير ومائدة قرابين والبقرة حتحور يقف تحت عنقها الكاتب صاحب المقبرة
وأهم ما يميز به اسلوب هذه المدرسة كما يقول ماسيرو انها لم تتبع طريقة مدرسة
منفيس الممتازة بدقتها الظاهرة في تماثيلها ، ولا طريقة مدرسة طيبة التي يبدو فيها الجفاف
والخشونة ، وإنما عني باخراج اشكال رقيقة تمتاز اعضاءها برشاقتها وليونها
ثم جاء عصر الاسكندر والبطالسة فأخذ الفن المصري يختلط بالفن الأغريقي وبخاصة
في الاسكندرية ، وصورت اوزير بشكل يخالف شكلها الفرعوني القديم خصوصا في العصر
التأخر ، وفي آخر طور للفن المصري كانت المدارس الواقعة خارج الدلتا تضمحل
وتتعدم . .

ولما حان زمن الرومان في مصر فطن القياصرة الى استرضاء الاهالى عن طريق
الدين ، فأخذوا يصلحون المعابد . غير أن طيبة كان قد دمرها زلزال في عام ٢٢ قبل
الميلاد ، ولم تكن في ذلك الوقت غير قبلة يحج اليها من شاء من المتعبدين لسمع صوت
ممنون عند طلوع الفجر ، فولى الرومان وجوههم شطر دندرة وامبوس وقفت وفيلة
واسنا . وكان هناك في ذلك الوقت طوائف من العمال أتمت نقش جدران معابدها على
القاعدة القديمة غير انها أتت نقوشا ثقيلة فائرة لما فيها من تقليد متكلف
ثم كانت غارات البرابرة ، وتلاها تقدم المسيحية وفوزها ، وكل هذا دعا الى ترك
العمل وتشتت العمال فانقضى بانقضائهم كل ما كان باقيا من الفن الوطني ، وبذلك مات
الفن المصري القديم الى الأبد

الفصل السادس

الرسم والنقش والتصوير

بلغ فن النقش والتصوير في عصر الاسرتين الرابعة والخامسة شأوا بعيداً من الدقة والاتقان ازدهرت فيه معاملة حتى وصل الى قمة مجده . على أن هذا الفن أخذ يضمحل ابتداء من الأسرة السادسة وفي عهد المملكة الوسطى بالتدريج ، الى أن انبثت فيه روح الحياة مرة أخرى في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، مما نجد آثاره في معبد الدير البحري ومعبد الاقصر ، بيد أن هذه النهضة لم تكن طويلة الأمد فقد عاد الى التأخر ثانية ، حتى كان العصر الصاوي ، الذي شب فيه روح جديد يرمى الى تقليد نماذج المملكة القديمة ، فأخرجوا شيئاً يكاد يكون جذاباً متقناً الى حد ما . واجتهد الفنانون في عصر البطالسة في تقليد من سبقهم في العصر الصاوي ، ولكنهم ضعفوا على مر الزمن فصارت رسومهم مشوهة ، وملاؤوا جدران المعابد بنقوش خالية من الطرافة والابداع ولعل من الخير أن تتفق الآن على اصطلاحات تفصيلية فيما نطلق عليه بوجه عام كلمة نقوش . ففي الفن المصري القديم شيء نسميه « تصويراً » أي رسم اشكال على الحوائط وتلوينها ، وهناك « النقش » ونقسمه قسمين : نقش بارز يعاوم مستوى الحائط ، ونقش مجوف يحفر في داخل الحائط . وفي كثير من الأحيان كان يلون هذا النقش فكان المصور لا يأتي بمجديد من عنده بل كان يقتصر على اعطاء اللون للشكل المنقوش . فالتصوير بمعناه الذي سبق كان مقصوراً على المقابر بينما كان النقش بنوعيه شائعاً في المعابد وما إليها من المباني . ومن السهل أن نفهم السبب في ذلك ، فجدران المعابد الخارجية وصورها كانت معرضة للشمس طول اليوم ، وكانت الأفنية كذلك مكشوفة ، وفوق هذا وذاك فإن بعض هذه الجدران كان معرضاً للمس أيدي الزائرين وملابسهم ، والتصوير بلا جدال غير لائق بطبيعته لأمثال هذه المواقف ، إذ لا يلبث ضوء الشمس

أن يذهب به ، أو أن يتلفه اللّس فتشوه ألوانه . أما الاشكال المحفورة في الجدران فانها اذا بهتت أو ذهبت ألوانها ، أمكن ارجاع بهاها اليها بوضع دفعات من الفرجون (الفرشاة) على أن اضافة الألوان الى النقش تزيده قوة ووضوحا

أما الحال فيما يختص بالمقابر فيختلف عما سبق اختلافا كثيرا ، فليست هناك تغييرات شديدة في الجو ، ولا أشعة شمس قوية يخاف منها ، وهي غير معرضة للفساد فان ابوابها ترجع عليها دائما ، ولم يكن ثمة من يرى ما على جدرانها من مناظر غير الميت وازريس الذى يحميه

وقد ظهر التصوير مستقلا عن النقش ابتداء من الدولة الوسطى في مقابر بنى حسن ، حيث استعمل الفرجون وحده بعد أن كانت تضاف الألوان الى النقش في مصاطب الدولة القديمة . فكانوا اذا أرادوا اعداد الجدار للنقش أو التصوير طلوه بطبقة من الطمي المخروط بالطين ، تعلوها طبقة أخرى من الجص أو الكلس ، وربما اكتفوا بالثانية وحدها ، ثم يقسمون الحائط الى مربعات ، لتضبط نسب الشكل المرغوب رسمه وقد تعلم المصريون هذه النسب فى الاشكال البشرية وغيرها بالتجربة والتمرين ، دون أن يسيروا على قانون ثابت منظم لها ، فكان التليذ يكتفى بأن يقلد النماذج التى يضعها له استاذة جملة مرات حتى يجودها ، ثم يصلحها له استاذة . وكانوا يستعملون لهذا الغرض قطعاً من الحجر الجيرى بعد تسوية سطحها ، أو من الخشب المدهون بالجص ، أو على ظهر مخطوطات قديمة مهمة . لأنهم كانوا يضمنون بأوراق البردى الغالية على الأغراض التعليمية المدرسية . وكان القلم الذى يستعمله المصريون القدماء عبارة عن قطعة من الغاب يبللون أطرافها فى الماء فتتحلل الى ألياف تختلف فى سمكها باختلاف حجم ساق الغاب ، وعندما تتحلل الاطراف الى الياف تكون فى شكلها واستعمالها قريبة الشبه جداً من الفرجون الحالى . أما لوحة الكتابة فكانت قطعة من الخشب أو الرخام أو ما يشابههما ، مستطيلة الشكل وبها فى الغالب سبعة فناجين صغيرة توضع فيها الألوان . وكانت هذه الألوان لا تعدو اللون الأصفر والاحمر والازرق والاخضر والامر والابيض والاسود . وهى تطابق السبع فتحات التى توجد عادة فى معظم اللوحات ، وكان لكل منها عدة أنواع

وبعض هذه الأصباغ نباتى كالنيلة ، والبعض الآخر معدنى وهو الغالب . . ومن هذا النوع الأخير لون أزرق مخصوص احتفظ بيهائه ورويقه خلال قرون عدة وقد

أعجب به كثير من كتاب الرومان لقوته الغريبة على مقاومة التفاعلات الكيميائية دون أن يخبض أو يسود مع تعرضه للهواء . وهذا اللون كان يتكون على ما نظن من الرمل وبرادة النحاس وسبكرينات الصودا ، مضافة الى بعضها ، ومسحوقة بعد احماؤها في النار . ولا يزال النحاس إلى يومنا هذا العنصر الاساسى في تكوين الألوان الخضراء الزيتونية اللون . وكانت تستخرج عدة أنواع من الأحمر والأصفر والاسمر تختلف دكاته وبهاء من المغرة . أما الابيض فكان يؤخذ من الجص والكلس ، وكثير من الجدران احتفظ بلونه الابيض الثلجى الى اليوم ، بحيث تظهر أوراقنا بجانبه سمراء . وبعد أن يعد الحائط ويقسم يرسم عليه الشكل رسماً تخطيطياً ثم يملأ بالألوان أو يحفر في الحائط نقشاً مجوفاً en creux أو نقشاً بارزاً Bas-Relief . والنقش المجوف أو الغائر أسهل من البارز وأقل جمالاً ولكنه أقوى على مقاومة أحداث الزمن ، وسهولته آتية من أن غاية ما يتطلبه هو حفر الرسم في الحائط ، على حين أن النقش البارز Bas-Relief يستدعى حفر كل ما هو حول الشكل من الحجر ، ليدع الشكل نفسه بارزاً ، وهذا بطبيعة الحال أصعب في عمله من النوع الأول ولو أنه أجمل شكلاً

هذا ولقد أفسد عدم معرفتهم « المنظور » شيئاً كثيراً من التأثير الفنى في صورهم ، مثال ذلك أنهم عند ما كانوا يريدون أن يرسموا صفوفاً من الرجال أو مجموعة حيوانات كانوا يصورونهم كأنهم يقفون الواحد فوق الثاني . كما أن الادوات التى يجب أن توضع على الموائد رسموها كأنها واقفة عليها . على أن فنانيهم استعملوا المنظر الجانبى فى معظم رسومهم وخلطوا به أحياناً بعض أجزاء هذا الجسم منظورة تامة من الامام . ولذلك يعوزهم التوافق والانسجام بين الصدر والاطراف فى كثير من الأحيان ، فبينما يرسمون الساقين والقدمين منظورة من الجانب ، اذا بهم يرسمون جسم هذا الشكل نفسه منظوراً من الامام فيظهر فيه المنكبان تامين . ومع أن هذه الأصول التى كانوا يراعونها فى فن الرسم تعد خطأ من الوجهة الفنية إلا أنها لم تكن تتعب من ينظر اليها من المصريين ، وذلك لتعودهم رؤيتها بكثرة ومقدرتهم على سرعة تجميعها فى فكرهم . ومع تقدم فن الحفر والتصوير لم يشعر المصور بحاجة ما الى أن يترك هذه الطرق الأولية ، لأن مثل هذه الاصول التى راعوها مثل نظيراتها فى لغة الكتابة والقراءة متى وجدت ، فإن ما يظهر منها غريباً ومضحكاً للاجنبى ، يكون على عكس ذلك مقبولا بطريق العادة ، بل ربما لم يشعر الوطنى بوجود رمز يحار فيه الغريب !

الفصل السابع

النقوش في الدولة القديمة

النقوش الملكية

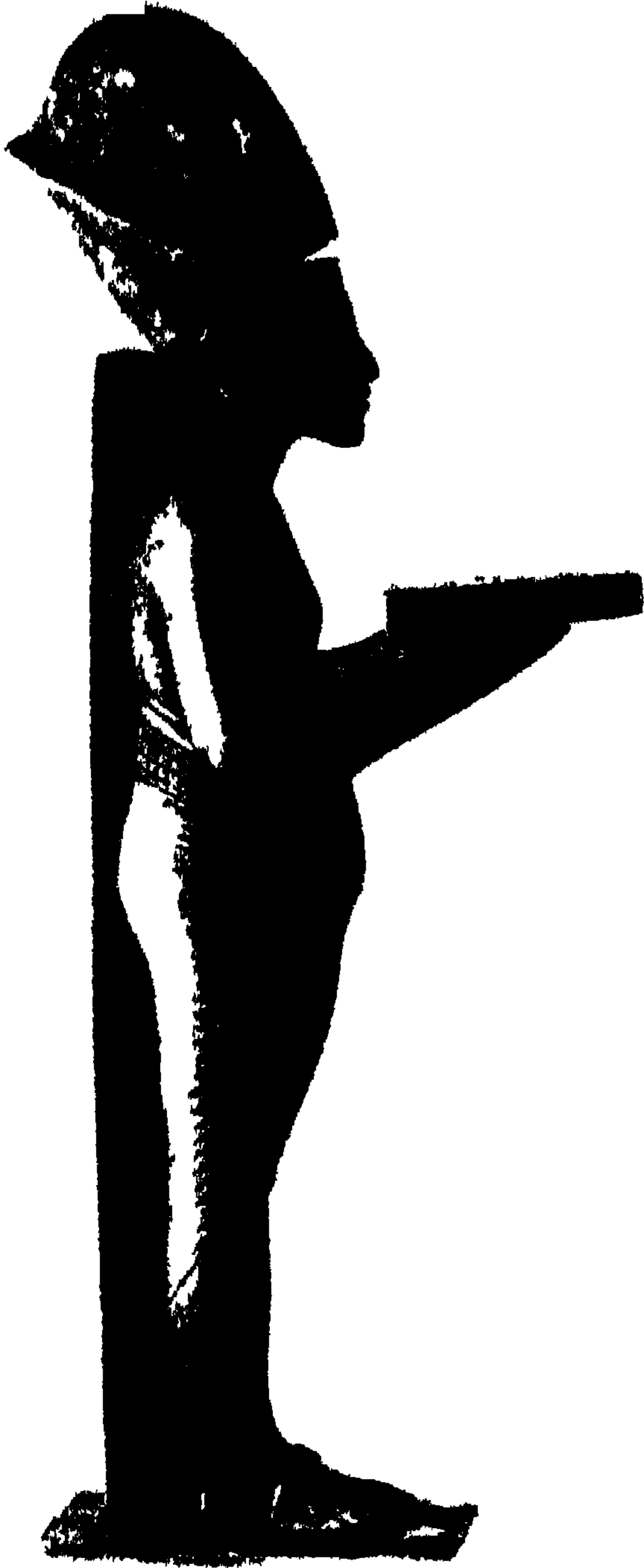
لا نعرف كثيراً عن النقوش الملكية ، خصوصاً ما يرجع عهده الى الأسرات الاولى . وأقدمها نقوش على لوحة كبيرة من الشست نقشت تذكراً لانتصارات ملك يسمى « نعرمر » (ربما كان هو الملك « مينا » نفسه) . ويشاهد الملك على أحد وجهيها لابسا التاج الابيض ، وقد رفع دبوسه ليضرب به أسيراً ، ربما كان من سكان الدلتا . ونرى صقراً واقفاً على حزمة من النباتات ، قابضاً على أسير مخزوم بحبل ينفذ من أنفه ، وهو يرمز غالباً الى أن ستة آلاف أسير وقعوا في قبضة الملك . والمنظر الرئيسي على الوجه الثاني يمثل الملك سائراً مع أتباعه ليشرّف على الأسرى المذبوحين . وقد سار حاملو أعلام المعبودات المختلفة أمام الملك . ويرى تحت هذا المنظر حيوانات خرافيان خاصان بالعصر العتيق ، وقد مثل الملك في الأسفل على هيئة ثور يهدم قلعة استولى عليها . وهذه اللوحة عثر عليها في هيرا كنبوليس ويرجع عهدها الى الأسرة الاولى وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى

أما ما بقى من النقوش القديمة فمعظمه حفر على صخور شبه جزيرة سينا تذكراً للحملات التى أرسلها الى هذه الجهة عدة ملوك من الدولة القديمة ، منذ الاسرة الاولى لتأديب قبائل البدو التى كانت تعرقل سير العمل فى مناجم الفيروز . وقد أورد بترى فى كتابه « ابحاث بسينا » ^(١) بعض نقوش قديمة من هذا النوع يرجع عهدها الى الملك « ممرخا » ، مثل عليها هذا الملك ثلاث مرات . المرة الاولى (الى اليسار) يظهر فيها

(١) لوحة رقم ٤٧ صفحة ٤٢



(شكل ٦٣) تمثال جميل من
حجر الشست الاشهب للملك
تحتسب الثالث ، أعظم العائمين
من ملوك مصر . ويلاحظ أن
الرأس رائع الصنع ، وهو لا
نراع صورة حقيقية للملك



(شكل ٦٤) تمثال صغير فتاح
من الحجر الجيري الملون ، يمثل
الملك « أحمات » على رأسه
تاج أزرق ، ويداه ممدودتان
محملان مائدة قران

الملك لابسا تاج الوجه القبلى وهو يضرب أحد الاعداء الذين تغلب عليهم . وأمام هذه المجموعة يرى الملك مرتين واقفا لابسا فى الاولى تاج الوجه البحرى وفى الثانية تاج الوجه القبلى . أما طراز النقش على وجه عام فهو جاف ، وربما عزى ذلك الى نوع الحجر الذى عمل عليه النقش ، ثم الى ارتفاعه العظيم عن سطح الارض

أما النقوش الاخرى التى وجدت فى سينا (بوادى مغارة على وجه أخص) فأهمها نقوش الملك سنفرو (الاسرة الثالثة) وخوفو (الاسرة الرابعة) وسحورع ونى أوسررع (الاسرة الخامسة) . وفى معظم هذه النقوش يمثل الملك وهو يهوى بدبوس عظيم فى احدى يديه على رأس أسير قبض على ناصيته بيده الاخرى . وقد نقلت عدة أجزاء من معظم هذه النقوش الى المتحف المصرى

على أن هناك نقوشا أخرى وجدت على الواح صغيرة من العاج ومن الأبنوس تمثل بعض الملوك ، أقدمها الواح عليها أشكال للملك دن (خاسوت) ، خامس ملوك الاسرة الاولى ، وقد وجدت لهذا الملك الواح أخرى يرى فى بعضها وهو يضرب بدويا من بدو الصحراء الشرقية ، وفى البعض الآخر مناظر لعيد « السد » ولعيد آخر خاص بالرقص الدينى ، ومنظر لهيكل الكبش المقدس ، ومنظر يمثل الملك « دن » وهو يصطاد السمك .. الخ

نقوش المعابد

أهم هذه النقوش هى النقوش البارزة التى وجدت فى معبد الشمس الذى بناه الملك نى أوسررع (الاسرة الخامسة) بأبى جراب . ويوجد منها ثلاث قطع بالمتحف المصرى تمثل مهرجا ما دينيا يدعى « حب سد » ، فىرى الملك فيها وهو يمثل الاله ارريس ثم يرى الملك خارجا من قصره يرقص رقصة الاحتفال . وفى رسم آخر يرى الملك فى مقصورة خاصة بالاحتفال ووراءه بعض الاشراف والكهنة وحملة القرابين

أما معابد الاسرة الرابعة فلم يوجد بها أى أثر للرسم أو للنقش ، فمعبد خفرع السفلى خال منها تماما ، والمعبد الجمازى العلوى للملك نفسه ، ولو أنه فى حالة تهدم شديد ، إلا أنه يرجح خلوه من الرسوم ، إذ لم توجد به آثار أحجار منقوشة . أما معبد هرم منقرع ، فقد ذكرنا فيما سبق أن صاحبه قدم مات قبل أن يتمه

أما معابد الأسرة الخامسة فقد وجدت جدرانها محلاة بكثير من النقوش والصور

الملونة اللطيفة ، وبالرغم من أن ما وصل إلينا من هذه النقوش قليل ، إلا أنه يكفي للدلالة على أن هذه الجدران كانت تحفل بصور رائعة . فمعبد هرم سحورع مثلا (١) قدر ما كان على جدرانه من رسوم بعشرة آلاف متر مربع ، كان بينها الفنان من الأمتار المربعة في الفناء وحده على جوانب البواكى الأربعة ، على أن ما وصل إلينا من النقوش لم يتعد مائة وخمسين مترا مربعا ، ولكنها على قلتها تكفى لاعطاءنا فكرة جلية عن النقوش والزخارف التى كانت تزين جدران هذه المعابد . ولقد تمكن بورشارد فى كتابه من وضع رسم للفناء ذى البواكى بين فيه موضع النقوش التى عثر عليها من الجدران الأصلية ، وقد ذكر بورشارد أن الجدران المنقوشة قد ابتدأت على علو متر ونصف متر من أرضية الفناء ثم استمرت حتى بلغت اسقف البواكى ، وهذا هو النظام الذى اتبع بعد ذلك فى المقابر . أما المناظر التى وجدت فى هذا المعبد فكثيرة ويمكننا تقسيمها الى الأقسام الآتية : المناظر الحربية ، فمناظر الصيد والقنص ، فالمناظر الجنائزية ثم المناظر الدينية

المناظر الحربية

أهمها منظر بين انتصار الملك على الليبيين ، نرى فيه فرعون وهو يقهر أمير الليبيين ، بينما يجتمع عظماء الشعب المقهور وأميراتهم وأولادهم فيتضرعون الى الملك ويطلبون منه العفو ، وتجلس خلفهم الهة التاريخ والكتابة « سشات » ، فتسجل عدد الأسرى الذين قهرهم الملك . وإلى أسفل ذلك ترى أربعة صفوف مثلت عليها الماشية والغنائم التى استولى عليها المصريون من عجول وحمير وماعز وغنم ، وقد كتبت على كل مجموعة من هذه الحيوانات أرقام غربية تبين عددها . وقد يكون مبالغا فى هذه الأرقام ، فقد ذكر أن الغنائم بلغت مائة ألف من الثيران ومائتى ألف من الحمير ومثلها من الماعز والغنم . وإلى أسفل ذلك نقوش أخرى ترى فيها أشخاصا آخرين ، ربما كانوا نساء الأمير المقهور وأولاده ، ثم شكل لالهة الغرب ولاله ليبيا وقد حرص المصور على اظهارهما فى الرسم حتى يكونا شهودا على الاحتفال العظيم بالنصر والسيادة (٢) وفى رسوم أخرى نرى آلهة المصريين وهم يجرون الشعوب المغلوبة على أمرها موثقة ،

(١) راجع كتاب بورشارد عن هرم سحورع ومعبد ، الجزء الثانى الخاص بصور الجدران

طبع ليزج سنة ١٩١٣

(٢) وهذا النقش البارز محفوظ بالمتحف المصرى بالرواق الغربى رقم السجل اليومى ٣٩٥٣١

كل منها يمثل في شخص أو عدة أشخاص ، قيدت أيديهم اما خلف ظهورهم أو أمام صدورهم أو فوق رؤوسهم ، وقد رسموا بجميع التفاصيل والمميزات التي تميز كل شعب ، فترى سكان بونت (على البحر الاحمر وقد تكون الصومال الحالية) وسكان ليبيا وسكان جنوبي فلسطين ، كل منهم بلون بشرته وهيئته وسحته منقولة بعناية ودقة في الرسم

مناظر الصيد والقنص

وقد جمعت من مختلف القطع التي عثر عليها ، ويرى فيها الملك مرسوما بحجم كبير جداً ، وقد استعد للصيد فأمسك بقوسه وسهامه وخلفه أفراد حاشيته وبينهم ولي العهد واقفين في أربعة صفوف ، وأمام الملك في عدة صفوف حيوانات مختلفة الأنواع وهي تجرى في أجمة في اتجاهين مختلفين تلاحقها سهام الملك دون رحمة . وقد أظهر الفنان دقة وبراعة في رسم الحيوانات وحركاتها ، ولا تزال ترى المربعات التي رسمت على الحجر في الاصل لارشاد الفنان ، مما يدل على أنه كان يستعين بها في رسومه لضبط النسب . ويعتقد بعض العلماء أن الفنان كان ينقل رسمه عن نموذج وضع أمامه لتنفيذه

المناظر الجنائزية

أهمها مناظر أراضى الاوقاف ممثلة بأشخاص من ذكر واثى يتلو بعضهم بعضاً في هيئة موكب ومعهم هداياهم من حيوان وفاكهة وخضر ، وإلى أسفل ذلك مناظر عادية لعمليات التضحية يرى فيها القصابون وهم يذبحون الثيران ويقطعون أجزائها ويحملون الأفخاذ قربانا

ثم منظر آخر يمثل موكبا من الآلهة يتقدم بقرايين للملك ويتألف هذا الموكب من إله النيل والآلهة نخبيت والاله واز أور (البحر) والآلهة حتبت (السلام) والاله نبرو (إله القمح) والآلهة أوت ايب (سرور القلب) ويجدر ملاحظة الخطوط المتعرجة التي تمثل الماء وتغطي جسم إله البحر (واز أور) ، وكذا النقط التي تمثل الحبوب وتغطي جسد إله القمح (نبرو)

وفي كلا النقشين لا تزال توجد آثار المربعات السوداء على سطح الحجر وهي التي كان يستعين بها الفنان على ضبط النسب بين الصور

وهذان النقشان محفوظان بالمتحف المصرى تحت رقم ٣٩٥٣٤ و ٦-١٢-٢٤-٩
بالرواق الغربى

المنظر المرفيعة

كانت المناظر التى سبق ذكرها تحلى جدران الفناء وما يتبعه من أقسام المعبد ،
وكانت هناك رسوم من نوع آخر تحلى جدران القسم الخاص منه (١) وجميع هذه
الرسوم تمثل آلهة وآلهات مرسومة بحجم كبير جداً لا يشك من يراها فى أنها رسوم
عممت فى عصر الدولة الوسطى أو الدولة الحديثة ، فاشكال الآلهة مشابهة تماماً لاشكالها
التي عرفت بها فى العصور التي تلت الدولة القديمة

والنقوش الموجودة بالمتحف المصرى تمثل الملك ترضعه الآلهة نخبت التى يقف
خلفها الآلهة خنوم ، ويلاحظ أن عيون جميع الأشكال كانت مطعمة ، كما يوجد رسم
آخر لآلهة لم يذكر اسمها بحجم كبير جداً (٢)

ويضاف الى ما سبق ذكره النقوش التى وجدت بمعبد « نى أوسر رع » الجنائزى بأبى صير ،
وهى لا تختلف فى مجموعها عن النقوش التى سبق وصفها فى معبد هرم سحورع ،
واحدها يمثل الملك « نى أوسر رع » يضرب أحد الاعداء الليبيين . وقد رسم رئيس
الليبيين المغلوب على أمره فى وضع يمثل منتهى الدقة والابداع (٣)

على أنه يوجد بالمتحف المصرى نقوش أخرى من المعبد نفسه على أربع كتل من
الحجر الجيرى ، مثل على أولها (رقم المتحف ٥٧١١٣) العيدالتذكارى المسمى « حب سده »
قائماً ، فالملك فى معبده ملتف بعباءته وفى يده رموز الآلهة اوزيريس ، والكهنة من
حوله يطهرونه ويقدمون له فروض العبادة . أما الكتلة الثانية (رقم المتحف ٥٧١١٦)
فعليها أشكال تمثل الولايات وهى تحضر القرايين ، ولاتزال هذه الأشكال محتفظة بألوانها ،
فلون الرجلين أحمر داكن والسيدتين أصفر فاقع . أما الكتلة الثالثة (رقم المتحف

(١) راجع ما ذكرناه عن هذه المعابد الجنائزية عند الكلام عن أهرام أبى صير، صفحة ٩٠
وما بعدها

(٢) وأرقامها بسجل المتحف اليومى هى : ٣٩ ٥٣٢ و ٣٩ ٥٣٣

(٣) انظر كتاب بورشارد عن هرم الملك « نى أوسر رع » طبع ليزج ١٩٠٧ ، شكل

٣١ صفحة ٤٨

٥٧١٧١) فقد مثلت عليها قرايين يحضرها أفراد ذكرت اسمائهم . بينما يرى على الكتلة الرابعة (رقم ٥٧١٧٠) زحافة تجر وقد كدست فوقها القرايين الجنازية

نقوش المقابر

الواقع أن نقوش المقابر التي لدينا من هذا العصر كثيرة ومتعددة ، وهي من الكثرة بحيث تستوجب منا أن نتبعها بالترتيب ثم نقسمها ونبويبها بعد ذلك في نظام معين وأول صور نتناولها بالذكر هي الصور الملونة التي نجدها في مصطبة « حى رع » بصقارة . وهذه الصور تمثل الأثاث الجنازى جميعه

ثم تأتى مصاطب ميدوم المعاصرة للملك سنfro وجدرانها مزينة أيضا بمناظر ملونة وقد أمدتنا إحدى هذه المصاطب بمنظر بديع ملون محفوظ بالمتحف المصرى يمثل ست أوزات مختلفة النوع تبحث عن غذائها، وقد اظهر الفنان أمانة في النقل عن الطبيعة ودقة في اظهار التفاصيل بدرجة تستثير الإعجاب حتى قال عنها جبرائيل شارم : « إن مجموعة الأوز بلغت درجة من الدقة في الرسم جعلت أحد علماء التاريخ الطبيعى يقف أمامها معجبا بالأمانة في النقل عن الطبيعة وبتلك الدقة التي تحراها الفنان في اظهار تفاصيل النوع . على أن الألوان التي استعملها الفنان لاتزال محتفظة بنفس الرونق الذي كان لها عند ما تركتها ريشة الفنان لآخر مرة » (شكل ٦٧)

وقد أمدتنا ميدوم بنوع غريب من النقش - نقل الكثير من أجزائه الى المتحف المصرى - وجد بمصطبة « نفرماعت » الذي عاش في عهد الملك سنfro (الاسرة الثالثة) . فكان يرسم الشكل أولا على الحجر ، ثم يحفر ويعمق ، ويحشى بعد ذلك بعجينة من الألوان بحيث يصير سطح الاجزاء المحفورة (التي ملئت بالألوان) في مستوى واحد مع سطح الحجر الأصلى . ويحدثنا صاحب المقبرة مفتخراً في النصوص التي كتبها على جدران مقبرته بأنه قد صنع نقوشا ورسوما ملونة لاتضيع ولا يمكن محوها ، غير أن ظنه بالأسف لم يتحقق ، إذ أن عجينة الألوان عند ما تشققت وتجمدت تساقط كثير من اجزائها ، رغم الاحتياطات التي اتخذت عند الحفر بترك بعض المربعات في الجهات المحفورة حتى تلتصق بها العجينة فتكون أدعى الى تماسكها

ويظهر أن طريقة النقش التي اتبعت في هذه المقبرة كانت فذة خاصة ، إذ لم يوجد مثلها في أية جهة أخرى

وتقوش هذه المصطبة الموجودة بالمتحف المصرى، تمثل مناظر قنص وحرث ثم رسم فهد ورسم كلب يعض ذنب ابن آوى ومنظر كبير يمثل المتوفى صاحب المقبرة فى أعلى الجدار وتحت ممتلكات الميت ممثلة بأشخاص يحملون هدايا وقرابين ، ثم باب كاذب فى داخله رسم للميت ، ثم كتل أخرى عليها تقوش تمثل أفراد عائلة الميت ومن أبدع تقوش الأسرة الثالثة المحفوظة بالمتحف المصرى نقش بارز على ست لوحات من الخشب المحفور وجدت فى مقبرة الكاهن حسى رع بصقارة ، تمثله اما واقفا أو جالسا وعلى رأسه أربعة أسطر أو خمسة من الكتابة . وقد حفرت الصور بمهارة تسترعى النظر حتى قال عنها ماسيرو : « إن الفنان المصرى لم يحفر الخشب فى وقت من الاوقات بدقة وعناية ومهارة كهذه التى تبدو أول وهلة فى هذه اللوحات ، فجمال الشكل وحسن اظهار التكوين البشرى ودقة التنفيذ والاخراج ، كل ذلك قد اكتمل فى هذه اللوحات بشكل يستثير الاعجاب »

وما دما قد بدأنا بذكر النقوش والرسوم الموجودة بالمتحف المصرى ، فانه يجدر بنا أن نذكر المنظر المأخوذ من مقبرة « نخفتكاى » بصقارة (الأسرة الخامسة) وهو يمثل حفلة عيد يشاهد فيها الموسيقيون وهم يضربون على القيثارة ويعزفون بصقارة ومزمار ذى قصبتين ، ومعهم المغنون وقد رفع أحدهم يده الى أذنه - كما يفعل منشدو اليوم ومقرئو القرآن - وفى أسفل الصورة خمس راقصات يرقصن على نغمة تصفيق النساء

على أن أهم مصدر لدراسة نقوش هذا العصر الممتد من الأسرة الثالثة الى نهاية الأسرة السادسة نجده فى المصاطب نفسها التى لا تزال قائمة فى أبى صير وميدوم والجيزة وصقارة وغيرها ، وهى مقابر أقامها العظماء وكبار الموظفين حول أهرام ملوكهم عادة ، غير أن خير ما يمثل نقوش هذا العصر ويرينا أقصى ما وصلت اليه عبقرية الفنانين ومهارتهم يتمثل فى مصطبتى « تى » و « بتاح حتب » بصقارة (الأسرة الخامسة) وهذا هو ما سيدعونا الى الإشارة اليهما فى معظم الأمثلة التى سنوردها فيما يلى من الصفحات

وكانت جدران هذه المصاطب^(١) تقسم عادة الى صفوف ترتب جميعها أمام أشكال تمثل المتوفى صاحب المقبرة بحجم كبير ، كأنه يشرف على الاعمال المختلفة التى يقوم بها

(١) راجع أيضاً ما كتبناه عن المصاطب صفحة ٦٢ وما بعدها

خدمه وأتباعه . وهذه النقوش من الكثرة والتنوع بحيث يمكن اعتبارها بحق موسوعة أو دائرة معارف للحضارة المصرية . .

وخير من قسم هذه الرسوم وبوبها بحسب أنواعها سيدة للمانية هي لويزا كلبس L. Klebs في كتاب لها باللغة الالمانية عنوانه « نقوش الدولة القديمة » وقد جاء تقسيمها على حسب النظام الآتى :

المنظر الذى تمثل حياة المعظماء

أ - يرى فيها رب البيت فى منزله : (١) جالسا فى الفناء أو فى غرفة الاستقبال أو (٢) منصرفا الى أعمال زينته (مقبرة بتاح حتب) (٣) فترى الادوات المتعددة اللازمة لهذه الزينة كماء الغسل والمشش (الفوط) والأباريق والطسوت والزيتون والعطور والمرايا (٤) كما ترى بعض العمليات الجراحية الصغيرة كالطهارة وتدليك السيقان والظهر ثم صيانة الأيدي والاقدام (تدليك الأيدي وتقليم الأظفار . . الخ) (١) (٥) ويمثل صاحب المقبرة مرتديا الملابس الغالية المزينة (٦) ثم يتقبل تقارير موظفيه عن عدد القرابين والهدايا التى احضرها ممثلو أملاكه ، ثم عن عدد الأغنام والأبقار والكراكى والأوز التى أحضرتها سفنه (٧) ويشرف على عقاب المسئ من أتباعه وخدمه أو (٨) يكافئهم (٩) ثم يرى أخيراً جالسا على مقعده أو سرير راحته (٢)

ب - فاذا خرج السيد من منزله فهو (١) يتنزه فى قاربه ، أو (٢) فى محفته . أو (٣) مع أتباعه وخدمه . كما أنه يخرج من منزله أيضا (٤) ليفتش ماشيته ، وليتقبل الهدايا ويراقب العمال والاتباع

وترى أحيانا أقزام المتوفى وقردته وكلابه المحببة ممثلة على الجدران ، تحت كرسىه الذى يجلس عليه (مقبرة بتاح حتب) ، أو تحت محفته التى يعتليها (مقبرة تى بصقارة) ج - فاذا خرج صاحب المقبرة للصيد فانه (١) يضرب الطيور بعصا الرماية ، أو (٢) يصطاد السمك بالحرايب (٣) أو ينازل فرس البحر ، وهذا النوع الأخير كان يترك

(١) أنظر كتاب كابار « شارع المقابر » اللوحتين ٦٦ و ٦٧

(٢) وقد تجلس أحيانا الى جانبه زوجته وهى تلعب على القيثارة كما هى الحال فى مقبرة مرا ،

انظر كابار - شارع المقابر ، لوحة رقم ١٠٤

عادة للاتباع والخدم يقومون به تحت اشراف سيدهم^(١) أو (٤) يخرج لصيد حيوان الصحراء أو (٥) يلقي بشباك له لصيد الطيور
كما أن ادارة شئون المنزل تحتاج الى هيئة من الكتبة ترى ممثلة على الجدران مع أدواتها

د- أما جنازة الميت فلها نظامها الخاص الذي يستدعى (١) نقل التابوت الفارغ من المحجر على سفينة (٢) الاحتفال الجنائزى الذي يبدأ بالخروج من المنزل ثم يسير الموكب يتقدمه رجل يحمل اناء يتبعه الموظفون والكهنة والندابات والمولولات ، يتبعهم التابوت محمولا على زحافة ، وتمثال الميت موضوعا فى ناووس وقد جرهما الكهنة والموظفون أو الماشية كالثيران أو الابقار ، ويحيط بالتابوت كهنة يطلقون البخور . وكان التابوت يوضع فى الزحافة تحت خيمة أو مظلة تتبعه زحافة أخرى بها صندوق أوانى حفظ الاحشاء (كانوب) فاذا وصل الموكب الى النهر نقل التابوت والتماثيل وغيرها على مراكب يحيط بها الكهنة والموظفون والنساء ، (٣) نقل تماثيل الميت الى المقبرة ، وكانت هذه التماثيل اما جالسة أو واقفة ، مصنوعة من الخشب كخشب السنت والابنوس أو من الأحجار وهى توضع على زحافة يسكب الماء أمامها كي يسهل انزلاقها حين تجر الى المقبرة (الدلهيز الثانى من مصطبة تى) (٤) الزحافات تتقدم منتقلة بالقرايين الى المقبرة ، وكان يجرها فى المعتاد فريق من الرجال الاشداء ، ثم اخيراً (٥) الدفن فى المصطبة ، حيث يجتمع أمام بابها الموظفون والندابات والمولولات وحملة القرايين والزحافات المثقلة بالقرايين ثم يدلى التابوت فى البئر حتى يصل الى غرفة الدفن ثم تنحر الزحافات التى تحمل تماثيل الميت فى طريق عريض ممهد الى أعلى المصطبة لكي تدلى التماثيل فى بئر الى موضعها فى السرداب ثم يحمل الخدم القرايين الى أعلى المصطبة أو يضعونها أمامها على مائدة أو موائد صغيرة كما كانت تنحر الابقار والثيران ونرى النساء فى احد المناظر يولولن ويرقصن ويندبن أمام مائدة قرايين

المناظر التى تمثل حياة القوم

١- أعمال الزراعة : وهى تشغل جزءاً كبيراً من هذه المناظر ، فنرى فى المناظر المتتابعة

(١) انظر مصطبة ى الحائط التمالى وقد نشرت هذه الصورة بالذات فى كتاب شندورف مصطبة ني لوحة ١١٣ . ويلاحظ ان بورشارد يعتقد أن الملك كان يقوم شحصيا بصيد فرس البحر (انظر كتابه عن هرم سحورع ، جزء ثانى ، صفحة ٣٠ وصورة رقم ١٦)



(شكل ٦٦) تمثال من
حجر الشست الأخضر
للالهة « تاأورت »
وهي ممثلة في شكل عجل
البحر - الاسرة ٢٦



(شكل ٦٧) لوحة وجدت في مقبرة ببدو م يرجع عهدها الى الاسرة الرامنة عليها رسوم جملة بالالوان تثل ست اوزان تبث من غذائها

(١) حرث الارض (٢) تكسير كتل الطمي لتسوية الارض (٣) يذر الحب مع اطلاق الاغنام والماشية في الحقول حتى تدوس باقدامها الحب فتدخله في الارض (٤) حصد القمح (٥) تحميل الربطات (الحزم) على الحمير ونقلها الى السكومة (٦) درس القمح وهذه عملية تقوم بها الحمير والعجول (٧) العمال يكومون القش وينثرون القمح الذي يخرنونه بعد ذلك في مخازن الغلال التي على شكل الصوامع وغيرها . (٨) وأخيراً حصد الكتان الذي كان يقلع من الارض ولا يقطع احتفاظاً بطول الفتلة على قدر الامكان ، ثم يربط حزماً تختلف في نظامها عن حزم القمح في انها تربط في أحد الطرفين فقط وليس في الوسط ، ذلك لكي يكون الكتان معداً للتمشيط فيما بعد بطريقة سهلة

ب - زراعة الحدائق : ونرى فيها (١) زراعة الحضر (٢) جنى التين (وما يماثله كالحمير وخلافه) (٣) قطف العنب وعصره ، اما بوضعه في سلال وهرسه بالأرجل أو بوضعه في شيء أشبه « بالزكية » يوضع في طرفيها عصوان ثم تلوى « الزكية » بما فيها من العنب بواسطتهما فيسيل العصير ويتجمع في اناء كبير يكون الرجال قد أعدوه تحت هذه المعصرة (الزكية) (٤) تحضير العسل ولم توجد مناظر من هذا النوع في مقابر المملكة القديمة ، وقد عرفناه من نقوش مقابر الملوك والمعابد كمعبد « نى أوسر رع » ففي نقش محفوظ بمتحف برلين نرى رجلاً يصب عسلاً في اناء كبير على حين يشرب رجل آخر من اناء يضعه على فمه . وفي قطعة أخرى نرى رجلاً وهو يختم اناء عسل بعد أن ملأه ، وفي الركن الأعلى نرى اناءين قد تم ختمهما وأعدا ليحفظا بعد ذلك في المحرن أو القبو (كما هو متبع في النبيذ الآن) (٥) استخراج الزيوت - لم تحدثنا النصوص عن المصدر الذي كانت تؤخذ منه الزيوت التي مثلت على الجدران ، ولو أن النصوص قد أشارت مرة (١) الى زيت من مصدر أجنبي ، وليس معنى هذا أن جميع الزيوت التي نجدها ممتلئة في مناظر المقايضة كانت تستورد من الخارج ، فبفرض أن الزيوت الثمينة التي استعملت في بعض أنواع العطور كانت أحبية الأصل ، إلا أن باقي الزيوت لا بد انها كانت وطنية محلية

ج - القطعان : ويمكن تمييز (١) المواشى وهي ترعى (٢) القطعان وهي تجتاز النهر إما عوماً أو خوضاً (٣) المواشى على شاطئ النهر على مقربة من السفن التي تمر

د - تربية الماشية : وهنا نرى جميع الأعمال المتصلة بهذا الموضوع ابتداء من

(١) انظر كتاب مسح عن مقبره كاجنى جزء أول ، لوحة ٢٢ وفي جدول الفرائض

(١) مناظر الانتاج (٢) ثم ولادة الحيوان (١) (٣) ثم الارضاع (٤) ثم حلب الأبقار (٥) ثم تسمين المواشى (٦) ثم نرى بعد ذلك مناظر مساكن الدجاج والطيور (٧) مع المشرفين عليها

هـ - صيد الحيوانات البرية ، وصيد الطيور ، وصيد السمك : هذه المناظر الكثيرة تنقسم الى الاقسام الآتية (١) الصيد فى الصحراء (٢) صيد فرس البحر والتمساح (٣) صيد الطيور بالشباك (٤) ايقاع الطيور فى الفخاخ وكان يتكون الفخ من وتد صغير من الخشب يوضع فى الأرض ويربط اليه جبل قصير ذو أنشودة (٢) فاذا اقترب الطير منه لالتقاط الحب دخلت رجله فى الانشودة وكلما حاول الخروج والافلات ضاقت الانشودة عليه وربطت ساقه ربطا وثيقا (٥) امساك الطيور المفردة (٦) صيد السمك بالشباك التى تسحب (٧) صيد السمك بشباك الأيدى وهذه الشباك كانت صغيرة الحجم ومعلقة فى عصوين يمسكهما أحد الرجال فتكون الشبكة أشبه بالكيس أو « الزكية » المفتوحة يضعها الرجل فى الماء مفتوحة بميل فيدخل فيها السمك ثم يرفعها رأسيا ويطبق العصوين (٣) (٨) صيد السمك بالجاية (الجوية) وهى نوع من السلال يبنى الشكل فى المعتاد يصنع من البوص أو خلافه لصيد السمك خاصة (٩) صيد السمك بالشص (الصنارة)

و - أشغال المطبخ : الخدم يشتغلون (١) بشى الأوز أو البط (٢) بطهى السمك (٣) بطهى اللحوم وشيها (٤) بتجفيف السمك واللحوم لحفظها (٥) ثم الصحن والمائدة س - الاشغال المتعلقة بالفنون : نرى بينها (١) التصوير والتلوين (٢) صناعة التماثيل والنقوش (٣) تجويف الأوانى الحجرية (٤) أشغال المعادن (٥) أشغال الصياغة الذهب ، (٦) صناعة الاسطوانات والأختام . فاذا أردنا أن ندخل فى تفاصيل بسيطة رأينا (١) تلوين التماثيل ، تلوين الأبواب ، تلوين مختلف الأدوات (٢) تماثيل رجال ونساء وأولاد واقفين وجالسين ، تماثيل أسود (٣) تجويف الأوانى الذى يستلزم دائما أن يقف العامل (سواء كان الاناء كبيراً أو صغيراً) ويضع الثقب أو آلة التجويف على الاناء الذى سيجوف وضعا رأسياً ويبدأ العمل ، وعندما يتم تجويف الاناء ترفع الآلة ويصقل الاناء من الداخل والخارج بنفس الطريقة التى كانت تصقل بها التوايت الحجرية (٤) وزن المعادن وصهرها وطرقها ، ثم صناعة الاوانى من المعادن وصقلها (٥) الحلى

(١) أنظر كتاب شتيندرف - مصطبة فى لوحة ١١٨ ، والمنظر نفسه على الحائط الشمالى من

مزار هذه المصطبة (٢) أنظر كتاب شتيندرف - مصطبة فى ، لوحة ١١٦

(٣) مقبرة بتاح حتب : لوحة ١٤ من الجزء الثانى من كتاب دايفز

المصنوعة من الذهب ، القلائد ، أيدي السكاكين والخناجر والفؤوس ، ثقب الاحجار
الكريمة وصقلها ، أدوات الزينة

ح - الصناعات اليدوية : تتعلق كلها تقريبا بعمل الاثاث الجنازى والقرايين الخاصة
بالمآكل والمشارب . الخ . وهى تنقسم الى الاقسام الآتية (١) أشغال النجارة (٢) عمل
الفخار (٣) صنع الجعة (٤) أشغال العجن والخبز (٥) صناعة الجلود (٦) الملابس (٧) عمل
الشباك لصيد الطيور (٨) صناعة الشباك الخاصة بصيد الاسماك ونسجها (٩) صناعة
الحبال (١٠) صناعة الحصر وغيرها من أشغال الجدل والضفر (٢) ، وكان الحصر
من مستلزمات الرعاية الضرورية ، إذ كانوا يحتمون به من الريح ويجلسون عليه حين
يرغبون ، ويأخذونه معهم أينما ذهبوا

ط - بناء المراكب : وهى تبدأ أولا بالحصول على الخامات . فرى (١) جمع نبات البردى
وحزمه ونقله (٢) ثم تقطيع الاشجار ثم حمل جذوعها الى حيث تبنى المراكب ثم
تسوية الجذع . الخ (٤) ويليه بعد ذلك أعمال البناء نفسها ، فرى : (١) المراكب
المصنوعة من نبات البردى تشد سيقانه بحبال تربطها على مسافات متقاربة فتكون قوارب
خفيفة تستعمل أحيانا فى الصيد (٢) المراكب المبنية من الخشب

ي - أعمال الملاحة : وهنا نرى أنواعا عدة من المراكب ، بعضها (١) قوارب بسيطة
من البردى قد تكون كبيرة الحجم أحيانا كانت تستعمل غالبا للعبور من شاطئ الى
شاطئ ، أو لحمل الأشياء الخفيفة كسلال الفاكهة أو أقفاص الطيور ، أو عزرا أو عجلا
أو بقرة ، على اثنا نجد البعض الآخر مستعملا أيضا فى الصيد يطوف به صاحبه فى أنحاء
بحيرته الملاهى بنبات البردى الكثيف ، الذى تختبئ فيه أسراب الطيور . ثم
(٢) المراكب المصنوعة من الخشب التى كانت تستعمل فى الأسفار . وهنا يمكننا رؤية
(٣) مراكب حمل البضائع (٤) ثم المراكب الخاصة بالسفر فى البحار البعيدة
ك - الملاهى : (١) تكون الموسيقى الوترية والغناء فى الغالب مقترنة (٢) بالرقص ثم

(١) أنظر دايفز - بتاح حتب - ١ - لوحة ٢٥

(٢) أنظر شتيندرف مصطبة تي ، لوحة ١١٥

(٣) أنظر دايفز - بتاح حتب جزء أول لوحة ٢١ وشتيندرف - مصطبة تي ، لوحة
١١٠ فوق

(٤) أنظر شتيندرف - مصطبة تي ، لوحة ١١٩ - ١٢٠

يوجد الى جانب هذا جملة ألعاب نرى بينها ما يمكن تسميته (٣) ألعابا تزاوّل في المجتمعات والمجالس يزاوّلها القوم وهم جلوس داخل البيوت غالبا (٤) ثم ألعاب تستدعى الحركة تزاوّل في الهواء الطلق (خارج البيوت) كمنظر البارزة بالعصى ولعبة تشبه « جمال الملح » ولعبة أخرى لا تزال مستعملة الى الآن تدعى الساقية ولعبة النطة وكلها ألعاب ممثلة على الحائط الشرقي من مزار مصطبة بتاح حتب بسقارة^(١) (٥) وقد يدخل في النوع الأخير جنى زهر اللوتس (٦) ثم إن هناك نوعا من أنواع الرياضة الحقة نراه في النقوش والرسوم التي تمثل المبارزات في المراكب

ل - متنوعات : (١) أعمال المفايسة أى التجارة التي تجري بطريق البدل (٢) المناظر الحربية كحصار مدينة اسوية ووقوف المصريين والأسويين وجها لوجه يحاربون بالقوس والنشاب^(٢) (٣) المناظر التي تمثل أنواعا عديدة من الأجانب

مناظر الطقوس الجنائزية

وهي تتعلق على الأخص بالميت الموضوع في مقبرته . ولما كان المتوفى في حاجة الى مائدة قرايين مثقلة بأنواع المآكل والمشارب فالتنا نرى مناظر عديدة للتضحية . فترى الحيوانات وهم يحضرونها بعد الصيد (١) ثم تمسك وتطرح أرضا (٢) ثم تذبح ويؤخذ جزء من دمها في أوعية ، وربما كان الغرض من ذلك التأسّد من أن الحيوان سليم خال من الأمراض . (٣) ثم تقطع القائمة الأمامية . (٤) ثم ينزع القلب ، (٥) ثم يستخرج ما يسمى « بلحم الجزء الأمامي » أى لحم الصدر . (٦) ثم تقطع القوائم الخلفية والافخاذ وتستخرج الأمعاء (٧) وبعد ذبح هذه المواشى وتقطيعها يأتى دور ذبح الأوز لتقديمه قربانا . ثم نرى بعد ذلك مائدة القرايين مرسومة وهي مثقلة بالقرايين والمآكل

وهناك مناظر تمثل بعض الطقوس التي لاعلاقة لها بمائدة القربان (١) كحرق البخور أمام الكوة الموصلة للسرداب (٢) وحرق البخور أمام التمثال أثناء نقله (٣) وحرق البخور أمام المتوفى وهو جالس أو واقف . ثم مناظر طويلة ترى فيها أملاك المتوفى ممثلة في أشخاص ، ثم مواكب حملة القرايين

(١) انظر دايفز - بتاح حتب ١ ، لوحة ٢١

(٢) انظر بترى - دشاشة ، لوحة ٤

الفصل الثامن

النقوش والرسوم

في الدولة الوسطى

أخذ فن النقش بعد الأسرة السادسة يضحل وينحط باستمرار حتى أواسط عصر الأسرة الحادية عشرة حيث بلغ أقصى درجات الانحطاط ، غير أننا نجد في النصف الثاني من هذه الأسرة طرازاً جديداً ناشئاً كان نواة لمدرسة فنية جديدة بدأت تنمو بسرعة ، حتى إذا وصلنا إلى أواخر الأسرة الحادية عشرة أظهرت هذه المدرسة فناً يدخله كثير من التكلف والتصنع غير الطبيعيين ، يشوبهما في كثير من الأحيان شيء من الجفاف وعدم الانسجام

وأول مثال يجدر بنا ذكره ثم دراسته ، هو تابوت عثر عليه بالدير البحري للسماة كاويت ، إحدى محظيات متو حتب ، من ملوك الأسرة الحادية عشرة . فإن النقوش الغائرة التي عليه ^(١) هي مثال واضح من فن هذا العصر ، قبل أن يبلغ منتهى الكمال في عصر الأسرة الثانية عشرة . فهي ترينا كاويت جالسة وفي يدها قبح شراب ، بينما تشغل إحدى الوصيفات في ترجيل شعرها وتصفيفه . ويظهر في نقوش هذا التابوت التكلف واضحاً جلياً ، فإن حركة أيدي الوصيفة مثلاً هي حركة غير طبيعية ورديفة ، على أن جلسة كاويت نفسها وهيئة امساكها للقبح ، ليست أحسن حظاً من حركة أيدي الوصيفة وهذا الطراز من النقوش نجده أيضاً في تابوت عشايت (من الأسرة الحادية عشرة

(١) وهذا النقش الغائر يرجع عهده إلى الأسرة الرابعة ، إلا أنه نادر الوجود ، فعظم مقابر الدولة القديمة قد نقشت نقشاً بارزاً كما سبق وصفه ، وقد زاد استعمال النقش الغائر في عصر الدولة الوسطى ، ثم أصبح شائعاً في الدولة الحديثة (في المعابد على الأخص) وذلك لسهولة عمله ولقوة تحمله ، بالرغم من أن منظره لا يعادل النقش البارز من حيث الجمال والناقة

أيضا) والنقوش الغائرة التي تغطيه من الخارج تمثل على أحد الجوانب عشايت جالسه وأمامها أحد الخدم يقدم طيراً ، وخلفها مائدة قرايين ، يليها قصابون يذبحون ثوراً ، يلي ذلك منظر لعشايت جالسة على سرير وأمامها سيدة تدعى تي ، يلي ذلك منظر لمخازن الغلال التي يصل إليها العمال بدرج ، بينما يجلس مدير المنزل والكاتب ليراقب العمال . وعلى الجانب الآخر من التابوت مناظر لعشايت وخلفها وصيفتها ، وأمامها موائد القربان ، ثم منظر آخر لها وأمامها خادم . ثم منظر لحلب البقر . . الخ

والرسوم الملونة التي بداخل هذا التابوت تسترعى النظر ، فهي على درجة كبيرة من عدم الاتقان من جهة الرسم والتلوين ، وهي تدلنا على أن الفنان في هذا العصر كان أمهر وأقدر على النقش منه على التصوير وعمل الرسوم الملونة . وهذه الصور ترينا في أحد الجوانب عشايت^(١) جالسة وباحدى يديها زهرة لوتس ، أما اليد الأخرى فهي معلقة في الهواء في وضع غير طبيعي لا تتركز فيه على الركبتين ، وأمامها الكاتب أنتف جالسا وخلفه امرأة واقفة تدعى « إبي » يلي ذلك الخدم والحاديات وهن يحضرن القرايين

أما الجانب الآخر فالتا نرى في طرفيه عشايت جالسة وأمامها مائدة القرايين ، يحيط بها الخدم والوصيفات ، أما الوسط فالتا نرى فيه منظرأ لحلب الأبقار ولوصيفات يحضرن القرايين . وكلا التابوتين محفوظ بالمتحف المصرى

استمر الفنانون يتكلفون في نقوشهم تكلفا ظاهراً حتى آخر عصر الأسرة الحادية عشرة ، أما فى الأسرة الثانية عشرة فنجد النقوش وقد اكتسبت دقة ماثلت بها نقوش الدولة القديمة ، أى تلك النقوش التى تعتبر أحسن مثال لفن النقش . فان النقوش التى وجدت على عمود سنوسرت الاول الربيع الذى عثر عليه بالكرنك والمحفوظ الآن بالمتحف المصرى تعتبر مثالا لأحسن ما صنع فى الدولة الوسطى . وهذه النقوش ترينا على أحد الأوجه الإله بتاح يعانق الملك سنوسرت الاول (داخل مقصورة) بينما يحتضنه حوريس على وجهه آخر ، ثم أنوم يحتضن الملك على الوجه الثالث ، ومين يحتضن الملك أيضا على

(١) لونت عشايت فى هذه الرسوم بلون داكن يتضح منه أنها كانت أشد سمرة من المصريات وربما كانت من أصل غير مصرى ، خصوصا اذا قارنا لونها بلون بعض الوصيفات المصريات اللانى لون باللون الأصفر

الوجه الرابع . وهذا العمود ولو أنه استعمل أصلاً في معبد لسنوسرت الاول بالكرنك، إلا أن تحتس الثالث قد أعاد استعماله هو وكتل أخرى من العصر نفسه لردم بركة تقع على مقربة من بهو الاعمدة بمعبد الكرنك

ومن نقوش الدولة الوسطى التى تستحق الذكر نقوش مقابر مير (ويصل اليها السائح من محطة نزالي جنوب) وهى مقابر حفرت فى الصخور أهمها مقبرة سني(عصر امنمحيث الأول) وابنه أوخ حتب (عصر سنوسرت الاول) ، والنقوش التى بهاتين المقبرتين هى من الطراز الطبيعى وتعد من أحسن نماذج الدولة الوسطى

أما مقابر البرشه (تجاه ملوى على الشاطئ الشرقى للنيل) فرغم تدهورها ما يزال بعضها عدد من النقوش اللطيفة ، أهمها النقوش الموجودة بمقبرة تحوتى حتب (الأسرة ١٢) على الحائط الأيسر من الغرفة الداخلية ونرى فيها منظر تمثال هائل لليت يجرم من محاجر حات نوب (جهة تل العمارنة) الى أحد المعابد . وتحدثنا الكتابات المنقوشة بأن التمثال كان من الرمر ويبلغ طوله نحو سبعة أمتار . ونرى التمثال فوق زحافة تجره أربعة صفوف من العمال فى كل صف ٤٣ رجلاً ويمشى أمام التمثال كاهن يحرق البخور وينثره ، وعلى مقدمة الزحافة رجل يرش الأرض بالماء ، وقد يكون الغرض من ذلك تسهيل انزلاق الزحافة أو منعها من الاحتراق بعامل الاحتكاك تحت ثقل هذا التمثال العظيم . وعلى ركبتى التمثال يرى رجل ربما كان أحد الرؤساء الذين يصدرون التعليمات والأوامر للعمال وغيرهم . وفى أسفل ذلك يرى بعض العمال يحملون ماء ولوح خشب ، وخلف التمثال بعض الرؤساء والموظفين . وفى الجزء الأعلى - أى فوق أربعة صفوف العمال الذين يجرون التمثال - تجاه وجه التمثال ترى فرق عديدة من الرجال الذين يخفون لمقابلة التمثال والاحتفال به ، وفى أيديهم أغصان الشجر . وإلى أقصى اليسار يرى تحوتى حتب نفسه واقفاً وخلفه حاشيته وهو يشرف بنفسه على هذا المنظر الفذ المثير للاهتمام أما الحائط اليمين فعليه نقوش تتعلق بالمعبد الذى خصص لهذا التمثال وإلى أسفل ذلك - إلى اليسار - يرى المتوفى صاحب المقبرة إلى جانب شبكة صيد ، وإلى اليمين يرى وهو يراقب سفنه وقطعان غنمه وماشيته

والنقوش التى بهذه المقبرة تتفق فى كثير من موضوعاتها مع مصاطب الدولة القديمة، فترى بين النقوش ما يمثل صاحب المقبرة وابنه وهما يزاويان صيد الطيور ثم مناظر صيد السمك ، ثم مناظر تسمين الأوز والكراكي ثم تحضير السمك واعداده ، ثم ذبح الأوز

وتزرع ريشه وتعليقه على « صوار » من الخشب لحفظه . كما نرى في مجموعة أخرى من المناظر عمل الفخار وعصر العنب . . . الخ

أما الرسوم التي اكتسبت شهرة بعيدة منذ قديم الزمان ، فهي رسوم مقابر أمراء بني حسن المعروفة التي يرجع تاريخها الى الاسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة . ويهود جزء كبير من شهرتها الى شامبليون الذي زارها في اكتوبر سنة ١٨٢٨ دارسا باحثا ثم أخرج للناس محصولا وافرا الانتاج من الوثائق والاسانيد التي تتعلق بكل فروع الحياة المنزلية عند قدماء المصريين في هذا العصر ، وبعد موته نشرت الرسوم التي عملها ضمن كتابه « آثار مصر وبلاد النوبة » ، وظلت هذه الرسوم حقبة من الدهر ينبوعا غزيرا يفيض بأدق التفاصيل عن حضارة مصر القديمة

ويمجد بنا قبل أن ندخل في التفاصيل أن نذكر السبب في أن المصريين قد استعملوا طريقة التصوير (الرسوم الملونة) في هذه المقابر دون النقوش البارزة التي وجدناها في مصاطب العصر السابق أى في عصر الدولة القديمة

في عصر الدولة القديمة كان الملك يتولى سد حاجات كبار رجال بلاطه حتى الجنازية منها ، فكان يكلف الفنانين الملكيين بالعمل في مقابر هؤلاء العظماء . ومع تطور نظام الاقطاع وتقدمه ، الذي تجلت مظاهره في أواخر أيام الدولة القديمة ، والذي أدى الى سقوطها ، أخذت الملكية في منقيس تفقد الثروة والسلطة ، فصار حكام الاقاليم ، بدلا من أن يدفنوا على مقربة من ملكهم في جبانة العاصمة ، يعدون مقابرهم في عواصم أقاليمهم ، ولما كان ذلك على نفقتهم الخاصة فقد استعاضوا بالتصوير الذي كان يقوم به الفنانون المحليون عن النقوش البارزة التي كانت تنتجها المصانع الملكية في زخرفة مزاراتهم الجنازية

ولعل هذا هو السبب في الروعة التي تجلت مظاهرها في التفاصيل الطبيعية التي أظهرتها هذه الرسوم والتي جعلت منها رسوما خالدة . وبالرغم من أن بعض العلماء يظن أن هذه الرسوم قد أوجدت الى جانب الموضوعات المطروقة العادية أشياء جديدة لم تكن مألوفا من قبل ، ويستشهدون على ذلك بمناظر تدريب الجنود والمصارعة والرياضة ، وهي مواضيع يقولون إنها تأتلف تمام الائتلاف مع ذلك العصر الممتلئ بالفتن والحروب الاهلية ، إلا أننا نرى أن بدء هذه الموضوعات قد ظهر في عهد الدولة القديمة ، إذ نرى على الحائط الشرقى من مزار مصطبة بتاح حتب بعض مناظر المصارعة والركض ، وهذه المناظر وإن

كانت ليست من السكثرة والتفصيل بحيث تعادل مناظر مقابر بنى حسن ، إلا أنها تعتبر على أى حال سابقة عليها ، بل أصلاً لها ، أو على أقل تقدير فإنها تجعل من هذا النوع من رسوم مقابر بنى حسن بالذات موضوعاً قديماً سبق أن طرقتة نقوش الدولة القديمة وفيما عدا هذا فإن معظم الرسوم التى نجدها على جدران هذه المقابر لها نظير فى مقابر الدولة القديمة ، ولكى نعطى القارىء شيئاً من التفصيل عن رسوم هذه المقابر ، فالتنا نصف له أهمها فى إيجاز

فالمقبرة الاولى التى نتناولها بالدرس هى مقبرة ختق أحد حكام ولاية الغزال - التى كانت بنى حسن أهم مدنها - فى عهد الاسرة الحادية عشرة . فالرسوم التى على الجدار الايسر (الشمالى) من غرفتها الرئيسية تمثل فى أجزائها العلوية مناظر الصيد فى الصحراء ، ثم الى أسفل ذلك نساء يرقصن ، ثم منظر يمثل تمثال الميت محمولا إلى مكانه ، ثم مناظر نجارين أما الحائط الشرقى فنرى فى أعلاه مناظر رجال يتصارعون فى أوضاع مختلفة ومسكات فنية ، وتحت ذلك مناظر عسكرية يمثل بعضها الهجوم على احدى القلاع

أما الحائط الجنوبي (الأيمن) فنرى فيه من اليسار الى اليمين : الميت وزوجته ، ثم الميت ومن حوله حامل المروحة وحامل النعال ، واثنتين من الأقزام ، ثم الميت يتقبل القرابين . أما الرسوم التى على حائط المدخل فإنها فى حالة سيئة من الحفظ

مقبرة بكت : ويرجع عهدها الى الاسرة الحادية عشرة أيضاً والرسوم التى على الحائط الايسر من غرفتها الرئيسية (الحائط الشمالى) تمثل فى الجزء الأعلى منها مناظر الصيد فى الصحراء ثم نرى حلاقاً وغسالين ونساجين ومصورين . . . الخ . وإلى أسفل ذلك يرى الميت وزوجته ثم أربعة صفوف من النساء اللاتى يشتغلن بالغزل والنسج ، ثم مناظر راقصات وفتيات يلعبن بكرات صغيرة ، ثم الرعاة وهم يحضرون الحيوانات ليضحوها للميت ، ثم نرى مناظر الصياغ ومناظر صيد السمك ، والطيور المتنوعة وقد ذكر اسم كل منها إلى جانبه

أما الحائط الشرقى فالجزء الاعلى منه تشغله مناظر المصارعة والمبارزة يتلوها فى أسفل مناظر حربية تشبه الموصوفة فى المقبرة السابقة

أما الحائط الايمن (الجنوبي) فهو يرينا صاحب المقبرة وأمامه - فى الصف العلوى - رجال يجرون ناووساً به تمثال الميت وأمام ذلك مناظر راقصات وخدم يحملون بعض الحلى للتمثال ثم مناظر المزارعين وهم يحضرون قطعانهم ، بينما يجبر البعض الآخر على

الحضور لدفع الضرائب المستحقة عليهم ، كل ذلك والكتابة يسجلون المقادير في أوراقهم ، ثم يرى صانعو الفخار بعجلاتهم ، ثم بعض الرجال وهم يحملون طيوراً مذبوحة ثم بعض الرجال وهم يلعبون الزرد

أما مقبرة « ختم حوتب » فهي أشهر هذه المقابر . والرسوم التي على حائط المدخل (الغربي) ترينا فوق الباب تمثال الميت محمولا الى المعبد تسبقه فرقة من الراقصات ، وإلى أسفل ذلك يرى الميت وهو يراقب عدداً من النجارين . وإلى يسار (شمالي) الباب ترى مكاتب صاحب المقبرة وبها خدمه يزنون الفضة ويكيلون الحبوب ويخزنون القمح في مخازنه ، على حين يجلس عدد من الكتبة في قاعة ذات أعمدة لتسجيل المقادير . أما الصفان التاليان فانهما يريانا عزق الأرض وحرثها ثم مناظر الحصاد والدرس وكانوا يستعملون مواشيهم للغرض الأخير . أما الصف الرابع فهو يرينا قارباً نيلياً يحمل جثة المتوفى الى أيدوس التي كان يعتقد المصريون أن أوزيريس قد دفن بها في مقبرة كانوا يحجون إليها . وفي الصف الخامس نرى مناظر قطف العنب وجمع التين وزراعة الخضر . أما المناظر السفلية فهي تمثل الحياة في الأنهار اذ نرى فيها مناظر صيد السمك ثم بعض أنواع الماشية في الماء

أما الحائط الشمالي (وهو الذي يكون الى يسارنا عند الدخول) فانا نرى في أعلاه « خنوم حوتب » مزوداً بالقوس والسهم ومعه أولاده وخدمه وكلابه يصطادون الحيوانات الصحراوية من غزلان ومهى وتياتل وأسود وثيران وحشية . وإلى أسفل ذلك الى اليمين يرى الميت ممثلاً بحجم كبير يشرف على جملة أعمال في امارته . وفي الصف الثالث من أعلى نرى رسماً له أهميته لأنه شكل لم نألفه في مقابر الدولة القديمة وهو يمثل اثنين من موظفيه يقدمان له قافلة من الاسيويين تتضمن الرجال والنساء والأطفال ، كلهم يرتدى الملابس الزاهية الألوان المزركشة الخاصة بالاجانب ، ويصحبهم عدد من الحمير والغزلان والوعول . والكتابات تصف هؤلاء القوم بانهم ٣٧ عامو - أى من البدو الساميين - يحضرون الكحل الى حاكم المقاطعة . ويرى رئيس قبيلة الصحراء على رأس القافلة يقدم وعلا يليه رجل يقدم غزالاً يتبعه أربعة رجال معهم القوس والذئب يسير خلفهم حمار مثقل بأحمال السفر وقد جلس عليها عدد من الاطفال ، ثم نرى بعد ذلك فريقاً من النساء يتقدمهن طفل . ثم حماراً يحمل أثقالاً يسير خلفه رجل يحمل ما يشبه الآلة الموسيقية ، يليه رجل آخر يحمل قوساً وعصاً لصيد الطيور وجعبة سهام معلقة على ظهره

أما الحائط الشرقي فمثل عليه الى اليسار « خنوم حتب » يصطاد الطيور المائية وهو راكب في قارب من البردى مصحوبا بزوجه وأولاده وحاشيته ، وفي يده اليمنى عصا صيد الطيور وفي اليسرى ثلاثة طيور ، وترى جميع أنواع الطير وهي تطير ثم تختبئ في أجمة من البوص ، كما يرى سمك يجرى في الماء يزاحمه تمساح وفرس بحر والى أسفل ذلك منظر لصيد السمك

أما الحائط الجنوبي (وهو الايمن) فانه يرينا الى اليسار الميت جالسا الى مائدته وعليها جميع أنواع الضحايا والمأكول ، والى اليمين مواكب الخدم والكهنة وهم يحضرون الهدايا للميت ، أما الصفوف السفلية فمثل بها الماشية والغزلان والوعول وغيرها من الحيوانات والطيور التي استحضرت لتضحيتها وذبحها

أما الحائط الذى به المدخل فى الجزء الأيمن منه (أى جنوبى الباب) يرى فى الصف العلوى رجال يغسلون وتحتهم صانعو الفخار ، ثم عدد من الرجال يقطعون نخلة ، ثم الميت محمولا فى محفته يفتش التجارين الذين يشتغلون ببناء السفن . وفى الصف الثالث توجد سفينتان تحمل أولاد الميت وحرمة وخدمه وأتباعه الى الاحتفال الجنازى باييدوس . أما الصف الرابع فالرسوم التى به تمثل نساء يغزلن وينسجن ، ثم عدداً من صانعى الخبز وصانعى الجعة . أما الصف السفلى فبه رجال يقيمون ناووسا ومثال يصقل تمثالا . . الخ وما يجدر ذكره أن معظم هذه الرسوم قد بهتت ألوانها الى حد كبير بحيث يصعب تمييز أجزائها الا بشيء كثير من اجهاد النظر ، ولولا أن بعض علماء الآثار نقلوها فى كتبهم لصعب علينا تتبع أجزائها بدقة

الفصل التاسع

النقوش في الدولة الحديثة

بدأت الأسرة الثامنة عشرة نهضة جديدة في الفن ، غير أنها لم تصل الى المستوى العالي الذي بلغته في العصور القديمة . على أن المجموعة الكبيرة من النقوش التي وجدت في طيبة وغيرها من الجهات الأثرية الهامة ، جعلت النقوش والرسوم الملونة التي عملت في عصر الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة مألوفة لدينا أكثر من سواها

المنازل والقصور

قلنا فيما سبق عندما تكلمنا عن المنازل ونظامها ان جدران هذه المنازل كانت تطل بالجنس ثم تلون باللون الأبيض الذي ترسم عليه أشكال زخرفية وصور متعددة . ولقد عثر الاستاذ فلندرز بترى في تل العمارنة على لوحة بديعة تمثل وصول رب البيت الى باب منزله والحركة التي تجري في ارجاء المنزل وبين الخدم ، استعداداً لاستقباله . بينما يتولى أحد الخدم إزالة الأتربة والفضلات بعيداً عن باب المنزل ، إذ يرش خادم آخر الأرض لتخفيف وطأة التراب المتطاير ، وإذا بخادم ثالث يعلن نبأ وصول سيده فيسرع أحد الطهارة اليه بنوع من الفطائر . فهذه اللوحة البديعة تمثل لنا نوعاً من أنواع النقوش التي كانت تحفل بها جدران منازل تل العمارنة . على أن نوعاً آخر من الصور والرسوم كان دون شك كثير الذبوع والانتشار ، وهو الخاص بتصوير الملك « اخناتن » تحيط به زوجته الملكة « نفرتيتي » وبناته ، فلقد وجدنا من هذا النوع لوحة مربعة محفوظة بالمتحف المصري يشاهد فيها الملك والملكة جالسين متقابلين تحت أشعة قرص الشمس « أتن » وامام الملك إحدى بناته واقفة ، وعلى حجر الملكة إحدى الأميرات ، ووقفت الأميرة الثالثة على ركبتى الملكة وقد وضعت يدها تحت ذقن أمها

في وداعة بالغة . فهذا المنظر هو منظر عائلي رائع يمثل لنا كيف كان المصريون في عصر « اخناتن » يختارون الصور التي توضع في منازلهم
اما القصور فلم تكن جدرانها وحدها تحلى بالصور الجميلة الملونة بل ان سقوفها وارضيتها كذلك كانت لوحات فنية رائعة . وأجمل أرضية وصلت اليها هي أجزاء الأرضية التي عثر عليها عام ١٨٩١ في تل العمارنة في قصر الملك «أخناتن» ، ونقلت إلى المتحف المصري

وقد صور في أحد نصفي هذه الأرضية بركة كبيرة مغمورة بالماء ، تسبح فيها أسماك مختلفة الأنواع وتنبث في مياهها أزهار اللوتس وغيرها من النباتات المائية ، وترفرف على سطحها طيور مختلفة بحركة طبيعية رائعة اشتهر بها فن تل العمارنة ، كما يسبح على مياهها نوع من البط وعلى جوانب البحيرة غرست نباتات مختلفة جميلة كالبردى ونباتات أخرى بعضها ذو أزهار حمراء أو خضراء ترفرف عليها الطيور في حركة بديعة وتجري بينها بعض الحيوانات . أما جوانب الأرضية فقد زينت بأفريز زخرفي يتكون من باقات ازهار (اللوتس والبردى بالتعاقب) ثم موائد عليها آنية كثيرة تحلها أزهار اللوتس . ويختلف هذا الأفريز من جانب واحد حيث نرى زخرفته تتكون من أسرى من الأسويين والزنوج بالتعاقب ، وقد رسمت بينهم أقواس للدلالة على أنهم أعداء مصر المقهورون ، أو الأقوام ذوو الأقواس التسع كما يسمون أحيانا ، وقد رسمهم على الأرضية إمعانا في الاحتقار حتى تطأهم أقدام الملك كلما مشى عليها

ولدينا بالمتحف المصري أمثلة أخرى جميلة للوحات رائعة كانت تغطي جدران بعض قصور ملوك الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة . ويرى على لوحتين منهما نبات البردى يانعا تطير فوقه طيور مختلفة الانواع ، والطراز الذي اتبع في رسم هاتين اللوحتين هو الطراز الطبيعي المعروف بتل العمارنة . أما اللوحات الأخرى ، فمع أنها من طراز فنّي مماثل الطراز السابق ذكره ، إلا أنه عثر عليها في قصر أمنوفيس الثالث بمدينة هابو (طيبة) ، وعلى ذلك فهي أقدم عهداً من السابقة

المعابد

قد يلزمنا شيء كثير من قوة الخيال لكي نتصور ما كانت عليه جدران المعابد من رونق وبهاء ، فكل ما نراه من أعمدة ضخمة وابراج عالية وأبهاء ذات عمد وقاعات

مترامية الأطراف وهيا كل تحيط بها حجرات ، كل ذلك كان يتلألًا بالنقوش الدقيقة التي لونت بأزهى الألوان ، فكان يريقها يغمر الأفئدة بجلال الدين ورهبة المكان وتنقسم نقوش المعابد على وجه عام قسمين : النقوش أو المناظر التي توجد على جدران المعبد الخارجية بما فيها الصروح (أى الأبراج) والأفنية ، وهي مناظر تاريخية وحرية غالباً ، والنقوش أو المناظر التي توجد في داخل المعبد ، أى على جدرانه الداخلية ، كجدران قاعات الأعمدة وعلى الأعمدة نفسها وجدران الهيكل وكذا الحجرات التي تحيط به ، وهي مناظر جرت العادة أن تكون دينية

النقوش التاريخية

نجد على صروح المعابد عادة مناظر مفصلة لا تتصار الملك على الأعداء . وقد شرحنا في الفصل الخاص بالمعابد نوع النقوش التي وجدت على صرح معبد الأقصر وجدرانه (١) أما معبد الدير البحري فقد حفظ لنا جملة مناظر تاريخية ذات أهمية ممتازة ، نذكر منها المناظر الخاصة بالبعثة التي أرسلتها الملكة حتشبسوت الى بلاد بونت . ولم تكن هذه البعثة بعثة عادية قام بها أفراد من تلقاء أنفسهم . وإنما أرسلت بناء على تكليف الهى ، فقد شكوا الاله آمون للملكة أن البخور الذى جروا على استعماله من نوع ردىء ، وأنه يجب عليها أن تستحضره من البلاد التي يستخرج منها مباشرة . فلم تكذب الملكة تتلقى هذه الأوامر الالهية حتى أوفدت بعثة الى بلاد بونت قضت فيها زمناً غير قليل ، ثم عادت سفنها الى طيبة محملة بأمن حاصلات هذه البلاد . فهذا الحدث الهام كان من الخطورة بحيث استدعى تسجيله بالنقوش على جدران هذا المعبد

فعلى أحد جدران هذا البهو - الذى اعتدنا تسميته يهو بونت - نرى رسم إحدى قرى هذه البلاد . وهذه القرى كانت تتكون من عدة أكواخ تقام على مقربة من الماء تظللها أشجار النخيل وأشجار البخور . وكان الكوخ يتكون من قسم سفلى يعالوه قسم آخر مخروطى الشكل يصل اليه المرء بسلم . أما الماء فقد رسمت فيه عدة أنواع من الحيوانات الغريبة على مصر ، وقد أمكن بعض العلماء المختصين أن يتعرف فيها أنواعاً خاصة بالبحر الاحمر

وعند ما وصل الاسطول المصري الى بلاد بونت بما فيه من سفن محملة بالبضائع

(١) انظر صفحة ٥٠ وما بعدها

الثمينة، قابله أهالى بونت ومعهم حاصلات بلادهم ، وأقبل عطاء البلاد ورؤساؤها يقدمون فروض الطاعة ، كما أقبل ملك بونت المدعو (بارحو) وملكته (آتى) يتبعهم العبيد يحملون الهدايا كي يقدموا واجب الاجلال الى رسول ملكة مصر. وكانت ملكة بونت بادة الجسم بحيث يظن الكثير من العلماء أنها كانت مصابة بمرض شوه جسمها تشويهاً تاماً (١) وان كان البعض الآخر يظن أن هذا الترهل هو نوع من أنواع الجمال الذى كان يغرم به هؤلاء الأقوام فى وسط افريقيا (٢) على أنه مما لا شك فيه أن الفنان المصرى قد وجد شيئاً كثيراً من اللذة فى أن يظهر - ببعض المبالغة - farka بالغا بين الجمال عند هؤلاء الاقوام ، والجمال الرقيق المتحضر عند بنى جنسه المصريين

وبعد ذلك تبدأ المفاوضات وتتعقد الصفقات ويحصل المصريون على كل ما كانوا يمتنون أنفسهم بالحصول عليه ، ويعود الاسطول المصرى بعد أن تكملت مهمته التجارية بالنجاح فيستقبله الشعب بالترحيب . ثم نرى الملكة تقدم ما احضرته البعثة للاله آمون. فينما يوزن الذهب وغيره من المعادن الثمينة فى حضرة الالهة « سشات » التى تسجل مقاديرها ، إذ نرى الى أسفل ذلك البخور وهو يكال ، ويسجل الاله تحوت مقداره . وعلى مقربة من هذا نرى أشجار البخور المستوردة من بلاد بونت فى أوان كثيرة لزراعتها فى مصر واستنباتها فى البلاد

ويلاحظ أن هذه النقوش الدقيقة البارعة لا يمكن أن يرسمها الفنانون اذا اعتمدوا على مجرد الروايات التى سمعوها من أفواه أعضاء هذه البعثة التجارية ، ولا بد أن بعض الكتاب الرسامين كانوا ملحقين بهذه البعثة ، وانهم قد أخذوا رسوماً تقريبية فى تلك البلاد للأشخاص البارزين وللمناظر المهمة، وانهم اعتمدوا على هذه الرسوم فيما انشأوه بعد ذلك من النقوش البديعة

أما معبد آمون بالكرك فى كثير من النقوش الحرية ، ففضلاً عن النقوش التى نجدها على صرح معبد رمسيس الثالث والتى تمثل هذا الملك وهو يقتل الأعداء بهراوة كبيرة فى يده ، بينما يقف الاله آمون أمامه يسلمه سيف النصر مع أسرى موثقين يمثلون

(١) هذا المنظر نقل الى المتحف المصرى وهو محفوظ به الآن فى قاعة الدولة الحديثة

(٢) ذكر Speke جملة أمثلة لهذا النوع من الجمال عند وصفه لزوجة « فوازيرو » المحبوبة فى الفصل الثامن من كتابه المسمى « منابع النيل » صفحة ١٨٣ ، كما نجد أمثلة أخرى فى كتاب شوينفرت المسمى « فى قلب أفريقيا » الطبعة الثالثة بصفحة ١٣٦ و ١٣٧ عند وصفه نساء بنجو

الشعوب المغلوبة وقد رسموا في ثلاثة صفوف ، فان على صروح معبد آمون وخاصة على الصرح الثانى الذى أقامه رمسيس الأول نقوشا عدة تمثل الملك وهو يقهر أعداءه فى حضرة الاله آمون

على أن أهم النقوش التاريخية هى النقوش المرسومة على خارج الجدارين الشمالى والجنوبى من قاعة الأعمدة الرئيسية بمعبد آمون والتى تسجل انتصارات سيقى الأول (على الحائط الشمالى) ورمسيس الثانى (على الحائط الجنوبى) على سكان فلسطين وعلى الليبيين فعلى الجدار الشمالى الخارجى أى خارج قاعة الأعمدة ، نرى فى الصف العلوى من اليسار الى اليمين (١) معركة ونوام فى سوريا حيث يتقدم الملك فى عربته الحربية ليهاجم الأعداء ويلهب أجسامهم بالسهم فلا يسعهم الا الفرار السريع . وإلى يسار ذلك نرى قلعة وبنوام تحيط بها المياه . أما أهالى هذه البلاد وسكانها فهم مرسومون بعناية بحيث تظهر وجوههم كاملة من الامام بالرغم من أن الفنان قد أظهر رعبهم من الحرب بتصويرهم مختبئين بين الأشجار (٢) ثم الملك وهو يربط الأسرى بيده . (٣) ثم الملك وهو يمشى وراء عربته جارا أربعة أسرى ، يتبعه صفان منهم (٤) ثم سيقى وهو يقدم صفين من الأسرى السوريين الى ثلاث طيبة : « آمون » و « موت » و « خنسو » كما يقدم لهم عدة أوان غالية اكتسبها ضمن غنائمه

أما الصف السفلى (من اليسار الى اليمين) فنرى فيه (١) تقدم الملك المنتصر فى أنحاء فلسطين حيث يقدم له أمراء هذه البلاد خضوعهم برفع أيديهم الى أعلى ، وقد رسمت خلف عربة الملك قلعة ثم آنية ثمينة غنمها الملك من العدو (٢) يلى ذلك رسم المعركة التى أديرت رحاها ضد بدو القسم الجنوبى من فلسطين (٣) ثم نرى عودة الملك المنتصر من سوريا ، واقفا فى عربته يتقدمه ويتبعه عدد من الأسرى المقيدىن ، ويرى على الحد الفاصل بين مصر وبلاد سوريا قناة ملاءى بالتماسيح وقد أحاط بها بوص من الجانبين ، وعلى هذه القناة قنطرة أقيم على جانبيها مركز حربى محصن . وعلى الجانب المصرى منها (الى اليمين) كثير من الكهنة والعطاء الذين هرعوا لاستقبال الملك عند عودته (٤) ثم الملك وهو يقدم ما غنمه فى الحرب الى الاله آمون

ويلى ذلك على الجزء الغربى من الحائط نفسه المناظر الآتية مبتدئين من اليمين الى اليسار : فى الصف الأعلى منظر يمثل حصار مدينة قادش بالقسم الشمالى من فلسطين ، حيث نرى قلعة هذه المدينة المشهورة وقد تحصن فيها الجنود للدفاع عنها ، الا أن سهام

فرعون قد أصابته وأخترقت أجسامهم . أما الصف الأوسط فالتا نرى فيه (١) المعركة ضد الليبيين (٢) الملك وهو يخترق جسم أحد الليبيين برمح (٣) الملك في عربته يتقدمه صفان من الأسرى (٤) الملك وهو يقدم الأواني التي غنمها الى ثالوث طيبة

أما الصف الاسفل فان المناظر التي فيه تمثل (١) المعركة ضد الحيثيين في شمال سوريا (٢) ويرى فيها الملك في عربته قابضا على حبال شد اليها عدد من الأسرى وعربتان من عربات الاعداء (٣) وكذلك الملك وهو يقدم غنائه لثالوث طيبة وقد رافقتهم الهة العدل أما النقوش التي على خارج الجدار الجنوبي لقاعة الأعمدة فانها تسجل حملات الملك رمسيس الثاني على السوريين ، وعلى الاخص الحيثيين ، بشكل لا يخرج عما ذكرناه في النقوش السابقة - وعلى مقربة منها حائط بارز عليه نص صيغة معاهدة السلم التي أبرمها الملك رمسيس الثاني في السنة الحادية والعشرين من حكمه مع الحيثيين ، وعلى مقربة من هذا النص يوجد وصف شعري طويل لحملة رمسيس هذه ضد الحيثيين ، وهذا النص يعرف بقصيدة بنتاؤور ، وهي نفس القصيدة التي أشرنا اليها عند الكلام على صرح معبد الاقصر

ويعادل النقوش السابقة في أهميتها التاريخية نقوش من نوع آخر وجدت في غرفة صغيرة ملحقة بقاعة احتفالات تحتمس الثالث ، وهي الغرفة التي تعرف بمحديقة النباتات ، وقد صورت على جدرانها أنواع النباتات والحيوانات الاجنبية التي استحضرتها تحتمس الثالث من سوريا في السنة الخامسة والعشرين من حكمه وصور هذه النباتات والحيوانات قد عرضت الواحدة الى جانب الاخرى بشكل تشبه به لوحات كتاب مطبوع

أما معبد مدينة هابو فقد أمدنا أيضا بعدة مناظر حربية لرمسيس الثالث ، غير انها لا تضيف شيئا جديداً من الوجهة الفنية على الأقل الى ما وجدناه في المعابد الأخرى من مناظر ، هذا اذا استثنينا بضعة مناظر تمثل معركة بحرية . على أن هذه المناظر الاخيرة قد جاءت مشوشة بحيث اختلطت أجزاءها اختلاطا غريبا يستدعى تتبعه عناية ومجهوداً خاصين ، فهي من الوجهة الفنية مناظر ليست على جانب كبير من الجودة في الرسم والخراج ، حتى اذا قارناها بمستوى نقوش الاسرة التاسعة عشرة

النقوش الدينية

تظهر لنا هذه النقوش في أول الامر متشابهة ، ولقد يخيل إلينا أحيانا أن المناظر

تتكرر دون أن يدخلها تنوع هام على الجدار الواحد ، ولكننا إذا دققنا النظر وقرأنا ما حواه كل منظر من نصوص ، لأدركنا في الحال أن كل منظر أريد به أن يثل شيئا أو يبدى فكرة أو نوعا معينا من الطقوس الدينية يختلف عن النوع الذى يشرحه المنظر الذى يسبقه . وهذه المناظر التى نجدتها منقوشة على الجدران يمكن تقسيمها الى قسمين : (١) الاحتفالات الملكية : و (٢) الطقوس الدينية . هذا وان كانت الاحتفالات الملكية هي في حد ذاتها لها صبغة دينية

(١) الاحتفالات الملكية : لدينا منها عدة أنواع نكتفى بذكر أهمها . ونبدأ بالمناظر المتعلقة بالميلاد الإلهي في معبد الدير البحرى . فنرى كيف أتى الإله آمون الى تحوت يسأله عن الملكة أحموسى التى ستكون فيما بعد أما لحشبسوت ، فيجيبه تحوت : « إنها امرأة جميلة ، مملوءة فتوة وشبابا . وانها ملكة » ثم يأخذه اليها بعد أن يتزيا آمون بزى الملك ، فاذا دخل آمون عليها وجد الملكة نائمة في قصرها الفخم ، غير أنها تستيقظ فجأة عندما تشتم رائحة الإله كما تقول النصوص . « فتبتسم أمام جلالته وتذهب اليه ، ثم يتحرق الإله شوقا اليها ويهبها قلبه ويريهما صورته الإلهية ثم يأتى أمامها لتستمع بحمالة . فيخترق حبه شغاف قلبها ، ويمتلئ القصر بأذكى روائح الإله ، التى تعادل في طيبها روائح بلاد بونت ، وبعد أن يقضيا الليل معاً يقول لها الإله ، ان ابنتك ستكون ملكة البلاد وسأعطيها تاجى وسلطى وستحكم العباد جميعهم لانها من نسلى وابنتى » ثم تولد حتشبسوت فتباركها الالهة مسخت وتدعو لها بحياة رغدة أبدية على عرش الإله حوروس ، ثم يأتى الإله آمون لرؤية ابنته المحبوبة معت كارع (حتشبسوت) فيقول : « مرحبا بها ، مرحبا بها ، وسلاما ثم سلاما على ابنتى التى أنجبتها وأحببتها ، انك يا حتشبسوت ملكة وستأخذين التاج وتجلسين على عرش حوروس الى الأبد » . ثم يأمر الإله بارضاع جلالته فتسلم الى مرضعتين « ترضعانه وتربيانها تربية ملكة البلاد الجالسة على عرش حوروس ، والتى تحكم البلاد بفرح وغبطة ، وتأخذ تاج الوجهين كما أمر سيد الآلهة »

ثم يتقدم اليها الإله أنوبيس « فيعطيها الحياة من لدنه ، وكذلك يمنحها الصحة والسرور ، ثم يعطيها الماء والشارب والبشر وأهل البحر والخلق أجمعين ، كي تظهر على عرش حوروس وتحكم العباد كما حكم الإله رع من قبل ، فهذه المناظر التى تتابع فيما يعرف بهو الميلاذ بمعبد الدير البحرى ، يوجد لها نظير في

معابد أخرى . ففي معبد سيتى الاول بايدوس نرى رمسيس الثانى على ذراعى ايزيس التى تعطيه لأربع إلهات من أقاليم مختلفة وهن يعطينه الواحدة تلو الأخرى ، ثديهن ليرضع منها ، وقد رسمت هذه المناظر بدقة عظيمة ، تجعل بعض مناظر الارضاع والتبني الالهى من أجمل نقوش الفن المصرى . وهناك منظر آخر فى هذا المعبد نفسه يستثير الإعجاب ، نرى فيه الالهة « موت » جالسة على عرشها تقدم ثديها لشفق الملك الصغير ، وتحنى رأسها إلى الامام كي تشاهد ربيها الملكى ثم تقول له (فى نص مكتوب) : « انى أنا أمك ، التى سوت صورتك وأرضعتك من لبنها »

ويلي مناظر الميلاد الالهى من حيث الأهمية المناظر الخاصة بتتويج الملك ثم بالعيد التذكارى للتتويج (وهو ما يطلق عليه حب سد) وقد وردت تفاصيل هذه الحفلات على جدران معابد كثيرة مثل الدير البحرى والكرنك ومدينة هابو وأيدوس

وكانت هذه الحفلات تبدأ بتطهير الملك يدي الالهين تحوت وحوروس إذ يصبان عليه ماء مقدساً لينحى الحياة . وعلى جدران المعابد نرى الملك واقفا بين هذين الالهين وهما يصبان فوقه رمزي الحياة والصحة من اناءين فى أيديهما . فاذا ماتم تطهيره تقدما به الى مجمع آلهة الشمال والجنوب ، فتبه القوة والصحة والحياة « حتى يصبح سعيداً بين الاحياء ملكاً للشمال والجنوب متربعا على عرش حوروس إلى الأبد »

بذلك ينتهى الدور الاول وهو دينى بحت ويحمل معنى رضا جميع الآلهة عن الحاكم الجديد . يلي ذلك حفلة أخرى وهى اجتماع ذوى الشأن من الحكام ورجال البلاط ، واعلان تولى الحاكم الجديد عرش الملك . وفى هذا الاجتماع تعلن الاسماء الخمسة التى اختارها الملك لنفسه ليعرف بها ، وبمجرد اعلانها يصدر بها قرار يبلغ لجميع جهات المملكة (١) بعد هذه الحفلة يكون قد تم ركنان هامان من طقوس التتويج ، إذ أعلن الآلهة

(١) وصلت الينا نسخة من قرار مماثل محفوظ بالمتحف المصرى على قطعة من الفخار أرسل الى أحد رؤساء الفنتين (اسوان) لاعلانه باعتلاء تحتمس الاول العرش ، هذا نصه : « قرار ملكي لاحاطتكم علما بأن جلالتنا قد اعتلينا عرش حوروس ، فصرنا مسيطرين على القطرين القبلى والبحرى إلى الأبد ، وان ألقابنا هى حوروس الثور القوى ، محبوب معت ، سيد التاجين الذى يتجلى كالنار ، القوى القادر ، حوروس الذهبى ، طيب السنين ، محيى القلوب ، ملك الوجهين القبلى والبحرى ، عاخر كارع ، ابن الشمس تحتمس الذى يعيش الى أبد الأبدين . فيجب عليكم والحالة هذه أن تقدموا القرايين الى آلهة الجنوب وآلهة الفنتين معسوبة باناشيدكم متمنين لملك الوجهين عاخر كارع كل صحة وسعادة . وقد أرسل اليكم هذا لابلاغكم أيضا أن البيت الملكى فى خير ، تحرر فى العام الأول اليوم الحادى والعشرين من الشهر الثالث من موسم برت ، الموافق ليوم الاحتفال بالتتويج »

والناس رضاهم عن الحاكم الجديد . وبعد ذلك تأتي الحفلة الرئيسية وهي وضع تاج البلاد فوق رأس الملك وتسلمه صولجان الحكم ، فيتقدم الملك إلى قاعة كبيرة هي قاعة التتويج التي أعد فيها عرشان عرش الوجه القبلي وعرش الوجه البحري ، وقد أقيم كل منهما على منصة عالية . وهنا يتقدم منه كاهنان أحدهما يلبس على رأسه قناع حوروس (إله الوجه البحري) والآخر يلبس قناع سيت (إله الوجه القبلي) وبعد أن يجلسا على العرش الجنوبي (عرش الوجه القبلي) يضعان على رأسه التاج الأبيض رمز سيادته على هذا الوجه ، وهما يقولان : « رسمناك ملكا على الجنوب يجلس على عرش حوروس هادي الجميع إلى الأبد » فإذا ما انتهى من ذلك عادا فأخذا الملك إلى العرش الآخر وأجلساه عليه ووضعاه على رأسه تاج الوجه البحري الأحمر ليرمما ملكا على الوجه الآخر

فإذا ما تم ذلك كان الملك متوجا بتاج الوجهين ، ومزودا بالرموز الملكية وهي الصولجانان التي أعطته الإلهة إياها مع التيجان

بعد ذلك تبدأ حلقة أخرى من حلقات الاحتفال هي ما يطلق عليها « اتحاد القطرين » وردت تفاصيلها على جدران معبد سيتي الأول بإيدوس ، فيجلس الملك على عرشه بين الإلهتين نخبيت إلهة الوجه القبلي ، وأوازت إلهة الوجه البحري ، ويوحّد كل من الإلهين حوروس وسيت القطرين بأن يربط نباتي البردي رمز الوجه البحري ، واللوتس رمز الوجه القبلي إلى علامة الاتحاد ، رمزاً لاتحاد القطرين

وتلي ذلك حفلة أخرى تعرف « باللف حول الحائط » ، وكانوا يعنون بالحائط أحيانا حائط الناووس الموجود بالهيكل ، وأحيانا أخرى يعنون به المعبد كله

وهذه الحفلات الثلاث الأخيرة ونعني بها (١) الباس الملك تيجانه بعد اجلسه على العرشين (٢) اتحاد القطرين (سم تاوي) (٣) اللف حول الحائط ، يطلق عليها في نصوص الدير البحري اسم واحد هو تسليم الآلهة تيجانها إلى الملك

وهناك احتفال آخر يلي هذا كله وردت تفاصيله على أحد جدران معبد مدينة هابو بالاقصر يدعى « الخروج الملكي » يرى فيه الملك رمسيس الثالث « ساطعا كالشمس » كما يقول النص ، وهو خارج من قصره إلى هيكل « مين » إله الخصب ، وقد جلس فوق عرشه في عفة تحملها أكتاف فريق من أبنائه والمقربين إليه يتقدمه الكهنة وهم يحرقون البخور أو يتلون بعض الأدعية المناسبة ، يليهم في الموكب أمراء العائلة المالكة والنبلاء ونافخو الأبواق وضاربو الطبول ، حتى إذا ما وصل الملك إلى باب المعبد نزل

من محفته ودخل المعبد وقدم قرايينه للاله ثم خرج ، فيقابله باقى الكهنة بالترتيل وهم يحملون تماثيل الآلهة والملوك المؤلهين من أجداده العظماء فوق أكتافهم تحية للقادم العظيم ، ومن أجل التقاليد التى كانت تجرى فى هذه الحفلة هى اطلاق أربع حمامات فى الجو وقد كتب فوقها : « اسرعى الى الجنوب - أو الشمال أو الغرب أو الشرق - وقولى لآلهة الجنوب - أو لآلهة الشمال أو الغرب أو الشرق - إن حوروس بن ايزيس وأزريس اتخذ لنفسه تاج الجنوب وتاج الشمال ، وإن ملك مصر العليا والسفلى رمسيس الثالث قد اتخذ لنفسه تاجى الجنوب والشمال »

وكان رئيس الكهنة يقدم للملك منجلا ذهبيا يقطع به سيقان الذرة . وقد فسر الاستاذ إرمان ذلك بأنه يقطف أول ثمرات الارض دلالة على الخير والفعال الحسن

تلك هى حفلات التسويج كما وردت مناظرها على جدران المعابد ، على أنه يجدر بنا أن نتوه بنوع آخر من المناظر خاصة بتأسيس الأبنية الدينية فترى الملك تساعد الآلهة فى تحديد منطقة المعبد وتخطيط رسمه على الطبيعة ثم ضرب الطوب (البن) ووضع حجر الأساس ثم تكريس الادوات التى تستعمل فى البناء وما الى ذلك من المناظر

(ب) الطقوس الدينية : كانت مناظر هذه الطقوس متتابعة على الجدران فى دقة متناهية لتمثل الحلقات المتعاقبة التى كان يجب على الكاهن الخاص - وكان هذا الكاهن فى معظم الأحيان هو الملك نفسه - أن يقوم بها فى أجزاء المعبد المختلفة . وهذه المناظر إما أن تتعلق بالادوات المستعملة فى الطقوس أو بالاحتفال بتأدية الشعائر الدينية نفسها وهىكل آمون بمعبد سيقى الأول بايدوس يعطينا مثالا واضحا للادوات الدينية التى كانت تستعمل إذ نرى ثلاث سفن مصورة على الجدار إحداها خاصة بالاله آمون والاثنان الآخران خاصتان بالآلهة موت والاله خنسو ، وهى وان كانت متشابهة إلا أن سفينة آمون تنتهى من الامام والحلف برءوس كباش ، بينما تنتهى سفينة الآلهة موت برءوس ملكة وسفينة خنسو برءوس باشق . وفى وسط السفينة نجد مظلة (أعدت لوضع رمز الاله) أحاطت بها أشكال إلهية وملكية وقد ركبت السفينة على قاعدة ذات أذرع كانت تحمل على أكتاف الكهنة فى الاحتفالات

والى جانب هذا كله نجد بعض الموائد ممثلة على جدران الهيكل نفسه وقد وضعت

على هذه الموائد أوان مختلفة الانواع كما نجد أشكالاً صغيرة ملكية إما واقفة أو راكعة
تقدم باقات جميلة

أما في هيكل أوزيريس (١) فالتنا نجد على أحد جدران السفينة المقدسة ، وعلى جدار
آخر نجد رمزاً مقدساً هو عبارة عن عمود مثبت في أعلاه صندوق مخروطي الشكل
تقريباً ، هو الصندوق الذي كان يظن ان رأس الاله أوزيريس قد وضع فيه ، وعلى
القاعدة التي يرتكز عليها العمود السابق رسمت أشكال ملكية تماثل أشكال البحارة
التي رأيناها في السفن المقدسة حول المظلة ، والقاعدة أذرع يحمل بها الرمز المقدس في
الاحتفالات . وحول هذا الرمز نرى جملة أعلام مثبتة في الأرض أقيمت عليها أشكال
إلهية هي رموز الآلهة المختلفة

فإذا اتجهنا الى قاعة الأعمدة التي تقع خلف هذا الهيكل رأينا جملة شارات ورموز
مقدسة متماثلة احداها على هيئة عمود ال « دد » (رمز أوزيريس) يقيمه الملك ثم يلبسه
حلة خاصة . يلي ذلك منظر يمثل صندوق أوزيريس وقد رسم في هذه المرة بجميع
تفاصيله رسماً متقناً ، ثم منظر الملك ، تصحبه كاهنة تقوم هنا بدور اوزيريس ، وهو يضمخ
شعر الاله بالدهن والزيت المقدسة

أما المناظر المتعلقة بالاحتفال بتأدية الطقوس فان معبد سيتي الأول بايدوس يعطينا
لها كذلك أمثلة واضحة ، تتكرر في الهياكل مع اختلاف بسيط لا يعتد به ، وفي هذه
المناظر نرى الملك وهو يتقدم الى الهيكل فيبدأ بالانحناء ليحيي الاله ثم يحرق البخور ،
ثم يضع يده على التمثال - دلالة على أن الملك قد تم تطهيره كما يجب وأنه يستطيع وقد تم
له ذلك أن يلمس التمثال - ثم يركع الملك أمام التمثال ويقدم له الملابس ، فنراه يقدم
الشريط الأبيض والشريط الأخضر والشريط الأحمر وشريطاً رابعاً ، ثم يأتي دور الشارات
والحلي ، فنراه يقدم القلائد والصولجانات وأساور الأيدي والأرجل ، ثم يوجه عنايته
بعد ذلك الى لباس رأس الاله فبعد أن يضعه في مكانه يأتي له بالقرون والريش وما يتبعهما
مما كان يلصق بلباس رأس الاله

ويظهر أن هذه الطقوس كانت تتكرر جملة مرات بعدد التماثيل الإلهية الموضوعة
في المعبد الواحد . وخاصة اذا لاحظنا أن معبد سيتي الأول بايدوس كانت به سبعة

(١) هنا ينصرف الكلام دائماً الى هياكل الآلهة المختلفة الموجودة بمعبد سيتي الأول بايدوس

هياكل ، ستة منها خاصة بالآلهة ، والهيكول السابع خاص بالملك نفسه

وفي مناظر أخرى وردت على جدران هيكل حوروس في هذا المعبد نرى الملك ممثلاً وهو يغسل المذبح قبل أن يضع عليه القرابين ، فإذا ما فرغ من ذلك قدم أناءين خاصين بالنبيذ إلى الآلهة إيزيس التي نراها إلى اليمين جالسة على عرشها وقد غطت رأسها بلباس على شكل جسم العقاب يعلوه قرص الشمس مع ريشتين كبيرتين ، ونرى الملك واقفاً أمامها وهو يرفع ذراعيه ليقدم القرбан ، ويلاحظ أن الفراغ الذي يقع فوق رأس الملك والآلهة قد ملئ بالنصوص المكتوبة كما ملئ الفراغ الذي يقع بين الملك والآلهة بسطر عمودي من الكتابة

ومما تجدر ملاحظته أن نقوش هذا المعبد - معبد سيقى الأول بإيدوس ، وهي النقوش التي أشرنا إلى الكثير منها فيما سبق من صفحات - فاقت نقوش سائر المعابد بروعتها ودقتها ، إذ هي نقوش متقنة على حجر جيري بديع تمثل دائماً في أجزائها الأناقة والرشاقة البالغة ، في أسلوب الأداء والتعبير ، فضلاً عن أن ألوانها لا تزال محتفظة ببهائها في معظم الأجزاء . ولا شك في أن رسم الآلهتين معت ورنبت في بهو الأعمدة الثاني يستحق ما اكتسبه من شهرة ذائعة . على أن هناك رسماً آخر على بعد خطوات منه يثير في نفوسنا دائماً أشد عواطف الإعجاب ، ونرى فيه شكلاً جميلاً للملك سيقى الأول وهو يقدم لأوزيريس صورة معت الهة العدل

المقابر

مقابر تل العمارنة

تنقسم هذه المقابر ثلاثة أقسام : (١) مجموعة المقابر الشمالية (٢) مجموعة المقابر الجنوبية (٣) مقبرة الملك

وهذه المقبرة الأخيرة تقع في وادٍ منغل يدعى درب الملك أو درب الحمزاوى ، على مسيرة نحو ستة أميال من تل العمارنة . وقد استهدفت هذه المقبرة لأحداث ألفت الكثير من نقوشها ، كما أن سوء المواد التي نقشت عليها قد ساعد على تفتتها وتلفها بمجرد اللمس ونقوش هذه المقبرة ، شأنها في ذلك شأن باقي مقابر تل العمارنة ، لم تتم لأن الملك قد مات سريعاً ولم يقيم في العاصمة طويلاً ، لكنها رغم ذلك جديرة بالاهتمام

وأهم هذه النقوش ما وجد منها في الغرف الجانبية وهي غرف أعدت لدفن الأميرات وربما دفنت في أحدها الأميرة « ماكت أتن » ، وهي أميرة ماتت صغيرة وكان أبوها « اخناتن » لا يزال على قيد الحياة

ففي الغرفة الأولى يرى الملك « اخناتن » وزوجته « نفرتيتي » وأربع أميرات ومعهم حاشية الملك وهم يقدمون القرابين لقرص الشمس الذي يرى مشرقا على الجبال الواقعة خلف صرح المعبد . ثم منظر آخر يمثل الشعوب الأجنبية الخاضعة لمصر كالزنوج والليبيين والاسيويين بملابسهم المحلية وهم يؤدون فروض العبادة لقرص الشمس أما المنظر الذي يمثل الأميرة المتوفاة على نعشها ، يحيط بها الملك والملكة والنادبات ، ثم المنظر الذي يعلوه ويمثل الملك والملكة مع فريق من النسوة يولولن ويكيبن الأميرة المتوفاة في أشكال وأوضاع متباينة ، فهي مناظر مؤلمة تملأ قلوبنا أسى ولوعة ، وترتقى في بعض الاجزاء الى درجة رفيعة من القدرة على التعبير حتى عدها البعض من أجمل نقوش الفن المصري

أما الغرفة الثانية فخالية من النقوش ، على انها تتصل بغرفة ثالثة نقشت على بعض جدرانها مناظر تمثل جثة الأميرة تحت مظلة وقد وقفت أمامها أسرة الملك وحاشيته يكونها بشكل مؤثر

أما مقابر العظماء فقد حفرت على سفح الجبل ، في مجموعتين شمالية وجنوبية ، والمناظر التي على جدرانها تمثل قبل كل شيء الملك وأسرته (١) حتى ليكاد يخيل إلينا أن هذه المقابر هي مقابر ملكية ، ففي مقبرة أحسن نرى الملك جالسا في قصره الى المائدة ومعه زوجته وبعض بناته الأميرات ، فاذا فرغ من طعامه خرج مصطحبا زوجته وحاشيته ميمما وجهه شطر المعبد حيث يقدم قرابينه للاله (٢) وفي الطريق الموصل بين المعبد والقصر نرى موكب الملك العظيم ، فالملك ممتطيا عربته وحوله الحاشية والاتباع ومعه زوجته الملكة وأحدى الأميرات ، وحولهن أعضاء حاشيتهن ، ثم بعض فرق من الجنود المصريين ، أو من الحرس الاجنبي الذي كان يتكون من الساميين والزنوج والليبيين وهم يهرولون مسرعين في خطاهم للملاحقة سير الموكب

(١) يتعدون عادة لقرص الشمس « أتن » الذي تمتد أشعته وتنتهى بإيدى تمنح الحياة « عنخ »

(٢) في مقبرة حوى منظر يرى فيه الملك مصطحبا أمه « تي » وخارجا بها الى معبد جنازى بنى

لها ولزوجها أمنوفيس الثالث

فاذا ما وصل الموكب إلى المبد كانت الكهنة واقفة بالباب في انتظاره ، فيخفون لاستقبال الملك الذى ينزل من عربته ثم يدخل المبد ويصعد إلى المذبح فيقدم القرابين للاله

ويلاحظ أن الفنان عند ما كان يرسم المبد فانه كان يرسم الكهنة والكاهنات وفريق المنشدين والموسيقين ولدينا في مقبرة « مرى رع » صورة جميلة تعرف بصورة « المنشدين العميان » تتميز بما أظهره الفنان من الدقة وقوة التعبير في رسم الرؤوس ، وهى دقة سمت بهذه الصورة إلى مرتبة جديدة بكل إعجاب

ويعادل المناظر السابقة فى الأهمية منظر آخر نرى فيه الملك والملكة وقد ظهرا فى شرفة قصرهما يوزعان الجوائز على فريق من العطاء الذين تجمعوا فى فناء القصر ، فزاهم يلقيان بقطع الحلى والقلائد والدمالج إلى من يريدان أن يجيزاه . وكانت بعض الأميرات يجندن لذة فى هذا العمل فيشتركن مع أبويهن فيه

أما فناء القصر فقد كان يوج بحركة عظيمة ، فهناك فرق من الجند ، ومن الحرس الاجنبى ، ومن الخدم والاتباع وحملة المراوح ، وكبار الموظفين ، والكتبة الذين كانوا يتسابقون إلى تسجيل حوادث الاحتفال على ألواحهم وخاصة مايتعلق بالاقوال والعبارات التى يصدر بها النطق الملكى . حتى سعى هؤلاء الكتبة بحق صحافي عصر « أخناتن » وفى مقبرة « آى » مناظر جميلة تمثل الحركة التى كانت تدور فى خارج فناء القصر ، بين الاتباع الذين لم يتمكنوا من دخول القصر لازدحامه فوقفوا خارجه يتسقطون الاخبار ، وهنا ترك النصوص تتكلم فتقول : « وعند ماسمع الموظفون جلبة الهتاف أخذوا يتساءلون ، ثم بعثوا بالعلمان يستطلعون الخبر . قال رجل منهم يا غلام : لمن تقام كل هذه الحفلات ؟ فيقول له الصبي : هى تقام من أجل « آى » الأب المقدس وزوجته « تى » ، لقد قلدهم الملك بالذهب » - اشارة إلى قلائد الذهب التى أجازهم بها الملك - وهنا يتساءل موظف آخر فيقول : « اسمع اذهب واستطلع الخبر ، وآتى به على عجل » وهنا نرى رجلا قد عاد بعد أن استطلع الخبر ، فيقول لصديق يسأله : « قم لترى الشيء العظيم الذى صنعه فرعون من أجل « آى » الأب المقدس وزوجته « تى » . لقد وهبهم فرعون ملايين من حلقات الذهب كما منحهم الثروة والمجد »

فهذه المناظر المثلة بالرسم والمشروحة بالنصوص ، فيها شيء كثير من الأسلوب القصصى المصور ، فهى وقائع أو حوادث مصورة تستحق كل إعجاب لما تثيره فى نفوسنا

من شغف ولذة حقة وإلى جانب هذه المناظر التي سبق وصفها ، يوجد نوع آخر يظهر فيه الملك جالساً على عرشه يتقبل الجزية من الشعوب للقهورة ، تحف به حاشية كبيرة . (في مقبرتي « حوى » و « مري رع ») ، كما يرى الملك والملسكة في بعض المناظر خارجين من القصر في عربة يتقدمهما رجال يوسعون لها الطريق ، وذلك لزيارة مراكز البوليس واستحكامات المدينة (مقبرة محو)

يتبين لنا مما سبق أن المناظر المتعلقة بشخص الملك وأسرته وأعماله كانت تحتل المكان الأول في مقابر تل العمارنة (١) ، أما أصحاب المقابر فقد كانت صورهم تأتي في المقام الثاني . وهؤلاء كانوا يرسمون عادة على مقربة من مدخل المقبرة راكعين وهم يتعبدون لقرص الشمس أي « آتن » ، إله تل العمارنة . وتكتب أمامهم نصوص تتضمن الترتيعة الخاصة « بآتن » وهي أنشودة دينية كان لأختاتن نفسه النصيب الأكبر في وضعها أما المناظر الجنائزية فهي نادرة في مقابر تل العمارنة ، لأن هذه المقابر قد تركت في معظم الأحوال قبل أن يتم نقش جدرانها ، وفي بعض الأحوال لم تكن المقابر نفسها قد تم حفرها (كما في مقبرة آي مثلاً) وذلك بسبب موت الملك المفاجيء وانتقال مركز الحكم بعد ذلك إلى طيبة ، مما أدى إلى ترك تل العمارنة وإهمال ديانة « آتن » والرجوع إلى عبادة (آمون) إله طيبة الأعظم القديم

مقابر الملوك بطينة (الرقص)

كانت جدران مقابر الملوك تزين ابتداءً من المدخل حتى غرفة الدفن بنقوش دينية ونصوص مختلفة ، يمثل بعضها الملك تستقبله الآلهة ، وتتعلق معظمها برحلة الشمس في العالم السفلي ، أي ما كانوا يطلقون عليه اسم « دوات » وبالمملك المتوفى الذي كان يرافق الشمس في هذه الرحلة . وهذه المناظر كانت تنقل عن ثلاثة كتب متشابهة سبق أن فصلنا ما تحتويه عند الكلام عن هذه المقابر (٢)

(١) ويذهب بعض المؤرخين كبرستد مثلاً إلى أن هذه المقابر كانت تحفر وتعد على نفقة الملك ، الذي كان يهديها إلى أتباعه المخلصين الموالين له ، وهذا يفسر لنا إلى حد كبير وجود أمثال هذه الرسوم الملكية على جدرانها

(٢) انظر صفحتي ١١٠ و ١١١ من هذا الكتاب

الفصل العاشر

الرسوم في الدولة الحديثة

مقابر الاشخاص في طيبة

يرجع الفضل في معرفتنا أخلاق وعادات قدماء المصريين وطرق معيشتهم اليومية الى المناظر القيمة التي وردت على جدران هذه المقابر . لذا اعتبرها الكثيرون بحق ذات أهمية ممتازة فاقت بها مقابر الملوك نفسها . وكانت هذه الجدران تغطى في المعتاد بطبقة من الطمي أو الجص ثم تطلّى بدهان أبيض ترسم عليه المناظر بعد هذا بالألوان . وعلى ذلك فقد كان الرسم بالألوان هو الطريقة الغالبة في تزيين هذه المقابر ، بينما كان النقش هو الغالب في تزيين مقابر الملوك

وقد تناولت هذه المناظر جميع فروع الحياة المصرية ومظاهر نشاطها ، فهي لهذا تعتبر سجلاً قائماً وينبوعاً خالداً يفيض على الدوام بأدق المعلومات عن الحياة في مصر القديمة ، فكأن قدماء المصريين قد خلفوا لنا ، من حيث أرادوا أو لم يريدوا ، دائرة معارف حية تصور لنا ، على مر الأيام وتعاقب العصور ، حضارتهم العظيمة في صورة براقة مفصلة زاهية ، أعجب وما يزال يعجب بها علماء العالم الحديث أجمع !

وتتضح أهمية هذه المناظر فيما يلي من صفحات سنتناول فيها بالدرس المناظر المتعلقة بحياة الشعب ، لأنها أهم وأطرف تما عداها من المناظر

الزراعة

المناظر المتعلقة بالزراعة أكثر وروداً على جدران المقابر من سائر المناظر ، لأنها في بدء العمل في الزراعة ويحيا بها فيجدر بنا أن نضعها في مقدمة المناظر التي نتناولها بالدرس والتحليل

ومناظر الزراعة هذه تنقسم الأقسام الآتية :

(١) حرث الأرض : فنرى المحراث ، ثم طريقة الحرث بالأبقار والثيران ، ثم الحرث في العالم الآخر ، في حقول « أيارو » ، ثم الحرث بالبغال ، وهذا لم يرد إلا في مثال واحد ، ثم الحرث بواسطة رجال تجر المحراث وهذا في الأحوال الاضطرارية

(٢) عزق الأرض بالقووس : فنرى على سبيل المثال في مقبرة نخت رجلا وفي يده كيس يأخذ البذور منه وينثرها في أرض يعزقها رجلان يشتغلان أمامه

(٣) بذر الحب : ثم إطلاق الأغنام والماشية في الحقول لتدوس بأقدامها هذه البذور فتدخلها تحت التراب ، وهذه المناظر تماثل التي وجدناها في مقابر الدولة القديمة وتزيد عليها هذه الخنازير التي استجد استخدامها في هذا الغرض

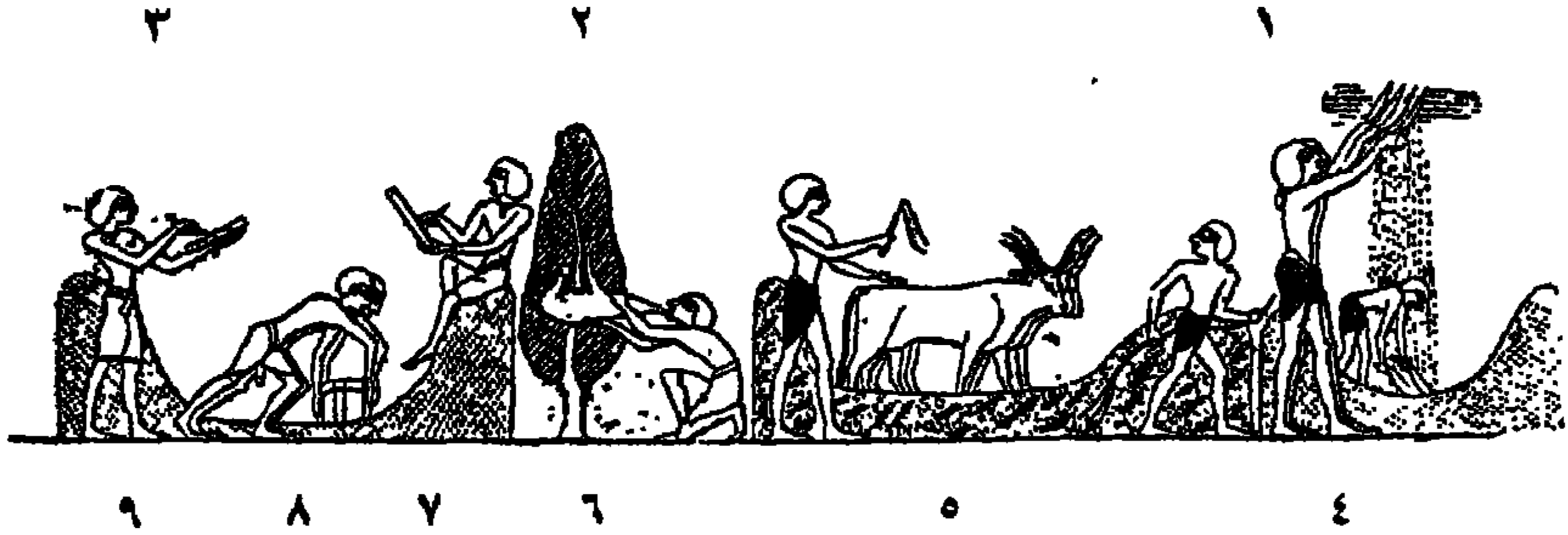
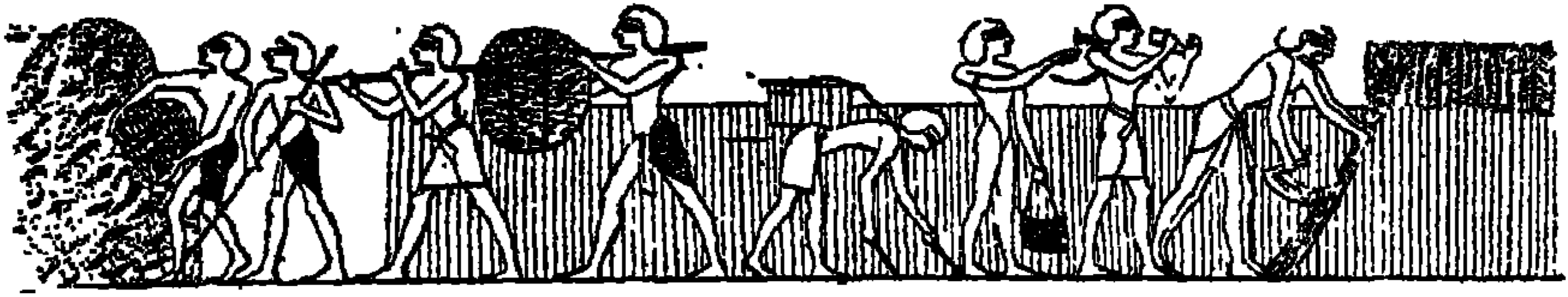
(٤) قياس الأرض : ولقد كان الجبل الذي تقاس به الأرض ، به عقد تقسمه الى أجزاء يمكن بواسطة عددها معرفة طول الحقل وعرضه . وكانت تمسح الأرض توطئة لجباية الخراج عليها من جهة ، ثم للتحقق من أن الحدود لم تنقل من مكانها من جهة أخرى . ففي رسم (١) يرى فلاح الى جانب حقله وبجواره كتب القسم الآتي : « أقسم بالله العظيم ، رب السموات ، أن الحدود الصحيحة هي في مكانها ، وهو يعنى أن الحدود بقيت في مكانها ولم يتلاعب بها أحد

(٥) حصاد القمح : وكانت أعواد القمح تحصد بالمنجل ، ومناجلهم تشبه مناجلنا المستعملة في الوقت الحاضر ، ثم تجمع السنابل

(٦) حزم السنابل ووضعها في شيء أشبه بالشبكة أو « بالشف » المستعمل الآن ، وكان يحمل « الشنف » عادة رجال يربطونه في نير - ناف - يوضع على أكتافهم ، وينقلونه الى الجرن (شكل ٦٨) ، على أن الحمير كانت تستخدم أحيانا في النقل كما في الدولة القديمة ، وفي هذه الحالة كان يوضع « شنفان » على ظهر الحمير

(٧) درس القمح : وكان يقوم به في عصر الدولة الحديثة الثيران والابقار والعجول في أجران يختارونها على مقربة من الحقل حتى يسهل نقل سيقان النبات اليها . أما الحمير التي اعتدنا أن نراها في مناظر الدرس في الدولة القديمة فقد اختفت في هذا العصر . وفي معظم الأحيان نرى أربعة ثيران ، وأحيانا ستة ، طليقة في الجرن وقد رسمها الفنان بألوان مختلفة حتى يميزها الناظر بسهولة ، ويرى الحارس وهو يغنى لها في الصباح المبكر أو المساء

(١) أنظر فرسنسكي - أطلس تاريخ الحضارة المصرية القديمة جزء أول لوحة ٤٢٤



(شكل ٦٨) منظر يمثل حصاد القمح بالمنجل (رقم ١) ثم جمع السنابل في شنف يحمل على الاكتاف (رقم ٢) الى الجرن (رقم ٣) حيث تدرسه الثيران (رقم ٥) ثم يذرى (رقم ٤) ولما كانت أعمال التذرية تثير غباراً عظيماً يبعث في الحلق عطشاً ممضاً ، فقد كان يعلق الرجال قرباً على الاشجار مملوءة بالماء (رقم ٦) يروون بها عطشهم . والى جانب الجرن كان يكال القمح (رقم ٨) ثم يسجل الكتبة (رقم ٧ و ٩) مقداره قبل أن ينقل الى مخازن الفلال لتخزينه

المنعش فيقول : « أدرسى أيتها الثيران واشتغلى ، فان التبن سيكون لك مأكلاً ، وسيكون القمح من نصيب سيدك وصاحبك ، فليطمئن قلبك ، ان الوقت صحو جميل » (١)
(٨) الكومة: التي كانت ذات أهمية في الدولة القديمة عندما كان القمح يربط حزمًا وتنقله الحمير اليها اختفت في عصر الدولة الحديثة ، وذلك لان الأجران كانت تختار على مقربة من الحقل

(٩) التذرية : ومناظر التذرية توجد عادة الى جانب مناظر الأجران ، فكان القمح بعد درسه وفصله عن التبن يترك في الجرن ثم يذرى في مكانه . وكانت أعمال التذرية في الدولة الحديثة يقوم بها الرجال بمساعدة النساء أحيانا ، بعكس الأمر في الدولة القديمة حيث كانت النساء وحدهن يقمن بهذه الأعمال غالباً . وكانت أعمال التذرية ولا تزال تثير غباراً عظيماً يبعث في حلق الرجال عطشاً ممضاً ، لذا فقد كان يعلق الرجال قرباً على الاشجار مملوءة بالماء يروون به عطشهم حين يريدون ، كما كانوا يربطون حول رؤوسهم قطعاً من

(١) مقبرة باحيرى ، أنظر تاييلور - باحيرى لوحة ٤

القماش تحميا من الغبار المتطاير من التذرية ، فاذا ما انتهى الرجال من عملهم غرسوا مذارهم وأدواتهم في كومة القمح التي يذرونها كما يفعل فلاحونا اليوم ، وذهبوا يستريحون بعد أن يتركوا صبيا يطرد الطيور التي قد تحدثها نفسها بالأكل من الحبوب (١٠) تقديم القرابين لالهة الحصاد « رتنوت » شكراً لها : فكان يقدم وعاء للالهة به ماء تشرب منه ، تعلوه حزمة من سنابل القمح وسيقانه تعلق أمام الالهة قربانا لها ، ولا يزال أمثال هذه الحزم المعروفة « بعروس القمح » تعلق في مصر عند انتهاء وقت الحصاد

(١١) كيل القمح وتسجيل مقداره

(١٢) نقل القمح الى مخازن الغلال : وكان يوضع عادة في اكياس يحملها عدة رجال الى الصومعة ، وكانت القدور والسلال تستعمل أحيانا بدلا من الاكياس (١٣) مخازن الغلال : وكانت في العادة تشبه الصوامع الحالية ، وكان بعضها فسيحا مرتفعا فيصل المرء الى قمته بدرج مبني . وكانت في أعلاها فوهة تملأ منها وبأسفلها باب يؤخذ منه القمح (انظر شكل ٦ صفحة ١٩)

(١٤) حصد الكتان : وكانت تقوم به النسوة على الأخص ، فيقلعن الكتان ، ثم يربط من نهايته التي بها الجذور اعداداً لتمشيطة ، وكانت الحزم الكبيرة تربط من الوسط أيضا . وفي عصر الدولة الحديثة نجد عملية التمشيطة مرسومة لأول مرة ، حيث كان يثبت المشط على لوح من الخشب يضع عليه العامل قدمه ثم يضع الحزمة في أسنان المشط ويشدها لزرع أغلفة البذور (المحتوية على بذر الكتان المعروف) عن السيقان

زراعة الحدائق

(١) منها الحدائق ذات البركة المستطيلة والمربعة ، والحدائق الواقعة على القنوات أو شاطئ النهر ، والحدائق ذات البرك المتعددة ، والحدائق الصغيرة التي تزرع أمام المنازل خاصة (فضلا عن مناظر الحدائق المرسومة على أرضيات القصور والمنازل (١)) ، ثم لما يدعى بحدائق العالم الآخر ، وهي التي يطلق عليها « حدائق الجبانات » ، ثم حدائق القصور ، وحدائق المعابد

(١) كأرضية قصر امنوفيس الثالث بطيبة وقصر اخناتن بقل العارنة ، انظر صفحة ١٥٧ من هذا الكتاب

(٢) طرق رى الحدائق : كانت تروى الحدائق « بقواديس » - قادوسين في المعتاد - توضع على نير يحمل على الأكتاف، أو بالشواديف (شكل ٦٩)، أو بقرب تملأ وتحمل على الحمير. وكانت تقسم أحواض الزهور والحضر الى مربعات صغيرة، كل مربع منها يعلو في الجوانب عنه في الوسط، وذلك لكي تنصرف المياه التي تنصب فيه الى المزروعات فتسقيها



(شكل ٦٩) حديقة تروى بالشواديف

(٣) زراعة الاشجار وجمع الثمار : فنجد أشجار النخيل « بنرت بالمصرية القديمة » يجنى ثمرها، وأشجار الدوم « ماما » والتين (١) « ذاب » والحميز « نهت » والرمان (٢) « إنهمن »، والزيتون « بالك » (٣) وأشجار التفاح « دبح » (٤) وأشجار البرساء

(١) ويلاحظ أن القردة كانت تساعد المزارعين غالباً في جمع ثمار هذه الاشجار
(٢) يظهر أن زراعة الرمان قد أدخلت في مصر في عصر الأسرة الثامنة عشرة، إذ ورد رسم الرمان لأول مرة ضمن مجموعة النباتات التي أحضرها تحتمس الثالث معه من بلاد « برتنو » ورسمها على جدران معبد الكرنك. ولقد وجدت في مقبرة امنوفيس الثاني نماذج من القاشاني صنعت على شكل الرمان، مما يدل على أن هذه الفاكهة كانت لاتزال نادرة الوجود في هذا الوقت. على أنه في عصر رمسيس الرابع كثرت زراعة الرمان فأصبحت فاكهة محلية شائعة
(٣) وجدت في بعض أكاليل موميات الأسرة العشرين أوراق مأخوذة من أشجار الزيتون وكانت ثمار هذه الاشجار توضع في قدور وتسلم للمعابد في عصر رمسيس الثالث، وكانت أشجار الزيتون مقدسة وذات علاقة بالآلهة : بتاح وحوروس وتحوت وسيت إذ كان كل منهم يلقب بلقب تدخله كلمة شجر الزيتون. وبالرغم من أن شجر الزيتون كان يزرع بكثرة في الدولة الحديثة، وبخاصة بجوار هليوبوليس، إلا أنه لاشك في أن كميات كبيرة من الزيوت الأجنبية كانت تستورد من الخارج، فلقد ورد ذكر « الزيت الاخضر الحلو » ضمن أنواع الجزية المأخوذة من بلاد سورية وفلسطين، كما كان يورد للمعابد، بكميات قليلة، نوع آخر من الزيت أحمر اللون. ولقد كان المصريون في حاجة دائمة الى كميات كبيرة من الزيت لعمل الادھنة والزيوت الذكية الرائحة. أما « السبعة زيوت المقدسة » التي نراها في الاواني السبعة الخاصة بها في المقابر فلا يُد أنها كانت زيوتاً أجنبية وليست محلية، ولقد كانت أواني الزيوت تحلى بالازهار عادة عند نقلها الى المقبرة، كما كانت توضع في المعابد الى جانب السفينة المقدسة أما في المقبرة فانها توضع بجوار أواني السوائل المقدسة عند قدم الميت (٤) ورد ذكر التفاح ضمن الاشياء التي كانت تورد للمعابد

« شواب » وأشجار الأثل أو الطرفاء « أثر » (١) وأشجار السنط « شند » (٢) وأشجار النبق « نبس » وأشجار الهجليج (تمر العرب) والمحيط والصفصاف وغيرها من الأشجار الأجنبية التي استجلبت من خارج البلاد وأدخلت زراعتها في مصر

(٤) الأزهار: ونجد بينها أزهار اللوتس والبردى وغيرها، وكان يصنع منها ومن بعض الأغصان باقات جميلة، بعضها صغير وبعضها طويل كالعصا تزيد في ارتفاعها أحياناً عن طول الرجل الذي يحملها. وبعضها على شكل علامة الحياة « عنخ »، كما كان يصنع منها أكاليل للوميات

(٥) زراعة الخضر: ولو أن مناظر زراعة الخضر لم توجد على الجدران إلا أننا نرى بعض الخضر على موائد القربان وأكثرها الخس والبصل والكراث والثوم والفاقوس والفجل. فالخس كان ولا يزال من المأكولات الهامة في مصر، وكان في العصر القديم مخصصاً للالهين مين وآمون، ويظهر أنه كان رمزاً على الخصوبة، لذا فالتناجده ممثلاً في معبد الإله مين. كما كانت البامية والملوخية من الخضر القديمة. أما البقول فيمكن أن نذكر منها العدس والفاصوليا والتمرس والكزبرة والحمص

(٦) زرع العنب وقطفه وعصره: وكان العنب يهرس غالباً بالاقدام بعد جمعه (شكل ٧٠) على أن مايتبقى منه كان يوضع في أكياس كالتي رأيناها في الدولة القديمة تلف بين



(شكل ٧٠) ارواء العنب وجمعه ثم هرسه بالاقدام في المعصرة

(١) ولقد وجد هذا الشجر مرسوماً في نصوص الاهرام وله أوراق رفيعة، ولما كانت هذه الشجرة مقدسة فاتنا نجدها بجوار قبر أوزيريس بأغصانها الرفيعة التي تتدلى منها (انظر ارمان راكي الحياة في مصر القديمة صفحة ٣٠٨)، ولقد كانت تربط أغصان هذه الشجرة وتشد الى بعضها لتستعمل مسنداً توضع عليه الموميات (٢) وردت رسوم هذه الاشجار بأغصانها الشوكية وأزهارها الصفراء وأوراقها مصورة بأدق تمثيل طبيعي في مقابر بني حسن في الدولة الوسطى (انظر نيوبري - بني حسن جزء ٤ ، لوحة العنوان واللوحة ٦ ف . أما في الدولة الحديثة فقد تعرف عليها فرسنسكي انظر أطلسه ، جزء أول لوحة ٣٧١

عصوين في اتجاهين مختلفين حتى يؤخذ من العنب أكبر كمية ممكنة من العصير . وكان العصير يوضع بعد ذلك في جرار تملأ وتسد وتختم سداداتها ثم تحفظ في الأقبية والمخازن . فإذا حان وقت وليمة من الولاثم استخرج عدد من هذه الجرار ووضع في جانب من القاعة على قواعد من الخشب ثم زينت بالزهور والأغصان الشذية الرائحة

(٧) تحضير العسل والشمع : يظهر أن عسل النحل كان مقصوراً على الملوك وعلى المعابد خاصة لتقديمه قربانا للاله أوزيريس ، ولقد كان يستعمله الكهنة والأطباء كدواء يوصف لشفاء عدد كبير من الامراض (١) وبخاصة أمراض العيون (ويستعمله حتى الآن فلاحونا في مداواة عيونهم ومداواة التقيحات الجلدية) ، ويظهر أنه قد استعمل في العصر المتأخر ، نظراً لخواصه المطهرة - إذ أنه لا ينقل الميكروبات - في تهنيط الجثث أما أقراصه الشمعية فكانت تستعمل للاضاءة ، ولا سيما في المعابد ، كما انها اتخذت لعمل التائم الصغيرة وتمائيل صغيرة للآلهة كانت تستعمل في أغراض سحرية

القطعان

لم يهتم الفنان في الدولة الحديثة بتصوير مناظرها بالتفصيل كما اهتم زميله بذلك في الدولة القديمة . ومع ذلك فالتناجد بينها (١) مناظر القطعان وهي ترعى ، (٢) ثم مناظرها وهي تعود من المرعى ، (٣) ثم مناظر احصاء الماشية ، (٤) ثم مناظر تربيتها ابتداء من مناظر الوثب (حمير وماعز وأغنام وخنازير) وولادة الحيوان وارضاعه الى الطرق التي تتخذ لمداواة الحيوانات المريضة ، (٥) ثم مناظر ختم الماشية . وكان يحصى الختم أولاً في النار ثم يقيد الحيوان ويطبع الختم على احدى نخذي الحيوان الأماميتين (٦) مناظر تسمين الحيوانات وتربيتها ، فيرى حوش تربية الدواجن حيث يربي الأوز والبط والكرأكي ، ثم حوش التسمين الذي أعد للعجول والأبقار والوعول والغزلان ، ثم مناظر تربية الخيول التي أدخلت الى مصر في عصر الدولة الحديثة ، ثم مناظر الرعاة والمشرفين والمهيمين على شؤون التربية والتسمين

صيد الحيوان

(١) صيد حيوانات الصحراء : وهي تشمل الوعول والاسود والفهود والغزلان

(١) وما زال مستعملاً الى الآن يصفه الأطباء للمرضى بالصدر والسعال والخنجرة ، والمرضى بالبول السكري وفقر الدم

والضباع والحمر البرية والارانب البرية والنعام ، ولقد كانت تصاد بالقوس والنشاب ، على أن طريقة الصيد بالحبال ذات الخية (لاسو) كانت أيضا مستعملة على وجه أخص في صيد التياتل والغزلان . ومن المحتمل أن تكون قد تجاوزتها أيضا الى صيد النعام . ولقد كانت الارانب البرية تمسك في زمن الحصاد باليد من حقول القمح وتقدم لرب البيت

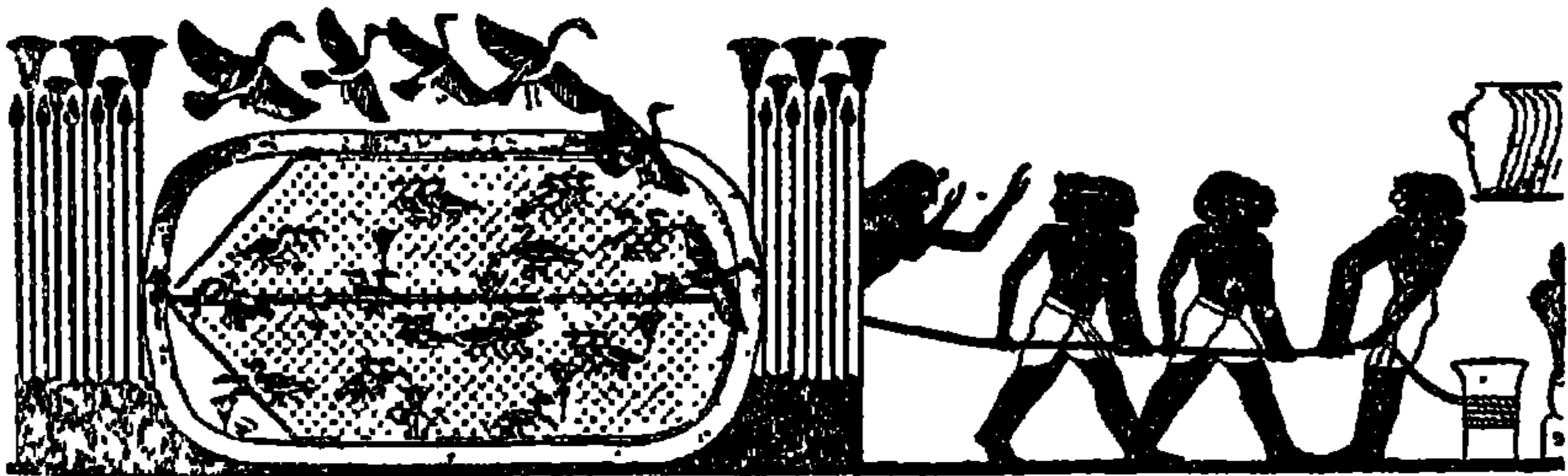
(٢) صيد النعام : ولقد سبق الكلام عنه في القسم السابق ، وكان النعام يجلب حياً ويساق الى الحظائر حيث ينزع ريشه ويؤخذ بيضه ليستعمل في الأغراض المختلفة ، ويلاحظ أن ريش النعام وبيضه كانا من ضمن الأشياء التي تقدمها الشعوب جزية منها لملوك مصر

(٣) صيد فرس البحر : وكان يقوم به العطاء بأنفسهم ولا يتركونه للاتباع ، كما كانت العادة في الدولة القديمة ، على أن الرسوم التي تمثل أفراس البحر في عصر الدولة الحديثة أقل وروداً منها في الدولتين القديمة والوسطى

(٤) صيد التماسيح : ومناظر هذا النوع قليلة الورد

صيد الطيور

كانت تصاد الطيور بالشباك ، وكانت الشبكة تصنع من الجريد والاليف كالكتان والليف ، وهي في المعتاد سداسية الشكل ، وبأحد طرفيها حبل قصير يربط الى وتد أو الى بعض شجيرات المستنقع الذي تنصب الشبكة على سطحه ، أما الطرف الآخر فبه حبل طويل يستعمل للشد . وكانت الشبكة ذات جزأين أو نصفين يتركان مفتوحين على سطح المستنقع أو الارض ، حتى اذا تجمع عليها عدد كاف من الطيور أشار رجل يختبئ بين البوص خاصة لهذا الغرض الى أتباعه بأن يشدوا الحبل الطويل فتقفل



(شكل ٧١) صيد الطيور بالشبكة السداسية الشكل

الشبكة بشقيها على الطيور . وكان يشترك في شد حبل الشبكة الواحدة فريق من الرجال يتراوح عدده بين الثلاثة والتسعة . (شكل ٧١)

وكانت الطيور التي تصاد في الشبكة ، وأغلبها من نوع البط والأوز تفرغ من الشبكة وتوضع في حيشان التسمين لتسمن أو تربط أرجل بعضها الى البعض وتدلى الرقبة ثم تقدم كحزمة أو ربطة لرب البيت ، أو تذبح وينزع ريشها وتملح ثم تعلق لكي تجف

صيد السمك

كان السمك يصاد : (١) بالشباك التي تسحب بين قارين ، أو بشباك من هذا النوع تسحب من قارب واحد (٢) صيد السمك بشباك الأيدي ، والرسوم التي وجدت ممثلة لها ترجع الى عصر متأخر نرى فيها رجلا في غابة بردي وهو يرفع شبكة من الماء (مطبوعات المتحف المصري) (٣) صيد السمك بالجالية (الجوية) لم توجد له رسوم في هذا العصر على الاطلاق (٤) الصيد بالشص ، كان في هذا العصر رياضة يستمتع بها العظماء (٥) وكان السمك بعد أن يصاد يجمع في سلال وتنتقى أطايبه وتقدم للسيد (مقبرة نخت حيث نرى رجلا يحمل على كتفيه نيرا علقت على طرفيه مجموعتان من الاسماك الجيدة) (٦) أما ما تبقى فقد كان ينظف وتقطع بعض أجزائه ثم يجفف

الاعمال المتعلقة بالمطابخ

ونرى بينها (١) شى الأوز (٢) طبخ اللحوم (٣) تجفيف اللحوم التي كانت تربط في العادة الى حبل يشد بين عمودين أو أكثر ، كما نرى غرف التخزين التي تحفظ فيها أواني النبيذ والجرة وموائد العيش والخضر والفاكهة وغيرها من المأكول ، وكانت هذه الموائد تحمل الى غرف الأكل أو فناء المنزل وتمد للضيوف ، وكانت تزين في الغالب بزهور اللوتس ، كما كانت تحلى أواني النبيذ والجرة بياقات وأكاليل منها

الاعمال المتعلقة بالفن والصناعات اليدوية

هذه الاعمال متعددة وكثيرة ، ويمكن تقسيمها الى الاقسام الآتية :

١ - اعمال التصوير والرسم

وقد تكلمنا عنها في القسم الخاص بها

٢ - النحت

(١) صناعة التماثيل : ففي مقبرة « رخمارع » (١) مثلاً نرى المثالين وهم يشتغلون في نحت تماثيل هائلتين للملك تحتمس الثالث ، أحدهما جالس والآخر واقف (شكل ٥١) وكلاهما من حجر الجرانيت الأحمر ، ولهذا الغرض فانه كان يقام حول كتل الحجر «سقالات» من الخشب حتى يتمكن العمال من التحرك عليها عند النحت ، وهذان التمثالان اللذان نراهما في الصورة وقد قارباً الانتهاء صنعا ليقدما هدية لمعبد الاله آمون

وكانت التماثيل تصنع أيضا من المرمر وخاصة الصغيرة منها ، كما كانت تصنع بعض تماثيل الملك من الخشب بالحجم الطبيعي ، وكانت الاخشاب المستعملة لصناعة مثل هذه التماثيل هي الأبنوس وخشب الأرز وخشب الجميز وخشب السنط . ويظهر أن بعض التماثيل الصغيرة كان يصنع من الأحجار نصف الكريمة كاللازورد والعقيق . أما التماثيل الصغيرة الجنازية « شوابتي » ، العادية فقد كانت تصنع من الحجر الجيري ومن المرمر . أما ما يعرف بتماثيل القرين « كا » ففضلا عن انها كانت تصنع من الاحجار ، فقد استمر بعضها في الدولة الحديثة يصنع من الخشب . ولقد وصلت اليها آلاف التماثيل الخشبية الصغيرة التي تمثل آلهة وحيوانات مقدسة كالفهود والقطط والاسماك والنموس ... الخ

(ب) صناعة أبي الهول : لم يكن الملك يمثل على شكل بشر فحسب ، وإنما كان يمثل أيضا على شكل أبي الهول . وكانت المواد التي تستعمل في صناعة تماثيل أبي الهول متعددة ، فأحيانا الحجر وأحيانا الخشب وأحيانا المعادن . ولقد كانت التماثيل الحجرية والخشبية تطلّى بالالوان ، وكانت تذهب غالباً لكي يكون جلد الأسد ظاهراً واضحاً ، أما معرفة الاسد فقد كانت تطلّى باللون الأزرق لتشبه اللازورد

ونجد مثالا لهذه الصناعة في مقبرة « رخمارع » (٢) حيث نرى المثالين ينحتون تماثلاً على شكل أبي الهول للملك «تحتمس الثالث» ويلونونه (شكل ٥١ صفحة ١٢٠)

٣ - قطع الاحجار

(١) نقل الاحجار الثقيلة والمسلات ، وكانت الاحجار إما أن تقطع في المحاجر ثم تحمل كتلا عظيمة الحجم ، أو يجري العمل فيها في منطقة المحجر نفسه فتصنع من هذه

(١) أنظر كتاب نيوبري عن مقبرة رخمارع ، لوحة ٢٠ .. الخ

(٢) نيوبري ، رخمارع ، لوحة ٢٠

الكتل التماثيل الضخمة والمسلات والتواييت . . . الخ ثم تنقل بعد ذلك من الحجر .
ولا نزال نرى إلى اليوم في محاجر اسوان تمثالا ملكياً ومسلّة راقدة بدأ العمل فيهما في
عصر سبتي الاول ، غير أنهما بقيتا في مكانهما ولم ينقلا منذ ذلك العهد . ولقد كانت الاحجار
الضخمة تنقل على زحافات من الحجر أولا ، ثم توضع في السفن التي توصلها الى
المكان المقصود

(ب) فاذا وصلت الكتل إلى المكان المقصود بدىء بقياس ابعادها ثم خطت عليها
علامات لارشاد العامل ، ومثال ذلك نجده في مقبرة « رخمارع » ^(١) حيث نرى ثلاث كتل
من الاحجار الضخمة العلوية منها يشتغل فيها عامل واحد يمسك في احدى يديه الأزميل ،
وفي اليد الأخرى المطرقة التي سيهوى بها على أزميله . أما الكتلتان السفليتان فيشتغل في
كل منهما ثلاثة عمال ، بعضهم بالأزميل ، وبعضهم بقياس الكتلة ، وبعضهم بصقل
أجزاء منها . . . الخ

(ج) صناعة موائد القربان الكبيرة - وتسمى بالمصرية القديمة « حتب » - ، وهذه
الصناعة نجد مثالا لها في مقبرة « رخمارع » أيضا ، (شكل ٥١)
(د) صناعة الأبواب الوهمية من كتلة واحدة من الحجر

(هـ) صناعة الأعمدة من الحجر والخشب ، وكانت الأعمدة الحجرية بعد أن تنحت
تصقل ، أما الأعمدة الخشبية فيغلب على الظن أنها كانت تذهب أو تلون بالألوان بعد أن
يتم صنعها

(و) التواييت - لم ترد رسوم تمثلها وهي تصنع ، وإنما كانت التواييت نفسها تغطى
بالنقوش ، فتابوت تحتمس الاول والملكة حتشبسوت وكلاهما صنع على طراز الصندوق
الذى شاع استعماله في عصر الدولة الوسطى مع غطاء مسطح أو مقبب قليلا ، حليا بعيون
« أوزات » ورسوم أولاد حوروس وكذا ايزيس ونفتيس مع بعض النصوص المحفورة .
أما تواييت « توت عنخ آمون وحر محاب وآي » فهي مزينة بالنقوش وعلى أركانها
الاربعة تماثيل مجسمة للالهات ايزيس ونفتيس ونيت وسلكت ناشرة أجنحتها حول
التابوت لحماية جثة الملك ، وأغطيها مقبية ، أما تابوت رمسيس الثالث فهو مغطى بنقوش
غائرة ومناظر مأخوذة من العالم الآخر بعضها يمثل حيوانات مقدسة ، وقد مثلت عند
القدمين والرأس الالهتان ايزيس ونفتيس بأجنحتهما

(١) نيوبرى - رخمارع ، لوحة ٢٠

(ز) صناديق الأحشاء « كانوب » المصنوعة من الحجر - كانت هي أيضا كالتواييت تحلى بالنقوش ، وهي توجد عادة في قبور الملوك . فصندوق أحشاء « توت عنخ آمون » صنع من كتلة واحدة من المرمر وطى أركانه الأربعة تماثيل بارزة للاربع الهات التي وجدناها على التابوت . وصندوق أحشاء الملك « حرمحاب » يماثل الصندوق الذي سبق ذكره ، وكذا صندوق « امنحتب الثانى » . أما صندوق الملكة « حتشبسوت » فهو بسيط يماثل التابوت في بساطته وصنعه ، فهو مصنوع من كتلة مربعة الشكل تقريبا من الحجر الرملى الأحمر وعلى بشرائط من الكتابة في الخارج . ولما كان من الصعب علينا أن نميز من النقوش ما اذا كانت الصناديق المرسومة على الجدران مصنوعة من الحجر أو الخشب ، إلا أنه يمكننا القول على سبيل الترجيح أن الاشخاص العاديين كانوا يصنعون صناديقهم غالبا من الخشب

٤ - تفريغ الاصحاح لعمل الاوانى

كانت الأوانى التى تصنع بهذه الطريقة تحلى بالكتابات وبكثير من الصور الملونة الجميلة ، ولقد أثبت ما عثر عليه في الحفائر أن الكثير منها على درجة مدهشة من الجمال والدقة ، مثال ذلك أوانى المرمر التى عثر عليها في مقبرة توت عنخ آمون ، وقد بلغ من دقة صنعها أن أصبحت شفافة يرى الانسان ما وراءها ، كما هي الحال في مصباح المرمر الذى نرى من خلاله رسم الملك جالسا والملكة أمامه تقدم له علامة ملايين السنين ، فهذا الرسم ولو أنه قد رسم على السطح الخارجى للاناء الداخلى إلا أنه يمكن رؤيته في جلاء خلال الاناء الخارجى ، وعلى الأخص حين ينار المصباح وكانت الاوانى تصنع على أشكال متعددة ، ومما يجدر ذكره أن بعضها كان يصنع على شكل علامة الحياة « عنخ » هذا فضلا عن الصناديق والعلب التى كانت تصنع من المرمر ووجدت أمثلة عديدة لها في مقبرة « توت عنخ آمون »

٥ - ثقب الخرز

كان الخرز الذى يصنع من العقيق أو اللازورد أو الاماتيست أو غيرها من الاحجار ، ويستعمل لعمل القلائد والعقود ، لا يتم اعداده للغرض الذى صنع من أجله الا اذا ثقب حتى يمكن أن ينفذ الحيط فيه . وللتوصل الى هذا فان الصانع كان يضع الخرز في كتلة أمامه ثم يجبسه جيدا فيها لكيلا يتحرك عند الثقب ، ثم يضع في وسط الخرز مثقابه

ويحركه بشيء أشبه بالقوس له خيط فيدور المثقاب في الثقب الذي بدأ فيه حتى ينفذ منه .
وكان يجلس في بعض الاحيان صانعان تجاه بعضهما يشتغلان في ثقب الصفوف المتعددة من
الخرز المثبت بطريقة « التجبيس » الى كتلة واحدة موضوعة بينهما ، كما هي الحال في
رسم مقبرة « بومرع »^(١) ويرى الصانعان في الرسم وقد وضعا قدميهما على الكتلة حتى
لا تتحرك في أثناء العمل ، كما يرى مرسوما فوقهما صناديق عليها عقود تم صنع خرزها
وربما كانت الصناديق تحتوي على الأحجار المعدة لصنع الخرز^(٢)

٦ - تحنيط الجثة

بالرغم من أنه لم يعثر الى الآن على رسوم تمثل عملية التحنيط نفسها ، الا أنه قد
أمكننا معرفة الشيء الكثير عنها من مؤلفات الكتاب الاقدمين وخاصة هيرودوت في
كتابه الثاني (الخاص بمصر) فقرة ٨٥ وما بعدها ، إذ ذكر أنه « عندما يموت رجل
عظيم فان نساء عائلته يلطخن رؤوسهن ووجوههن بالوحل ، ويتركن جثته في المنزل ثم
يطفن في المدينة يولولن ويضربن أنفسهن ، وأقاربهن في صحبتهن . وكذلك يضرب الرجال
أنفسهم (ويقصد هيرودوت مانسميه اليوم بالطم) بمثل هذه الطريقة . وعندما يفعلون
ذلك فانهم يحملون الجثة لتحنيطها . وهناك قوم معينون للتحنيط ، فعندما تأتي جثة المتوفى
لهم يعرضون على حاملي الجثة ثلاثة أشكال مختلفة من التحنيط فأحسنها أغلاها ، وأحقرها
أرخصها . عند ذلك يقرر أقارب المتوفى أية طريقة وقع عليها اختيارهم ، وعند ما يتفقون
على الثمن فانهم يعودون بعد أن يتركوا الجثة للمحنطين ليقوموا بعملهم

« وطريقة التحنيط الاولى ، وهي أغلاها وأكثرها نفقة كانت كالاتي :

« يستخرج المخ بطريق الأنف بواسطة قطعة ملتوية من الحديد . وتستبعد الامعاء
من الجسم كلية ويخرجونها من شق يحزونه في جنب الميت بحجر حاد الطرف . وهذه
الامعاء كانت تنظف وتفصل في عصير البلح (نبيذ النخيل على حسب تعبير هيرودوت) ثم
تغطى بأصماغ مسحوقة ذات رائحة عطرية ، وبعد ذلك يملأ البطن بالمر والقرفة وغير ذلك
من المواد الشذية القابضة وتحاط الفتحة ثم يوضع الجسم في الترون سبعين يوما ثم
يستخرج بعد مضي هذه المدة ويغسل باعتناء ويلف في قطع من الكتان الناعم المطلق
بالصمغ . وأجرة تحنيط الجثة بهذا الشكل وزنة من الفضة (أى مايقرب من ٢٤٠ جنيتها)

(١) انظر دايفز - مقبرة بومرع بطيبة ، جزء أول ، لوحة ٧

(٢) انظر أيضا مقبرة « رخمارع » فرزسنسكي - أطلس ٣١٣

دأما الطريقة الثانية فكان المخ فيها لا يستخرج مطلقا ، وإنما كانت تحمل الامعاء وتذاب بواسطة حقن البطن بزيت يستخرج من شجر الأرز ، ثم تستبعد بعد السبعين يوما وهي في حالة السيولة . ويكون النترون في هذه الاثناء قد حل اللحم وأذاب كل شيء ما عدا الجلد والعظم (١)

دأما الطريقة الثالثة فكانت خاصة بالفقراء وهي تتكون من وضع مواد قابضة جدا في الجسم ثم تملحه لمدة سبعين يوما . أما تكاليف هذه العملية فضيلة جدا ، وديودور الصقلي يتفق على وجه العموم مع هيرودوت في روايته غير أنه يزيد على ما تقدم أن الشق كان يحز في الجانب الأيسر من الجسم ، وأن المشرح كان يفر بعد هذه العملية ، يتبعه من شهدوها وهم يرجونه بالطوب

أما عملية لف الموميات باللفائف (وهي عملية كان يلزم لها في بعض الاحيان نحو ألف متر من الشرائط) فقد وجدت لها عدة رسوم يظهر منها أن كل جثة كانت توضع في غرفة خاصة بها وتلف باللفائف فيها تحت اشراف كاهن مرتل . وهذا أمر له مغزاه ، إذ أن التراب المتطاير من الجثة في أثناء عملية اللف ، كان يجمع عن أرض الغرفة ويوضع في أكياس صغيرة حتى لا يكون قد فقد من جثة الميت ذرة من التراب حين دفنها في المقبرة (٢)

ويلاحظ أنه إلى جانب تحنيط الاجساد البشرية فقد حنط المصريون جملة أنواع من الحيوان وعلى الاخص الحيوانات التي كانت تتمثل فيها الآلهة . فمنذ عصر « أمنحتب » الثالث كان يحنط العجل « أبيس » ويدفن في السرايوم بجوار منفيس (سقارة) في توابيت هائلة صنعت من كتلة واحدة من الحجر ، وقد استمرت هذه العادة حتى عصر الرومان . وكما كان يحنط العجل « أبيس » و« منفيس » الخاصين بالالهين بتاح وأمون فان تماسيح الاله « سبك » - ومعبد هذا الاله معروف بكوم امبو - كانت تحنط أيضا ، هذا الى المئات من موميات الحيوانات الأخرى تملأ المتاحف والمجموعات الأثرية ، كموميات الغزلان والماعز والكلاب والقطط والقردة والتموس والتماسيح والضفادع والجعلان والأبيس والصقور والنسور والبوم والأوز والأفاعى والاسماك ، هذا عدا أفخاذ الحيوانات وقطع اللحوم التي كانت تحنط وتدفن في المقابر (٣)

(١) ثمن التحنيط بهذا الشكل كان يقرب من التسعين جنيها

(٢) أنظر ولكنسون - أخلاق وعادات قدماء المصريين ، جزء ٣ صفحة ٤٨٢ طبعة لندن

سنة ١٨٧٨ (٣) أنظر مقبرة تويا ويويا وغيرها من المقابر

٧ - صناعة المعادن

كان لصناع المعادن عالمهم الخاصة التي يشتغلون فيها (١) . وكانوا يبدءون بوزن الخامات (٢) ويلى ذلك (٣) ثم الصب ، وفي احدى الصور نرى العمال يؤدون عملية الصب وقد فرغوا من صب مصراعى باب (٤) . وكان بعض المعادن ، وخاصة النحاس والذهب والفضة والالكتروم تطرق لعمل الواح رقيقة منها . وكانت تحلى القصور الفخمة والمعابد في عصر الدولة الحديثة بقطع من أمثال هذه المعادن المطروقة ، فكانت الابهاء والصروح ومداخل المعابد وجدرانها والأبواب وقوائمها حتى الأرض التي تطؤها الاقدام تتوهج كلها بالذهب والفضة والالكتروم ، كما كانت المقاصير والسلاسل تغطى برقائق الذهب والفضة كما هى الحال في مقاصير توت عنخ آمون

وكانت تصنع من المعادن تماثيل أبى الطول - الصغير منها والكبير ، المصبوب منها والمصنوع بطريقة الطرق ، والمصفح منها والمطعم بالذهب - كما كانت تصنع الأقنعة من الذهب وكذا التواييت ، كتابوت توت عنخ آمون ، والنقوش ، وكذلك موائد القربان والمذابج كانت تتخذ من المعادن . وكانت العروش تغطى بصفائح الذهب ، وكذا الزوارق وعربات المراكب واللوازين وصواري الاعلام والمظلات والمقاصير كما وجدت بعض الصناديق مصنوعة من النحاس . أما الأواني والمرايا فهناك عدد كبير منها كان يصنع من البرونز ومن الذهب والفضة والالكتروم . أما قواعد الأواني فقد وجد منها ما صنع من البرونز ، كما وجدت قيثارات مصفحة بالذهب وعدة أدوات صغيرة صنعت من البرونز ومن الفضة . هذا عدا الأسلحة التي كانت تصنع من المعادن ، ولا نود أن نطيل في شأنها إذ أن لها مراجعها الخاصة

٨ - أسفال الصياغة وصناعة الذهب

من الصعب التفريق بين صانع المعادن وصانع الذهب ، ولكن نظراً لتعدد وتنوع

(١) انظر دايغر - مقبرة « بومرع » جزء أول لوحة ٢٥ و دايغر - مقبرتي موظفين عند تحتس الرابع ، لوحتي ٨ و ٢٣ ، الخ (٢) انظر فرزنسكي - أطلس تاريخ الحضارة المصرية القديمة جزء أول لوحة ٧٨ (٣) أطلس ١ - ٣١٦ و دايغر - مقبرة بومرع ، لوحة ٢٥ (٤) أطلس ، جزء أول (ونرمز اليه دائماً في كتابنا برقم ١ أى الجزء الأول) و ٣١٧ (أي لوحة ٣١٧) ومناظر متشابهة أيضاً في دايغر - بومرع جزء أول لوحة ٢٣ و ٢٦ . الخ

الاشياء التى كانت تصنع منهما يكون من الأوضح فى هذا الجدول أن نفرق بينهما ، على أنه يجب علينا أن نتذكر دائما أن المصنع الواحد كان يضم الاثنين معا ، وأن صانع الاوانى المعدنية كان يصنع أيضا الحلى وما إليها . والرسوم (١) ترينا الصانع الذى يقدم لسيده الحلى كالتلائد والأساور وغيرها واقفا ، وإلى أعلاه صندوق من الأبوس مطعم بالعاج وانا من الذهب

ونذكر على سبيل المثال جانبا من الأشياء التى كانت تصنع فى مصنع صياغة الذهب كالتيجان وشرايط الجبهة - انظر توت عنخ آمون - والازهار المعدنية والتلائد المتعددة الاشكال والعقود وحليات الصدر والاساور والاقراط والخواتم والتائم وغيرها (انظر على الأخص رسوم مقبرتى « رخمارع وبويمرع »

٩ - بطاقة عينات الحلى والتائم

توجد فى بعض المتاحف أحيانا قطع من الخشب مركب فيها أشكال من الحلى والتائم المصنوعة من الذهب أو الاحجار الملونة ، كانت تستعمل كبطاقة العينات والنماذج ، وتوجد واحدة من هذا النوع بمتحف برلين محفوظة فيه تحت رقم ٢٠٦٠٠ ، وهى عبارة عن لوح من الخشب موضوع أو مطعم فيه نماذج تائم من العصر المتأخر (٢)

١٠ - الاحجار نصف الكريمة

الى جانب المعادن التى كانت تقدم لمصر ضمن الجزية المفروضة على الشعوب الاجنبية عدة أنواع من الاحجار الكريمة ونصف الكريمة . على أنه يظهر أن الاحجار الشفافة الرائقة - فيما عدا البلور الصخرى والاماتيست - لم يكن يقدرها المصريون كثيرا . وبالرغم من أن الملائخيت والفيروز - وهما حجران لونهما أخضر كان يحبهما المصريون - كانا يستجلبان من شبه جزيرة سينا ، إلا أن الاول منهما هو والفلسبار كانا يردان ضمن الجزية المفروضة ، كما كان اللازورد الازرق يقدم فى الجزية الآتية من بلاد « رتنو » واشور وبابل ، وقد بلغ من كبر حجم قطعه أنه كان يصنع منه الواح صغيرة وتماثيل لاني الهول وتماثيل اخرى صغيرة وبعض الاوانى . أما اليشب الاحمر JASPER ، فقد كان يأتى به أمراء النوبة ويقدمونه لمصر . وكان يؤخذ العقيق الاحمر من الصحراء الشرقية

(١) انظر أطلس ، جزء أول ، لوحة ٣٥٨

(٢) انظر أيضا روزنبرج - التطعيم فى الذهب والفضة ، صفحة ١

حيث يوجد على هيئة حصى . وبذلك كان لدى المصريين أنواع الاحجار نصف الكريمة التي كانوا يستعملونها لزخرفة توابيتهم الريشية وترصيع ما عليها من كتابة ونقوش ، ولعمل تماثيلهم وحليهم وبعض أدواتهم منها ، كما كانوا يستعملونها أيضا في فن العارة ، فكانت الشرفة التي يظهر عليها الملك ترصع بالملاخيت واللازورد ، وكذا الابواب (١)

١١ - الاحجار المقطوعة المستعملة أختامها

وهذه إما أن تكون على شكل الجمل الذي تنقش قاعدته غالبا بالاسم ، وأحيانا برسم آلهة أو بدعاء أو بزهور أو بعلامة خاصة مقدسة . واما ان تكون اسطوانية الشكل أو ذات أشكال أخرى مختلفة . ومما يجدر ذكره أنه في عصر امنوفيس الثالث كان ينقش على الجملان بعض الحوادث الهامة كحفر ترعة أو صيد موفق . الخ . وكانت الجملان تصاغ في الخواتم والاساور وحليات الصدر وغيرها مما يلبس حلية ، كما كانت تستعمل لختم الأوراق والمستندات ، ونرى الصناع في بعض المناظر يشتغلون بصناعة هذه الاحجار ونقشها باسم الملك

١٢ - « صبيبت »

هي أصلا عقد الالهة « حتحور » الذي صار رمزاً عليها ، وليست آلة موسيقية ، ويرد ذكرها غالبا مع « الشخصيشة » (سستروم) ، وكانت نساء الطبقة العالية في الدولة الحديثة عند ما يكن كاهنات للالهة « حتحور » يمسكنها في ايديهن مع « الشخصيشة » فتقدت بذلك استعمالها الأول كعقد يلبس . وفي بعض النقوش ترى السيدة تحمل اثنتين منها ، احدها عليها اسم الملك . وكانت هذه القلادة تنقل القوى المختلفة لمن يلمسها ، ولاعجب في ذلك فان الام « حتحور » و « سخمت » و « ايزيس » و « نفتيس » كن يلبسها حول أعناقهن ، كما نجد لها أيضا حول عنق البقرة « حتحور » وحتى مع الاله « خنس » وقد انتقلت بعد ذلك بنحوها الى عبادة « آمون »

وكانت هذه القلادة تصنع في ورش الصياغ حيث نراها في النقوش وقد تم صنعها (٢) كما نراها بين العطايا التي تقدم للميت (٣)

(١) انظر ارمان رانكي - الحياة في مصر القديمة صفحة ٧٧

(٢) انظر اطلس ١ - ٢٦٣ (٣) انظر ديفز - مقبرة بومرع جزء أول ، لوحة ٣٨

ولم تكن هذه القلادة قد ظهرت تماماً في الدولة القديمة ، على أن ظهورها قد بدأ
يكثُر في الدولة الوسطى . أما في الدولة الحديثة فقد بطل استعمالها بواسطة كهنة الالهة
« حتحور » ، واقتصر استعمالها على كاهنات هذه الالهة اللاتي كن يحملنها في أيديهن كما
سبق ذكره . ومما يجدر ذكره أن « آشور بانيبال » كان يعلقها في فراشه كتميمة

١٣ - صناعة العاج

وصلت اليينا من عصر ما قبل التاريخ بضع أدوات صغيرة مصنوعة من العاج ، غير
أنه أصبح قليل الوجود في عصر الدولة القديمة ، وقد يكون السبب في ذلك أن الفيل
لم يعد يعيش في مصر في ذلك العصر ، على أننا حين نصل الى الدولة الوسطى نجد العاج
وقد ظهر في المقابر على شكل تماثيم ، أو قطع طعنت بها بعض الصناديق . وحين نصل
الى الدولة الحديثة نجد العاج مصوراً في النقوش ، ونجد صور العمال الذين يشتغلون
بصنعه . وكان العاج من ضمن الاشياء التي تشملها الجزية المقدمة من بلاد النوبة ومن
سوريا . واشغال العاج نجدها ممثلة بوضوح في مقبرة « رخمارع » وخاصة الصناديق
الصغيرة التي كانت تصنع منه . ومما يجدر ذكره أن العاج الذي كان يستعمل في التطعيم
كان يلون بالألوان المختلفة . وهذا جدول بأهم الاشياء التي كان العاج يدخل
في صناعتها :

الصناديق المصنوعة من الخشب ومطعمة بالعاج
الصناديق المصنوعة من العاج ومطعمة بالاحجار الملونة أو بالذهب
الكراسي المطعمة بالعاج

الاوانى والصحاف المصنوعة من العاج بأشكال مختلفة
ملاعق الأدهنة

مساند الرأس المصنوعة من الخشب والمغطاة بالعاج
التماثيم

التماثيل الصغيرة

الأمشاط

أيدي المرايا

العصى وأيديها التي كانت تنقش وتطعم نقوشها بالعاج

الدمالج والاقراط
رقعة الشطرنج
الدمى . . الخ . . الخ

١٤ - صناعة أصراف السلخانة

بالرغم من وجود السلاحف في مصر فإن صناعة الاصداف كانت نادرة . وكان يصنع منها في العصر المتقدم الدمالج (الاساور) على أنه ابتداء من الاسرة الثامنة عشرة صارت الأمشاط والصحاف وصندوق الصوت في الآلات الموسيقية تصنع منها أيضا . ويكاد يكون من العبث البحث عن هذه الصناعة في نقوش المقابر . أما رسم الاواني المصنوعة منها بالدير البحري^(١) فربما تكون لآنية آتى بها من بلاد « بونت » حيث تكثر السلاحف

ولم تكن السلاحف تؤكل في مصر ، وإنما كانت تستعمل في أغراض طبية ، وكدواء ضد سقوط الشعر . وفي العصر المتأخر كان الملك يقتلها في الطقوس الدينية على اعتبار أنها حيوان يتمثل فيه الاله « سيت » اله الشر والجذب ، كما أنها كانت تذبح وذلك لكي يتمكن قارب الشمس من أن يسير في رحلته في طريق مأمون

١٥ - صناعة الكهرمان

أدخل الكهرمان الى مصر في عهد الدولة الحديثة ، إلا أنه كان من النادر جداً استعماله في صنع الجعلان والخرز

١٦ - صناعة القاشاني

لم يكن القاشاني يشكل على العجلة الدائرة كالفضار ، وإنما كان يعجن في أوان حجرية ثم تشكل العجينة بعد ذلك إما باليد وأما في القوالب . ولدينا رسم بمقبرة « أبا » نرى فيه رجلا يعجن مادة القاشاني في اناء حجرى ثم يأخذ جزءاً من هذه العجينة يعطيه لصانع آخر يصنع منه زنبقة وهى الزهرة التى تعد رمزاً على الجنوب^(٢) وكان يصنع من القاشاني التماثيل الجنازية الصغيرة (شوابتي) ونماذج لتوايت الشوابتي

(١) نافيل - الدير البحري ، ٣ لوحة ٧٨

(٢) دايفز - دير الجبراوى ، جزء أول . لوحة ٢٥ . وأطلس ١ - ١٣٥

وتماثيل الحيوانات كأفراس البحر والفيران والضفادع والسمك الصغيرة والأسود والأسماك والتماثيل التي على شكل حيوانات وقصور الأحشاء (وهي نادرة) والصحاف التي تحلى من الداخل برسوم أزهار اللوتس أو الأسماك أو القوارب أو القردة أو رسوم أبي الهول أحيانا، والأواني من جميع الأحجام والأشكال وبخاصة أواني السوائل المقدسة، وقواعد الأواني، والصناديق الصغيرة، والعلب، وملاعق الأدهنة و«الشخشيخة» المقدسة «سستروم»، وعلامة الحياة «عنخ»، والتماثيل من مختلف الأنواع، وأنشودة إيزيس «ثت»، وأعمدة أزريس «دد»، ومضارب الطيور، والدي، وأحجار اللعب، وحليات الصدر، والأساور، والخواتم، والخرز لعمل القلائد والعقود، وشبكات الخرز لتغطية الموميات وما إليها، ونماذج الفواكه التي كانت توضع في المقبرة، والزهور، والخراطيش بأسماء الملك، والألواح الصغيرة، وودائع الأسس، والقرميد الذي كان يمثل عليه الأسرى مقيدون، ويستعمل لتطعيم جدران المعابد كمعد رمسيس الثالث بتل اليهودية. وكان يستعمل القاشاني أيضا في تطعيم المقاصير الخشبية التي كانت تحيط بالتابوت، كما نرى ذلك في مقصورة توت عنخ آمون الخارجية التي طعنت بالقاشاني الأزرق

١٧ - النجارة وصناعة الخشب

(انظر أيضا صناعة الاقواس والنشاب وبناء العجلات « العربات ») من المناظر التي تكاد تكون جديدة في ورش النجارة في الدولة الحديثة، الى جانب المناظر القديمة المتعارفة منظر الأخشاب الأجنبية النادرة التي كانت تصق على أخشاب رديئة أو عادية لتعطيها مظهراً فخماً جذاباً من الخارج. وهذه الرسوم ترينا أحد العمال وهم يضعون الغراء على النار لاذابته، بينما يشتغل آخر في صقل قطعة من الخشب، ثم نرى الثالث وقد أخذ يغطي لوحاً من الخشب بطبقة من الغراء بشيء أشبه بالفرجون لكي يكون معداً للالصاق الطبقة الخارجية عليه (١)

وكانت تخرج من هذه المصانع (٢) المقاصير المعدة لوضع التوابيت والتماثيل، وكذا التوابيت، وصناديق الأحشاء، والأبواب، والأسرة، ومساند الرأس، والمحفات،

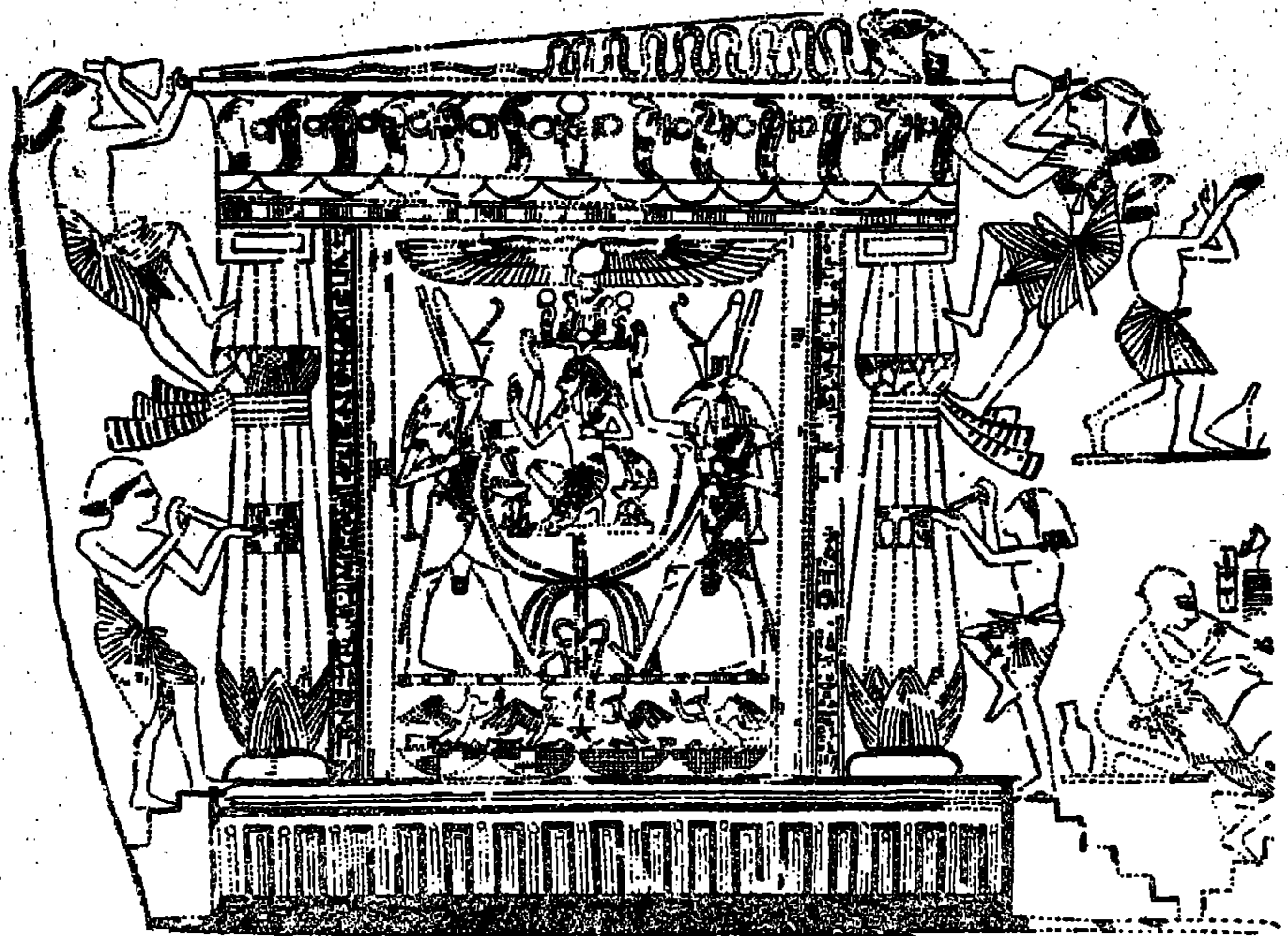
(١) انظر أطلس جزء أول ٣١٥ (٢) انظر مناظر ورش النجارة في دايفز - بومرغ ١ لوحة

٢٦ ونيوبري - رخمارع . لوحة ١٧ وما بعدها ودايفز مقبرتان من عصر الرمامسة . لوحتي ٣١ و ٣٧ . الخ

والكراسى من مختلف الأنواع ، والموائد ، والصاديق ، والأعمدة ، والعصى ، وايدى المراوح ، وأدوات الزينة كأوانى العطور والأدهنة والأمشاط وما إليها ، ومفاتيح الابواب المصنوعة من الخشب ، وهى تشبه المفاتيح المستعملة فى بيوت الفلاحين الآن . والواقع أن نجارى جبانة طيبة كانوا حاذقين ، ولقد شيد بذكر كفائتهم ومهارتهم على احدى اللوحات

ولزيادة البيان فأتينا نورد تفصيلا بسيطا لتلك الاعمال :

(١) - المقاصير الخارجية التى توضع فيها التماثيل والتوابيت وردت لها صور كثيرة على جدران المقابر ، وكان الكثير منها يحلى بالنبشوة ايزيس (ثت) وأعمدة الـ « دد » الخاصة بأوزيريس ، كما نرى ذلك فى المقصورة الفخمة الكاملة التى عثر عليها فى مقبرة «توت عنخ آمون» ونقلت الى المتحف المصرى ، على أن منها ما كانت له أعمدة وخصص لوضع تمثال الملك ، ومثاله المقصورة التى ورد رسمها فى مقبرة المثال «أبوى» (شكل ٧٢) وهى



(شكل ٧٢) مقصورة « أمنحتب » الأول ، ويرى العمال وهم يشتغلون فى صنعها وصفلها وكتابة أسماء الملك على الأعمدة ، كما يرى فى وسطها شكل راح للملك على علامة اتحاد القصرين بين الالهين « سيت » و « خوروس »

مقصورة صنعها تكريماً للملك «امنحتب» الأول المؤله ، ونرى العمال يشتغلون في عملها وصقلها وكتابة أسماء الملك على الأعمدة ، بينما نرى في وسطها شكلاً راء كها للملك على علامة اتحاد القطرين بين الالهين « سيت » إله الوجه القبلى و « حوروس » إله الوجه البحرى وتحتهم رمز يدل على أن البشر أجمعين «رخيتنب» يعبدون الملك الذى يحكم القطرين^(١)

(ب) - صناعة الابواب : ولو أنها غير واضحة تماماً فى الرسوم إلا أنه يمكننا دون خوف أن نعتبر الألواح التى نراها فى ورش النجارة ولها مسامير فى الركنين الأعلى والأسفل كأبواب صنعت مساميرها هذه لتدور عليها فى الفجوات المعدة لها بعتبة الباب (ج) - التواييت : لم ترد رسوم كثيرة تبين صنعها ، ما عدا رسماً^(٢) لتابوتين على شكل انسان يشتغل العمال فى طلائهما بالألوان بعد أن وضعت فيهما الجثث . وهنا يجب علينا التفريق بين ١ - أغطية الموميات التى تصنع من الورق المقوى ٢ - التواييت التى على شكل انسان (موميا) ٣ - التواييت التى على شكل صندوق الخشب أو الحجر ٤ - المقاصير التى كانت تغطى التابوت . وكانت جثث الملوك توضع فى المعتاد فى عدد من هذه الخنايا ، فجثة « توت عنخ آمون » قد وضعت أولاً فى اللقائف ثم حليت بأشرطة من الذهب عليها كتابات محفورة ومطعمة بالأحجار نصف الكريمة ، ووضع قناع ذهبى على الرأس والكتفين ، ثم وضعت الجثة بعد ذلك فى تابوت من الذهب الخالص على شكل انسان بلغ وزنه ١١٠ كيلو جرامات ووضع التابوت الذهبى فى تابوت من الخشب على بالأحجار الملونة وصفائح الذهب ، وهذا التابوت الثانى وضع بدوره فى تابوت خشبى ثالث على بالأحجار الملونة وصفائح الذهب ، ووضعت هذه التواييت الثلاثة فى تابوت رابع من الحجر الرملى على شكل صندوق هائل على جوانبه الأربعة تماثيل بارزة للالهات الجنائزية الأربعة (ايزيس ونفتيس ونيت وسلكت) ، واقامت فوق هذا التابوت الحجرى الخارجى ثلاث مقاصير ، الخارجية منها عملة برموز « ايزيس » و « اوزيريس » وقطع القاشانى ، والاثنان الآخران مغطتان من الخارج والداخل بصفائح الذهب المنقوش عليها عدد من الآلهة الجنائزية وآلهة العالم الآخر «دوات» مع نصوص من كتاب الموتى ، وفى المقصورة الأولى نص يتضمن قصة هلاك البشر

(١) انظر دايفز - مقبرتان من عصر الرمامسة . لوحة ٣٧ (٢) انظر دايفز - مقبرتان من عصر

الرمامسة ، لوحة ٣٦

وهذه الطريقة لا بد كانت متبعة في دفن جثث باقى الملوك الآخرين ، ولكن مقابرهم قد نهبت منذ قديم الزمان واختفت معظم الجثث بما معها من نفائس وكنوز

(د) - صناديق الاحشاء (المصنوعة من الخشب) : كانت تحلى من الخارج بأشكال مختلفة، بعضها يمثل أولاد « حوروس » أو « ايزيس » و « نفتيس » وقد موهت هذه الاشكال بالذهب . وكانت الصناديق تصنع على طراز التواييت الخاصة بها من حيث المادة ونوع النقش ، فكان التابوت اذا صنع من الأبنوس مثلاً صنع صندوق الاحشاء من هذا الخشب أيضا وهكذا ، وبعض هذه الصناديق كان يوضع على زحافة كالتواييت ويحرق الى المقبرة ، والبعض الآخر كان يوضع على قواعد ويحمل الى المقبرة ، وربما غطى بالمظلات ، والبعض كان يحمل كما هو على أكتاف الرجال

(هـ) - النعوش (الأسرة الجنازية) : كان يحلى الجزء الامامى من كل منها برأسى لبؤة أو بقرة أو فرس البحر ، وهى ترتكز على قوائم هذه الحيوانات ، ومثال ذلك نجده فى تلك النعوش الثلاثة التى استخرجت من مقبرة « توت عنخ أمون » والموجودة الآن بالمتحف المصرى ، وقد عثر على أجزاء من مثل هذه الأسرة فى مقبرة حار محاب أيضا

(و) - الأسرة : كانت فى المعتاد أضيق من الأسرة الجنازية السابقة ، وقد وردت صور كثيرة لها على الجدران حيث نرى الصناع مشغولين بتحضير الخشب لها ثم بتركيب أجزائها وتثبيتها وثقب بعض أجزائها بالثقاب ... الخ ، كما نجدها مرسومة وقد وضعت تحتها الصناديق أو أوانى الأدهنة والعطور .. الخ

وأجمل الأسرة التى وصلت إلينا استخرجت من مقبرة « يويا وتويا » ومن مقبرة « توت عنخ أمون » . وهى ترينا أقصى درجة من الدقة والجمال فى صناعة الاثاث ، وقد زينت ألواح القدمين بأشكال جميلة للاله « بس » والالهة « سخمت » و « تا أورت » وهى آلهة كان من المعتقد أنها تحمى النائم وتحرسه . وبعض أسرة « توت عنخ أمون » صنع من الأبنوس وطعم بالذهب والعاج ، وبعضها غطى خشبه بصفائح سميكه من الذهب جعلها تتوهج وتتألق حسنا وجمالا ، وكانت أرجل الاسرة تصنع فى المعتاد على شكل أرجل الحيوان من فصيلة السناير أما الجزء المستعمل للنوم فقد كان يتكون من شبكة من الالياف المجدولة والحبال تشد الى اطار من الخشب

(ز) - مساند الرأس : تأتى فى الترتيب بعد الأسرة مباشرة ، لأنها كانت بمثابة الوسائد لها . وهناك من يقول ان مساند الرأس نوية الأصل ، لأنها ترى

ضمن جزية بلاد النوبة إلى مصر ، ولأن هذه المساند لا تزال مستعملة الى الآن في بلاد النوبة . ولكن هناك أيضا من يقول انها وجدت منذ عصر ما قبل التاريخ في الدلتا (١) ومهما يكن من شيء فالتا نجد مساند الرأس منذ عصر مبكر من الدولة القديمة ويستمر وجودها خلال تاريخ مصر القديم كله

وبعض مساند الرأس حفرت عليها أشكال لرءوس الاله «بس» أو لزهور اللوتس أو تمثال صغير للاله «شو» يحمل الجزء المقوس الذى يضع عليه النائم رأسه ، وهذه كلها مساند رأس من العاج استخرجت من مقبرة «توت عنخ أمون» ومحفوظة بالمتحف المصرى . غير أن هناك أشكالا أخرى أبسط من هذه صنعت من الخشب ومن المرمر ومن الاحجار ، وقد موه بعضها بالذهب وصنع البعض الآخر على شكل كرسى يطوى ، وغطى بالجلد أو بالالياف المجدولة . وبعضها صنع من أحجار نصف كريمة - وقد اتخذ من مسند الرأس تيمة أغرم بها المصريون كثيرا

(ح) - الكراسى والمقاعد : وردت رسوم هذه المقاعد على جدران المقابر بجميع أنواعها ابتداء من الكرسى البسيط الى كراسى العرش العالية الفخمة وكانت الأرحل تخرط على شكل قوائم الأسد أو الحيوان ، وتصنع الاجزاء والاطارات المختلفة والظهر ثم تغطى بالذهب أو تنقش بأشكال مختلفة تطعم بالعاج والأبنوس أو ترصع بالجواهر والاحجار نصف الكريمة ، وبعض هذه المقاعد كان طويلا بحيث يسع اثنين يجلسان عليه فهو من قبيل ما يسمى «الشازلونج» الآن ، وبعضها كانت له مساند جانبية أى أذرع يشبه بها ما يسمى الآن «الفوتيل» ، وبعضها كان بدون مسند للظهر ، وبعضها كان من الصنف الذى يطوى ويستعمل الآن فى العسكرية والرحلات ، وكانت أرجله تصنع فى المعتاد على شكل رءوس الأوز أو البط ، ومنها ما كان واطئا خفيفا يسهل حمله ، ومنها ما كان ذا ثلاث أرجل يستعمله الصناع فى جلوسهم فى أثناء العمل

وكانت الكراسى تغطى فى المعتاد بوسائد من الجلد أو القماش الموشى بالذهب والفضة ، رسمت على بعضها أشكال متعددة لأشخاص أو نباتات أو زهور أو أشكال هندسية ملونة ، أو تغطى مقاعدها بشبكة من السيور أو الحبال المجدولة تشد الى اطار المقعد ، وكانت الكراسى تصنع من الخشب والأبنوس المطعم بالعاج أو المغطى بألياف نبات البردى (كما هى الحال فى أحد كراسى توت عنخ أمون) ومن المعدن الذى كان

(١) أنظر ينكر - تقرير بعثة أكاديمية العلوم بفينا الى غرب الدلتا ، صفحة ٢٢

يصنع منه بعض كراسى العمال ذات الثلاث أرجل (١)

(ط) مواطىء الاقدام : كانت تصنع من نفس طراز الكراسى الخاصة بها ، فاذا كانت خاصة بكراسى ملكية زينت برسوم الأعداء مقيدىن حتى يطأهم الملك تحت قدميه ، وبعض مواطىء الاقدام كانت مغطاة بالجلد أو السيور المجدولة ، على أن معظمها كان يصنع من الخشب الذى يحفر على شكل الحصير

(ي) - الموائد : إما مستديرة أو مربعة أو مستطيلة . وكانت الأولى تستعمل عند تناول الطعام وهى تتكون من مسطح مستدير يرتكز على عمود أو قائمة فى الوسط ، أو على رأس تمثال أسير . وكان يصنع للموائد الكبيرة ثلاث أرجل أو أربع ، وتغطى جوانبها أحيانا . ومع أن معظم الموائد كانت تصنع من الخشب إلا أن كثيرا منها صنع من المعدن أو الحجر ، وهى تتبع فى حجمها وشكلها الغرض الذى صنعت من أجله

(ك) - الصناديق : كانت الصناديق تصنع من أنواع عديدة من الخشب الذى يغطى بصفائح الذهب أو يطعم بالعاج أو بالقاشانى الملون ، أو يدهن بالطلاء أو ينقش . ونرى الصناديق فى نقوش الجدران فى أثناء الصنع أو بعد أن يتم صنعها حيث توضع جانبا بجوار العمال . وهى تستعمل لحفظ الملابس أو الحلى أو أدوات الزينة كالعطور والأمشاط والمرايا وما إليها . وكانت تحمل الى المقبرة عند الدفن حيث يوضع فيها أوانى السوائل والبخور التى كان يصنع بعضها من القاشانى

وتظهر بعض الصناديق الثمينة المصنوعة من الأبنوس والعاج ضمن الجزبة التى كانت تقدمها بلاد النوبة لملك مصر ، فكانت تستعمل لحفظ الخواتم الذهبية والحلى ، لذا فالتا نجدها غالبا فى الصور بجوار ميزان الذهب وفى الغرف المخصصة لحفظ النفائس . وكان للكتابة صناديقهم التى يحفظون فيها ملفات البردى وأدوات الكتابة وما إليها

وكان لهذه الصناديق أرجل ، وهى فى المعتاد مستطيلة الشكل ولها غطاء مقبب من أحد طرفيه ومسحوب من الطرف الآخر ، وكان للصندوق فى العادة مزلاجان أحدهما فى الجزء المقبب من الغطاء والآخر على حافة الصندوق العليا ، وكان يشد اليهما حبل أو خيط يلف ثم يختم عند قفل الصندوق

(١) أنظر ولكنسون - أخلاق وعادات قدماء المصريين . جزء أول صفحة ٤١٤

١٨ - صناعة القوس والنشاب

في المناظر الممثلة على الجدران نجد صناعة القوس وإلى جانبها صناعة السهام دائما ، والاقواس نجدها ممثلة في الغالب كاملة الصنع ، على أنه يمكننا أن نعطي أكثر من مثل واحد على مناظر تمثل الاقواس في دور الصناعة ^(١) نرى في بعضها عاملا وقد وضع القوس على قاعدة تشبه المائدة وأمسك به بيد بينما هو يشتغل في تهذيبه بقادوم في يده الأخرى . وفي منظر آخر على لوح من الأسرة الثامنة عشرة نرى رجلا يلعب : « رئيس صناع الاقواس » وهو يعمل مع اثنين من مساعديه ، هو في تهذيب الخشب الذي يصنع منه القوس ومساعده قد أمسك بقوس صغير تام الصنع في يده يدهنه من إلقاء الألوان الموضوع أمامه ^(٢)

وهناك نوع من الاقواس يطلق عليه القوس المزدوج وله عدة أمثلة فخمة مغطاة بالذهب ومعلقة بالنقوش والكتابات استخرجت من مقبرة «توت عنخ أمون» ومحفوطة الآن بالمتحف المصري . وكانت توضع الاقواس عادة في صناديق خاصة بها وتودع مع الميت في المقبرة . وكان استعمال الاقواس فنا يتقنه الملوك ويتباهون بحذقهم فيه حتى إنهم كانوا يقولون عن أنفسهم أنه ما من انسان يستطيع أن يشد أقواسهم إلا هم أنفسهم ، وكانت للسهام التي يطلقونها قوة عجيبة تستطيع أن تحترق بها حتى اللوحات المعدنية أما السهام فقد كانت تعمل منها حزم توضع في الجعبة ، ولدينا مثال لجعبة لاتزال بها السهام محفوطة بالمتحف المصري ضمن نفائس «توت عنخ أمون» . وكانت السهام تختبر قبل اتخاذها للتأكد من استقامتها . وهناك رسم نرى فيه رجلا قد أتم صناعة أحد السهام ووضعها أفقيا بيديه أمام عينيه ليتبين استقامته أو اعوجاجه ^(٣) . وكان يوضع للسهم رءوس من البرونز أو العظم أو الاحجار ذات أشكال مختلفة . وكانت الاقواس ضمن الاشياء التي تشملها الجزية وبذا دخلت مصر أنواع أخرى من الاقواس الأجنبية ، فضلا عن الاقواس التي كان يستولى عليها المصريون في غنائم الحرب ، وهناك من النصوص ما يتحدثنا عن استيلاء المصريين على ألقي قوس من الليبيين ^(٤) . وكانت الاقواس التي تقدم في الجزية عادة من الاقواس الثمينة الغالية ومعظمها أقواس مزدوجة

(١) أنظر مثلا أطلس ، جزء أول ٨٠ و ٨١ ... الخ (٢) أنظر موريه - لوح من الأسرة

الثامنة عشرة ، صفحة ٩ (٣) أنظر أطلس ١ ، ٨١

(٤) أنظر مثلا برستد - سجلات قديمة جزء ثالث ٦٠١ الخ ...

١٩ - صناعة السياط وأخشاب العربات

كانت تصنع السياط من الاخشاب ذات الليونة الطبيعية وكانت تنعم ثم تدهن بعد ذلك بالألوان

٢٠ - أدوات التجارين وغيرها

بقيت هذه الادوات في الدولة الحديثة كما كانت قبل ذلك ، وقد عثر على نماذج كثيرة منها في ودائع الأسس ، كما عثر في الحفائر على أدوات أخرى كثيرة مستعملة كالقواديم والمطارق والمنشير والمثاقب والزوايا والأزاميل وغيرها من الأدوات المختلفة

٢١ - صناعة التنجير

في مقبرة « نقرنبت » نرى ثلاثة رجال يجلسون بجوار عمال الذهب ، يظنهم « فرزنسكي » أنهم يطرقون ألواحاً من المعدن ، ولكننا اذا أمعنا النظر فيهم رأيناهم يشتغلون في تنجيد بعض الكراسي الواطئة ذات الأرجل الطويلة التي نراها كثيراً في الدولة الحديثة عملة بمسامير من الذهب أو ما إليها (١)

٢٢ - صناعة الفخار

لم ترد صور هذه الصناعة في الدولة الحديثة مفصلة كما وردت في الدولة الوسطى في مقابر بنى حسن مثلاً، على أننا نصف منظرًا (٢) يصلح لأن يكون مثلاً يبين أدوار هذه الصناعة في الدولة الحديثة (شكل ٧٣) اذ كانت تعجن الطينة أولاً بالارجل ، فترى أرجل الرجل غائصة في الطين الى ما يقرب من الركبتين ، ثم تشكل العجينة على عجلة الفخار ، أولاً الى شكل مخروطي تشتغل فيه الأيدي بينما العجلة دائرة يحركها الرجل بقدميه وهو جالس على مقعد ذي ثلاث أرجل . وعند ما يأخذ الجزء الأعلى من هذه الكتلة الشكل المطلوب يقطعه العامل عن باقى كتلة العجينة (كالطريقة المتبعة الى الآن في صناعة الفخار). وتلى هذه العملية عملية ثالثة هي وضع الأواني في النار حيث نرى رجلاً يعتلى ثلاث درجات ويقف أمام فرن يضع فيه الأواني وبعض مواد الاحماء . وإلى جانب هذه العمليات الثلاث ، نرى مجموعة من الأواني مختلفة الاشكال قد رتبت صفوفًا بعد

(١) أنظر أطلس - ١ ، ٧٣ (١) (٢) انظر أطلس - ١ ، ٣٠١



(شكل ٧٣) صناعة الفخار ، ويرى في الصورة رجل يعجن الطين
بقدميه ، ثم عجلة الفخار وبعض الاواني . وفي الجانب الأيمن من الصورة يرى
فرن ذو ثلاث درجات يقف على الأخيرة منها رجل يضع الاواني في الفرن

أن تم صنعها . وقد كانت عجينة الفخار ذات لون أصفر يحتفظ بيهاؤه وبلونه الزاهي حتى
بعد حرقه في النار ، على عكس أواني الفخار السابقة التي كانت تصنع من عجينة شبيهة
تتحول الى الاحمر الداكن بعد حرقها . ولقد كانت هذه الاواني الفخارية الفاتحة اللون
صالحة للتلوين . وكانت الأواني بعد أن يتم صنعها تحك بحجر المحك وذلك لصقلها كما
هو جار الى اليوم

٢٣ - صناعة اللبن واستعماله

وردت لصناعة الطوب صور مفصلة على جدران المقابر أهمها الرسم الموجود على
جدران مقبرة « رخمارع » (١) . وقد تكلمنا في فصل سابق عن هذه الصناعة ، كما
أوردنا صورة تساعد على فهم الشرح (انظر شكل ٣ و صفحة ٩)

٢٤ - بناء العربات

لم تظهر العربات ذات العجلتين مع الخيول التي تجرها الا في عصر الدولة الحديثة .
وهذه العربات الخفيفة ذات العجلتين التي نراها مستعملة في السبق والصيد والقتال
أدخلت الى مصر من بلاد سوريا ، وبعضها استولى عليه المصريون كغنيمة في الحرب ،
وبعضها أتى الى مصر جزية من البلاد الأجنبية ، على أن المصريين سرعان ما بنوا العربات
بأنفسهم وأوجدوا ورشا ومصانع كانت تصنع جميع أجزاء العربات . وإلى جانب هذه

(١) أنظر بيوبرى - مقبرة « رخمارع » ، لوحة ٢٠ ، ٢١ . . الخ

العربات الخفيفة نرى أنواعا أخرى أثقل بناء كانت تستعمل أيضا كعربات رسمية في الاحتفالات وفي الحروب وعند صيد الأسود والحيوانات المتوحشة . وأحسن مثال لها تلك العربات الفخمة التي وجدت في مقبرة « توت عنخ آمون » . وهي معروضة الآن بالمتحف المصرى

وكانت تتكون العربة في شكلها البسيط من جسم يشبه السلة يرتكز على « الدنجل » الذى ينتهى من طرفيه بالعجلتين ، كما يرتكز هذا الجسم من الأمام على نهاية العريش . وهذا العريش ينتهى من الجهة الأخرى (أى من الأمام) بنير ذى جزأين مخصص للجوادين اللذين يجران العربة . وكان الجوادان يشدان الى هذه الأجزاء شداً وثيقا بسيور من الجلد و (بعدة) خاصة تربط الجوادين بالعربة ربطا وثيقا محكما

وكان جسم العربة مخصصا لوقوف الراكب وهو الذى يسوق العربة واقفا ويمسك بأعنة الخيول ، أو يربط الأعنة حول وسطه حتى تتفرغ يديه لمسك الاقواس والسهم وكان جسم العربة الذى يشبه السلة ، مفتوحا من الخلف حتى يتمكن الراكب من الصعود أو النزول حين يريد ، وكانت جوانب العربة تغطى أحيانا بصفايح الذهب وتنقش عليها رسوم متنوعة خصوصا في العربات الملكية ، كما كانت الخيول تزين بالريش الملون فيكون للعربة منظر جميل جذاب في الاحتفالات الرسمية

وكانت تعلق الى الجزء الامامى من العربة حقيبة الاقواس ، كما كانت تعلق أحيانا حقيبة أخرى - تشبه الجراب شكلا - مخصصة للسهم ، وذلك عندما لا يحمل الراكب قوسه وسهامه على ظهره

٢٥ - صناعة الجلود

نرى صانع الجلد فى الدولة الحديثة يزاوّل عمله فى معظم الأحيان فى مصانع العربات . وكانت الجلود تؤخذ من الحيوانات التى كان بعضها يرد الى مصر ضمن الجزية (١) دباعة الجلود : كانت الجلود تدبغ أولا ، ولدينا رسم يبين عاملا يضع الجلد فى اناء قد يكون مملوءا بالزيت ، وحوله طائفة أخرى من الصناع يعدون الجلود لتكبرن صالحة للاستعمال^(١) ويظهر أنه الى جانب استعمال الزيت فى الدباجة كانت تستعمل مواد أخرى . ولقد ذكر « ولكنسون » فى كتابه^(٢) نباتا ينبت فى الصحراء يستعمله البدو الى اليوم

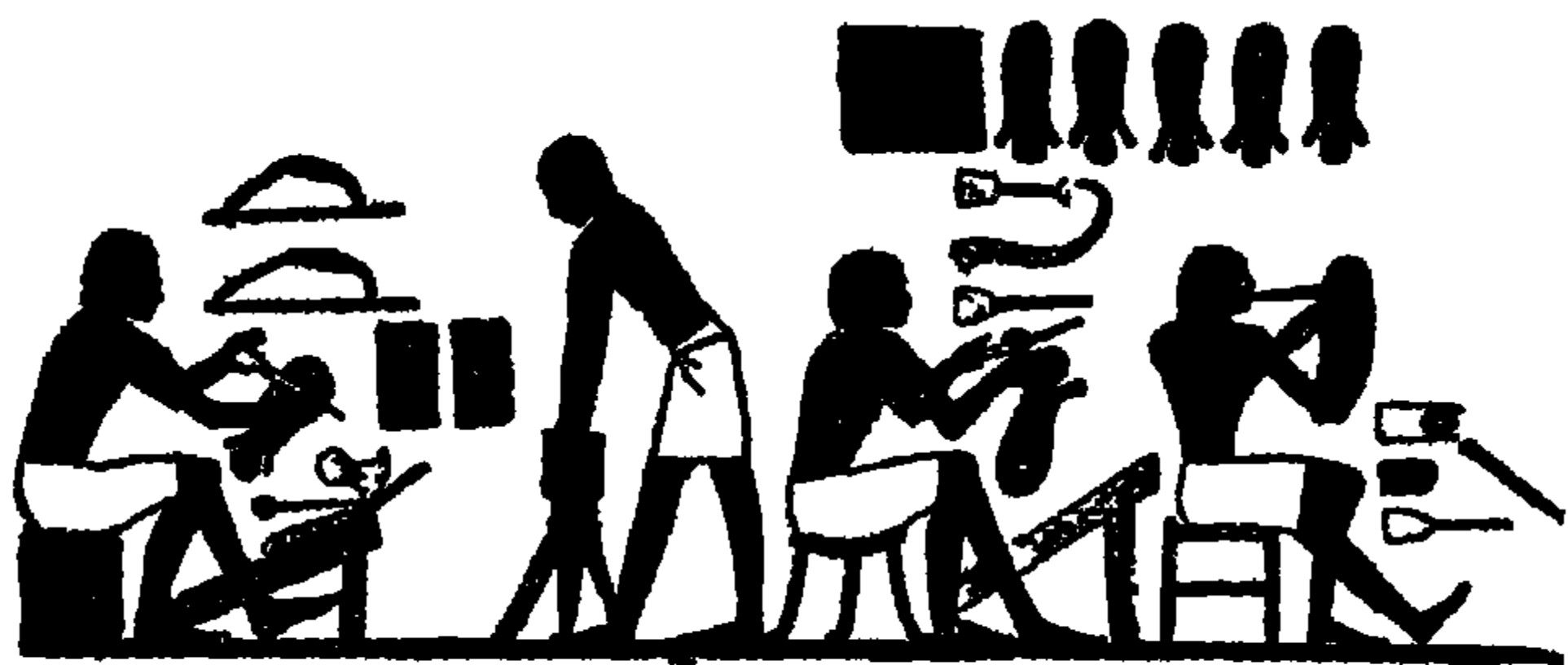
(١) أنظر أطلس جزء أول ، لوحة ٣١٢ (٢) ولكنسون - أخلاق وعادات قدماء المصريين

جزء ثانى ، صفحة ١٨٦

لازالة الشعر من الجلد يدعى *Periploca Secamone* وكانت الجلود بعد أن تعالج بالزيت أو بالمواد الاخرى ينزع الشعر الذى عليها ، وكثير من الرسوم ترينا العامل وقد جلس على مقعد واطىء وأمامه الجلد وقد نشره وأخذ فى إزالة الشعر منه ، كما نرى فى الرسم نفسه عاملين ينشران الجلد على إطار حتى يفردها ويتخذ الجلد الشكل المطلوب (١)

(ب) أما صناعة النعال (الصنادل) فإن الرسوم (شكل ٧٤) ترينا الصانع وقد جلس على مقعده محاطا بادواته

التي تشمل المخراز والثقاب وآلة أخرى ذات ست أسنان ثم قرن حيوان ثم مدقة ثم سكيناً. فنراه يتناول الجلد الذى يكون قد



(شكل ٧٤) صناعة النعال

قطعه أولاً وأعدّه بشكل الصندل المطلوب ، ثم يثقبه بمخرازه ويعدّه ثم يصنع السيور التي تتركب عليه . وإلى جانب هذه الصنادل البسيطة التي تتركب من النعل والسيور كانت توجد صنادل أخرى مغطاة بالجلد من أعلى لكي تحمى القدم من التراب . وبعض الصنادل كان يحلى برقائق الذهب وبأنواع من الخرز . ولم يكن استعمال الصنادل مقصوراً على الملك والعظماء وإنما كان يتعداهم الى نساءهم كما أننا نرى الكهنة والموظفين والجند والكتاب ومن يقيسون الحقول أو يشتغلون فيها ويضطرون بحكم عملهم الى المشى على الحدور ، نرى كل هؤلاء قد لبسوا الصنادل . على أنه يجب علينا أن نتذكر دائماً أنه كان من علامات التأدب أن يمشى الرجل حافياً عندما يكون مرافقاً لكبير أعلى منه مقاماً

وكان ينقش على صنادل الملك غالباً رسم الاعداء مقيدين رمزاً على أن الملك يدوس اعداءه تحت قدميه حين يمشى

(ج) ولقد زادت الحاجة فى الدولة الحديثة الى عمل السيور الجلدية لاستعمالها فى تهيئة العربات ، فقد كانت العجلات تغطى بالجلد ، كما كانت تعمل أرضية العربة من سيور يقطع بعضها بعضاً بحيث تملأها ، فصلاً عما يلزم للخيل من سيور متعددة تشدها

(١) أطلس ١ ، ٣١٣

الى أجزاء العربية ، وهذا كله دعا الى الاكثار من عملها بحيث أصبحت صناعة خاصة تشغل حيزاً كبيراً من أعمال مصانع الجلود ، بدليل ما ورد لها من رسوم على جدران المقابر

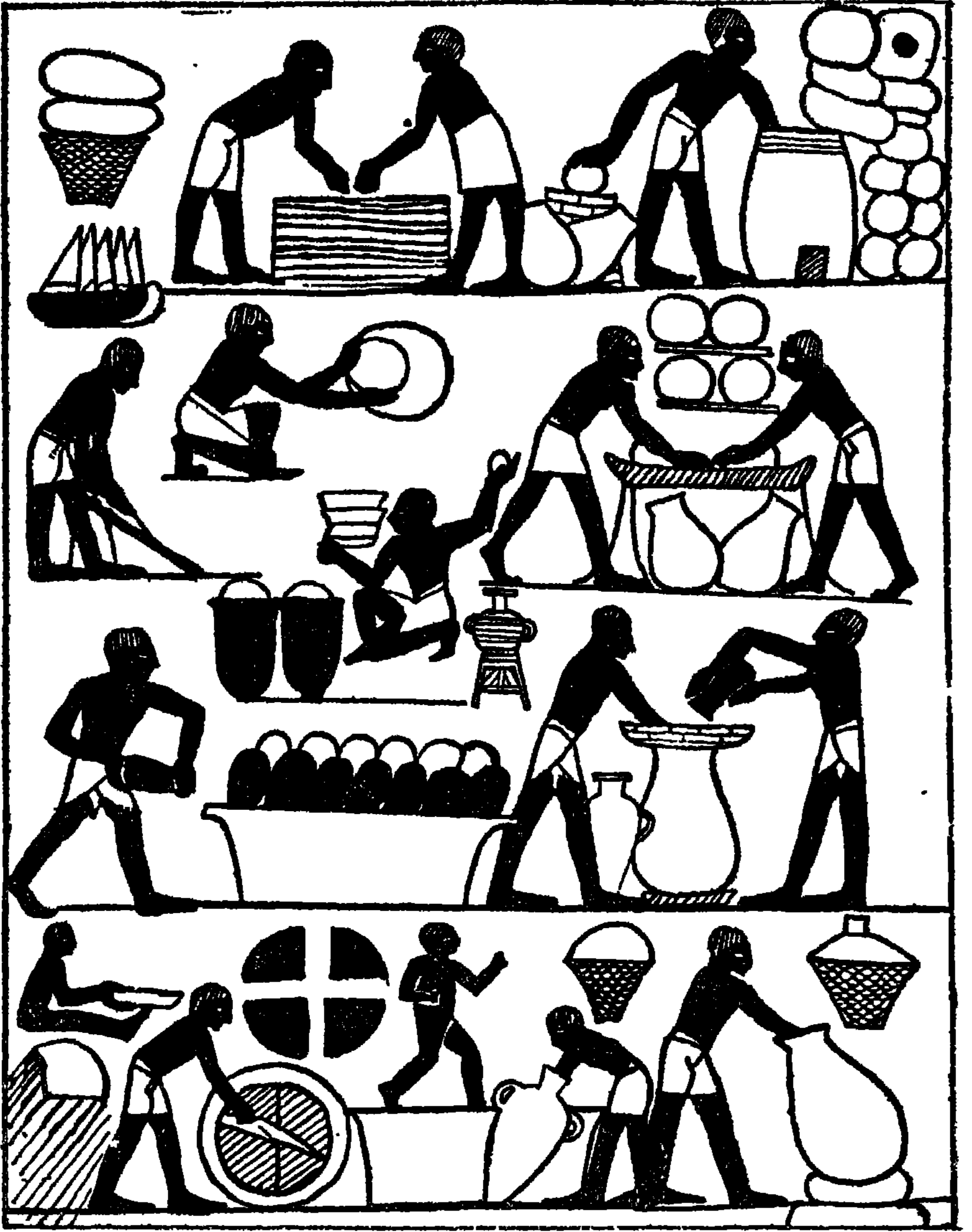
ولا ننسى أن حقائب الأقواس وجعب السهام وكذا وسائد الرأس والقصور المستعملة لرفع المياه بواسطة الشواذيف والاكياس وقرب المياه والزيت وبعض أنواع الدروع والسروج على مختلف أنواعها وبعض لفائف الموميات وكرات اللعب كانت تصنع من الجلد ، كما كان الجلد يستعمل لتغطية بعض الصناديق الصغيرة والثروس والآلات الموسيقية وما إليها من الأشياء المتعددة

ويظهر أن اللون الاحمر كان لونا محبوبا في الجلود فكانت تلون به معظم الجلود التي تدخل في الصناعة وكانت الحقائب الصغيرة الحمراء تحلى باللونين الأزرق والابيض . ولما كانت كل عربة تزود بحقيبة للأقواس وجعبة أو اثنتين للسهام والحرايب ، فإن عدداً كبيراً منها كان يصنع دائماً

٢٦ - عمل الجعة (البيرة)

يجب أن يفرق الانسان بين عمل الخبز لصناعة الجعة ، وعمل الخبز المعد للاكل . فلتحضير خبز الجعة كان يبدأ بتنظيف سنابل الشعير ثم تبل لمدة يوم كامل حتى تنتفخ ، فاذا زاد حجمها وضعت السنابل في اناء ذى ثقوب ثم تبل مرة ثانية وترك لتجف ، ثم تؤخذ السنابل وتفطر ليخرج منها الشعير المنتفخ ، أما الاجزاء الباقية من السنابل فانها يجب أن تلقى جانبا لانها ذات طعم مر ، ثم يدق الشعير المنتفخ في اناء عميق حتى يتحول الى عجينة توضع بعد ذلك على لوح وتضاف اليها الخميرة وتعجن ثم تشكل أقراصا أى أرغفة مستديرة تخبز بعد ذلك بشكل خاص لا تصل فيه الى حد النضج ، وانما الى أن يعلو سطحها ويحمر وجهها مع بقاء قلب الرغيف نثا ، ثم يقطع الرغيف أربعة أجزاء (١) تلقى في اناء مملوء بمياه عذبة وتترك حتى تختمر ، وعند ما تصل الى درجة الاختيار المطلوبة توضع في سلة كالمصفاة (تشبه المشنة الحالية) ثم تحرك هذه العجينة بالأيدي . ولما كان يوضع تحت هذه السلة اناء عميق من الفخار ، فان العصير كان ينصرف من هذه السلة الى الاناء . حيث يتجمع فيه ، وكانوا يضيفون من وقت الى آخر ماء على العجينة الموضوعة في السلة وذلك للحصول على أكبر كمية من العصير . وعندما

(١) أطلس - جزء أول ، ٣٠١



(شكل ٧٥) صناعة الجعة « البيرة »

يمتلىء الاناء بعصير الجعة يؤتى بعدة جرار أو قدور تملأ من هذا الاناء ثم تسد القدور
بسدادات من الطمي (شكل ٧٥)

٢٧ .. صناعة الخبز

الى جانب المواقد البسيطة التي كانت تستعمل للطهي كانت توجد الافران المعدة

للخبز . وكانت هذه الافران عادة على شكل البرميل (١) أما طريقة وضع العجين فيها ليخبز فقد اختلفت الآراء بشأنه ، فبينما يقول « بورشارد » أن العجينة كانت توضع على سطح الفرن الخارجى لتخبز فإن « لويزا كلبس » تقول إن العجين كان يوضع على سطح الفرن الداخلى فى اطارات تتكون من خمسة مسامير ، واحد منها فى الوسط والأربعة الباقية تكون دائرة ، ويترك الى أن يخبز ثم يستخرج بعد ذلك من أعلى الفرن الذى كان يغطى عند الخبز ولا يفتح إلا عند ما يستخرج الخبز كامل النضج

ومما يجدر ذكره أن العجينة كانت تفقد شكلها أحيانا ، فيخرج الرغيف غير مستدير الشكل ذو بروز غريب فى أحد جوانبه (٢)

أما الفطائر فهناك عدة أنواع منها ، أهمها الفطائر المصنوعة بعسل النحل ، وقد وردت رسومها مفصلة على جدران مقبرة الوزير « رخمارع » (٣) فكان يحشى العسل أولا ويحرك بقطعة من الخشب حتى يذوب : ثم يضاف اليه جانب من السمن ، وبعد ذلك يرفع عن النار ويصب على الدقيق وهو حار ، ثم تحرك العجينة بقطعة من الخشب حتى تبرد قليلا كي تطبق اليد عجنها ، فاذا تم عجنها أخذوا فى قطع أجزاء منها وتشكيلها بالشكل الذى يريدونه ، إذ أن هذه العجينة المزوجة بالعسل كانت سهلة التشكيل الى درجة كبيرة . وكانت بعض أنواع الفطائر تولى فى السمن بعد أن تصنع على شكل الحيوانات الصغيرة أو على شكل لسان الثور أو قطع اللحم أو على أشكال حلزونية كانت ترفع من سمن المقلاة على عصوين . وكانت المقلاة تتكون من اناء واسع يرتكز على ثلاث أرجل توضع بينها النار ، وكان للاناء غطاء يرفع بعصا ، لان اليد لم تكن تستطيع رفعه لسخوته (٤) (شكل ٧٦)

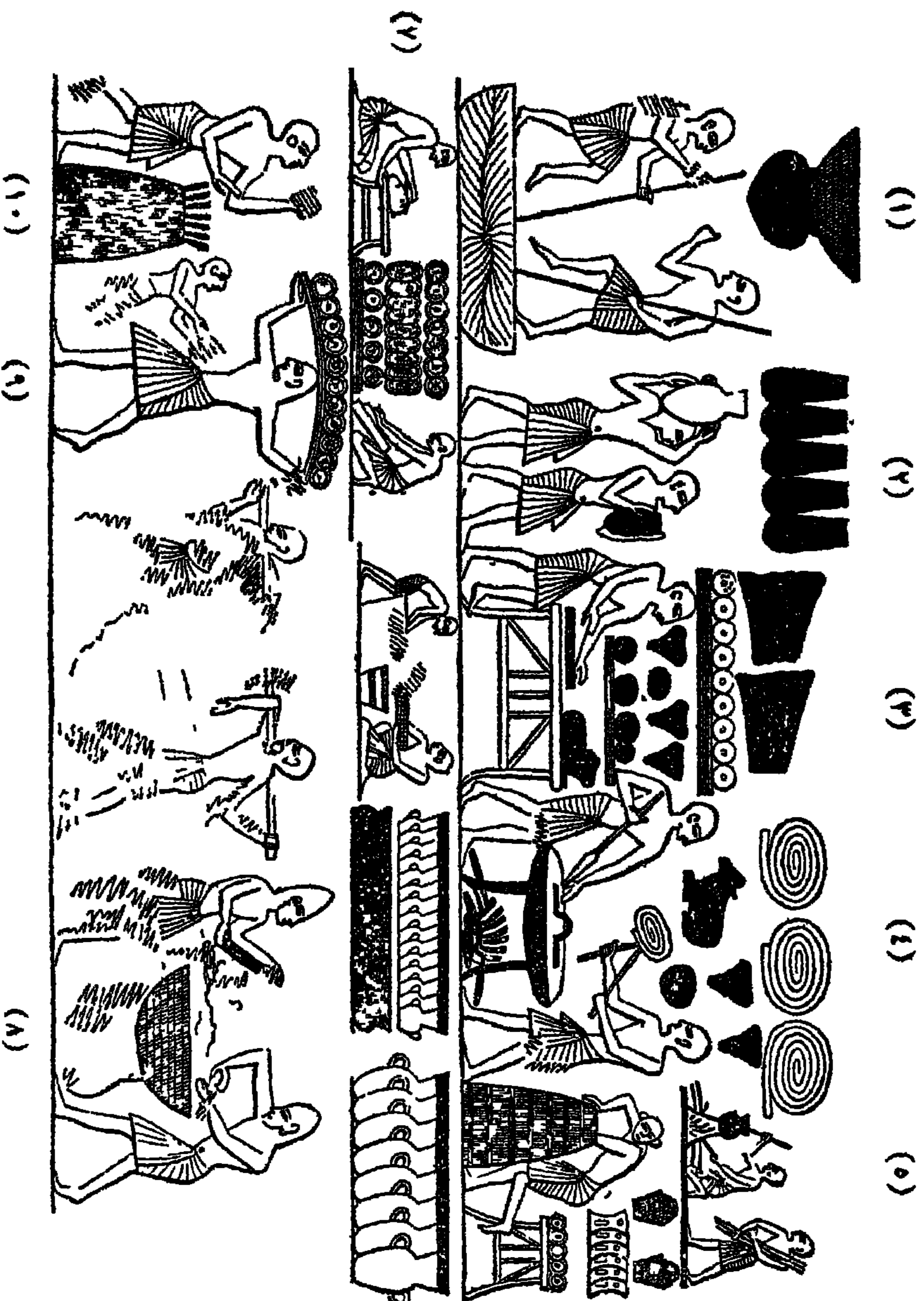
٢٨ - صناعة الزبد

كان يبدأ أولا باستحضار فواكه الزيوت ، وتوضع فى هاون كبير ثم تدق ، على حين يشتغل عامل آخر بدق بعض المواد ذات الرائحة الشديدة كالمر مثلاً وما اليه فى هاون آخر ، ثم يوضع الزيت المستخرج من الهاون الاول مع المواد ذات الرائحة الذكية التى

(١) أطلس - ١ ، ١٢٥ (٢) أطلس - ١ ، ١٢٥

(٣) نيوبرى - مقبرة « رخمارع » . لوحة ١٢ وما بعدها

(٤) ولكنسون - أخلاق وعادات قدماء المصريين . جزء ثانى صفحة ٣٤



(٢)

(شكل ٧٦) : صناعة
 الجبز والقطار - (١)
 رجلان يعجنان بالأقدام
 العجين الذي يحمل (٢)
 الى صانع المطائر (٣)
 فيشكله الى فطائر محلاة
 الأشكال توضع في الفلاة
 ثم ترفع منها على عصيون
 (٤) بينما يجي رجل
 (٥) المسل في قدير على
 النار . وتخبه رجل (٦)
 بعد فزناً . أما الوسط
 ففيه رجلان (٧) هنيان
 الجبز والكعك وشران
 عليه التوابل . وفي أسفل
 الصورة رجلان (٨)
 يعجان بالأيدي ورجل
 (٩) يحمل لوح العجين
 الى فرن موقد (١٠)

صنعت في الهاون الثاني ويخلطان سويا في هاون ثالث . وفي هذه الاثناء يقوم عامل سوايح باذابة دهن حيواني في اناء على النار ، وفي هذا الدهن المذاب يوضع الخليط الذي عمل في الهاون الثالث ثم يحرك ثم يبعد عن النار ، وعندما يبرد تصنع منه عجينة مخروطية الشكل كانت توضع على الرؤوس فوق الشعر ونجدها ممثلة في الرسوم (١)

٢٩ - صناعة العطور

وهذه الصناعة كما تفسرها الرسوم (٢) تتلخص في استحضار الزهور ذات الرائحة الدكية التي توضع في كيس ذي عروتين كانت تثبت فيهما عصوان تحركان في اتجاهين مختلفين بحيث تعصر الزهور في الكيس ويتساقط العصير في اناء يوضع تحت الكيس ، وهذه العطور كانت تخلط أحيانا بالأدهنة وتقدم أحيانا أخرى لرب البيت هدية

٣٠ - غسل الملابس

تختلف كيفية غسل الملابس في الدولة الحديثة عنها في الدولة الوسطى ، فبينما نرى رسوم الدولة الوسطى تظهر الملابس وهي تضرب بقطع من الحشب على كتل الاحجار لغسلها ، إذ نرى الملابس في الدولة الحديثة توضع أولا في ماء بارد ، ثم تؤخذ منه بعد ذلك وتغسل بماء ساخن مع مادة للتنظيف تؤخذ من دهن الحيوان تقابل الصابون لدينا . وبعد ذلك تعلق في ماء النهر ثم تعصر وتنشر في الهواء لكي تجف . على أنها قبل أن تجف تماما كانت تؤخذ لكي تعمل فيها الثنيات اللازمة بالأصابع أو بآلة خشبية تقابل المكواة لدينا ثم تعلق على الجبل مرة أخرى لكي تجف تماما (٣)

٣١ - الصباغة

كانت تصبغ الملابس في بعض الأحيان فتوضع في إناء عميق به اللون المطلوب وتستخرج بعد صباغتها وتبل في الماء أو تغسل في ترعة قريبة وتنشر بعد ذلك لكي تجف ولقد أصبحت النيلة INDIGO معروفة ومستعملة في مصر منذ عصر الأسرة السادسة (٤)

(١) انظر الصورة التي تمثل هذه الصناعة في أطلس . جزء أول ، ٣٥٦

(٢) بديت - جمع زهرة الليس . (آثار ومذكرات مؤسسة « بيوت » جزء ٢٥)

(٣) أطلس - ١ ، ٥٧

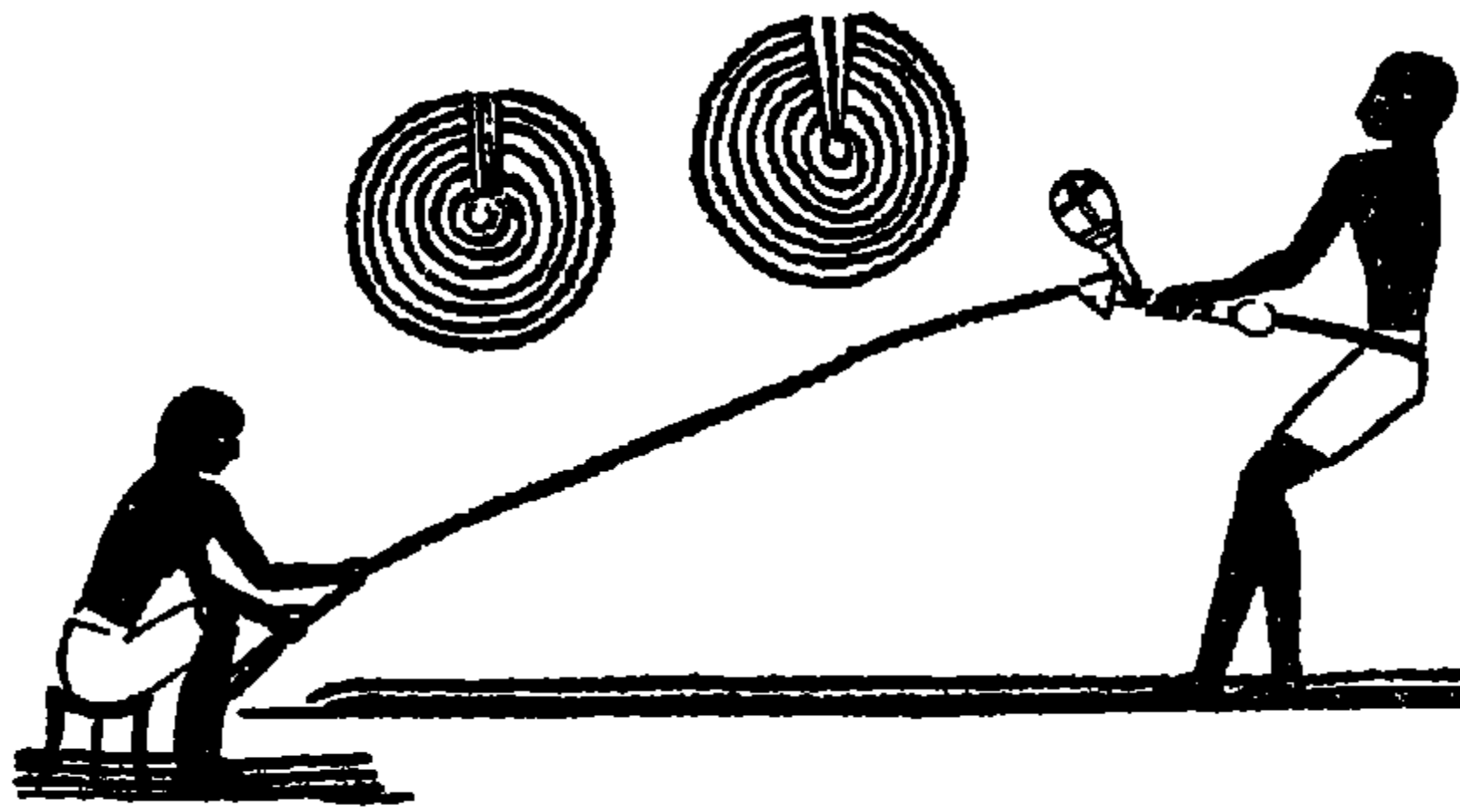
(٤) شلتر - تاريخ صناعة تركيب العقاقير ، طبع برلين ١٩٠٤ صفحة ٣٨

٣٢ - أقنشة المعابد وصناديق الرقشة والرقشة الملوثة

كانت أقنشة المعابد بعد أن تغسل جيداً تطوى بعناية ثم توزن ويسجل مقدارها كاتب خاص بهذه الشؤون (١)، ثم توضع في صناديق تقفل وتوضع في مخازن المعبد . ويظهر أن أقنشة المعابد كانت تستعمل أحيانا ككفائف لجثة الملك وللحيوانات المقدسة فكانت تلون حينئذ وترسم عليها أشكال مختلفة ومناظر خاصة بالطقوس الدينية

٣٣ - صناعة الحبال

أحسن مثال لهذه الصناعة نجده في مقبرة « رخمارع » (٢) (شكل ٧٧) حيث



(شكل ٧٧) صناعة الحبال

نرى صانعين جلس احدهما على مقعد واطىء ذى ثلاث أرجل وأمسك بطرف الحبل، ووقف الثانى تجاهه وشد الحبل الى حزام فى وسطه حتى تكون يدها خاليتين ويستطيع ان يمسك بهما أداة متحركة كالمغزل يبدأ فى تحريكها بعد ذلك عند طرف

الحبل الذى شد فى وسطه . وفى هذه الاثناء يكون العامل الاول الجالس يضيف باستمرار أليافاً جديدة (كما هى الحال فى الغزل) بيده اليمنى الى الحبل فتلتف به فى الحال بحكم دوران الأداة التى تلوى الحبل باستمرار . فإذا تم صنع الحبل لف لفاً حلزونياً فى حلقة توضع الى جانب العامل . وفى الرسم الذى تتكلم عنه نجد حلقتين من الحبال موضوعتين الى جانب الصانعين

٣٤ - عمل الشباك

على مقربة من مناظر صيد السمك ثم تجفيفه نجد غالباً منظراً يمثل شيخاً جلس على الأرض وأخذ فى صنع احدى الشباك (شكل ٧٨) فتراه قد وضع مبدأ الشبكة عند أصبع

(١) أطلس - ١ ، ٧٤ (١)

(٢) نيوبرى - رخمارع ، لوحة ١٨



(شكل ٢٨) عمل الشباك

قدمه الاكبر وشدها به شداً وثيقاً ، بينما يمسك بابرة النسيج في يده ويشتغل بها ، فاذا فرغ من عمل جزء واسع من الشبكة ربطه الى الارض وجلس على مقعد واطىء واستمر في عمله حتى ينجزه (١) ومما يجدر ذكره أن نوعاً جميلاً من الشباك كان يصنع لكى يوضع حول

الجرار ، ولدينا مثال جميل على ذلك في المتحف المصرى يرينا اناء من المرمر عثر عليه في سقارة وحوله شبكة نقشت نقشا بارزاً جميلاً على سطحه الخارجى بحيث تظهر جميع تفاصيل الجبل المجدول

٣٥ - صناعة النسيج

بينما كانت أنوال النسيج في الدولة القديمة توضع على الارض وضعا أفقياً ، إذ نجد بعض الأنوال في الدولة الحديثة توضع وضعا عمودياً رأسيًا ، وبينما نجد النساء يقمن في معظم الاحيان بالنسيج في الدولة القديمة ، إذ نجد الرجال في الدولة الحديثة هم الذين يقومون بالعمل على الأنوال في الغالب ، لان ضيق ملابس النساء لا يسمح لهن بفتح أرجلهن حين الجلوس الى النول الرأسى حتى يكن على مقربة كبيرة منه بحيث يستطعن تحريك المشط والنير الى أعلى في أثناء النسيج . ونجد في معظم الاحيان الأقمشة التى تنسج على الأنوال مرسومة على الجدران وملونة باللون الأبيض ، وهذا أمر طبيعى لان معظم الأقمشة المنسوجة كانت بيضاء تستعمل في الملابس وفي لفائف الموميات وتغطيتها وغير ذلك من الأغراض

٣٦ - أعمال الضفر

كانت معظم المواد المستعملة في الضفر تؤخذ من ألياف البردى والتيل ، فضلا عن ألياف النخيل والخيزران وسيقان نبات البردى وما إليها . وأهم الأشياء المصفورة هي : حصيرة الراعى : وكانت تصنع من سيقان بردى تثقب وتدخل فيها سيقان أخرى

(١) أطلس - ١ ، ٣٦٣ وتابلور - مقبرة « باحيرى » . لوحة ٦ . . . الخ

تتقاطع مع الأولى طولا وعرضا . وكان الراعى يحملها على ظهره على عصاه أينما سار
ليستعملها في أغراضه المختلفة كما كان الحال في الدولة القديمة

حصيرة القربان وحصيرة الاقدام : كانت حصيرة الاقدام في الدولة الوسطى توضع
أمام الكرسي حتى يضع الجالس عليها قدميه أما في الدولة الحديثة ، فقد كانت توضع
أيضا تحت الكرسي ، وفي كثير من الاحيان كانت توضع الواحدة الى جانب الأخرى
حتى تملأ الغرفة وتغطي أرضيتها فتكون أشبه ببساط

المظلات : كانت تصنع المظلات من الحصر بحيث تكون على شكل خيمة كان يجلس
فيها العظماء ويتقون بها الشمس والهواء . ويظهر أن أمثال هذه الخيم كانت مستعملة منذ
قديم الزمان ، لان علامة « حب » الهيروغليفية بمعنى (عيد) تظهر لنا هذه الخيمة
بوضوح . وتتكون الخيمة من جملة حصر تغطي ثلاثة جوانب منها أما الجانب الرابع
فانه يترك مفتوحا . وكان يغطي السقف بقطعة من الحصر ، ثم يوضع عمود في الجانب
المفتوح الامامى لكى يرتكز عليه السقف في هذه الجهة حتى لا يهبط . وكانت تستعمل
هذه الحصر في سقوف المنازل لتغطي أفلاق النخيل التى يتكون منها السقف وذلك قبل
ردمه بالتراب أو طليه بالطين

حصيرة السفر : وهى نوع راق من الحصر كان يصطحبه المسافر ويضع فيه أدوات
سفره ويطويه ، فاذا جن الليل فرش حصيره ونام عليه الى الصباح ثم يستأنف سفره
ومن منتجات هذه الصناعة السلال وجعب السهام والحقائب والشباك والصناديق
والنعال وما إليها

٣٧ - الوسائد

لم تكن لأسرة النوم وسائد بالمعنى المعروف وانما كان يوضع عند مكان الرأس
فيها مسند للرأس من الحجر أو الخشب يغطى بطبيعة الحال بالقماش في الجزء الأعلى
المقوس منه ليكون لنا

أما مقاعد الجلوس فقد كانت تغطى بالوسائد على مكان الجلوس فيها وعلى ظهرها ،
وكانت الوسائد التى تغطى ظهر المقعد تربط اليه حتى لا تتحرك . وهذه الوسائد تحشى
في المعتاد بالريش . وتكون من القطن الملون أو من الجلد المنقوش أو القماش الموشى

بالذهب والفضة . ومن أظهر الأمثلة التي عثر عليها وسادة وجدت في مقبرة « تويا ويويا » (١)

محصول البردى واستعماله

لم تبين لنا نقوش الدولة الحديثة شيئا جديداً عن كيفية جمع البردى واعداده . فالبردى كان في هذا العصر ، كما كان في العصور السابقة ، ينزع من المستنقعات التي ينبث فيها ولا يقطع ، وذلك احتفاظاً بطول الساق ، وخاصة لأن الجزء الأسفل من الساق كان خيراً من باقيه بالنسبة لغلظه . فاذا نزع سيقان البردى من الأرض قطعت أسافلها الغليظة الى قطع متساوية الطول ثم ربطت حزماً . أما السيقان المتوسطة الغلظ التي كانت تستعمل لصناعة خفاف القوارب فقد كانت تربط حزماً أيضاً وتحمل على الظهر الى حيث تودع . أما سيقان البردى الرفيعة جداً فقد كانت تشرح نصفين وتستعمل كأربطة لحزم الربطات (٢)

قطع الاشجار والاشخاب الاجنبية

لم توجد مناظر قطع الأشجار ونقل كتل الحشب بكثرة في الدولة الحديثة ، ولعل السبب في ذلك أن معظم الأخشاب المستعملة في بناء السفن وما إليها كانت تستجلب من الخارج لقلتها في مصر . فالبعثات التي كانت ترسل الى لبنان وسوريا لم تكن تستجلب الحشب اللازم لصنع قارب (أمون) المقدس فحسب ، وإنما كانت تحضر معها خشب الارز الذي كان يستعمل لبناء السفن وتصنع منه أبواب المعابد وصواري الحشب المعدة لوضع الاعلام عليها على صرح المعبد وكذا التواييت وما إليها

ولقد صورت على جدران معبد الدير البحري بعض المناظر التي تمثل قطع الاشجار في بلاد (بنت) كاشجار المر ، ومناظر حمل كتل الأبنوس لتصديرها الى مصر . ولم تكن الطريقة الوحيدة للحصول على الأخشاب هي إرسال البعثات التجارية ، بل ان المصريين طالما حصلوا على الاخشاب عن طريق غزواتهم ، فلقد حصل رمسيس الثاني والثالث على عدد كبير من الاشجار حمل خشبها الى مصر لاستعماله في البناء والوقود ،

(١) انظر ماسبرو ، نيوبرى ، كارتر - مقبرة « تويا ويويا » ، لوحة ٣٥

(٢) أنظر دايفز - بويمرع ١ ، لوحة ١٥ وما بعدها ونيوبرى - « رخارع »

لوحة ١٣ . . . الخ

كما قدم لتحتسب الثالث جملة أنواع من الاخشاب ضمن الجزية وأسلاب الحرب . وكان احضار أخشاب الارز والأبنوس الى مصر امراً مفروضاً على الشعوب المغلوبة ، والرسوم ترينا هذه الاخشاب مقدمة الى مصر . وكان خشب الأبنوس يستحضر من الجنوب ، من بلاد النوبة كما كان يستجلب من سوريا . والأبنوس كان معروفاً ومستعملاً في مصر منذ القدم ، فلقد صنعت منه في الدولة القديمة جملة أشياء وتماثيل صغيرة . وهناك مناظر أخرى نرى فيها الرجال مشغولين بقطع أغصان الأشجار وتقليمها ، وربما كانت تعطى غذاء للماعز أو تصنع منها بعض الأدوات الصغيرة المستعملة عند تخييط الجثة

بناء السفن

كانت المناظر التي تمثل بناء السفن في الدولة الحديثة نادرة الوجود بعكس الدولة القديمة . ولم توجد مناظر مطلقاً تمثل صناعة قوارب البردى ، وقد يكون ذلك لأن نبات البردى لم يكن ينبت في جوار طيبة حيث توجد المقابر التي تتكلم عنها . ولكن بالرغم من ذلك فقد جرت العادة بعمل مراكب اللوتى الخشبية على شكل قوارب البردى حيث يرى في مقدمتها ومؤخرتها تقوس خاص ، وفي مقبرة « أبوى » نجد ربما يمثل سفينة تم صنعها وأخذ العمال في تزيين مقدمتها ومؤخرتها بأشكال تمثل زهرة البردى ، ونلاحظ أن أحد الرجلين يحمل منشارا والآخر شيئاً أشبه بالمطرقة ، بينما يشتغل رجل على مقربة منهم بعمل حلية على شكل انشودة ايزيس . . الخ (١)

الملاحات

١ - قوارب البردى :

بالرغم من أننا نرجح أن البردى لم يكن ينبت في طيبة إلا أننا نجد القوارب المصنوعة منه مرسومة في مقابر هذه الجهة ، وقد استمر شكل قارب البردى كما كان قديماً ، وهو يتكون من سيقان البردى التي يشد بعضها الى بعض شداً وثيقاً بالحبال ، وأصبح يربط في مقدمتها في الدولة الحديثة زهور البردى أو اللوتس . وهذه القوارب كانت تستعمل في اجتياز النهر من شاطئ الى شاطئ . غير أن أغلبها يرى في مستنقعات البردى حيث

(١) أطلس - ١ ، ٣٦٩

كان يعتلى متنها العظاء والكبراء ويسرون بها بين آجام البردى لصيد الطيور والأسماك وافراس البحر . وكانت هذه القوارب صالحة جداً للغرض الذى تستعمل فيه لأنها كانت فى معظم الأحيان بدون مجاذيف مطلقاً حتى تسير خفيفة لاتحدث جلبة تخيف للطيور أو الأسماك ، ولتسييرها فانهم كانوا يدفعون أنفسهم الى الامام بشد نباتات البردى النامية فى المستنقع

٢ - السفن المصنوعة من الخشب

كانت الأخشاب المستعملة فى بناء السفن هى خشب السنط والجيز وهما النوعان اللذان كانا موجودين بمصر ، يضاف اليهما خشب الأرز الذى كان يجلب من سوريا ، نظر لأن الألواح التى كانت تؤخذ من الاشجار المصرية كانت قصيرة فى المعتاد . أما السارية فكانت تصنع أحياناً من خشب الأرز وأحياناً من جذوع شجر الدوم وكانت جميع السفن تطلّى بالألوان التى تحمى خشبها من الشمس والرطوبة ، وكانت تحلى بأنواع عديدة من الزينات حتى ان بعض سفن الاسفار وقوارب الموتى كانت أمثلة رائعة من فن التلوين والزخرفة فى كل قطعة منها ، بما فيها المجاذيف والدفة ويمكننا تقسيم السفن المصرية القديمة التى وردت فى الرسوم بحسب أنواعها الى الأقسام الآتية :

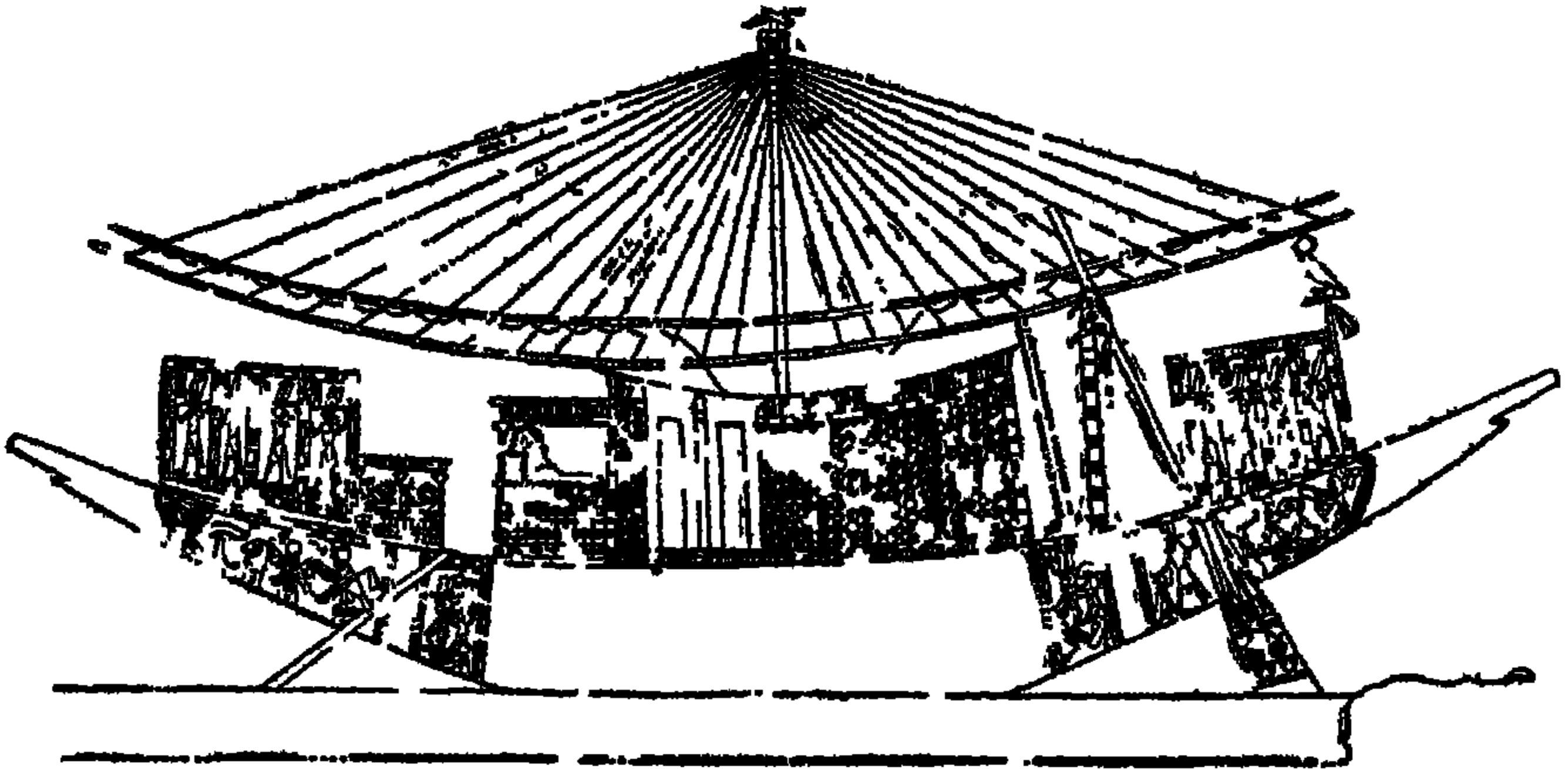
١ - السفن المستعملة فى الجار

وهى تنقسم الى السفن الحربية ، وأحسن مثال لها السفن التى وردت رسومها فى المعركة الحربية الممثلة على جدران معبد مدينة هابو ، ثم السفن التجارية ومثالها سفن الاسطول التجارى الذى أرسل الى بلاد « بونت » فى عصر الملكة « حتشبسوت » وقد وردت رسومه على جدران معبد الدير البحرى (انظر ما ذكر عن رسوم المعابد ، صفحة ١٥٨)

٢ - السفن النيلية

وهى تشمل (١) سفن الاسفار التى كان يستعملها الملك والعظاء فى التنقل من مكان الى مكان . وقد وردت رسوم لها بتل العمارنة تمثل سفن الملك راسية أمام حديقة القصر (١)

(١) دايفز - « تل العمارنة » جزء خامس ، لوحة ٥



(شكل ٧٩) احدى سفن الاسفار مأخوذ رسمها عن مقبرة « حوى » بطيبة

غير أن أحسن رسم لها تظهر فيه تفاصيل أجزاء السفينة هو الذى وجد فى مقبرة (حوى) حاكم بلاد النوبة (١) (شكل ٧٩). وكانت تبنى عادة فى وسط السفينة حجرة من الخشب تلون من الخارج برسوم هندسية بديعة كالمربعات مثلاً وكان لهذه الحجرة بابان فى المعتاد وكانت تعد بشكل فاخر بحيث تحتوى على كل ما يلزم السيد فى رحلته من أدوات . على أنه بدلا من هذه الحجرة كان يكتفى أحيانا بأعمدة يطرح عليها قماش مميك أو نوع من السجاد ليحميها من الشمس والرياح. وكان يوضع فى مقدمة السفينة ومؤخرتها مظلات يجلس فيها السيد وأتباعه أحيانا ليستمتعوا بنسيم النيل وهم فى مأمن من الشمس ، كما كانت تعد أماكن أخرى للخيول وغيرها (انظر الشكل الظاهر فى هذه الصفحة)

(ب) سفن حمل الاثقال ، وهى تنقسم بدورها الى السفن الكبيرة والسفن الصغيرة فأكبر سفينة من النوع الاول هى السفينة التى ورد رسمها على جدران معبد الدير البحرى (٢) . وأمثال هذه السفن كانت تستعمل لنقل المسلات كمسلات الملكة حتشبسوت وتحتمس الاول وغيرها من محاجر الجرانيت بأسوان الى الكرنك وكان طول السفينة يبلغ ٨١ مترا تقريبا ، وعرضها نحو ٢٧ مترا (أى ثلث الطول) وكانت الطريقة المتبعة فى حمل المسلات هى نقلها أولا على زحافات تنزلق من الحجر الى شاطئ النيل ثم توضع بعد ذلك على السفينة وتربط جيدا بالحبال الغليظة وكان يوضع تحت جوانبها وحافاتها مساند لينة تحميها من خطر الخدش والتجريح . وكانت السفينة تسير

(١) دايفز - حوى ، لوحة ١٢ (٢) نافيل - معبد الدير البحرى . جزء سادس لوحة

بدون مجاذيف ماعدا أربع دقات توضع كل اثنتين منها على جانب ويبحرها سبع وعشرون سفينة يقدمها عطاء الدولة مرتبة في ثلاثة صفوف ، كل صف يتكون من تسع سفن ، بكل سفينة ٣٣ مجذفا ، وكان يتقدم كل صف سفينة ملكية تعلوها الشارات الملكية كالثور والاسد . وتسير الى جوانب السفينة الأصلية ثلاثة قوارب مقدسة يطلق فيها البخور ويقدم القربان ثم قارب آخر صغير يسير أيضا على مقربة منها ويرجع أنه مخصص لاعطاء الأوامر وملاحظة خط السير . وبذلك كانت سفينة نقل المسلات تقودها أربع وثلاثون سفينة . ومن العبث أن يحاول المرء أن يتصور الابهة والفخامة التي كانت تحيط بموكب كهذا . فاذا وصلت السفن الى الكرنك أخيراً استقبلها شعب طيبة وشبيبتها استقبالا حاراً مملوءاً بالفرح والسرور ^(١)

أما السفن الصغيرة المخصصة للنقل فقد وردت لها رسوم عديدة . فعلى جدران مقبرة «خامت» مثل اسطول كامل من هذه السفن يشمل ٢٢ سفينة مرتين ، مرة في الذهب ومرة أخرى في الاياب . كما مثلت سفن أخرى مشابهة على جدران مقبرة «رخمارع» ^(٢) وهي تحمل أحجار بناء المعبد ، وقد رسمت سائرة الى الكرنك . على أن الغالب أن ترى السفن وهي محملة بالمواشي والغالال . ففي مقبرة «حوى» ترى ثمانى سفن ، كل اثنتين منها تسير جنباً الى جنب ، السفن الامامية منها محملة بالمواشي ، أما الخلفية فمحملة بالغالال ^(٣) . وترى بعض سفن هذا النوع محملة بحزم سيقان البردى وبشباك مملوءة بالفواكه وما إليها وقد أخذ الكتبة في تسجيل مقدارها ^(٤) وإلى جانب هذه السفن المخصصة للنقل فحسب ، بعض سفن الاسفار التي كانت تستعمل أيضا لحمل المواد التي تستدعى سرعة نقلها كالازهار والفواكه والخضر والاصمك وما إليها ^(٥) وكان رؤساء الاملاك الخاصة يتجولون غالباً في هذه السفن متقلين من مكان الى مكان لجلب حاصلات الاراضى والاملاك وكذا حلقات الذهب وتحصيل الجزية وتقديمها للملك أو للملك

٣ - سفن الصيادين التجارية

تمثل وهي ترسو في ميناء مصرى محملة ببضائع هذه البلاد وقد وردت لها جملة رسوم

(١) انظر نافيل - معبد الدير البحرى جزء ٦ لوحة ١٥٤ ، صفحة ٤ شكل ٣ ، قارن ماريت - الدير البحرى لوحة ١١ (٢) نيوبرى رخمارع لوحة ٢١ (٣) دايفز - مقبرة «حوى» لوحة ٣٣ (٤) دايفز - حوى لوحة ١٨ تحت (٥) دايفز - مقبرتان من عصر الرمامسة ، لوحة ٣٠

ترى فيها هؤلاء الاجانب وقد قدموا الى مصر مع نساءهم وأولادهم فيخف المصريون لاستقبالهم مرحبين بهم ، وتجري بينهم أعمال المياضة واستبدال البضائع

سحب المراكب

كانت السفن كما هي الحال في مصر الآن ، تسحب عند ما تكون الرياح ضعيفة لا تساعد على سيرها ، فترى السفن المحملة وقد ربطت الى جبال وأخذ عدد من الرجال في جرها وهم يسرون على الشاطئ (١)

الملاهي

الموسيقى

أخذت الموسيقى تنوع وتقوى في الدولة الحديثة بما أدخل الى مصر من آلات موسيقية أجنبية - ولما كانت العادة قد جرت بان يقوم عازف أعمى بعزف بعض الحانه عند ما يتناول رب البيت اكله ، فقد تفرعت منها عادة أخرى هي وجود فرقة موسيقية كاملة عند ما يدعى الاضياف الى المنزل في الولايم (شكل ٨٠) وكان لفصر الملك فرق موسيقية خاصة ، ففى تل العمارنة ورد رسم فرقة من فرق البلاط تتكون من ست الى ثمانى نسوة يعزفن على انواع مختلفة من الآلات ، كما كانت للمعابد فرق موسيقية تقوم بالعزف على آلة الجناك وما إليها ، مع التصفيق باليد وذلك في أثناء القيام بالطقوس الدينية في المعبد (٢)

وكانت الموسيقى بارزة الظهور في الاحتفالات ، كما كانت فرقة الموسيقى ترافق رب البيت أحيانا في نزهه ، وعلى الاخص عازفة الزمار المزدوج . وكان المصريون يبهجون باستماع الموسيقى عند ممارستهم لأشغالهم وخاصة وقت الحصاد ، حيث نجد الصبية يوقعون الحانهم على الزمار المزدوج . وكان المصريون عامة شديدي العناية بالموسيقى في عصر الدولة الحديثة ولا سيما أخناتن فانه أكثر الملوك اهتماما بأمرها ورعاية لشأها ، حتى بلغ من حبه للموسيقى واعزازه لأفرادها أن ابنتى منزله صغيرين لفرقة الموسيقى على مقربة من القصر ، كل منزل منهما يتكون من طابقين ، بكل طابق ثلاث غرف ، احداها قاعة كبيرة للتمرين ، تليها غرفتان صغيرتان ، أى ست غرف في مجموعها ، خصصت للعازقات

(١) دايفز - حوى ، لوحة ١٨ (٢) دايفز - العمارنة ، جزء أول ، لوحة ٢١

يضعن فيها آلاتهن الموسيقية
وصناديق زيتتهن ، وجرار
النبيذ والماء وغيرها من
المستلزمات حتى يمكنهن اجراء
تمريناتهن اليومية في هدوء
بعيدات عما يزعجهن (١)

الغناء

نوعان : غناء فردي
(سولو) ، وغناء فرقة
للمنشدتين (الكورس) ففي
الغناء الفردي نرى المنشد
وقد وضع يده تحت أذنه أو
فوق خده كما هي الحال في
مصر الى الآن . وكانت
الكورس ترافق الغناء
بتصفيق الايدي

وكان للغناء أوقات
ومواضع كثيرة

١ - الغناء عند الأكل : عند ما كانت تقام الولائم كان الغناء من أهم الأشياء التي
توجد مع فرقة الموسيقى . وكانت الأناشيد في الغالب ذات صيغة معينة مع اختلاف بسيط
بينها . فمثلاً هناك أنشودة تدعو القوم الى الاستمتاع بالحياة وما فيها من مباهج قبل أن
يدهمهم الموت . طى أن المغني كان يرتجل أحياناً الأنشودة بينما الكورس ترد عليه برد
معين واحد لا يتغير . ونجد نص الانشودة في الغالب مكتوباً في الرسوم فوق العازفين
والمغنين ، كما في مقبرة « زسركارع سنب » و« رخمارع » (٢) ويكاد عازف الجناك الاعمى
الذي كنا نراه يعزف لسيدة منفرداً عند ما يتناول وجباته ، يختفي في الرسوم . وقد



(شكل ٨٠) الموسيقى في الولائم ، ويرى الضيوف
وقد جلسوا على المقاعد بينما تعزف الفرقة على آلة
الجنك الكنتي وذى الحامل وعلى الطنبور والمزمار والطبل

(١) دايفز - العمارنة ، جزء سادس ، لوحة ٢٨

(٢) أطلس ١، ١٤٤ - ٣٣٣ - ١٩١ ، ب . .

نعتته بعض النصوص (١) بأنه قدر وشره ، ولذلك فإنه لم يعد يأتلف مع المجتمعات الراقية ومع ذلك فقد كانوا يعطفون عليه أحياناً فنجده يغنى في الفناء الى جانب الجزار

ب - في فناء المعبد : وخاصة معبد تل العمارنة ، وكذا في أفنية المنازل (٢) نجد العميان وهم يعزفون موسيقاهم وينشدون اغانيهم ، وقد كتبت نصوص أغنياتهم غالباً الى جانب الجناك Harp . ولما كانت الحيوانات تذبح في هذه الأفنية فالتنا نراهم في الرسوم ، كما هي الحال في رسوم العصور السابقة ، وقد تناولوا جانباً كبيراً من الأغذية

ج - عند تقديم القرбан : الذى كان يقدمه أحد العظماء على المائدة تكريماً لأحد الآلهة نجد عازفاً على إحدى الآلات الموسيقية ينشد أغنية عن الثيران المسمنة وغيرها من الأشياء الحسنة التى تقدم ، والتى يطعم المغنى نفسه فى أن يصيب جانباً منها (٣)

د - عند ايداع الجثة : نجد مغنيتين تضعان ايديهما على خديهما وتنشدان أغنية حزينة لا يصحبها موسيقى ، والى جانبهما يقف فريق من النادبات شعورهن شعواء بينما تظهر الجثة بالمياه المقدسة ويطلق البخور عليها (٤)

هـ - عند مزاوله الأعمال : فنجد الرجل الذى يحرث يغنى فى حقله وقت الحرث ، وكذا الرجل الذى يقطع النبات بمنجله والذى يعمل وقت الدرس حين يسوق الثيران فى الجرن. وفى محصول العنب نجد الرجال الذين يهرسون العنب لاستخراج النبيذ يغنون (٥)

كما نجد سائقي الحمير يتساعدون على قطع الوقت بالغناء

و - أغنية الحب : لم ترد لها نصوص على جدران المقابر ، ومعظم ما عرف منها مأخوذ عن أوراق البردى

الرقص

يرتبط الرقص فى مصر بالموسيقى ارتباطاً يصعب على الانسان معه أن يفصل أحدهما عن الآخر . على أنه يجب علينا دائماً أن نتذكر أن بعض حركات الرقص كانت تزاوّل دون أن تصحبها الموسيقى ، وربما كانت هذه الحركات مجرد تمرينات تجرى فى مدرسة لتعليم الرقص (٦) . ولكن لكى تؤدى الرقصات البديعة على أصولها الفنية كانت

(١) بروجش - المجلة المصرية (اجبتش زيتسرفت) عام ١٨٨٨ ، صفحة ٤٥ وما بعدها

(٢) أطلس ٢٥٢، ١ (٣) دايفز - موظفان ، لوحة ٢٠

(٤) دايفز جردنر - «امنحت» ، لوحة ٢٤ (٥) نيوبرى - «رخار ع» ، لوحة ١٨

(٦) بترى - القرنة ، لوحة العنوان

تصاحبها الآلات الوترية وآلات النفخ والطبول . أما الرقص عند تشييع جنازة الميت على غناء النادبات فقد كان يصحبه على الأخص قرع الطبول ذات الاطار . ويجدر بنا أن نفرق بين الرقصات الدينية والرقصات الدنيوية . فالرقصات الدينية كانت تزاوّل (أولا) عند الدفن ، فتتحرك الراقصات ويتموجن بحركات غريبة وسريعة وخاصة عند وصول الجثة الى القبرة ومواراتها ، وكانت تدق الطبول دقا عنيقا حتى ينتهى الاحتفال بالدفن (ثانيا) في الأعياد والاحتفالات كعيد (سد) (١) وعيد رأس السنة (قاعة الأعمدة الكبرى بمعبد الأقصر) وعيد الالهة « حتحور » وموكب السفينة المقدسة . الخ

أما الرقصات الدنيوية فكانت تجري في مناسبات عدة ، فعند ما يصل رب البيت من رحلة قام بها (٢) أو يعود بعد ان يكون الملك قد أجازاه بحلى الذهب ، كانت نساء الحريم يخفن لاستقباله راقصات وهن يقرعن الطبول ذات الاطار وفي أيديهن أغصان الشجر ، كما أننا نرى في بعض الرسوم فريقا من الشبان والمحاريين يخفون الى الشاطئ لاستقبال السفن القادمة وهم يرقصون مرحبين بوصولها (معبد الدير البحرى) كما أن وصول الجزية الى مصر من البلاد الاجنبية كان يستقبله الشعب رجالا ونساء بالرقص . هذا كله الى حفلات الرقص التى كانت تقام فى المآدب ترحيا بالضيوف عند الاكل وبعده ، وكان يجرى الرقص فيها على نغمات الآلات الموسيقية المختلفة . ونرى الراقصات فى الرسوم يتموجن ويخطرن فى حركات رشيقة فى ملابسهن الشفافة التى تظهر تقاطيع أجسامهن الرقيقة البضة (٣)

الالعاب

يمكن تقسيمها الى قسمين : ١ - الالعاب التى تزاوّل فى الحلاء ، ٢ - والالعاب التى تزاوّل فى المنازل . فالعاب النوع الاول وردت صورها على الاخص فى المعابد ، ولا نتناولها بالدرس إلا بصورة مختصرة جداً وأهمها :

(١) الالعاب البهلوانية : التى نراها تظهر لأول مرة فى عيد الاله « مين » فى مناطق معابد الأقصر والكركناك وادفو ودندرة . فى الأقصر مثلا (٤) كان ينصب جذع

(١) دليل المتحف البريطانى ، طبعة ١٩٠٩ ، صفحة ٢١٢

(٢) دايفز - « حوى » ، لوحة ١٥

(٣) أنظر اطلس ، جزء أول لوحة ٤٣ ، ٧١ ، ٧٦ « ب » ، ٩١ « ا » ، ٩١ « ج » ، ١٤٤ ،

٢٣٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩ ... الخ (٤) جايه - معبد الأقصر لوحة ١٠

شجرة في وضع عمودي بعد أن يثبت جيداً في الأرض ثم يسندون عليه أربع ساريات من الخشب توضع جميعها مائلة حوله وتثبت في الأرض أيضاً حتى تكون قوية متأسكة ، ثم يأتي الرجال فيتسابقون في تسلق هذه الساريات فمن فاز بالأولوية أعطى جائزة من إدارة المعبد . وفي هذا يقول هيرودوت (كتابه الثاني عن مصر ، ٩١) أنه في أمثال هذه الحفلات كانت « الماشية والملابس والجلود تقدم جائزة »

(ب) المصارعة : لانجدها بالتفصيل البديع الذي وجدناها عليه في الدولة الوسطى - في مقابر بني حسن مثلاً - إلا أن بعض المناظر كما في مدينة حابو ترينا فريقاً من المصارعين المصريين والاجانب (الزنوج والليبيين والسوريين والفلسطينيين) وهم يتصارعون في هيئة استعراض أمام رمسيس الثالث ومن معه من رجال بلاطه فتكون الغلبة للمصريين في النهاية (١)

(ج) المبارزة بالعصى : كانت العصى التي يتبارزون بها غالباً قصيرة ، يغطي طرفها بالقماش لكيلا تحدث أذى أو ألماً عند المبارزة ، وهم يمسكون بها باليد اليمنى ، بينما اليد اليسرى تمسك الترس الذي يحمي التبارز . وكانوا يلفون جباههم وآذانهم ودقونهم بالقماش لفا جيداً بحيث لا يتركون إلا العين والأنف والفم عارية . ولما كانت المناظر كلها تقريباً ترينا مصريين يتبارزون مع مصريين ، لذلك فانا لا نرى فيها متبارزاً يغلب على آخر أو يحدث في جسمه ألماً ، وكل ما تظهره صورهم هو كيف كانت تجري المبارزة عندهم . وكان المتبارزون يبدأون الحفلة وينهونها برفع الأيدي للملك تحية ثم ينحنون أمام الأمراء

أما الألعاب التي كان يزاولها القوم وهم جلوس فأهمها لعبة الشطرنج (٢) وهي من أقدم أنواع اللعب التي عرفها المصريون والتي نراها مصورة منذ عصر الدولة القديمة . وكانت رقعة الشطرنج تقسم في المعتاد الى عشرة مربعات طولاً وثلاثة عرضاً ، تلون باللونين الفاتح والداكن على التوالي . أما قطع اللعب فقد كانت ذات أشكال وألوان متعددة ، وكان كل طرف من طرفي اللعب يلعب بقطع من نوع واحد . ولدينا في المتحف المصري مثال جميل لرقعة الشطرنج وأدواتها وجدت بمقبرة «توت عنخ آمون» وهي مصنوعة من العاج والأبنوس

(١) أطلس - جزء ثاني ، ١٥٨ ، ١٥٨ « ١ »

(٢) أطلس - جزء أول ، لوحة ٤٩ « ١ »

المقايضة

لا بد أن أعمال المقايضة التي كانت تجرى في أسواق المدن والقرى والتي رأيناها في مناظر الدولة القديمة قد ظلت مستمرة في عصر الدولة الوسطى . أما في الدولة الحديثة فإن المناظر تمثل لنا نوعاً من التطور الجديد الذي دعا إلى استعمال السفن في نقل البضائع وتبادلها . ففي مقبرة « آبوى » (١) (شكل ٨١) نرى رجلاً يمثل وصول سفينتين محملتين بالحضر والأصمك وباقات الزهور . . الخ . وعلى الشاطئ تجلس امرأة تشتري كمية من السمك في كيس يفرغه رجل في سلة أمامها ، ووراءها تجلس امرأة أخرى تستبدل



قطعتين من الكعك بكيس صغير مملوء بالبضائع يمسكه رجل في يده بينما يفحص قطعة الكعك باليد الأخرى قبل أن يسلم الكيس حتى يتحقق أنه لم يخدع . وبينما تجد البضائع الواردة الكثير من المشترين مقبلين عليها إذ يهرع

(شكل ٨١) أعمال المقايضة - (فوق) رجل يبيع سمكاً لامرأة جالسة ، وآخر يستبدل كيساً صغيراً بقطعتين من الكعك ، (تحت) رجال يهرولون ببضائعهم إلى سفينة نقل

سائقو الحمير بدوابهم إلى السفينة ليسلموا زكائبهم وبضائعهم المعدة للنقل على السفينة قبل أن تغادر الشاطئ

وفي مقبرة « خامت » (٢) المشرف على مخزنى الغلال أى « شونق » الوجه القبلى والوجه البحرى نرى اثنتين وعشرين سفينة من سفن الغلال ترسو في مكان في شمال مصر حيث يتولى الرجال نقل القمح منها إلى الشاطئ في زكائب كبيرة وأوان أخرى أشبه بالسلال ، فاذا فرغوا من النقل ناداهم فريق آخر من الأجانب يقفون على الشاطئ

(١) أطلس ١ ، ٣٦٣ و ٣٦٦ - دايفز ، مقبرتان من عصر الرامسة لوحة ٣٠

(٢) أطلس ١ ، ١٩٩

وأمامهم زكائب عدة مملوءة لكي يتبادلوا معهم السلع والبضائع . فترى أحدهم يأخذ من التاجر شيئاً ويعطيه في الوقت نفسه بدلاً منه شيئاً آخر غير واضح، ومن الأسف أن هذه المناظر في حالة من التلف لا يمكن معها الجزم بنوع هذه الأشياء ، على أنه مما لا شك فيه أن الأمر هنا متعلق بتبادل الأشياء والسلع الصغيرة الحجم . وتحت هذه المناظر صورت عودة السفن الى طيبة ، فتراها وقد رست على شاطئ طيبة وأخذ الرجال في حمل الزكائب والسلال وإنزالها الى الشاطئ وربما كانت مهمة هذه السفن نقل الغلال لاستبدال حبوب الوجه القبلى بغيرها من الانواع التى تنمو في الوجه البحرى . على أن « خاضعت » بصفته مشرفاً على أملاك فرعون ابتداء من بلاد النوبة حتى حدود بلاد « متانى » كان مضطراً بحكم وظيفته أن يسير سفنه حتى شواطئ البحر الأبيض (١) لكي يطالب هذه البلاد بالكميات المفروضة عليها لتوريدها

أما المناظر الخاصة بحركة التجارة مع البلاد الأجنبية فهي قليلة الورد وخصوصاً إذا لاحظنا أن المناظر التى نرى فيها مشاهد تجارة بين المصريين والسوريين ، وكذا السفن الفينيقية راسية في ميناء مصرية ومحملة بالبضائع ، يمكن تفسيرها بأنها سفن آتية الى مصر محملة بالجزية المفروضة على سوريا وغيرها ، والتى يحاول بعض السوريين والأجانب بيع جانب منها خفية للتجار المصريين الذين يجلسون على الشاطئ تحت مظلات مصنوعة من الحصر وأمامهم سلعهم من الأقمشة ذات الهداب والأحذية الجلدية وغيرها (٢) فكان بعض هؤلاء الأجانب يحاول بيع الجرار والآنية لهؤلاء التجار خفية ، كلما رأوا المشرفين عليهم من المصريين في شغل عنهم بعمل من الاعمال . ويظهر ان المصريين كانوا يعرفون عن الأجانب هذه العادة لاتنا نرى بعض هؤلاء الأجانب وقد ضبطوا باناء في أيديهم فأمسك بهم الرئيس المصرى وأخذ يؤدبهم بعصاه

والجديد في هذه المناظر أن السلع التى كانت تباع لم تكن تستبدل بسلع أخرى وإنما كان يعطى بدلاً منها قطع من الذهب أو أداة أخرى من أدوات الاستبدال تراها توزن في موازين صغيرة

(١) انظر ارمان رانكي - مصر والحياة المصرية في الزمن القديم ، صفحة ١٢١
(٢) أنظر كوستر Koester - الملاحة والتجارة في حوض البحر الأبيض . ملحق لجريدة الشرق القديم عام ١٩٢٤ جزء أول ، لوحة رقم ١

تصويب

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٣٣	٧	الغربي	الشرقي
٣٣	٢٠	الغربي	الشرقي
٣٣	٢٢	(الكاب)	(تجاه الكاب)
٣٤	١٦	طوله	طول كل جانب من جوانبه
٣٤	٢١	طوله	ارتفاعه
٣٥	١٥	طولها ١٧٢ قدما	ارتفاعها ٧٢ قدما
٣٥	١٦	عرضها	عرض كل منها
٤٧	شكل ٢١		الرسم الأعلى التخطيطي وضع معكوسا فالجزء الأيمن يجب وضعه الى اليسار والعكس بالعكس كلها أحيانا
٥٨	١٦	كلها	ذكرت خمس من العجائب السبع أما الاثنتان الباقيتان فهما : تمثال جوبتر باثينا (الذي صنعه فدياس) وضريح هليكرناس . واستبدل بعض الكتاب معبد التيه (اللابرنث بالفيوم) بمعبد ديانا في أيسوس وضع مقلوبا فالجزء الأعلى هو المدخل وصحة وضعه الى أسفل
٨٣	الهامش		منها
٩٣	شكل ٤٣		منهما
١٥٧	١٩		« أثر »
١٧٦	١		« إسر »
١٨٥	٣	ويلى ذلك	ويلى ذلك الصهر
١٩٠	٢٢	للاصاق	للاصاق

فهرس

صفحة	صفحة	الفصل الأول
١٣٦	٣	طبيعة الفن المصرى
١٣٧		الفصل الثانى
١٤١		فن العمارة المدنية والحربية
	٨	المساكن الخاصة (المنازل)
	٢٣	قصر الملك
	٣٠	الحصون والقلاع
	٣٧	الأشغال العامة
		الفصل الثالث
	٤٣	فن العمارة الدينية (المعابد)
		الفصل الرابع
		العمارات الجنائزية
	٥٨	مقابر عصر ما قبل الأسرات
	٦١	مقابر العصر التينى
	٦٢	مقابر الدولة القديمة
	٩٧	مقابر الدولة الوسطى
	١٠٥	مقابر الدولة الحديثة
		الفصل الخامس
		النحت والحفر
	١١٧	أصل صناعة التماثيل
	١٢١	فن صناعة التماثيل
		الفصل السادس
	١٣٣	الرسم والنقش والتصوير
		الفصل السابع
		النقوش فى الدولة القديمة
		الفصل الثامن
		النقوش والملكية
		نقوش المعابد
		نقوش المقابر
		الفصل التاسع
		النقوش فى الدولة الوسطى
		الفصل العاشر
		الرسوم فى الدولة الحديثة
		(مقابر الأشخاص فى طية)
		الزراعة
		زراعة الحدائق
		القطعان - صيد الحيوان
		صيد الطيور
		صيد السمك - الأعمال المتعلقة
		بالمطابخ - الفن والصناعات
		محصول البردى واستعماله - قطع
		الأشجار والأخشاب الأجنبية
		بناء السفن - الملاحة
		الملاهى
		الآلأب
		المقايضة